Zahiruddin

Azamgadhi

Mutallim

Darulhadis

Rahmania

Delhi

الهلال

الجزء الاول ـ السنة ٤٤

اول نوفمبر سنة ١٩٣٥ ـ ٤ شعبان سنة ١٣٥٤

الفن والجمال

فاتحة السنة الجديدة

استن الهلال سنة جديدة باصدار أجزاء خاصة إلى جانب أجزائه العادية . وقد لقينا من تقدير القراء وحسن قبولهم ما حملنا على مضاعفة العناية بهذه الأجزاء التى أصبحت بمنزلة التحف الأدبية والمجموعات القيمة

وقد أصدرنا في السنتين الأخيرتين ثلاثة أجزاء خاصة : أولها صدر منذ سنتين،وموضوعه « حياتنا الجديدة » وثانيها صدر في مفتتح السنة الماضية ، وموضوعه « المرأة والحب » . والثالث صدر فى آخرها ، وموضوعه « أبو الطيب المتنبي » . وقد نفدت جميعاً عقب صدورها ، فكان هذا دليلا على عناية القراء بهذه الأجزاء الخاصة،وكان حاثاً لنا على الاستزادة من أمثالها

وها نحن أولاء نفتتح اليوم سنة الهلال الرابعة والأربعين بهذا الجزء الحافل : « الفن والجمال » . . .

« الفن والجمال » كلمتان فيهما السحر كله ، وفيهما لذة الحياة وبهجة الدنيا ـ فهل من موضوع أجدر من هذا الموضوع بأن نخصص له جزءاً من الهلال ، بل أجزاء ؟

ثم إننا قدرنا أن « الهلال » مطالبٌ ببذل مجهود قيم في هذا الاتجاه الجديد ، والمساهمة في لفت الاذهان الى هذه الموضوعات الحية . وقد استعنا لهذه الغاية بأقلام الزملاء والمفكرين الذين قل أن اجتمع مثل عددهم هذا بين دفتى مجلة من المجلات ، و بذلنا كل مستطاع في اخراج هذا الجزء ليكون جديراً بالموضوع الذى خصص له ـ أى أن يكون أنموذجاً حسناً من نماذج الفن والجمال من حيث تحريره وطبعه وتنسيقه وسائر مقوماته المعنوية والمادية

وأملنا أن نوفق فى مجهود اليوم ، وأن نحوز فى هذه المرة ـ أيضاً ـ تقدير القراء ، فيكون ذلك حافزاً لنا على الاستمرار في هذه الخطة الجديدة ، إذ اعتمادنا على تقدير قرائنا ورضاهم في كل ما ينهض بهذه المجلة و يقدمها « الى الامام »

اميل زيدان

جمال المرأة

بقلم باحثة البادية

البشاشة مفتاح ما أغلق من السعادة، ومعوان على قضاء الأشغال، يصل نورها الى قلب صاحبها، فيفعمه غبطة، وكذلك يلقى شعاعه الكهربائى على من حوله، فتنتعش به أرواحهم، وهى جميلة فى الكهل كما هى جميلة فى الطفل، الا أنها أبهى وأشد تأثيراً فى « المرأة » . تلك التى تسيطر على القلوب ولا تدرى

خلقت المرأة لطيفة بالفطرة . والبشاشة من لوازم اللطف كما هى من المؤثرات فى الجمال . وإن لين صوتها ونعومة أديمها، وتناسب أعضائها لتستدعى مراعاة النظير فى رشاقة حركتها، وانفراط اسرة وجهها ـ كذلك صوت المرأة يدل على تربيتها . فالمرأة المهذبة لا ترفع الصوت، ولا تكاد تسمعه عن بعد الا كالهمس . هذا اذا لم يبعثها باعث شاذ على اعلانه كأن تقف خطيبة فى جمع حافل أو تلقى درساً فى حجرة واسعة . ولكنك اذا اجتزت أحد شوارع البلد الهادئة يذعرك كثرة ما تسمع من صياح النساء فى غير طائل.إلا شتم الخدم،والدعاء على الأطفال، أو محض قص القصص أحياناً . فاذا دخلت المنزل تجد صاحبته مقطبة الجبين يكاد يطردك عبوسها عن أن تقابلها . ولا توشك أن تجلس حتى تبدى لك سبب صراخها . فتشكو من هذا وتألم من تلك وتجعل الدنيا فى عينيك كسم الخياط

اذا كان الانسان عاجزاً عن أن يحسن خلقته أو يغيرها تغييراً ثابتاً . فانه يستطيع على الاقل أن يحفظها كما هى زمناً طويلا وان يحسن اخلاقه . وهذه الخصال الثلاث أى : البشاشـــة والخفة وخفض الصوت، من مجملات المرأة خلقاً وخلقاً ومن محسنات الصحة أيضاً . فقد ثبت أن تقطيب الوجه يدنى من الشيخوخة بما يخلفه من الغضون فيثنى الجلد ثنايا لانفراط لها بعد . واظن هذا هو السبب فيما يظهر على نسائنا من الكبر قبل الاوان

على أن بعضهن قد يفرطن فى التبسم وخفض الصوت الى درجة تخرجهن عن اللائق . فالمرأة الضاحكة بلا سبب والخفيفة الى حد الطيش والواطئة الصوت الى حد الهمس كلهن مفرطات . انما اعنى ان تصحب البشاشة الوقار، والخفة الحزم، وهدوء الصوت البيان ـ هذا هو الجمال الممكن نيله الممدوح أثره . لا الطلاء والتطرية الكاذبان

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

المختلفون في أمر « الوحي الفني » يتفقون في شيء واحد، وهو أن هناك حالة أصلح من حالات أخرى للعمل الفني كائناً ما كان من نظم أو تلحين أو تصوير أو تمثيل . فلا يكون الفنان في كل حالة على استعداد واحد للابتكار والإجادة ، ولكنه يعرف له حالة موفقة هي عنده أوفق من جميع الحالات

وأكبر همّ الفنان أن يستحضر تلك الحالة إن لم تكن حاضرة . وهنا يختلف أصحاب الفنون كل مختلف في وسائل الاستحضار حسبما فطروا عليه وتعودوه . فمنهم من يستعين بشرب القهوة ومنهم من يستعين بالتدخين ومنهم من يتناول بعض المسكرات ومنهم من يمشي مسافات أو يتحرى أوقات البكور أو غيرها من الأوقات ، وقد يستعين الواحد بأكثر من وسيلة حسبما يعرض له من غِيَر المزاج

وليس من الضروري أن يضمن الفنان هذه الحالة متى ضمن الوسيلة . فقد توجد القهوة أو توجد المسافات الطويلة ولا يوجد الوحي المقصود . إذ من خصائص الفنون الأولى أنها لا تتقيد ببرنامج ولا تخضع للنظام « الآلي » الذي تخضع له الصناعات اليدوية وما شابهها .

ففي ساعة تكتب عشر صفحات وفي عشرة أيام لا تكتب صفحة واحدة، وأنت لا تستطيع أن

تجزم متى تكون تلك الساعة المباركة قبلها بفترة وجيزة . وان كنت تستطيع أن تلجأ إلى جميع الوسائل في كل حين

ويجب أن أتحدث هنا عن تجربتي الخاصة لأن التجربة الخاصة في هذه المسائل هي كل شيء ، وهي كذلك كل شيء حيث لا توجد القواعد المقررة التي يتفق فيها جميع الناس

فمعظم ما ينظمه كاتب هذه السطور من الشعر إنما ينظمه باقتراح من عند نفسه لا يتقيد فيه بموعد ولا غاية . فان لم يتيسر نظمه الساعة فليرجأ إلى ساعة أخرى في يوم آخر ، ولا داعي للعجلة أو للفراغ من النظم في موعد مرسوم

ولكن يتفق بعض الأحيان أن تأتي المناسبة التي أتلقى فيها اقتراحاً بنظم قصيدة مطلوبة لموعد معلوم . فماذا أصنع في هذه الحال ؟ لم أستطع مرة واحدة أن أعد وعداً جازماً بنظم القصيدة في موعدها . ولكني جريت على أن استمهل المقترح أياماً قبل الجزم بالقبول . ثم أبدأ النظم على اعتبار أنني لم أتقيد باجابة ولا بموعد ، ويحدث في جميع هذه الاحوال أن تتم القصيدة قبل أن أجيب بالقبول ، وأن تتم أحياناً في يوم واحد أو ساعات قليلة ، ولكني مع تكرار هذه التجربة عشر مرات أو أكثر من ذلك لا أزال أشعر بالحاجة الى تلك الحيطة وذلك الاستمهال ، ريثما أبدأ التجربة وأنا غير مقيد بيوم ولا متوجس من الخلف ولو على فرض بعيد

* * *

على أن خير الحالات جميعاً ـ بل الحالة التي لا غنى عنها لفنان ـ أن تكون النفس في حالة « حركة » ولا تكون في حالة ركود أو جمود

ومعنى الحركة أن تجيش النفس بعاطفة من العواطف ، أو تهتز لشعور غالب كالحب أو كالحزن أو كالاشفاق أو كالغضب أو كالتفتح بالعاطفة والاستعداد للشعور بما يشعر به من حولها أو ما يلوح على ما حولها من المناظر والاشياء

والشرط في هذه الحالة ألا تكون العاطفة جامحة جائحة ، لان النفس في حالة الجموح الجائح لا تملك القريحة المنشئة ولا تزال مستغرقة فيما هي فيه

وانما مزية الفنان التي يكون بها منشئاً مبتكراً هي كونه شخصين اثنين لا شخصاً واحداً كسائر الاشخاص

وهو شخصان اثنان إذ يكون هناك شخص يشعر ويعطف ، وشخص يراقب ويقيد ما

يراقبه ويخرجه فى الصورة الفنية التى هو بها خبير

ولن يكون الفنان هكذا إلا وفي العاطفة هدوء ما يسمح بالمراقبة والتأمل والمقارنة واطلاق الخيال فى ابتداع الصور والاماثيل . أما إذ تجمح العاطفة وتطغى فهي تستغرق كل شيء ولا تدع إلى جانبها موضعاً « للشخص الآخر » المراقب المبتكر « المتفرج » على الحياة وفي مقدمتها حياته

فاذا وجدت « الحركة النفسية » التى تمنع الركود وتمنع الاستغراق في وقت واحد ، فتلك خير حالات الوحى والخلق والتجويد

وإذا لم توجد في الوقت الحاضر فينبغى أن تكون قد وجدت قبل ذلك في وقت من الاوقات ، وأن يكون عند الفنان قدرة الخيال وقدرة الانفعال لاستئناف تلك الحالة السابقة وإعادتها إلى الحياة كما تعود المشاهد والتجارب فى الاحلام ، وإذا بلغ من قدرة الخيال وقدرة الانفعال أن تخلقا الشعور خلقاً بغير تجربة سابقة إلا ما كان من مراقبة الناس أو القراءة عنهم، فتلك نادرة لا تطرد ، ولا تعهد على كثرة ووفرة إلا فى الافذاذ المعدودين بين أصحاب الفنون

لكن الخيال والانفعال شرطان لازمان في كل فنان يخلق ويجيد ، ولازمة من لوازم الخيال والانفعال تلك الملكة التي تملك « تداعى الخواطر » أو الانتقال من فكرة الى فكرة ومن شعور إلى شعور ومن موقف الى موقف حسبما يكون بينها من المشابهة والمقاربة فى قريحة الفنان ، ونقول « قريحة الفنان » لان القرائح الاخرى لا تفطن لتلك المشابهات ولا ترى العلاقات الدقيقة التى تربط كل واحدة منها بما بعدها ثم تثب بالذهن من أبعد الاشياء الى ابعدها في الظاهر على سلسلة متلاحقة متشابكة لا فجوة فيها ولا منقطع بينها ، وهى عند الآخرين مملوءة بالفجوات والفروق لا تصلح للسير عليها خطوة أو خطوتين

تتحدث ــ مثلاً ــ الى رجل من أصحاب السليقة الفنية عن برج « ايفل » فلا تنقضى لمحة حتى يعود فيحدثك عن « لغة الاسبرانتو » التي توحد بين جميع اللغات . فلا تحسبه مجنوناً أو مخبولا شارد الفكر مولعاً بالمفارقات ينتقل بين الاحاديث بلا مناسبة ولا استطراد . بل حاول أن تتبعه فى تفكيره و « تداعى خواطره » تجد أن برج « ايفل » قد ذكره على الفور برجاً آخر مشهوراً في التاريخ القديم وهو برج بابل ، وأن برج بابل قد ذكره ما قيل عن تبلبل الالسنة واختلاف اللغات ، وأن اختلاف اللغات قد ذكره بسعى طلاب السلام

والوفاق وما اخترعوه من أسباب للتقريب والتأليف بين الشعوب وفي مقدمتها لغة « الاسبرانتو » . . وهكذا يظفر ذهن الفنان بين المناسبات ، ويتهيأ له من ثم اطراد الخواطر والفيض بالافكار وهو ما يسمونه الخصوبة وسخاء القريحة ، ويتوقف عليه كثير من « وحى الفنون »

والخصوبة في القرائح كالخصوبة في البقاع من حيث المفاضلة والتقويم . فلا يعيب الذهن أن يكون مكثراً ولا يزكي نتاجه أن ينتج باقلال وادلال : كالبستان لا يعيبه أن يسخو بالثمر ولا يزكيه الشح وطول الانتظار . وانما العبرة بالمذاق والطيب لا بالعدد والموسم . ورب مكثر يساوى الفاً من المقلين لأن النفاسة ليست رهينة بالقلة على إطلاقها ، ولكنها رهينة بالقلة التى ليس لها مثيل

* * *

وغنى عن القول أن الذهن المستريح أقدر على الوحى من الذهن المتعب المكدود . وهذه هى القاعدة فى اكثر الاحوال وأدناها الى المعهود والمعقول . أما الشذوذ فهو أن الذهن المكدود ليفوق أحياناً الذهن الهادىء المستريح ، لانه « يتنبه » فينطلق كما ينطلق المتعب الفاتر بباعث من المنبهات والمحرضات الصناعية . ومثله فى ذلك كمثل الساهد قد طال عليه السهاد حتى نفض عنه غبار التهويم ونشط إلى اليقظة الواعية كأنه استوفى حظه من الراحة وزهد في الرقاد باختياره ورضاه . فهو في هذه اليقظة أقدر على الوعى ممن تيقظ بعد نوم طويل وراحة قريرة ولما يستجمع نشاطه ودواعى التفاته . وهى حالة لا يقاس عليها ولا يعرف لها ضابط مقدور ، ولكنها موجودة حاصلة فهى حقيقة بالتسجيل خليقة ألا تفوت الناظر في هذا الموضوع

وبعد هذا وذاك : لماذا يحتاج الفنان الى « الوحى » ولا يحتاج اليه العالم إلا حين يشبه الفنان فى الاختراع والاستنباط ؟ الجواب الوجيز عن ذلك أن العلم المقرر له طريقة واحدة لصنع ما يصنع . أما الفن فله إذا أراد التعبير عن معنى واحد الف طريقة لا تحصى ولا يتلاقى فيها الانسان الواحد وقتين مختلفين . واختيار الطريقة الفضلى والحالة النفسية التى تواءمها وتتهيأ لها هو مناط الوحى وهو عماد الفنون

عباس محمود العقاد

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

متى اجتمع الجمال مع السموّ والعظمة والوقار ، فهو الجلال بعينه . ومن النادر أن تكون البطولة فى الحرب جميلة فقط ، بل هى جميلة وجليلة في آن واحد ، ذلك لأن الشخصية التى تليق أن تتصف بهذا الوصف الرائع تتمثل للناظر حلوةً جذّابةً تثير في النفس سروراً ، ولكنها فوق ذلك تعمل عملاً جباراً يسمو بصاحبه ويجلله بثوب الوقار

الجمال وحده يثير السرور والغبطة والابتهاج ، ولكن الجلال يثير هذا جميعاً مع ميزته الخاصة وهى الحرمة والوقار ، فكل جليل جميل ولكن ليس كل جميل جليلاً

لا توصف بالجلال الأكمة مهما كانت متناسبة وجذّابة ، ولا البركة مهما كانت لألاءة وصافية ، ولا الغزال مهما كان اغيد وضاحاً ،وإنما يوصف بالجلال الجبل الشامخ والبحر الزاخر والاسد الغضنفر . وقد أجاد (لونجفلو) كثيراً لما مثل الجلال فى الاعمال فقال : « إذا أردت أن تعرف كيف يكون الشيء جليلا فتجرع غصص الالم وكن صنديداً »

ونحن على مذهب أفلاطون ومن جاراه من حكماء اليونان في أن الخير يشمل الجميل والجليل فى جملة ما يشمله ، ونعد عمل البطل الجبّار فى الحرب بياناً أدبياً فصيحاً يتضمن كل ما في القصيدة الحماسية من شجاعة واباء وفخر كما أن الطبيعة كلها في نظر الفنان قطعة موسيقية أو صورة زيتية

بطولة يوسف بك العظمة والقضية السورية العربية

في ربيع سنة ١٩٢٠ ترامى الى الحكومة الوطنية العربية بدمشق أن فرنسة تنوى أن شن الغارة على سورية الداخلية ، وكان الشهيد العربي الكبير يوسف بك العظمة إذ ذاك

وزيراً للحربية ، فأخذ فى تنظيم الجيش الوطنى و إعداده على الطرق الحديثة ، وطفق يذيع فى الاوساط أخباراً مبالغاً فيها عن قوته واستعداده حتى إنه في أحد الايام استعرضه استعراضاً رسمياً بالابهة والدبدبة ليحمل السلطة الفرنسية فى الساحل على التدبر قبل الاقدام على العمل . وكان أشد الوزراء اندفاعاً وحماسة في تأييد الحرب ومقابلة الفرنسيين في الميـدان ، واستباح لنفسه وهو الجندى الخبير أن يخفى مقدار قوته الحقيقى حتى عن مليكه و زملائه ، اعتقاداً منه أن الكتمان وسيلة مشروعة لقضاء الحاجة، وباب من أبواب النصر يلجأ اليه المحاربون، ولكن افتضح الامر قبيل إرسـال فرنسة بلاغها النهـائي فى اليوم الرابع عشر من يوليو (تموز) فذاعت الاخبار أن مقدار السـلاح الثقيل في الجيش الوطنى خمسون مدفعـاً فقط لكل مدفع خمسون قنبلة وأن مقدار البنادق خمسة آلاف لكل بندقية مئتان وخمسون خرطوشة ، وزاد في الطين بلة أن المجلس العسكرى الذى انعقد لاعطاء الرأي الفنى الحاسم قرر أن حرباً نظامية على هذا النمط من السلاح والعتاد لا تدوم غير بضع دقائق ! فأسقط فى يد يوسف بك العظمة وزير الحربيةوعرف أن سره قد انكشف وأن الشبح الذىجلببه بالايهام والابهام تعرّى وأن العدو لم يعد يحسب له حساباً وأن تلك الحماسـة التى كانت منتشرة فى الصحف وعلى ألسن الخطباء لا تستحق الاصغاء

ولكن يوسف بك العظمة العربي الصميم يغرر بوطنه ويدس على مليكه ويخفى عن زملائه لغرض في نفسه ؟ هذا محال . . . هذا لا ينطبق على خلقه . . . ولا على التربيـة الحرة التى نشأ عليها ، ومن أعوزه البرهان فهذه هي الحجة الدامغة : لقد قرر يوسف بك العظمة طوعاً واختياراً الذهاب الى الساحة التى سيمر منها الجيش المكتسح الغاصب والوقوف أمام قذائفه بصدر مكشوف ورأس مرفوع ،حتى يسيل من قلبه الدم الزكي الطاهر على أرض الوطن ، فيعلم الابناء والاحفاد في سورية خاصة و بلاد العرب عامة أن وزير حربية الحكومة السورية العربية لم يبخل بدمه لاقامة البرهان على مبدأ آمن به وخطة اختطها لنفسه و بلاده .و إن أنس لا أنس يوم وقف أمام الحكومة وعلى رأسها الملك فيصل يودعها فقال لنا بأنفة و إباء : إنني ذاهب إلى جبهة الحرب وليس لدىَّ ما أتركه لكم سوى طفلتى أستودعها ذمتكم . و بعد سـاعات كان على طريقه إلى ميسلون على رأس حفنة من المتطوعة و بقـايا الجيش النظامي ـ لان الجيش كان قد تسرح بحسب اتفاق غادر مع الجنرال غورو ـ وفي صباح اليوم التالى باكراً نعاه لى بالتلفون الدكتور احمد بك قدرى ، وقد علمت أنه صمد في الصف الاول كالمنارة المزدانة.فهو

إذا هوى فى ميدان الفخر فانما هوى ليرفع تمثالاً من الفن البديع على باب العاصمة الاموية يفتخر بدقة صنعه وجلال نحته الابناء والاحفاد

داست سنابك خيل المكتسحين أشلاء القتلى وحانت لضابط منهم التفاتة فرأى بين المضطجعين سحنةً عرفها فترجل ليتحقق منها فرأى على الكتفين شارة فصاح : « وزير الحربية السورى يموت مينة الاشراف ».

لقد كان يوسف بك العظمة شاباً معتدل القامة متناسب الاعضاء صبيح الوجه تكاد كل لمحة من ملامح وجهه تفصح عن ذكائه وكل عضلة من عضلات جسمه تدل على نشاطه . فلما مات مينة الابطال الاشراف اجتمع الجمال الفتان الى العظمة الرائعة فتبدى الجلال بأبدع صوره وأروع أشكاله

إن للفن وما يتصل به من الجماليات شأناً بالغاً في تطور الامم ولا سيما جلال البطولة في ساحة الوغى ، فهو قوة ساحرة نافذة تتغلب على عواطف الافراد وتخضعهم لعظمتها وكبريائها ، وحيثما كانت الحاجة ملحة تتطلب التضافر والتعاون و إزالة الاختلافات الفردية وصهر الناس في بوتقة التجانس للقيام بالعمل المؤثر ، فالعواطف لا المنطق ولا الحجج البرهانية هى التى يستغاث بها أولا و يستعان بنفوذها في سواد الشعب . وهل مثل الشعر والخطابة والفصاحة والموسيقى والرواية الفنية شيء يثير كامن المشاعر و يسوقها في الطريق المختارة ؟ ألم ينهب الناس زرافات ووحداناً في سبيل رواية شهيد تسلط على البابهم ببذله وجماله وجلاله ؟ وان قبائل نجد البسيطة الساذجة في عصرنا هذا وهى تكاد تكون على الفطرة الاولى تقتحم الموت الزؤام المحقق متى دقت الطبول وصاح في الآفاق داعى الجهاد لاعلاء كلمة الحق :

« كدَّ النضا في سبيل الله والروح ترجع لواليها »

وفعلت بطولة علي بن أبى طالب ومأساة ابنه الحسين في كربلاء والحوادث الشعرية المنسوبة الى تلك الايام ، فعل السحر في بعض الفرق الاسلامية ، فاثارت ذكرياتها التعاطف الاجتماعي بين أفرادهم وميل الواحد منهم نحو الآخر ، وأزالت الحواجز الفاصلة بما نفثته فى روعهم من شعور واحد مشترك . وعقب وفاة الحسين بن علي ودفنه بعيداً عن عاصمة المملكة التي أسسها اقترحت أن يقام له مأتم تمثيلى في كل سنة كمأتم عاشوراء تذكر فيه رجولته ووطنيته وعروبته والغدر الذي أصابه من حلفائه بالامس مع ما كان متصفاً به من الجلال والوقار ، كل ذلك لتثبيت الثورة العربية فى أذهان الابناء والاحفاد والمطالبة بالحقوق التى

ذهب من أجلها شهداؤنا الغر الميامين الى سدد المشانق . والفن يخولنا الحق أن نتصرف في التأليف التصرف الادبي اللائق،فقدماً صور الناس القديسين والابطال كما يقول«الموجز في علم الاجتماع » بالهيئة الجميلة المقبولة ، في حين يصورون الابالسة وأتباعهم من البشر بأقبح الصور . و بينما يوصف التفوق الاخلاقي بالالفاظ المنمقة الجميلة الجذابة التي تجعل هذه الصفه معقولةمقبولة ومرغوباً فيها ، نجد من الجهة الاخرى أن السيرة التي لاتليق بالمجتمع تدمغ بأقبح الالفاظ دمغاً وتمثل للناظرين بألوان وأشكال تلازم ما يستهجنه المرء و يستنكره في حياته اليومية

وقصارى القول ان جلال البطولة يفتن الخيال و يستولى على الالباب استيلاء المثل العليا في الاخلاق والايثار والبذل والاصلاح ،فيرينا كمالاً جديداً لم نكن لنألفه ،و يسوقنا على طرق في الحياة لم نكن لنسلكها ، و ينصب أمام أعيننا أهدافاً قد تغير بناء الامة التي ننتمي اليها من الاساس

الجمال فتنة ولكن الجلال فتنة وعبادة

عبد الرحمن شهبندر

جمال الشجاعة

☆ استعمل كسرى عاملا له على اليمن يدعى « المروزان » فاقام بها حيناً ثم خالفه أهل المصانع —والمصانع جبل باليمن ممتنع طويل ووراءه جبل آخر — فسار اليهم المروزان فنظر الى جبل لايطمع احد أن يدخله الا من باب واحد يمنع ذلك الباب رجل واحد . فلما رأى أن لاسبيل اليهم صعد الجبل القائم وراء المصانع من حيث يحاذى حصنهم فنظر الى أضيق مكان فيه فلم ير شيئاً اولى من هذا الجبل بافتتاح الحصن منه ، فامر اصحابه أن يقوموا به صفين ويصيحوا به صيحة واحدة . ثم ضرب فرسه حتى اذا استجمع قواه رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابه فوثب الفرس الوادى فاذا هو على رأس الحصن فلما نظر اليه أهل المصانع قالوا : « هذا والله ايم » والايم عندهم الشيطان . فانتهرهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضاً واستنزلهم من حصنهم فقتل طائفة وسبى طائفة وكتب بما كان لكسرى فتعجب لجمال شجاعته وجلال جرأته واستخلفه على عمله

في مملكة الفن
ودولة الجمال

بقلم الأستاذ أحمد محرم

أطلق الوصفَ ، وَقُلْ جُنَّ القلمْ   ليس للفنّان وصفٌ يلتزمْ

مُستبدٌّ يحسبُ الدُّنيا له   وهو خَصمُ المستبدِّ المحتكمْ

ينظرُ النظرةَ تستقصي المدى   وتُريهِ النُّورَ يجري في الظلم

كلُّ عانٍ ناعمٌ . كلُّ شجٍ   مستريحٌ ، كلُّ باكٍ مُبتسم

فيلسوفٌ كشفَ الله له   عن خفايا كلِّ سر مُكتتم

طامحٌ يرمي السّمواتِ العُلى   بجناحَيْ طائرٍ طاغي الهممْ

فإذا ما أخذته لمحة   من جمالِ الفن أغضى واحتشم

هو عبد الفن ، والناسُ لهُ   في حِمَى الفن عَبيد وخدم

مَلِكُ العالَمِ ، أو قيصرهُ   خفقت أعلامهُ فوق الأمم

يدّعيهِ قومهُ من عزهِ   وهو للاقوامِ نَهب مُقتَسم

هُوَ خَلْق بارع ممّا اصطفىَ   مُبدعُ الكونِ ، وخلّاقُ النسم

هو نُور ساطع من وحيهِ   هو سِفر جامع غُرَّ الحكم

مَرَّ بالنَّاسِ ، فقالوا مالهُ   صدَّ عنا ؟؟ أهو أعمى أم أصم ؟؟

أمْ بهِ كِبْر ثَنىَ من عِطفهِ ؟؟   أمْ هوَ الفنانُ وَحشِيُّ الشيمْ ؟؟

جاء بالأمسِ وكنّا حوله   فرآنا غُيباً فيما زعمْ

قال منّا قائل : ماذا ترى ؟   فتولى مُستخفاً ووجم

كلمّا قيلَ « جمال » مسهُ   طائف يعتادهُ مثل اللَّمَمْ

يَهجرُ الأهلَ ، وينسى نفسه فهيَ منهُ في وجودٍ كالعدمْ
همّهُ الأولُ فنٌّ ما رعى لسواهُ من ذمامٍ أو رحِمْ
هائمٌ في عالمٍ من فتنةٍ غائبٌ عن حسنهِ من لم يَهِمْ
يتجلّى الله في مرْآته ضاحكَ الأقدارِ ، صدّاحَ القسمْ
يُلهمُ الفنَّ ، ويُعطي تاجَهُ كلَّ عالي الشأنِ ، خفّاقِ العلَمْ
زادَه مجداً على المجد الذي زانه في ملكهِ منذ القِدَمْ
قطرة الماءِ لها في فنّهِ لججٌ تطغى على البحرِ الخضمْ
وترى الزَّهرةَ في إنجيلهِ ضُرّةَ المعبد ، أو صدرَ الحرَمْ
تَرجمانُ الحقِّ ، ما من لغةٍ هي أحلَى موقعاً مما عَلِمْ
ما لغاتُ النّاسِ إلا هامشٌ في كتابِ الفنِّ للناس ارتسمْ
وَسِعتْ أبوابه الدُّنيا ، وما يطمع الطُّلاب يوماً أن يتمْ
حيَّرتهمْ ألفُ جِنّيةٍ خطَّها مبتدئاً « باني الهرَم »
وقفتْ للدَّهرِ تلقى صرفه في إباءٍ جاهليٍ وشممْ
ضجّتِ الأجيال ـ هلْ منْ خبرٍ يا ابنةَ الفنِّ ؟ فما قالت نعم
صمتتْ إلا نشيداً حولها ردّدَته العبقريات العظُم
رَنَّ في الأرض ، ومرَّتْ رنةٌ منه بالأفق المعلَّى من أمم
نعمة الفنِّ استوت صاعدةً تحمل الشُّكر إلى مسدِي النِّعم

* * *

أرأيت الصَّوتَ يجرى سابحاً بين أمواج الأثير الملتطم ؟؟
يوقظ الأقطارَ من رقدتها وكأنَّ الناس منه في حلم
يقطع المشرق والمغربَ في مثل رجْع الطَّرف ، أو وقع القدم
أمم الأرض عليه ائتلفتْ وهي شتّى شملها ما يلتئم

واحدٌ في العدّ ، ما يشبهه ألف صوتٍ خارجٍ من ألف فم
فنُّ (ماركونى) وكم فى فنّه من جمالٍ بالمعاني مزدحم

***

أرأيت الشّعر ، منْ يجعلْ له حرْمة الوحى الملقّى لا يُلم ؟ ؟ ؟
أشرق القرطاس في رونقه وارْتوى منْ نوره الزّاهي القلم
عربىٌّ منْ سجايا قوْمه طلب العزّ ، وإيثار الكرم
بَاسلُ الأوطارِ ، مقدامُ المنى ما يُبالى أىَّ صعبٍ يقتحم
لى على العِلاّت منهُ صاحبٌ عَبقُ الأنفاس ، رَنانُ النغَم
فيْضُ رُوحى ودَمى استوْلى على كل رُوحٍ ، وجرَى فى كل دَم
قُلْ لمنْ سمّوه شعْراً ، مَنْ رَمى في فم الشّاعرِ منهُ مانظم ؟
صوّروه مِنْ جمالٍ رائعٍ يأخذ الألبابَ أخذَ الملْتَهِم
القرابينُ على مذْبحِه تتَدهْدَى ، والضّحايا تصطدم
يالهَا من مهجاتٍ ترْتمى في براكين الجمال المضطرم

***

كلُّ فنان لهُ من فنهِ لذّةٌ تعروه حيناً ، وألم
وأرى الآلامَ من لذّته وأراه مسرفاً فيما وَهَمْ
أنْصفَ الفنّ ، فمن يظلمهُ ؟ ولمن يصنعُ سُوءاً من ظلم ؟
قال قومٌ : نفعَ النّاس ، ولم ينتفعْ ، يالك من خطبٍ عممْ
حرْثهُ أزكَى وأبقى مغنماً بورك الحرثُ ، ونعْمَ المغتنم
إعتصمْ بالحقّ فى دنيا الهوَى لستَ بالشاعر إن لم تعتصم
ما جمالُ الكون إلا لمحةٌ من جَمال الحق ، والفنُّ الحكم
إنما الدّنْيا لمنْ يغمرها بهدَايا الفنّ ، فارحلْ أو أقم

احمد محرم

باريس مدينة الفن والجمال ...

بقلم الدكتور احمد ضيف

تسأل العالم الذى ظفر بالمقام فى هذه المدينة عما أعجبه هنالك ، فيذكر لك جد العلماء ونشاطهم وتوفرهم على الاشتغال فى كشف مخبآت الكون وأسراره بهمة لا تعرف الملل ، واخلاص اعظم من اخلاص المرء لولده ولماله . ويذكر لك معاهد العلم المختلفة ، وما يجرى فيها من معجزات العقل البشرى ، وهو معجب بذلك اعجابا

ثم يقول لك : هذا هو جمال الحياة فى باريس ، لان الناس هناك أهل جد ونشاط وذكاء وأصحاب دراية وخبرة . إذ الحياة عندهم كلها عمل

وما أجمل الحياة اذا كانت مملوءة بالعمل !

وتسأل الأديب المثقف الذى قضى شطرا من وقته هناك عن جمال تلك المدينة ، فيذكر لك الكتاب وطبقاتهم ومذاهبهم الكتابية والاجتماعية ، والموضوعات التى يعالجون الكتابة فيها وأقلامهم السائلة وأساليبهم السلسة ، وأخيلتهم الواسعة وقصصهم النفسية والاجتماعية والتمثيلية ، ومجتمعاتهم وأنديتهم وأنهم لا يكتبون للتكسب أو لاعلاء شأنهم لا غير ، وانما يكتبون لاصلاح المجتمع ونقده ، وبث مذاهبهم السياسية والاجتماعية ، والدعاية لبلادهم وأدبهم القومى ، وما يعلق بنفوسهم من أثر الفن وجماله .

ويقول لك ـ وهو يعتقد ما يقول ـ ان الحياة الادبية فى فرنسا لا تكاد توجد فى أمة أخرى ، من حيث التحليل النفسى والاجتماعى والفلسفى . ويذكر لك من الشعراء والكتاب والادباء من انبثق ضوؤه على الادب العالمى ، فهذب من شأنه وأقام من أوده .

ويقول لك ان حركة التأليف فى الادب من أعظم الادلة على قوة الفكر ونتاجه هناك ، وانه اطلع على مجلة نصف شهرية خاصة بذكر المؤلفات التى تظهر فى عالم الادب فكان يجد فيها ما ألف أو ترجم من الكتب فى أسبوعين يزيد عن مائتى مؤلف . ويقول لك ان جميع الناس حتى بعض الخدم يتكلمون بلغة فصيحة ، ويعرف كثير منهم أخبار الأدباء والشعراء ، ويقرأ القصص

التمثيلية والجرائد الأدبية . ويظهر لك اعجابه العظيم بهذه الثقافة
وتسأل الفتى عن جمال باريس ، فيذكر لك متاحفها العظيمة وما فيها من آثار لكبار الفنيين فى التصوير والنحت . ويذكر لك فن العمارة وآثار أهل هذا الفن من الفرنسيين فى تلك المدينة ، وذوقهم الفنى اللاتينى ، وتفوق هذا الذوق على غيره فى الرقة والانسجام وسعة الخيال . ويقول لك: ان الفرنسيين من أسبق الناس الى العناية بالموسيقى وفن التمثيل ، وكل أنواع الفنون الجميلة ، وان لهم طابعاً خاصاً فى ذلك لا يكاد يضاهى ، وان آثارهم فى ذلك معروفة
واذا سألت شاباً ماجناً زار مدينة باريس وجاس خلالها عما رآه فأعجبه ، ذكر لك مظاهر تلك المدينة الجميلة وما فيها من الملاهى ، ثم تسرب من ذلك الى رشاقة المرأة الفرنسية وجمالها . ورقة أخلاقها وحسن ذوقها ، وحبها الخالص إذا صدقها الحب، وخفة روحها وامتلاء نفسها بصورة شعرية للحياة ، وانها أنيس الجليس ومسلاة النفوس ، ومثل من أمثلة السعادة فى الحياة . ثم يذكر لك ذكاءها وحبها لبلادها وتفوقها فى كل صفة من الصفات النفسية والاجتماعية التى ليست لغيرها من النساء ، ولا سيما قدرتها على الاستيلاء على النفوس بما فيها من صفات نفسية خاصة بها
وتسأل التاجر والصانع الاجنبى عن جمال تلك المدينة فيذكر لك إعجابه بتنسيق البيوت التجارية ، ونظمها المتقنة وجمال صنع الفرنسى فى دقة عمله وابتكاره لأنواع الزينة
وتسأل البائع والشارى والغنى والفقير والكبير والصغير والسائل والمحروم والقريب والبعيد وكل من يفد على تلك المدينة فلا تجد واحداً منهم إلا وهو مملوء إعجاباً وحباً لمدينة النور والعلوم والفنون ، وكلهم مخلص فيما يقول ، صادق فيما يزعم . وجل هؤلاء المعجبين بتلك المدينة هم من سكان المدن الاوربية الكبرى المتحضرة

* * *

والحق أن هذا كله شيء من جمال الحياة فى باريس ، فالنازح اليها تخدعه كل المظاهر المادية والمعنوية : من جد وهزل وعلوم وفنون ومجون. ولقد يهيم على وجهه فى تلك المدينة فيخيل اليه أنه فى حلم من الاحلام اللذيذة ، فينعم ويسر ويسعد بما يرى ويسمع . كل هذا يجده الاجنبى فى باريس . ولكن هناك شيئاً أجمل من هذا كله وأدعى الى الاعجاب ، وأدل على جمال تلك المدينة من هذه المظاهر الخلابة : وهو تلك الحياة العقلية والفنية التى تظهر فى المجتمعات والمحادثات وبيوت أهل الفن ، من رقى عقلى وسمو فنى . حتى لقد تسمى باريس بحق « مدينة الفنون » لتفوق الذوق الفنى على سواه ، لأن من اظهر مميزات أهل باريس الادب والفنون . فجو هذه المدينة مملوء بالروح الفنى فى كل شيء ، حتى فى العلوم وفى آثار العلماء . فكثير من هؤلاء العلماء مصبوغة كتاباتهم بصبغة فنية . وهذا « هنرى برجسون » شيخ فلاسفة العصر فى أوربا ، فى مقدمة

الـكتاب الفنيين ، وفى ظننا انه ليست هناك مدينة من مدن العالم يسود أهلها ذلك الذوق الفنى مثل مدينة باريس. وهذا الجو الفنى هو الذى صبغ تلك المدينة وأهلها بصبغة جميلة ليست لغيرها

ومن أجمل ما فى باريس تلك الحياة الاجتماعية ، ولا أريد بذلك ما يشاهده النازلون من الاجانب فى القهوات والطرق والمحال التى يغشاها جميع الناس ، ومعاشرة الباعة والسوقة من رجال ونساء فى المنازل والمجالس ، وانما أريد المجتمعات الخاصة التى يسمونها "La société" فى منازل الخواص ، من علماء وأدباء وفنيين واشراف . ففى تلك الاجتماعات يتجلى الروح الباريسى والثقافة الفرنسية الواسعة المدى . ويرى الانسان ارقى العقلى والتعاون الفكرى بين المرأة والرجل ، وتلك الصبغة العقلية القومية التى تمتاز بها تلك الامة وهى سر جمالهم العقلى ومزاجهم اللاتينى . فتجد أحاديثهم ناشئة من ثقافة متينة ، وتفكير عميق ، وتربية علمية وأذواق فنية فى إدراك كل أنواع الجمال فى الحياة ، وأنظمة اجتماعية ثابتة مصبوغة بصبغة جنسية فى القيام والجلوس والحديث والسكوت والمأكل والملبس والحركة والسكون والحب والبغض ، والرضا والغضب . فكل هذه الصفات موروثة من أجيال سالفة ، صقلتها الايام وأخذها السلف عن الخلف وزادها الناس صقلا وثباتاً . حتى لقد تجد أريج هذه الصفات من ثقافة وأخلاق وآداب يفوح عبيره فى نفوس العامة والخدم والجهلاء ، فلقد ينطق أحد هؤلاء بالجملة المليغة أو الرأى السديد فيخيل اليك انك تسمع أديباً يتكلم ، أو ترى عالماً يفكر . وما ذلك إلا لانصباغه بالبيئة التى يعيش فيها وقومه الذين ورث عنهم ذلك . وكل هذا يدل على قوميتهم حتى لقد تجد الفكرة الشائعة والرأى المعلوم ،إذا تكلم به الفرنسى صبغ بصبغة خاصة

وهذه الصبغة القومية من مميزات الأمم المتحضرة .. إذ كل أمة من هذه الامم ذات أسلوب خاص فى العلوم والفنون والآداب . فان الفكر الانسانى فى العلوم والشعور النفسى ، من حب وبغض وشقاء وسعادة ، لا يتغير فى لبه ، ولا سيما فى الآراء العلمية المبنية على التجارب . ولكن للامم المتحضرة شخصية بارزة وأسلوباً خاصاً فى كل مظهر من مظاهر الحياة العقلية والاجتماعية ، وهذا الأسلوب هو الذى يلبس التفكير الانسانى العام والمسائل الانسانية العامة أثواباً مختلفة ويميز بعض الأمم من بعض . وربما كان هذا ناشئاً مما يسمونه نفسية الأمم

وهذه النفسية أشد ما تكون ظهوراً فى الفنون والآداب لدى الامة الفرنسية والحيـــاة الاجتماعية فى باريس ، وهى التى تجذب الى تلك المدينة كثيراً من المفكرين من الامم الاخرى وكثيراً من أصحاب الجد واللهو ، لما فى تلك المدينة من حسن وجمال

احمد ضيف

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى

خلق الانسان وفى صميم قلبه غريزة حية يقظة من اول عهده بالوجود هى أخص غرائزه سلطانا عليه، وأشدها تأثيراً فيه. تلك غريزة تأثره بالجمال، وتهيامه به بأى مظهر ظهر، وفى أى كائن تجلى. فلا تعجب ان ذكرت لك انه قد ثبت من تحقيقات العلماء المنقبين فى آثار الانسان الأول انه عرف التطرية (التواليت) قبل أن يعرف عمل الثياب

وقد وجدت فى أعمق ما استطاع حفره الانسان من الارض تماثيل منحوتة يسبق تاريخ صنعها تاريخ أقدم التماثيل المصرية القديمة بعدد لا يحصى من القرون. ووجدت رسوم وصور محفورة على الصخور بالسلكس لأناسى وحيوانات وطيور وأسماك ونباتات ومناظر صيد، ومنها صورة الأيل وهو يرعى الكلأ قد عملت بمهارة تحير العقول

وقد فرق العلماء بين الصناعة وبين الفنون فقالوا: « المراد بالصناعة ما يعمله الانسان مما يحتاج اليه فى اقامة حياته المادية، ولكن الفن هو ما يعمله جرياً وراء الجمال، ويشترك فيه الفكر والانفعال والشعور. وحصروا الفنون فى خمسة أشياء: الشعر والموسيقى والبناء والحفر والتصوير

فما هى غريزة التأثر بالجمال؟ لقد عنى الفلاسفة والعلماء من زمان بعيد بدرس هذه المسئلة. ولكن الاقدمين بدل ان يقتصروا على تحليل الشعور الذى تولده رؤية الجمال، ألحوا فى تحديد الجمال فى ذاته، باعتبار انه شىء، وتأدوا منه الى فرض عالم مطلق للجمال واعتبروه المثل الاعلى له، وقد مزجوا بين ما هو جميل وما هو خير، فاختلط بذلك علم الجمال عندهم بعلم الاخلاق، كما يتضح ذلك جلياً مما كتبه افلاطون فى كتبه هيبياس العظيم، وفيدر، والجمهورية وغيرها

كذلك كان شأن الرواقيين أتباع الفيلسوف ذينون فى المزج بين الجمال والخير. وجرى على هذا النحو فلاسفة القرون الوسطى وعصر النهضة

أما فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فلم يعن الفلاسفة بدراسة الجمال والفن من الناحية الفلسفية، لانه كان يشغلهم عنهما العلم وحده سواء أكان بدراسة الطبيعة وقوانينها، أم

بالبحث عن عالم ما فوق الطبيعة ، رجاء ان يجعلوه فى درجة وضوح الكائنات المحسوسة أو أوضح منها

ولكن العهد الاخير امتاز بافراده للجمال علماً خاصاً ، فانتدب فلاسفته لدراسة الفنون فناً فناً وترتيبها والتعمق فى بحث عناصرها ونفسيتها وصناعتها ، ليمكنهم ذلك من تحديد العلل التى بعثت على ايجاد المبدعات المختلفة والاحوال التى اقتضتها . كل ذلك تذرعا لمعرفة أسباب تأثيرها فى النفوس من النواحى الخلقية والاجتماعية والدينية . وهم يرون انهم لو نجحوا فى محاولاتهم هذه أمكنهم تقرير قوانين علم الجمال ، ومعرفة علة الانفعال الذى يـ..لده فى النفس

ان جهود الفلاسفة والعلماء قد بذلت فى سبيل الوصول الى هذه الغاية البعيدة وقد كتبوا فى ذلك كثيراً ولم ينتهوا الى ما يحسن السكوت عليه بعد . وقد قرأنا الشيء الكثير من بحوثهم فما راقنا منها الا ما كتبه الفيلسوف الفرنسى «جان مارى جيو» فى كتبه الكثيرة وبخاصة فى كتابيه « مسائل علم الجمال فى العصر الراهن » Broblémes du l'Esthétique Contemporaines و «الفن من الناحية الاجتماعية » L'art au point de vue social وقد عالج بعبقريته الفذة علم الجمال وأخرجه من المأزق الذى كان فيه الى باحة يتجلى فيها ما يحيط بهذه المسئلة الفلسفية العويصة من أسرار تكوينية وحكم اجتماعية وغايات دينية ، ويتراءى من ورائها ما استتر عن الاكثرين من علاقاتها بمستقبل الانسانية ، وتقلبها فى أدوار العلم والمدنية ، فأحدث بمذهبه هذا انقلاباً كبيراً فى هذا المجال سيكون فاتحة عهد جديد لهذه المسئلة الحيوية ، وانه ليسرنا ان نعطى منه لقراء العربية فذلكة كافية يستفيدون منها فى توجيه بحوثهم الى هـــذا النحو المثمر أينع الثمرات وأعودها بالنفع والفائدة على الادب فى جميع مجالاته

الآن نبدأ فى تلخيص مذهب « جيو » مستأنسين بكتاب الفيلسوف الكبير الفريد فوييه المسمى «الأخلاق والفن والدين فى نظر « جيو » La morale l'art et la religion d'après Guyau» فنقول :

مذهب جيو في الفن والجمال

يرى الفيلسوف جيو ان « الحياة » هى الأصـل المولد للفن والخلق والدين . فانها فى نظره تنطوى على أصل فطرى غير مكتسب ، من صفاته الانتشار والخصب والسمو . وقد استنتج من مذهبه هذا نتيجة عظيمة القيمة وهى ان « الحياة » دائبة على التوفيق بين وجهتى النظر الفردية والاجتماعية ، وانها لا تزال جادة فى تحقيق هذا التوفيق حتى تختلط الوجهتان فتصيرا واحدة لا تخالف بينهما ، واذ ذاك تكون الانسانية قد بلغت أوج مدنيتها

وقال : ان هذا التخالف الظاهر بينهما الآن كان سبباً فى نشوء آراء نفعية ضالة عن الفنون

والأخلاق والديانة ، فالجهد الذى يقوم به حكماء العصر الحديث ينبغى ان يوجه لبيان الناحية الاجتماعية فى الفرد الانسانى وفى الكائن الحى على وجه عام ، تلك الناحية التى أهملها المذهب المادى المتأثر بروح الأثرة من لدن القرن الثامن عشر الى اليوم . وببيان هذه الناحية الاجتماعية للفرد يمكن وضع الفن والأخلاق والدين الجدير بهذا الاسم ، على قاعدة واحدة راسخة

وقد رأى جيو وهو يعرض النظريات المبنية على مبدأ المنفعة لفلاسفة القرن الثامن عشر أن هذه المحاولات انتهت بسيادة نظريات مشبعة بروح الأثرة للفلاسفة هيلفتيوس وبنتام وفولنى ، مضادة لنظريات أعرق منها سذاجة للفيلسوفين دولامترى وديدرو . ولكن القرن التاسع عشر وسع مدى العلم ، فمن ناحية لطفت المادة فى نظر الباحثين فيها ، وعجزت ميكانيكية دولامترى عن تعليل ظهور الحياة على الأرض من طريق آلى محض

ومن ناحية أخرى فان الفرد الذى كانوا يعتبرونه محبوساً فى حالة آلية منعزلة عن العالم ، ثبت انه قابل للتأثر بتأثيرات الغير عليه ، وان ضميره متكافل وجميع الضمائر البشرية ، ومنفعل بشعورات غير ذاتية فيه . وثبت ان مجموعه العصبى مصدر لظواهر تعلو كثيراً عن استطاعة تركيبه الجثمانى المحدود (١) مما يدل على ان التكافل العام يطغى تأثيره على الشخصية الفردة ، فأصبح مما لا يعقل قصر الشعور بالأخلاق وبالجمال وبالدين على جسم واحد حى ، كما لا يعقل قصر الحرارة والكهربائية التى يشعر بها عليه وحده . فالظواهر الطبيعية والعقلية بطبيعتها ميالة للانتشار والعدوى . وقد عرفت ودرست ظواهر الجاذبية الادبية سواء أ كانت عصبية أم عقلية . وظواهر الايعاز العقلى من الغير على الفرد ، والاستهواء بالتنويم المغناطيسى قد بدأت دراستها دراسة علمية على الاسلوب المقرر من التمحيص والتجربة

وسيترقى العلم من دراسة الحالات المرضية فى هذا الباب الى الظواهر الادبية التى تحدث بين المخاخ المختلفة على غير شعور من أصحابها بذلك ، ثم بين الضمائر المختلفة كذلك ، وستفضى كل هذه الدراسات إلى مكتشفات ما تزال غير مقررة ، ولكنها بالنسبة للعالم النفسى فى مثل قيمة مكتشفات نيوتن ولابلاس فى العالم السماوى . وذلك مثل الاكتشاف المنتظر لتجاذب الشعورات والارادات ، وتكافل العقول ، وتداخل الضمائر بعضها فى بعض . وستمزج هذه المكتشفات بين علم الاجتماع وعلم النفس ، كما امتزج علم الطبيعة من قبل بعلم الاجرام العلوية . واذ ذاك سيثبت ان الشعورات الاجتماعية حوادث مركبة ناتج أكثرها من تجاذب وتدافع الجهازات العصبية للأفراد ، كما هو الحال بين الحوادث الفلكية (٢)

لنضرب مثلا واحداً لما نقوله بمذهب الحتمية Le déterminisme ، وهو المذهب العلمى

(١) يشير الفيلسوف بهذا الكلام الى ما ثبت من طريق التنويم المغناطيسي والمباحث النفسية التجريبية

(٢) يشير الفيلسوف الى ما أثبته الباحثون في الشؤون النفسية حديثاً من ظواهر التلباتيا

المقرر الذى مؤداه أن الناس فى جميع تصرفاتهم محكومون بما يفرضه عليهم تركيبهم الجثمانى والعصبي، وما طبعوا عليه من عقليات ونفسيات لاخيرة لهم فى ايجادها، فهم مسوقون لأحداث أعمال تحددها لهم هذه العوامل القاهرة وان كانوا يتوهمون أنهم أحرار فى ايجادهـا أو عدم إيجادها

واللذة كالحياة نفسها اجتماعية أيضاً، وسيزداد الشعور بذلك كلما تقدمت الانسانية فى الارتقاء. أما الأثرة المحضة فلا تعتبر بتراً للذات فحسب، ولكنها من الحالات العقلية أيضاً

يقول جيو: إن كل النظريات التى أتت بها علوم النفس ووظائف الاعضاء والاجتماع تتأدى إلى نظرية واحدة من التكافل العضوى والاجتماعى، وهذا التكافل فى نظرنا هو الاصل المشترك لعلم الجمال الصحيح وللاخلاق القيمة وللديانة الحقة. والحتمية العامة التى أصبحت عقيدة علمية هى فى نظرنا صورة منطقية وآلية للتكافل الاجتماعى المذكور الحاصل ليس بين الفرد والمجتمع فحسب، ولكن بينه وبين الطبيعة كلها

كان رأى الفلاسفة، حتى القائلين بمذهب النشوء والارتقاء، أن الفن وعلم الجمال مصدرهما لعب خصائصنا التمثيلية وتلهيها بالمحاكاة والتقليد. وهذا رأى وضع أساسه «كانت» و «شيلر» الالمانيان، فتساءل جيو: هل لو اقتصرنا على القول بأن اللذة ثمرة التأمل المحض واللعب الصرف، مجردين الفن من الحق والنافع والخير على هذا النحو، ألا يؤدى ذلك الى انكار الجانب الجدى بل الجانب الحيوى من الفن الاكبر الذى قام عليه هذا الكون؟

ينتج من هذا فى نظر جيو أن مبدأ التكافل العام هو الاصل فى الشعور بالجمال

ومن ناحية أخرى فان فلاسفة اليونانيين القدماء اعتبروا التناسق عنصراً أساسياً للجمال، فأى شىء هذا التناسق غير التكافل بين الاجزاء؟

والصورة الحسنة تكون جميلة بقدر ما يكون بين أجزائها من تناسق أى على قدر ما يكون بين أجزائها من تكافل. فيكون الشعور الساذج بالجمال الذى يولده الاعجاب بشىء هو فى حقيقته شعور بالتكافل العضوى فى ذلك الشىء

اذا تقرر هذا فماذا يكون الشعور بأعلى درجات الجمال؟ يكون نتيجته شهود تكافل أوسع بين الاجزاء. بل تكافل عالمى عام

ثم نقول: إن اللذات التى لا يكون فيها عنصر غير شخصى لا يكون فيها شىء يستحق البقاء. فيجب إذاً أن يبحث عن أصل الشعور بالجمال فى إغفال الذات، الاغفال الذى يلائم اتساع مدى الحياة. وفى علم الاخلاق عن اللذات التى لا يعتريها النفاد

فالجميل فى نظر جيو بعد هذا التحليل الفلسفى هو الصورة العليا للشعور بالحياة. وبعبارة

أخرى للشعور بحياة مركزة وخصبة وقابلة للانتشار. حياة لا تقتصر على أن تكون مدركة ولا مرادة، ولكن معيشة عيشاً باطنياً

فالنظرية التى تبحث فى (الحياة) ذاتها عن أصل الفن وغرضه تصل الى الباعث الحقيقى للشعور بالجمال. والفن لا يكتفى بأن يلعب ويلهو حول قلوب الاشياء، ولكنه يجتهد فى أن يضع قلباً فى كل شىء. وهو دائب بطبيعته على الخلق والايجاد. وحياة الطبيعة الناقصة لا تكفيه ولذلك فهو يولد من نفس الفنان حياة أعلى فى الكفاية والخصب، ويحياها حياة حقيقية ونحياها نحن معه

والفرق بين الجميل والنافع أن الجميل هو ما يعجب مباشرة وبذاته. ولأجل ان يصل التلذذ برؤيته الى أعلى درجاته يجب ألا يشاب بفكرة الاستيلاء عليه والاستئثار به. وهو بذلك يفترق عن النافع الذى هو وسيلة الحصول على اللذة

واللذة المادية قد تكون غليظة فى نظر العقل باعتبار أنها ناشئة من توفية حاجة غليظة فى ذاتها أو دنيئة تقتضى بذل جهد جهيد، وعبودية وتحديداً للحياة، فليس هذا من الجمال فى شىء. فان أثر الجميل يحق التحرر من العبودية. واذا اعتبرت اللذة مستقلة عن كل ما يمكن أن يصاحبها ويلابسها مما ليس بجميل، فلا شك فى انها فى هذه الحالة يكون باعثها الجمال والخير معاً

جمال المرأة في نظر جيو

جمال المرأة عند جيو أسمى درجات الجمال. وهو ككل جمال غيره ليس مجرداً من الاغراض السامية. فان الحب ينم عن شعور مبهم بضرورة التكمل، والعيش عيشاً اوسع، وفى حالة من الخصوبة اوفر، بعيداً عن المطالب الخسيسة

يقول جيو إن الفن يرجع القسم الاعظم منه الى الحب. وهـــذا يدل على انه من أصل الرغائب للذات الانسانية. ونرى ان محاولة الفلاسفة التميز بين الشعور بالجمال وبين الغريزة التناسلية واستحالاتها، تظهر لنا ناتجة من نظر سطحى. فالحب الجنسى بكل ما يحتمله جدير بان يمثل في مقدمة الشعور بالجمال بدون اللجأ الى تجريده من لوازمه المشروعة. لانه على حالته الفطرية يعتبر نموذجاً للامتزاج بين الشعور الشخصى والشعور الاجتماعى، فهو يظهر الفرد فى حالة عمله لذاته عاملا لعموم نوعه

وجميع الفلاسفة من تلامذة «كانت» و «سبنسر» يجعلون حداً فاصلا بين الاحساس بالجمال وبين كل رغبة شخصية حيوية، معتبرين أن الرغبة من حب الذات، تنزيهاً للشعور الخالص بالجمال، وفاتهم أن كل رغبة دنيا فى هذه الحياة تنتهى بالتحليل الى رغبة عليا. وهذه المتعة الجنسية التى تعتبر شخصية محضة، تصبح فى آخر تحليل ذات أغراض اجتماعية

ولا يجوز اعتبار الاعجاب بأى شىء هزلا لانه يصحب دائماً حكماً أدبياً . فنحن نميل أن نكون أحسن مما نحن عليه كلما اعجبنا بشىء . فنستطيع بذلك أن نتكمل ونأتى أعمالا كنا نعجز عنها ، فان الروح من عادتها ان ترتفع الى مستوى ما تعجب به

فى أول حالات الشعور بالجمال لدى الكائنات المنحطة نجد ذلك الشعور عندها غليظا وحسياً ، ولا يصادف بيئة عقلية وادبية يستطيع أن يمتد فيها ويتضاعف . فعند الحيوانات لا يتميز اللذيذ عن الجميل . والمتوحشون لا يرتفعون كثيراً عن الحيوانات فى هذا المجال ولكننا باعتدادنا بنظرية التطور نستطيع أن نتخيل دوراً ثالثاً للشعور بالجمال . وفيه تتحد العناصر الحساسة فينا بعناصر عقلية وأدبية . فيكون الاحساس بالجمال ليست ثمرته توفية حاجة عضوية فقط ولكن توفية الحاجات الادبية كلها . ثم يمتد هذا الشعور على النوع كله . واذ ذاك يتوحد الجمال والوجود فى نظرنا . ونحن واصلون الى هذه الدرجة لا محالة متى اتسعت ضمائرنا وفهمنا تناسق نواحى الحياة ووحدتها . هذا يمكن ان يعتبر حلماً الآن ، أو مثلا اعلى قد لا يتحقق كله ، ولكن الفن الجدير باسمه يعطينا ذوقاً منه وشعوراً به مذ الآن

ويجب على الفن ايضاً فى كل ما يمثله ويحييه ان يرفع الجمال ويعطى كل شىء يتلذذ به الطابع المقدس للجمال الصحيح

وذكر جيو فى كتابه الثانى على الفن بان فكرة الاجتماع موجودة فى صميم الفن ذاته . وان كل شعور ارقى بالجمال هو شعور ذو طابع اجتماعى فى حقيقته . وان الفن مع محافظته على استقلاله يقوم على تلك الحالة بحكم جوهره نفسه مرتبطاً بالاخلاق وبالدين الحق . وهذه جهة لا يمكن نكران طرافتها وقيمتها الفلسفية

ويقول جيو ان جيلنا الحاضر الذى فيه القلق الاجتماعى آخذ فى الظهور والتفاقم حتى فى عالم الفن ، قد غلب عليه اما المذهب الواقعى المتطرف أو الأدب الصادر من المعتوهين والهيستيريين والاباحيين ـ وبعبارة أوجز اعداء الاجتماع

الخلاصة ان الفن انزه مظهر واصفاه للحياة الفردية والاجتماعية . ومنابعه الحقيقية هى المنابع الصميمة للحياة نفسها . ففى اليوم الذى يؤتى هذا الادراك لحقيقة الفن ثمراته ، بدل هذا الادب المرضى المختل المضاد للاجتماع فى اصوله ونتائجه ، سيكون لدينا ادب حافل بالحياة والقوة وصالح لمساعدة ناموس التطور ، لامفض الى انحلال الحياة الاجتماعية كما هو حاصل اليوم

رأينا في مذهب الفيلسوف جيو

إن جيو كما يرى قراؤنا قد حلق بمذهبه عن الفن والجمال فى جو عال من النظر والاستدلال . وصل به ما كان قد انقطع من مذاهب الفلاسفة الاقدمين وكبار المتصوفين . ولكنه وصل الى

ما وصل اليه لا من طريق الفكر والخيال . ولا من طريق الرياضة والمجاهدات النفسية ، ولكن من طريق التحليلات الفلسفية والعلمية ، وعلى أسلوب من التمحيص يرتضيه اشد انصار المادية من المعاصرين

نعم إن جيو لا يقول كما قال أولئك الرجال بوجود عالم علوى للجمال المحض تنزل منه الانسان وانطبعت صورته فى قلبه فهو لا يفتأ يمت اليه ، ويحاول محاكاته بما أوتيه من قوة على العمل وقدرة على التقليد . فلم يبرح جيو مجال الفلسفة الوضعية . ولم يتجاوز حدود المادة إلى عالم أرفع منها . ولم يشتغل بشؤون الملأ الاعلى عن الشؤون الارضية الصرفة . فوصل الى ثمرات من الفلسفة والعلم يستطيع الدفاع عنها ضد كل نقد يوجه اليه غير متجاوز حدود المقررات المعروفة حتى فى حيز المادية المتطرفة

جعل جيو (الحياة) نفسها مصدراً للفن وللشعور بالجمال وللاخلاق والدين . وقرر أنها تنطوى على اصل طبيعى من صفاته الانتشار والخصب والسمو . وهذا تقرير لا يستطيع أشد المذاهب المادية غلواً ان يهدمه . فانها كلها تعترف بوجود الحياة وان كانت لا تعتقد بان لها اصلا عاماً أزلياً ، ولا تنكر ان الحياة مصدر لكل جميل وسام فى هذا الوجود . فاستفاد جيو من الاعتراف العام بهذا الاصل وشرع بلباقة فذة وعبقرية نادرة فى احالة ثمرات الجهود الانسانية الى مقاصد سامية ذات غايات اجتماعية تناسب كرامة الانسانية ، وتماشيها فى أغراضها القصية . وان ظهرت هذه الثمرات فى ادوارها الاولى غير متوخية وجهة عامة ، وذات بواعث أرضية محضة

فبعد أن كان المعاصرون ينظرون الى الفنون كلا على حدة ، ويتلمسون لمناشئها من النفوس عللا شخصية ، وينظرون الى أصل الشعور بالجمال نظراً سطحياً مقطوع الصلة بنظام الوجود وترابط أجزائه . استطاع جيو أن يجد لهذه الخصائص الفطرية للانسان معنى أسمى من المعنى الذى انفق الناظرون عليه الى الآن . فبين ان لجميع هذه الخصائص مصدراً واحداً هو الحياة ، وغاية مشتركة هى جمع الانسانية فى حظيرة واحدة من التكافل والاجتماع . ودفعها الى نهاية واحدة هى الوصول الى ارقى المعقولات فى الدين والفن والجمال

واذا كانت حلول مسألة الفن والجمال على النحو الذى دحضه جيو قد ولدت جيلا من الكتاب أكثرهم معتوهون وهيستيريون واباحيون ، استخدموا تلك الحلول فى الحط من قيمة الانسانية وتسميم قلوب الناشئين ، فان حلها على مذهب جيو القائم على أدق التحليلات الفلسفية والعلمية سيولد جيلا آخر من الكتاب اقوياء النفوس والعقول وعلى جانب عظيم من نبالة المقاصد وكرامة الغايات ، يوجهون الناس وجهة الخير المحض والكمال ، ويحاولون الجمع بينهم على أجل الاغراض وأرفع النهايات

محمد فريد وجدى

جمال الموت

بقلم المرحوم جبران خليل جبران

دعونى أنم ، فقد سكرت نفسى بالمحبة

دعونى أرقد ، فقد شبعت روحى من الايام والليالى

أشعلوا الشموع ، وأوقدوا المباخر حول مضجعى ، وانثروا أوراق الورد والنرجس على جسدى ، وعفروا بالمسك المسحوق شعرى ، وأهرقوا الطيوب على قدمى . ثم انظروا واقرأوا ماتخطه يد الموت على جبهتى

خلونى غارقاً بين ذراعى الكرى ، فقد تعبت أجفانى من هذه اليقظة

اضربوا على القيثارات ، ودعوا رنات أوتارها الفضية تتمايل فى مسامعى

انفخوا الشبابات والنايات ، وحيكوا من أنغامها العذبة نقاباً حول قلبى المتسارع نحو الوقوف

ترنموا بالاغانى الرهاوية وابسطوا من معانيها السحرية فراشاً لعواطفى . ثم تأملوا وانظروا شعاع الأمل فى عينى

امسحوا الدموع يا رفاقى . ثم ارفعوا رءوسكم مثلما ترفع الازهار تيجانها عند قدوم الفجر ، وانظروا عروس الموت منتصبة كعمود النور بين مضجعى والفضاء . . أمسكوا أنفاسكم واصغوا هنيهة واسمعوا معى حفيف اجنحتها البيضاء

تعالوا ودعونى يابنى أمى . قبلوا جبهتى بشفاه مبتسمة . قبلوا شفتى بأجفانكم وقبلوا أجفانى بشفاهكم

قربوا الاطفال الى فراشى ودعوهم يلامسوا عنقى باصابعهم الوردية الناعمة . قربوا الشيوخ ليباركوا جبهتى بأيديهم الذابلة المتجمدة . دعوا بنات الحى يقتربن و ينظرن خيال الله فى عينى ويسمعن صدى نغمة الابدية متسارعة مع أنفاسى

الانفصال

ها قد بلغت قمة الجبل ، فسبحت روحى فى فضاء الحرية والانطلاق

قد صرت بعيداً يابنى أمى ، فاحتجبت عن بصيرتى جبهات الطلول وراء الضباب . وغمرت خلايا الأودية ببحر السكون . وانمحت السبل والممرات بأكف النسيان ، وتوارت المروج

والغابات والعقبات وراء اشباح بيضاء كغيوم الربيع ، وصفراء كشعاع الشمس ، وحمراء كوشاح المساء

قد تضعضعت أغاني امواج البحر . واضمحلت ترنيمة السواقي في الحقول وسكنت الاصوات المتصاعدة من جوانب الاجتماع . فما عدت اسمع سوى انشودة الخلود ، متآلفة مع ميول الروح

الراحة

اخلعوا نسيج الكتان عن جسدي ، وكفنوني بأوراق الفل والزنبق

انتشلوا بقاياي من تابوت العاج ، ومددوها على وسائد من زهر البرتقال والليمون . لا تندبوني يابني أمي . بل انشدوا أغنية الشباب والغبطة . لا تذرفي الدموع يا ابنة الحقول ، بل ترنمي بموشحات أيام الحصاد والعصير

لا تغمروا صدري بالتأوه والتنهد ، بل ارسموا عليه باصابعكم رمز المحبة ووسم الفرح

لا تزعجوا راحة الاثير بالتعزيم والتكهن، بل دعوا قلوبكم تتهلل معي بتسبيحة البقاء والخلود

لا تلبسوا السواد حزناً علي ، بل ترديوا بالبياض فرحاً معي . ولا تتكلموا عن ذهابي بالغصات ، بل اغمضوا عيونكم تروني بينكم الآن وغداً وبعده

مددوني على أغصان مورقة . وارفعوني على الاكتاف. وسيروا بي ببطء الى البرية الخالية

لا تحملوني الى الجبانة لأن الزحام يزعج راحتي . وقضقضة العظام والجماجم تسلب سكينة رقادي

احملوني الى غابة السرو . واحفروا لي قبراً في تلك البقعة حيث ينبت البنفسج بجوار الشقيق

احفروا لي قبراً عميقاً كيلا تجرف السيول عظامي الى الوادي - قبرا وسيعاً لكي تجيء اشباح الليل وتجلس بجانبي

اخلعوا هذه الاثواب ودلوني عارياً الى قلب الارض . . مددوني ببطء وهدوء على صدر أمي . اغمروني بالتراب الناعم . وألقوا مع كل حفنة قبضة من بذور السوسان والياسمين والنسرين . فتنبت على قبري ، ممتصة عناصر جسدي . وتنمو ناشرة في الهواء رائحة قلبي . وتتعالى رافعة في وجه الشمس سرائر راحتي . وتتمايل مع النسيم مذكرة عابر الطريق بماضي ميولي ، وأحلامي

اتركوني الآن يابني أمي - اتركوني وحدي ، وسيروا بأقدام خرساء مثلما تسير السكينة في الأودية الخالية

دعوني وحدي وتفرقوا عني بهدوء مثلما تتفرق أزاهر اللوز والتفاح عندما تنثرها أنفاس نيسان

أرجعوا إلى منازلكم تجدوا هناك ما لم يستطع الموت أن يأخذه مني ومنكم

اتركوا هذا المكان . فالذي تطلبونه صار بعيداً بعيداً عن هذا العالم

لعله من الخطأ المزمن دراستنا للادب على أنه فن مستقل ، فان ربطناه بغيره فانما نربطه بقواعد النحو والصرف واللغة على أنها وسائل لا بد منها للأدب والأديب ، مع أن هناك رابطة أوثق ، واتصالا أحكم ما يزال أكثرنا غافلا عنه للآن — وهذه الرابطة ان درست دراسة دقيقة واسعة غيرت نظرنا للأدب وتقويمه ، وأفادتنا أكبر فائدة فى النقد الادبى . وأعنى بهذا أن ندرس الادب على أنه فن من الفنون الجميلة كالنقش والتصوير والموسيقى ، يخضع للقوانين العامة التى استكشفها علم الجمال ، ويشترك فيها مع كل هذه الفنون ، كما يخضع النبات والحيوان والانسان للقوانين العامة لعلم الحياة ، وكما تخضع كل المواد على اختلاف أنواعها لقوانين علمى الطبيعة والكيمياء

فهناك فرع من فروع الفلسفة هو « علم الجمال » أخذ يتساءل : ماهو الجميل وما الشروط التى تتوافر فى الشىء حتى يعد جميلا ؟ وأجاب عن ذلك اجابات عديدة ، ووضع القواعد المختلفة التى تنطبق على كل جميل — وهذه الاسئلة والاجابات والقواعد يمكن تطبيقها على الادب كل الانطباق ، لان الادب ليس له قيمة الا فى جماله — جمال لفظه وجمال معانيه وجمال عواطفه وجمال خياله ، فان هو عرى عن هذا الجمال لم يعد أدباً ، ومن أجل ذلك كان الادب يخاطب العاطفة لا العقل وحده كما هو الشأن فى الموسيقى والتصوير والنقش ، انما الذى يخاطب العقل وحده هو العلم لا الفن . فالقصيدة من الشعر والوردة فى غصنها والقمر فى سمائه ، والجبل المعمم بالثلج ، والتمثال المحكم الانيق والبناء الشامخ المشيد والقطعة الموسيقية الجيدة التوقيع ووجه المرأة الحسناء والرواية الحسنة والقصة الحلوة — كلها نسميه جميلا وكلها يخضع لقوانين الجمال ، فان اختلفت فى شىء فاختلاف فى التفاصيل لا فى الأسس . فان نحن نظرنا الى الادب على أنه أحد الفنون الجميلة كان هذا النظر خليقا ان يصحح نظرنا ، لأن ما نضعه من قواعد الادب الاساسية يمكن امتحانه بتطبيقه على الموسيقى والنقش والتصوير حتى نتبين صحته من فساده . اما ان استمر الادباء فى نظرتهم الى الادب مستقلا وقعوا فى

خطأ قصور النظر ، وكان مثلهم مثل من بنى قواعد كلية بعد مشاهدته جزئياً واحداً ، أو بعــد أن استقرأ استقراء ناقصاً

وشيء آخر وهو أن نظرنا الى الادب فى ضوء الفنون الجميلة الاخرى يوسع نظرنا الى مناح نعجز عن ادراكها إذا نظرنا الى الادب وحده

فقوانين الجمال واحدة مهما اختلفت مادتها الاولية ، فقد تكون المادة حجراً فتكون تمثالا أو لونا فيكون تصويراً ، أو صوتا فيكون موسيقى ، أو يكون شعراً أو نثراً . وقد ندرك الجمال بأعيننا وقد ندركه بآذاننا.ولكن مع كل هذه الاختلافات هناك صلة مشتركة صار بها الجميل جميلا وإذا عدمت عدم الجمال ، وهذه الصلة تكون فى الادب فيكون أدبا جميلا ، وفى الموسيقى فتكون جميلة ، وفى الصور فتكون جميلة . وعلى مقدار تحقق هذه الصلة يكون مقدار الجمال سواء كانت هذه الصلة فى الشئ الخارجى وحده كما يقول بعضهم — أو فى الشخص الرائى والسامع وفى المرئى والمسموع معا كما يقول آخرون . ولكنها على كل حال قدر مشترك بين جميع فروع الفن

ونظرة واحدة ترينا الارتباط المتين بين فروع الفن المختلفة . فالشعر — مثلا — ليس إلا تصويراً ناطقا والتصوير ليس إلا شعراً صامتا . والشعر والموسيقى أشد ارتباطا . فأوزان الشعر أوزان موسيقية تختلف فى الحركات والسكنات والطول والقصر كما هوالشأن فى الموسيقى . ونلاحظ فى الموسيقى ان النغمة الواحدة اذا وقعت على « الكمنجة » ثم وقعت بعــد على « البيانو » كانت النغمتان مختلفتين كيفية ومختلفتين تأثيراً ولكل منهما طعم غير طعم الاخرى . وهذا يقابله فى الشعر القافية . فالقصيدة على قافية قد يكون لها أثر غير القصيدة إذا قيلت على قافية أخرى وهكذا

بل هناك دليل أقوى من هذا وهو أن مرجع كل الفنون من أدب وتصوير وموسيقى الى « الذوق » وهذا الذوق خاضع لقوانين النشوء والارتقاء والرقى والانحطاط فى الفنون كلها . فالطفل قبل أن يشعر بلذة من جمال شكل أو جمال حركة تاخذ ببصره الالوان الزاهية والصور البديعة. ومن أخذ بحظ قليل من المدنية يميل الى الالوان القوية كالاحمر القانى والاصفر الفاقع ويعجبه من الثياب الالوان الكثيرة الصارخة . أما المتمدنون فتعجبهم الالوان الخفيفة المتناسقة الخافتة الهادئة — وكذلك الشأن فى الادب فالقطعة الادبية التى تعجب الشعب المنحط لاتعجب الاديب الراقى من ناحية الالفاظ ومن ناحية المعانى ، وهذا — من غير شك — يرجع الى اختلاف الذوق وتدرجه فى الرقي ، بل الاديب نفسه اذا رقى استحسن ما لم يكن يستحسن واستهجن ما لم يكن يستهجن تبعاً لرقى ذوقه. وإذا كان الذوق يرقى وينحط فهو خاضع لنظام وقوانين يمكن دراستها وان لم تستكشف جميعها الآن،وهذه القوانين يمكن تطبيقها على الادب كما يمكن تطبيقها على الموسيقى والتصوير وكل فن جميل

بل كل الفنون مرجعها عند الفنان والسامع والرائى الى الشعور بالجمال ، والفنان يشعر بالجمال

ثم يتحول الشعور عنده الى انتاج وما ينتجه يثير فى نفس السامعين والناظرين شعوراً بالجمال،فالمنظر الجميل يثير عند الفنان شعوراً بالجمال فيحوله الشاعر شعراً والمصور صورة والموسيقى موسيقى ، وهي كلها تثير الشعور بالجمال عند من رآها أو سمعها ، ولا فرق بين الفنان وغيره إلا أن الفنان قابل فاعل معاً وغيره قابل فقط،فجميع الفنون تتفق فى الاصل ولا تختلف إلا فى الشكل . وكل الفروق بينها ان هذا يصوغ فنه من كلمات وهذا من نغمات وذاك من ألوان،وأن هذا يعتمد على قلمه والآخر يعتمد على عوده أو قانونه، والثالث يعتمد على ريشته ،الى آخر ما هنالك من فروق لا تمس الاصل

ان كان ذلك كذلك كان من الخطأ البين ان ندرس الادب والبلاغة والنقد الادبى دراسة مستقلة عن دراسة قواعد الجمال فى الفنون الجميلة عامة ، بل يجب أن ندرسها فى ضوء جميعها — ويقينى ان الدراسة على هذا النحو الذى أقترحه تعدل نظرنا فى الادب وقواعده وتكشف لنا عما وقعنا فيه من ضروب النقص ، فنظرنا الى المجاز والاستعارة والكناية يتغير إذا نظرنا اليها فى ضوء التصوير الرمزى والموسيقى الرمزية . والمحسنات البديعية تعدل قواعدها إذا درست فى ضوء ما يدخل على التصوير والموسيقى من محسنات . وبحور الشعر تصحح بدراسة حركات الموسيقى وهكذا . ولأضرب لذلك مثلا يوضح ما أريد : خذ مثلا المبالغة فاننا ندرسها فى الادب مستقلة ويعرضون لها فى البلاغة بنظرات ضيقة ، فان هم القوا نظرة على الفنون الجميلة جميعها رأوا أن المبالغة لا بد منها فى الفنون بقدر ما توضح الحقائق وأن الفنان ان اقتصر على تقليد الطبيعة لم يكن لفنه قيمة ، فهو يبالغ فى الطبيعة لتوضيحها ، فالمصور يبالغ فى بعض أجزاء الصورة لمعنى يوضحه،والشاعر يكبر حجم الرجل ليشعر بعظمته وواضع القصة أو الرواية يبالغ فى نواحى أشخاص الرواية حتى تدل بوضوح على المعانى التى يريدها ، والخطيب يبالغ فى المعنى الذى يريده حتى يثير الى أقصى حد عواطف من يخطبهم وهكذا . فلو نظرنا الى المبالغة فى ضوء الشعر والرواية والخطابة والتصوير والموسيقى أمكننا ان نستخلص من ذلك كله قواعد تفوق بمراحل ما استبطناه من قواعد المبالغة حين عرضنا للادب وحده

كذلك نراهم — مثلا — يعرضون عند الكلام فى النقد الادبى لعلاقة الادب بالاخلاق ، وهل يجب أن يخضع الادب للاخلاق أو ان الادب للادب وأن القطعة الادبية قد تكون بالغة أقصى السمو ولو لم تتفق والاخلاق ؟ ومن رأيى أن هذه المسألة اذا لم تدرس فى حدود الادب وحده بل درست فى دائرة الفن جميعه من موسيقى وتصوير ونحت وتماثيل ، اتضح وجه الحق فيها أكثر من وضوحه عند قصر نظرنا على الأدب وحده

لقد تعددت دراسات الأدب وسلك الباحثون فيه سبلا كثيرة،فقوم درسوا الأدب دراسة تاريخية فدرسوه على انه ظل للحياة الاجتماعية وقالوا لا يمكن أن نفهم الادب حق الفهم الا اذا درسنا

البيئة التى أنتجته ، فلسنا نستطيع أن نفهم المتنبي ـ مثلا ـ الا اذا فهمنا الاوساط التى قيلت فيها قصائده ففهمنا حال مصر اذ ذاك وما قال فيها وفى ملوكها ، وفهمنا حال العراق وما قال فيها من قصائد ، وهكذا ـ ودرس آخرون الأدب من ناحية حياة الاديب ولاحظوا فى ذلك أن نفس الاديب هي المنبع الذى صدرت عنه القطعة الفنية فيجب أن تدرس هذه النفس ليفهم مايصدر عنها، فالكتاب الذى الف والقصيدة التى نظمت لا يمكن فهمهما حق الفهم إلا اذا فهمت نفسية القائل . واتجه آخرون اتجاهاً غير هذا وذاك فقالوا يجب أن ندرس الادب من حيث هو، لا من البيئة ولا من حياة الاديب ، وأن نقوم الآثار الادبية بقطع النظر عن بيئتها وقائلها ، وأن نجيب عن الاسئلة الآتية : ما منزلة القطعة الفنية ؟ وما موضع الحسن فيها ؟ وما الذى جعلها أثراً فنياً على مر الزمان ؟

والذى أدعو اليه فى مقالى الآن شيء غير هذا كله ، وهو أن ندرس الأدب من حيث هو فن جميل ، ومن حيث هو خاضع لقوانين علم الجمال ، ومن حيث الارتباط الشديد بينه وبين سائر الفنون الجميلة

وهذا يتطلب أن عالم الأدب ينبغى أولا أن يدرس علم الجمال وما وضع له من قواعد وما أثيرت حوله من مسائل . واذا كان علم الجمال فرعاً من فروع الفلسفة فيجب أن يدرس ما يتصل به من فروع الفلسفة وخاصة علم النفس ـ وهو اذا درس القواعد العامة لعلم الجمال استطاع بعد أن يدرس القواعد الخاصة التى يمتاز بها كل فن جميل ، فالموسيقى تمتاز بأشياء لان عمادها الصوت ، والتصوير يمتاز بأشياء لأن عماده اللون ، والأدب يمتاز بأشياء لان عماده اللفظ والمعانى ـ ولكن هذه الاشياء التفصيلية لا تفهم حق الفهم الا فى ضوء النظريات العامة التى تشترك فيها كل الفنون الجميلة ـ ذلك أن الفنون الجميلة جميعها ترتبط بالعاطفة وتعتمد عليها وتوضع من أجلها وتقوم بها ـ فما لم تدرس العاطفة وحاجتها إلى الجمال وغذاؤها بالجمال لا يمكن أن يفهم أى فن ومنه الادب

بهذه الطريقة وحدها يمكننا أن نفهم الادب ونقدره تقديراً صحيحاً ، وبذلك نستطيع أن نضبط النقد الادبى ونعالج ما هو فيه من فوضى لا تستند الى أساس ويذهب كل ناقد مذهبه ويركب رأسه من غير أن يتحدد بحدود تقيده وأسس يلتزمها ويسير عليها

وأنا على يقين أنا اذا سرنا على هذا النمط تغيرت وجوه دراستنا التقليدية التى سرنا عليها الى الآن فى البيان والبديع والنقد الأدبى ، وتجلت لنا أمور فى منتهى الخطورة ، ورأينا أنفسنا نمسك بالقلم نحذف كثيراً من أمور السخف أوقعتنا فيها النظرة الجزئية للأدب ، ورأينا أنفسنا نؤسس علماً جديداً ومذهباً جديداً ونظريات جديدة

احمد امين

بقلم الاستاذ فكري أباظة

تطلبون إليَّ أن أعترف لكم بنوع الجمال الذى يفتنني . ألا فليشهد العالم اجمع وليسجل التاريخ أن « كل » جمال يفتنني . حتى جمال القطط الصغيرة ـ حتى جمال الكلاب « الشيان لو » ـ حتى جمال الجحوش ـ حتى جمال القرود « البيبى » في حديقة الحيوانات . . .

وأى جمال من « الجمالات » تطلبون عنه الافتاء والافضاء ؟ أهو جمال الروح ، أم جمال الخلق ، أم جمال الجاذبية ، أم جمال الوجه ، أم جمال القد والقوام ؟ . . .

الواقع أن الموضوع أخطر وأكبر مما تتصورون . ومثلى من ذوي الدِّمم « النظيفة » فى عالم الجمال يحتاج عند الرد إلى مجلدات وموسوعات . والجمال الذى يفتنني ينقسم الى قسمين : جمال بالجملة ، وجمال بالقطاعى . . .

ولنؤجل الكلام عن الجمال الذى « بالجملة » ولنتكلم عن الجمال الذى « بالقطاعي » . . .

طالما فتنتنى وسحرتني ورمتني « فردة » عين واحدة لها غمزة خفيفة ـ وطالما فتنني وسحرني ورمانى « ضَبْ » واحد من « الأضباب » الانكليزية الظريفة ـ وطالما لعبت بفؤادى ولبّي نغزة في الخد وخال ، فانشغل البال ، و « تبلبل » البلبال ! . . .

والجمال « بالقطاعى » واسع الثروة وافر المحصول : فأنت تلمسه في بشرة ناعمة ملساء ـ وأنت تلمحه في حوَر كله شغل واغراء ـ وأنت تحسه في الأنامل المكهربة ـ وأنت تلتذعه في الأنفاس الملهلبة ـ وأنت تظفر به فى ثنايا وتجعيدات مابين الزند والكوع ـ وأنت تكتشفه بين حنايا الضلوع ـ وأنت قد تجده كامناً في أصابع الأرجل العشر بكل نظام وانسجام ـ وأنت قد تلتقى به في القوام أو في الهندام . . .

أرأيت أن الموضوع دقيق وأنيق . وأن كل « جمال » جميل . ولو كان فى خيشوم فيل، أو في طلعة درفيل ! . . .

***

ومع ذلك فمالى وللنظريات وأنا حياتي كلها مفعمة بالتطبيقات والعمليات . . .
أول ما تفتحت عيني على الحب أحببت فلاحة في القرية اسمها « زينب » . الوجه لا يغري بالحب ولكن الجسم ! القد ! القوام ! كانت كل قطعة من قطع جسمها كأنها تعلن استقلالها عن بقية الاجزاء . كانت كل قطعة دولة ذات سيادة لها شخصية ولها نفوذ وسلطان !
ثم أحببت واحدة من « الطبقة العليا » كان صوتها الساحر هو الجمال ـ وبراءتها هى الجمال ـ وعيناها اللتان تقذفان السحر هما الجمال . .
ثم هبطت وتدحرجت فاحببت حبي العبقرى الخالد على الزمن وعلى التاريخ . أحببت فتاة في بؤر الرذيلة وهى بطلة قصتي « الضاحك الباكي » . . . « ثروت » ! أحببت فيها جمال الألم وجمال التدهور والسقوط وجمال العذاب !
ثم أحببت وأحببت وأحببت الى أن التقيت بسمراء ـ قزعاء ـ نصف حلواء ـ ولكن فيها سر عميق فاحببت فيها السر العميق !
ثم تناقضت فأحببت شقراء منتعشة ذات ثقافة وجنون فاحببت فيها الثقافة والجنون !..
وهأنذا لا أزال أقلب كتاب « حبي » ولم تنته بعد الصفحات . . .
ومن هذا كله ترى أن كل جمال بالجملة وبالقطاعي يفتننى . فأنا أحب كل أنواع الجمال، ويفتننى كل أنواع الجمال كما أحب كل اصناف الفاكهة وتفتنني كل أصناف الفاكهة جميعاً ..

* * *

إنما ضع السؤال في قالب آخر وقل لى : ما هو مثلك الأعلى فى الجمال . ما هو أفتن جمال عندك ؟

وجوابي أنني لم التق به في الحقيقة . وانما اتصوره في الخيال . . .

واليك « الوصفة » :

أولا — الشعر : أريده اسود حالك السواد . طويلا طويلا طويلا يصل للركبة . . . ويحنو علي عند ارسال الدموع فيغطي مطر عيني المنهمر . وتتسلل في ثناياه تأوهاتى وتتموج زفراتى صعوداً وهبوطاً . . .

ثانيا — العينان : الناعستان الشفافتان عما فى الضمير ولو غالطتنا وتخابثتا . عينان فيهما معان وشكوك واستفزازات . . .

ثالثا — الوجه : الجميل لا النموذجي . اى وجه متوازن التقاطيع حتى ولو انحرف الأنف قليلا . حتى لو تجمل الثغر بضب صغير . وجه دقيق لا وجه كبير ولو كان جميلا . . .

رابعا — اللون : أميل الى اللون المصرى الاسمر الخمرى . وأحب الاصفرار الخفيف . أى بالاختصار يفتننى اللون المريض . . .

خامسا — القد : أحب القد الصغير . من الذى يزن ما بين الخمسين الى الستين . شيء استطيع حمله على رأسى و بين ذراعي وعند الدلال والألم كالاطفال . . .

سادسا — الجسم : أحبه متماسكا غير متخاذل ولا «مرهرط» ولا خائر . جسم رياضى فيه دملجة وتكسيم . . .

سابعا — الصوت : احبه من نغمة « الصبا » مع « بحة » خفيفة . واشترط شرطا جوهريا أن يكون عند الخفوت فيه عنصر الاسى والانين . . .

ثامنا — الاخلاق : احبها عصبية فيها «لحسة» لا جامدة باردة هادئة . ما اجمل الجمال الثوار الفوار . . .

تاسعا — « الهبو » : هذا تعبير بلدي ولكنه فني . «الهبو» هو أن تشعر بجوار الجمال بالأسى

عاشراً — الطبع : امقت كل المقت التصنع والتكلف . أريد و يفتننى الجمال المطبوع بالبساطة والتحرر من قواعد المجاملات ـ والبوزات ـ والايتيكتات . . .

* * *

هذه هى « وصاياي العشر » او « وصفاتى » العشر . فان كان عندكم جمال توافرت فيه هذه الشروط ، فمن فضلكم دلونى عليه ، ولكم مكافأة ثمينة . . .

فكري اباظه المحامي

صلة الفن بالحياة الاجتماعية

الفن يؤثر في المجتمع كما يتأثر به

كنت مسافراً على باخرة نيلية بلغت بنا حلفا وقضت بنا الليل فيها ، مزمعة العودة إلى اسوان في اليوم التالى . ولما كان عليها عددٌ من المسافرين لم يجعلوا المرفأ السوداني المصرى غايتهم بل اعتزموا أن يرجعوا على الباخرة الى اسوان ، فقد أعد ربانها لهم في يوم استقرارها بحلفا نزهة إلى شلال النيل الثاني . وأقلنا زورق بخارى الى هناك تسرب بنا في مسالك الشلال خلال أحجاره الجرانيتية الزرقاء حتى انتهى الى هضبة ينزل عندها المتنزهون عادة ليشهدوا من فوقها منظر الشلال العام . فلما هبطنا منها عائدين الى زورقنا سمعنا ضجة وتصايحاً ، ثم إذا طائفة من عبيد تلك المنطقة تعبر الشلال سابحة الينا آتية لا ندرى من أين . ولقد كان كل ما يرتديه أفراد هـذه الطائفة نطاقا من جلد ينتطق كل منهم به . وفي يد كل منهم قربة من جلد منفوخة تعاونهم في سباحتهم ولعلها تعاونهم كذلك في إحداث الضجة لتخويف التماسيح الكثيرة التى تعمر منطقة الشلال . وبلغت هذه الطائفة الشاطىء ووقف أفرادها بعضهم الى جوار بعض ، وأجسامهم العارية إلا من هذا النطاق قد بلغت من إبداع التكوين حتى كأنها تماثيل من الابنوس بسوادها اللامع أبدعتها يد الطبيعة الساذجة التى يعيشون بين أحضانها

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

هذه الجماعة من العبيد تمثل الجماعة الانسانية التى لم تعرف الحضارة قط ، والتى لا تعرف مما يسمونه الحياة الاجتماعية الانسانية شيئاً . فحياتها جماعية وليست اجتماعية ، وهى لذلك أدنى الى مراتب جماعات الحيوان التى تعيش قطعاناً أو أسراباً .ومن ثم كانت لا تعرف من الفن إلا محاكاة أصوات الطبيعة دون تمييز بين الجميل والقبيح منها ، وبعبارة أخرى هى لا تعرف الفن الجميل بتاتاً . فاذا بدأت الجماعات الانسانية تعرف أولى مراتب الحياة الاجتماعية

بدأت تعرف الفن على صورة فطيرة تتوهم الجمال ولا تعرفه ، وتتخيله ولا تدركه . وهذا ما يجعل بعض قبائل الزنوج ينقشون أجسامهم بألوان من الوشم للزينـة مكتفين من اللباس بهذا النطاق من الجلد إن رأوا حاجة إلى اللباس . فإذا تقدمت حيـاة القبائل إلى مرتبـة اجتماعية أرقى من هذه المرتبة الفطيرة بدأت تدرك الفن في مراتبه الاولى ، فبدأ فيها اللباس وزينتـه ، وبدأت تجمل مساكنها في الخيام بما يروق ذوقها البدوى ، وبدأت الواناً من الشعر ومن الموسيقى تتفق مع تلك الحياة ، وبدأت تنحت تماثيل لا تـكاد تمثل صورة معينة . ولعلنا جميعاً قد رأينا صوراً من ذلك فى أنحاء مختلفة من مصر ومن غير مصر من البـلاد ، ورأينا فيها بدء الحياة الاجتماعية للجماعة الانسانية

يتصل تطور الفن من بعد ذلك بتطور الحياة الاجتماعية في الجماعة الانسانية اتصالاً دقيقاً. ويجب في تقدير ذلك أن نفرق دائماً بين الحياة الجماعية والحياة الاجتماعية . فالاولى حياة كل جماعة من الحيوان أو الناس تعيش أسراباً أو قطعاناً ولا تعيش فرادى أو أسراً كما تعيش الحيوانات المفترسـة وجوارح الطير . أما الحيـاة الاجتماعية فهى الحياة الانسانيـة بمعناها الانسانى وفي صورتها المدنيـة . ومن ثم كانت الحياة الجماعية مرتبـة واحدة وكانت الحيـاة الاجتماعية مراتب شتى بعضها أدنى الى الحضارة من بعض . ورقى هذه الحياة الاجتماعية يسير جنباً الى جنب مع رقي الفن ، بل لعل الفن وتقدمه هو صاحب الشأن الاول في رقيها

أم انا نكون أدنى إلى تصوير الواقع إذا قلنا إن الفن يتأثر بالحياة الاجتماعية بمقدار ما يؤثر فيها ، أو اكثر مما يؤثر فيها ! فقد لوحظ ان النظم القائمة لها أثر كبير على ارباب الفن في تصوير فنهم وتوجيهه . والنظم القائمة هى المظهر الاول للحياة الاجتماعية . من ذلك أن ارستقراطية لويس الرابع عشر وبلاطه في فرنسا في القرن الثامن عشر هى التى وجهت راسين وكورني وموليير في شعرهم الى حد كبير ، وان الحركة المسيحية التى قامت فى القرن السادس عشر كانت ذات أثر على فن رفائيل بلغ من أمره أن جعل المصور الايطالى العظيم يضفى على جميلاته من المعانى الدينية مالا يمكن أن يدور بخاطره لولا هذه الحركة الدينية ولقد كانت نهضة اوربا في القرن الثامن عشر وتسلط فكرة الارستقراطية العقلية على اهلها بالغة الأثر في نفس الشعراء والكتاب والموسيقيين الذين نادوا بنظرية الفن للفن ولم يروا من حق رجل الفن ان يكون لغير فنه سلطاناً عليـه . ثم قويت هذه الفكرة في القرن التاسع عشر حتى اصبحت عقيدة راسخة ، وحتى كان رجل الفن يأبى أن يكون لجمهور غير جمهور رجال الفن

حكم على عمله . فلما تطورت الافكار الاجتماعية تحت تأثير الحرب الكبرى تطور الفن معها وصار أوثق صلة بالجمهور فى مجموعه منه بجمهور رجال الفن وحدهم ! وكذلك كان اتصال الفن بالحياة الاجتماعية وكان تطوره تابعاً لتطور هذه الحياة الاجتماعية

والفن والآثار الفنية الراقية تعتبر من الكماليات في الجمعيات الإنسانية التى لم تبلغ من مراتب الحياة الاجتماعية ما يقارب الكمال ، بينا هي من ضروريات الحياة الاولية في الجمعيات الراقية . وخير ما يصور ذلك مقارنة ما بين بيتين أحدهما لاسرة ذات ثراء وسعة فيه ، ولكنها من مراتب التهذيب الاجتماعية في الدرجات الدنيا أو القريبة منها ، والآخر لأسرة ليست في مثل ثراء الأسرة الاولى ولا سعة رزقها ولكنها أرقى تهذيباً وأسمى ثقافة . قد تجد في البيت الاول فرشاً وطنافس غالية القيمة يعجز أهل الاسرة الثانية عن دفع ثمنها . وقد تكون فيه نقوش وزخارف لا شيء من مثلها فى البيت الثاني . لكن يد الفن تغيب عنه دائماً . فطنافسه وزخارفه انما يراد بها أن تتحدث عن ثمنها أكثر مما قصد أصحابه الى جمالها . فالنفس إنما تدرك الجمال وتتذوقه بمقدار تهذيبها وتثقيفها . أما بيت الاسرة الثانية فقد لا نرى فيه تحفة غالية الثمن ، لكنك تجد اليد الصناع قد نسقت ما فيه تنسيقاً هو الذوق الفنى وهو الجمال الذى تستريح له العين وتطمئن له النفس . في هذا الجانب من غرفة الاستقبال تمثال صغير وضع مكانه لان الضوء إذ يغمره من هذا الجانب يزيده بهاء ويزيد المكان الذى وضع فيه مسرة للنفس وبهجة للفؤاد . وهذا اللون الذى صبغ به الحائط قد لوحظ فيه أنه يتمشى مع استعمال الغرفة التى صبغت به . وهذه الوسائد المنثورة فوق البساط أو فوق السجاد قد روعى في تنسيقها أن تتفق ومجموع المكان بحيث تزيد النفس بهجة والقلب مسرة . لم يقصد بشيء مما في المكان أن يتحدث عن ثمنه ولا عن المجهود الذي بذل في اقتنائه . وإنما قصد بأثاث المكان جميعاً وبما فيه من صور ونقوش وتماثيل الى رضى الذوق الفنى في النفس المهذبة ، والى ان يكون بهجة للحياة الاجتماعية بالنسبة للأسرة كلها وللذين يجتمعون بها من أصدقائها

هذه المقارنة بين البيتين هي صورة صادقة تبين الصلة بين الفن والحياة الاجتماعية في الجماعات الانسانية . وقد أتيح لى أن أشهد ما يؤيد صدقها في قرى مختلفة من أوربا . فحيث يشهد الانسان مظاهر الحياة الاجتماعية راقية تقارب الكمال يشهد رقياً في الفن يساير هذا الرقى الاجتماعى ! وكثيراً ما رأيت في بعض بلاد الريف بأوربا الوسطى وبأوربا الشمالية منازل لفلاحين وعمال في أثاثها وفرشها من الذوق الفنى ما لا نظير له في مدن البلقان إلا عند

الاغنياء المهذبين ، مما يشهد بأن رقي الفنون يتمشى دائما مع رقى الحضارة

ربما لوحظ على ما تقدم أن الفنون ترتقى في عهود انحلال الامم والشعوب ، وان اكبر رجال الفن والعباقرة الموهوبين منهم ينتجون خيراً مماينتج أمثالهم في عصور الازدهار والفتوة . ويخيل إلى أن هذه الملاحظة فيها شيء غير قليل من التجوز . وامامنا الشعر العربي قام فحوله فى أيام الامويين وفى ايام العباسيين حين كانت الدولة في قوة شبابها وفتوة نشاطها كما قام بعض فحوله حين آذن شباب الامة بالافول ـ على ان هذه الملاحظة ان صحت فليست تعنى أن الفنون تزدهر حيث تنحط الحياة الاجتماعية. فقد يكون الانحلال السياسى ثم تكون هذه الحياة الاجتماعية في أسمى درجاتها . والانحلال السياسي الذى يطرأ بعد القوة والرقي ينشأ عادة عن إمعان فى الترف تضعف معه قوة النضال المادى وتتدهور بسببه روح الغلب وقوة الدفاع . لكن هذا الإمعان فى الترف إذا لم يبلغ حداً يفسد معه النشاط الذهنى يبتعث بطبعه الخيال ويغرى بحب الفنون واكبارها وتقدير أربابها تقديراً يدفعهم الى السمو بها جهد ما يستطيعونه من السمو . وهذا الامعان في الترف فن لذاته يجمع حوله طائفة من سائر الفنون ، وبخاصة اذا كان ترفاً ذهنياً يدعو الى الولع بالجمال في مختلف مظاهره . ثم إن هذا الامعان فى الترف مظهر من مظاهر رقى الحياة الاجتماعية وان ترتب عليه الانحلال في الحياة السياسية

والفن في الحقيقة غذاء الحياة الاجتماعية . ولو أننا حاولنا أن نتصور هذه الحياة خالية من الشعر ومن الموسيقى ومن التصوير والنحت ومن الغناء ومن المسرح لرأيناها قد فقدت كل قيمتها وقد أصبحت لا لون ولا طعم لها . وكلما ارتقى نوع هذا الغذاء ازددنا ارتياحاً للحياة واغتباطاً بها واطمئناناً لها . وان ساعة يقضيها الانسان في المتاع بثمرات هذه الفنون الصالحة لتعوض عليه مشقات كثيرة ولتحبب اليه الحياة . وفى طبيعة الفن أن يجمع الناس حوله للمتاع به . فهذا المسرح اذ تمثل عليه رواية من الروايات يفقد الكثير من بهائه إذا قل عدد حاضريه . وهذا الشاعر الذى يلقى قصيدته على الناس يشعر بالوحشة اذا قل عدد المستمعين له . فالفن بطبعه إذاً ظاهرة اجتماعية هى أرقى ظاهرات الحياة الاجتماعية . والناس أرقى تذوقا له بمقدار رقيهم الاجتماعى . وهم يقدرون حاجتهم للفن وللمتاع به بمقدار حظهم من هذا الرقى

أما الجماعات القليلة الارتقاء في درجات الحضارة فتحتاج إلى الفن هي الاخرى . لكنها تحتاج الى فن لا يزيد عليها رقيا . فاذا كانوا من طراز هؤلاء الذين وصفناهم في أول هذا الفصل لم يكن للفن عندهم قيمة ، ولم يميزوا خبيثه من طيبه

محمد حسين هيكل

الجمال

للمرحوم احمد شوقي بك

جمعت الطبيعة عبقريتها فكانت الجمال ، وكان أحسنه وأشرفه ما حل في الهيكل الآدمي ، وجاور العقل الشريف والنفس اللطيفة والحياة الشاعرة . فالجمال البشري سيد الجمال كله ... لا المثال البارع استطاع أن يخلعه على الدمى الحسان ، ولا للنيرات الزهر في ليالي الصحراء ما له من لمحة وبهاء ولا لبديع الزهر وغريبه في شباب الربيع ما له من بشاشة وطيب . وليس الجمال بلمحة العيون ، ولا ببريق الثغور ، ولا هيف القدود ، ولا أسالة الخدود ، ولا لؤلؤ الثنايا وراء عقيق الشفاه ، ولكن شعاع علوي يبسطه الجميل البديع على بعض الهياكل البشرية يكسوها روعة ويجعلها سحرا وفتنة للناس

شوقي
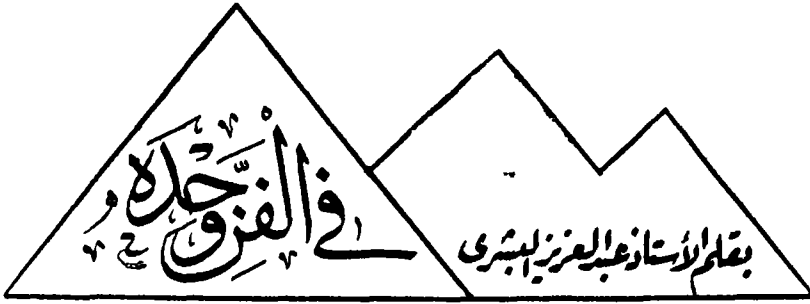
يريدنى صديقي الاستاذ العالم الاديب محرر « الهلال » على ان أقول مقالا فى موضوع « الفن والجمال » على انى من جانبي قد قدرت ، بادىء الرأى ، أن المدى المقسوم لا يتسع لهذين معا ؛ فلنكسر حديث اليوم على (الفن) ، ولنرجىء القول فى الجمال ، فله ان شاء الله اذا امتد العمر مجال :

ما الفن ؟

ولقد كان أول ما انبعث فيه ذهنى هو التماس أفق هذا الفن وترسم حدوده ، وماذا يراد به اليوم فى متعارف الناس ؟

فى الحق انى لم أصب فى كل ما وقع لى من كلام المتقدمين والمتأخرين من أصحاب العربية الى زمن قريب تخصيصاً لهذه الكلمة بذلك المعنى الذى يتناول اليوم بكلمة (Art) . فلم أر بدآ من مراجعة معجمات اللغة العربية تحقيقاً لأصل الوضع اللغوى لكلمة « فن » ، ووجوه تصرفها فى مختلف المعانى بالاشتقاق والتجوز وغير ذلك من أسباب الدلالات . وقد اعتمدت فى طلب هذه الغاية من متون المعجمات لسان العرب ، وصحاح الجوهرى ، والقاموس المحيط ، وأساس البلاغة ، فخرج لى من كل أولئك ما أنا مورده عليك فى ايجاز ولكن فيه الغناء :

الفن في اللغة

الفن واحد الفنون ، وهى الانواع ، والفن الحال . والفن الضرب من الشىء . والجمع أفنان وفنون ، يقال : رعينا فنون النبات . وأصبنا فنون الاموال

والرجل يفنن الكلام : أى يشتق فى فن بعد فن . والتفنن فعلك . ورجل مفن بكسر ففتح : يأتى بالعجائب . وذو فنون من الكلام

وافتن الرجل فى حديثه : اذا جاء بالأفانين .. افتن الرجل فى كلامه وخصومته : إذا توسع وتصرف . وافتن أخذ فى فنون من القول

والفنان بتشديد النون الأولى : الحمار الوحشى

وتطلق هذه الكلمة أيضاً فى بعض تصرفاتها على معان أخر لا محل للاشارة اليها فى هذا المقام لأنها لا تتصل بما نحن فيه من قريب

* * *

وبعد . فأنت ترى ان كلمة « فن » انما تدل بالوضع اللغوى على النوع ، والحال ، ويدل الفعل منها « فتن » الكلام على الاشتقاق فى فن بعد فن ، أى التصرف فيه نوعا بعد نوع

ومهما يكن من شيء فان دلالة هذه المادة ، فى هذا المعنى ، تكاد تكون مقصورة على التصرف فى فنون الكلام . وللعرب فى هذا عذرهم إذ كان جل همهم إلى « فن » الكلام . على انها قد امتدت مع الزمن حتى تناولت كذلك بعض معان أخر ، وسيأتى فى ذلك الكلام

ثم لقد رأيت ان العرب لم يطلقوا كلمة « الفنان » الا على الحمار الوحشى . على ان اطلاقها على المعنى الذى يطلقها بعضهم عليه اليوم (Artiste) ليس مما يعيي على وسائل العربية . لولا ان استعارة اسم الحمار للانسان مطلقا ، فضلا عن الانسان الصنع ، قبيح !

ولقد سلف عليك أنه يقال رجل « مفن » بكسر ففتح : يأتى بالعجائب . ولا شك فى أن هذا أصح تعبير وأدقه للمعنى المراد ، لولا أن اللفظة جد قريبة من لفظة تنفر الآذان منها أشد النفور . اذن لم تبق حيلة الا ان نصير فى أداء هذا المعنى الى اتخاذ كلمة « مفتن » أو « متفنن » ، وهما صحيحتان على كل حال

كيف تطورت كلمة الفن والى ماذا صارت اليوم ؟

قلت لك ان كلمة « الفن » قد تصرفت فى بعض معان أخر غير تلك المعانى التى أطلقت عليها بأصل الوضع اللغوى . ذلك بأنه لم تكد الدولة العربية تنبعث فى الحضارة حتى أرسلت كلمة « الفن » للتعبير عما يقابل كلمة « العلم » فما كان قوامه ارسال القضايا الكلية التى يتعرف بها احكام ما يندرج تحتها من الجزئيات ، فذلك علم . وما كان قوامه العمل الجارى طوعا للاصول والأحكام المقسومة ، فذلك فن . فيقال علم الاصول ، وعلم الفقه ، وعلم النحو ، وعلم الصرف ، ولا يقال على شيء من ذلك فن . ويقال للخطابة ، وقرض الشعر ، والموسيقى فن ولا يقال علم

فقد بان لك ان العلم مادته الفكر والنظر ، وأن الفن مادته العمل والاثر

ولقد يتبهم الفرق الدقيق بين العلم والفن على بعض الناس حين يجدون بين أهل اللسان من يعبر عن الموسيقى مثلا بعلم الموسيقى مرة ، وبفن الموسيقى مرة أخرى ، وعن البلاغة بعلوم البلاغة تارة ، وبفن البلاغة تارة أخرى ، وهكذا :

والواقع ان الموضوع الواحد لقد يكون علماً وفناً معاً . ولكنه انما يكون هكذا من ناحية .

ويكون كذلك من ناحية أخرى . فنحن اذا طلبنا الموسيقى مثلا من جهة القضايا العامة من نحو تقسيم النغم الى أصلية وفرعية ، وأن هذه النغمة لا يفضى منها الى تلك الا بطريق كذا . وان هذه لا تقع فى جواب تلك الا بشرط كذا الخ ، فلا شك ان « الموسيقى » على هذا علم لا فن . فاذا غنانا المغنى بالفعل فتصرف فى فنون النغم طوعا لتلك الأحكام ، فلا ريب فى ان «الموسيقى» على هذا فن لا علم

وكذلك قل فى علوم البلاغة ، فما قررت من أحكام الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة ، والاستعارة والتشبيه ، والجناس والتورية والتقسيم الخ ، فتلك علوم البلاغة ، حتى اذا أرسلت القلم بالكلام البليغ ، فذلك فن البلاغة

لتفننت فى الكتابة حتى عطل الناس فن عبد الحميد

وكذلك القول فى الهندسة . وفى كل ما تجرى عليه أحكام القضايا النظرية بحيث يمكن ان يكون له أثر محسوس فى خارج الاعيان كما يقولون

على ان العامة فى مصر بوجه خاص ، قد تبسطوا بعد ذلك فى هذا الباب حتى دعوا كل مهنة فنا ، وحتى أصبحوا يكنون أصحاب الكيوف (باولاد الفن) . ولعل الوجه فى هذه النكتة ان ما كان يتناوله الصناع الى الجيل الماضى من (فنون) المخدرات ، كان يعينهم ولو الى حين ، على طول الصبر فى سبيل التأنق والتجويد والاتقان !

ومهما يكن من امر فان اللغة فى اطرادها وتوسعها لم تكن تأبى إدراج هذه الحرف فى جريدة (الفنون) ، لأنها وان لم تقعد لها القواعد وتعقد لها القضايا فى الكتب ، الا ان اصحابها قد تغنوا عن ذلك بطول العلاج والتمرين ، وما كشفت لهم التجاريب على طول السنين

وقد جرد المتأدبون المصريون من أبناء هذا الجيل كلمة (الفنون) للفنون الجميلة خاصة ، فجعلوها بذلك ترجمة لكلمة (Beaux Arts) فى لغة الفرنسيين . وعلى ذلك أصبحت كلمة (الفنان) استغفر الله بل (المفتن) أو المتفنن) ترجمة لكلمة (Artiste) ويعنون بها صاحب الفن الجميل

ولا يذهب علك فى الغاية ، ان وصف بعض الفنون (بالجميل) لا ينافى ، بل انه ليقتضى ، ان هناك فنوناً أخر وان كان لا يوصف شىء منها « بالجميل » . وكذلك بقى اصطلاح الجمهرة على المراد من « الفن » قائماً فى الجملة ، وان كان بعض المتأدبين اليوم يأبى إلا أن يقصرها كما اسلفنا على « الفن » الجميل

استمداد الفنون وتطورها

وبعد اذ فرغنا من تاريخ هذه الكلمة من أول منجمها فى متواضع العرب الاولين ، وتصرفها فى وجوه المعانى حتى مصيرها اليوم ـ بعد هـذا يحسن بنا أن نلم إلمامة يسيرة بنشأة

الفنون ، وتطورها واضطرابها بين مختلف الاوضاع والاشكال

لا شك فى ان منشأ الفنون على وجه عام انما هو الغريزة . فالحاجة هى التى تدفع الانسان الى أن يبتكر الفن ابتكاراً ، أو ان ينقله نقلا ويقلد فيه تقليداً ، سواء أكان ذلك عن الحيوان أم عن الطبيعة نفسها بحيث يكون هذا النقل والتقليد على الوجه الذى يوائمه ويواتى اسبابه

وأريد « بالحاجة » ما يعم الضروريات والكماليات جميعاً . فحاجة الانسان الى الثواء فى المأمن هى التى هدته الى بناء الدور . وحاجته الى عبور الانهار هى التى هدته الى إقامة الجسور . ومن ثم نجم فن الهندسة . وقل مثل هـذا فى سائر الفنون التى تدعو اليها ضرورات الحياة . كما ان استراحته الى تنغيم الطيور وتسجيعها ، وتغريدها وترجيعها ، وما يجد لذلك من طرب ويدخله من أريحية قد بعثه هو الآخر على التنغيم والترنيم . وكذلك نشأ فن الموسيقى . وقل مثل هـذا فى كل فن جميل

وبعد ، فانت خبير بان الفنون كلها وان نشأت بسيطة غاية فى البساطة ، ضئيلة غاية فى الضآلة بحيث لا تواتى إلا أدنى الحاجة فانها على الزمن لا تفتأ تتسع وتتركب . وتتشكل وتتلون طوعاً لسنة الاطراد فى تفقد سائر مطالب الحاجة أولا ، ثم التدرج فى التماس الأحسن ثانياً ، ثم التأنق فى ابتغاء الكمال ثالثاً . ولا يزال الانسان يجد فى السعى لبلوغ هذا الكمال . ولكنه غير بالغه مهما تراخى الزمان بحال !

ولقد تعلم أن الفنون فى تطورها وتلونها وتهذبها وارتقائها والأساليب التى يجرى فيها كل أولئك ، خاضعة للزمان والمكان ، والجو ومألوف العادات ، ومأثور التقاليد ، وحظ القوم من التعليم والتثقيف . ذلك شأن الفنون كلها ، ضروريها وكماليها فيه بمنزلة سواء

* * *

هذا ما هدانى اليه الفكر فى أمر (الفن) . فاذا كان القلم قد زل فى بعض الرأى . فارجو أن يدلنى العالمون على وجه الصواب

عبد العزيز البشري

البارودي يصف جمال شعره

هذا هو الأدب المأثور فارض به	علماً لنفسك فالأخلاق تنتقل
من كل بيت إذا الأنشاد سيره	فليس يمنعه سهل ولا جبل
لم تبن قافية فيه على خلل	كلا ، ولم تختلف فى رصفها الجمل
تغايرت فيه أسماع وأفئدة	فكل ناد عكاظ حين يرتجل
لا تنكر الكاعب الحسناء منطقه	ولا يعاد على قوم فيبتذل

محمود سامي البارودى

بقلم الاستاذ سليم عبد الأحد
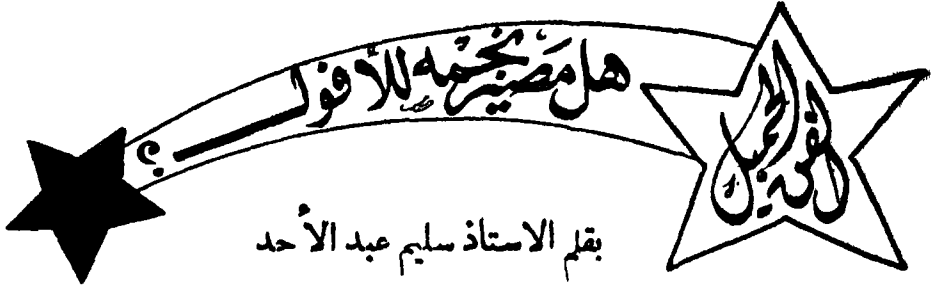
لا مشاحة فى أن الفن مظهر من مظاهر الحضارة ودليل من دلائل ازدهارها . وقد ذهب فريق من العلماء الى أن الفن هو أ كثر من ذلك أى أنه مقياس لدرجة رقى الحضارة . ومفاد هذا التعريف أنه كلما ارتقت الامة ارتقى معها فنها ، وكلما ضؤل شأن الفن ضؤل شأن الجماعة التى ينتسب اليها ذلك الفن . ولعل فى هذا القول شيئاً من الغلو . أو لعله كان أصدق فى الامس منه فى هـذا اليوم . ذلك لان الامم الغابرة كانت أسرع الى التأثر بالخيال وأ كثر تلبية لنداء العواطف من الامم الحاضرة . وليس فى هذا غرابة فان الانسان يتجه اليوم نحو مايسميه المولدون نظام المادية . أى أنه يتجه نحو الماديات ويبتعد عن المعنويات . ولا أدل على صدق هذا القول من تناقص عـدد الشعراء والمصورين وطلاب مختلف الفنون فى هذا العصر . فانت إذا ذهبت اليوم الى العالم الجديد وجلت فى أنحاء الولايات المتحدة أدهشك ما تراه فيها من اندفاع أهلها وراء المادة وتهافتهم على أبواب الرزق وقلة اكتراثهم للمعنويات وللفنون الجميلة ، ما عدا طائفة منهم من أهل اليسر شبعوا ورحبت أمامهم سبل الرزق فانصرفوا الى الاهتمام بجمع التحف النفيسة والطرائف الفنية على اعتبار أنها من مستلزمات المعيشة الكمالية . بيد أنك اذا أجلت الطرف بين القوم تجـد النوابغ منهم فى الفنون الجميلة أندر من الكبريت الاحمر . ولعل سوادهم أو كلهم سلالة شعوب نزحت الى العالم الجديد من بلاد اشتهرت بالفنون الجميلة

وليس معنى ما تقدم أن الاقدار قد قضت على الفن وحكمت على دولته بالزوال وأنه لن تقوم له قائمة فيما بعد ، فقد تعاقبت على العالم أدوار ضؤل فيها شأن الفن ثم ازدهر ثم ضؤل ثم ازدهر وهكذا دواليك ــ تلك فترات تتعاقب وتتوالى ــ ففترة ينصرف فيها الاجتماع نحو المادة وينغمس فى الماديات . وأخرى يسأم فيها المادة فينقلب الى الروحانيات ، حتى إذا ما طال عهده بها سئمها وانقلب عليها مرة أخرى قالباً لها ظهر المجن

وعليه فجمود الفن اليوم فى بعض أنحاء العالم ليس دليلا على أفول نجمه لان الاختبار والتاريخ يشهدان بأن فترة الجمود لا بد أن تعقبها فترة انتعاش ونشاط . وإذا كان شأن الشعراء والمصورين والنحاتين ومن اليهم من أرباب الفنون الجميلة ضئيلا فى هـذا العهد ، فليس معنى ذلك أنه سيظل

كذلك الى ماشاء الله ، بل لا بد أن يجيء يوم يمل فيه الناس الماديات فيعودون الى المعنويات ويعود الفن الى سابق ازدهاره

ما هو الفن ؟

وقد حاول الكثيرون تعريف الفن تعريفاً دقيقاً ، فكان أحسن ماقالوه : ان الفن هو محاولة تقليد الطبيعة بقصد استثارة العواطف وابراز ماتنطوى عليه الطبيعة من معانى الجمال التى قد تكون مستورة عن نظر الرجل العامى . وهذا التعريف قد يصدق على التصوير والنحت والموسيقى ولكنه لايصدق تماماً على غير ذلك من الفنون ، أو أنه يصدق عليها بعض الشيء . وهـذا هو الفرق بين فنى التصوير والفوتوغرافيا مثلا . فالاخير منهما يراد به تقليد الطبيعة تقليداً دقيقاً من دون استثارة العواطف . وأما الاول فيراد به استثارة اعجاب الناظر بمعانى الجمال التى قد تستخفى عليـه بابراز تلك المعانى فى ثوب رائع يحدث أثراً فى النفس . وههنا تبدو مقدرة صاحب الفن فكلما أفلح فى استثارة الاعجاب كان ذلك دليلا على بروز معانى الجمال المستورة عادة عن أنظار المرء

مثال ذلك ان مدينة لندن مشهورة بكثرة ما يكتنفها من الضباب فى أكثر فصول السنة حتى إن المقيم بها يمل المعيشة فيها ويشعر دائما بانقباض صدره من رؤية ضبابها . ومع ذلك فقد تمكن أحد كبار المصورين من ابراز صورة لندن وهى مكتنفة بالضباب على وجه يأخذ بالالباب لما تشف عنه من معانى الجمال المستورة ، حتى ان الناظر اليها لا يرى فى ذلك الضباب الكثيف الا كل ماهو رمز الى الجمال

وهكذا قل فى صور الكثير من مناظر الطبيعة . فقد تكون تلك المناظر فى حد ذاتها مجردة من أى معنى من معانى الجمال . ولكن اذا تناولتها ريشة المصور بعثت فيها روحاً جـديداً يكسبها رونقاً خاصاً وجمالا كان مستوراً

الفرق بين العلم والفن

والفرق بين العلم والفن أن مرجع الاول الى العقل والمنطق والنواميس الطبيعية. ومرجع الثانى الى المشاعر والعواطف . ولذلك ترى ان المسائل العلمية ــ كالحسابية مثلا ــ لا يختلف اثنان على طرق حلها أو على نتائجها . فمجموع اثنين واثنين أربعة لا خلاف فيه ، وتأثير السموم فى الاحياء معروف لا يتطرق الشك اليه ، ونواميس الكيمياء وعلم الهيئة والطبيعة وغير هذه ثابتة لا سبيل الى الريبة فيها . وأما الفن فهو وحى يهبط على كل فرد بمقتضى ادراكه وقوة شعوره . فقد تكلف نحاتاً ايطاليا أن يصنع تمثالا لقيصر وتكلف نحاتا فرنسيا ان يقوم بذلك العمل عينه . فيقوم الاثنان بمهمتهما خير قيام ويصنعان تمثالين يختلف أحدهما عن الآخر اختلافا كبيراً مع ان كلا منهما قد يكون آية من آيات الفن . ولو كان ذانك النحاتان من علماء الحساب وكلفتهما حل مسألة حسابية

لجاء حل كل منهما مماثلا للآخر مماثلة تامة . ذلك لان العلم يقوم على أسس ونواميس ثابتة لا يمكن مخالفتها . وأما الفن فرجعه الى الذوق والعواطف والمشاعر ، وهى عوامل تختلف باختلاف الاشخاص

وليس معنى ذلك أن الفن طليق من كل قيد لا قواعد له ولا روابط . والحق أن له منها الشيء الكثير . ولكن تلك القيود والروابط استبدادية مرجعها إلى الذوق والعرف . وكثيراً ما تؤثر فيها العوامل التاريخية والطبيعية والاقليمية والجوية وغيرها . وفى الحقيقة انك تستطيع ترويض الذوق وطبعه بطابع البيئة واخضاعه لشتى المؤثرات كالعادة مثلا . فقد يكره المرء المرأة النحيلة الجسم الزرقاء العينين الشقراء الشعر . فاذا أقام ببعض انحاء أوربا الشمالية اعتاد رؤية النساء اللواتى تكثر فيهن الاوصاف المذكورة فيراض ذوقه على استحسانهن ويصبح معجباً بالنحيلات الشقر ذوات العيون الزرق . وهذا دليل على أن الذوق يختلف باختلاف المكان والزمان . ولما كان هو (أى الذوق) مرجع الفن فان الفن أيضاً يختلف باختلاف المكان والزمان . وأما العلم ــ ونقصد العلم الصحيح لا النظريات العلمية غير الثابتة ــ فلا يختلف ولا تؤثر فيه الاعتبارات المكانية أو الزمانية لانه يقوم على نواميس الطبيعة . والنواميس الطبيعية ثابتة لا تتغير ولا تؤثر فيها البيئة أو خلافها

مصير الفن

قلنا فيما تقدم ان للفن أطواراً يتعاقب فيها ازدهاره وضعف شأنه ، وذهبنا إلى أن الفن لا يمكن أن ينقرض مهما أوغل الانسان فى «المادية» وانصرف اليها . وفى الحقيقة انه مادام للانسان شعور وعواطف فسيظل الفن باقياً . فاذا قضى على الانسان بأن يموت شعوره وتزول عواطفه قضى على الفن بالاندثار . وفى هذه الحالة يصبح الانسان مخلوقاً ميكانيكياً أقرب إلى الآلة الصماء منه إلى المخلوق العاقل . واذا كانت هذه هى الخاتمة التى قدرها الله للبشر فهى خاتمة مفجعة ترجع بالعقل إلى أول أطوار النشوء

ومن حسن الطالع ان هذه الخاتمة بعيدة عما هو مقدر للانسان ، وان الانسان فى أشد ساعات همجيته وتوحشه يحفظ للفن مقامه ويخضع لسلطانه . وفى التاريخ ان الغوغاء فى أيام الثورة الفرنسية هاجموا جماعة من أعدائهم لجأوا إلى حديقة التويلرى بباريس حيث تكثر التماثيل الفنية الجميلة واعتصم الفارون بتلك التماثيل فارتد عنهم الثائرون ولم يمسوهم بأذى خيفة أن تصاب التماثيل بما يشوه جمالها . وهذا من أبلغ الامثلة على مايكنه الانسان للفن من الاحترام حتى فى أشد ساعات همجيته وجنونه . فكيف نخشى والحالة هذه على الفن من الاندثار ؟

نعم قد تقع ثورات يصاب بها الفن ببعض الاذى . ولكن بزرة الفن لا تموت وان اعتراها الضعف فى بعض الحالات

سليم عبد الاحد

النساء جنس غير فنى

قال روسو : « النساء على وجه العموم لا هوى لهن فى فن من الفنون ، ولم يعرف عنهن النبوغ فى أحدها ، وليست العبقرية من نصيبهن »

ويراهن كاتب هذه السطور على أنه ما من سيدة تأخذ عينها الحلوة كلمة « روسو » هـذه فى خطابه الى « دالمبرت » الا وتحملها على أنها لا شك بادرة عن حب لصاحبها مخيب مردود ، وأنهـا بداة من بدوات خاطره المعذب المرضوص ، فالرثاء لها أولى فى شرعة الحق من الاخذ بها . ولا عبرة طبعا إذا اتفقت فى هذا أقوال فلاسفة ومفكرين من طبقة روسو وشوبنهور وشامفور ولا شفوركولد ، فان السر فى عرف سيدتى هو هو لم يتغير . ولكن ما الحيلة وهذا الذى سبق به الفلاسفة والادباء قد جاء يقرره بعدهم السادة العلماء بطرائقهم القائمة على التحقيق العلمى والاحصاء بعيدة عن مظان المؤثرات الشخصية ؟ ومن هؤلاء الباحثين الاعلام من جابوا المجاهل وتقلبوا فى أجوازها يدرسون الانسان على فطرته الاولى.

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

ولقد كان مما شهدوه أن النساء يتولين الصناعات كافة وهى المبادىء الاولى لمعظم الفنون ، حتى إذا تجاوز الامر البسائط والاوليات أخذ الموقف يتغير ، فاذا بلغ الى الفنون فى مرتبتها المتنوعة المتميزة آذن الحال بالانتقال وتبدل الموقف غير الموقف فاذا هى منحصرة فى أيدى الرجال

ويضربون مثلا لذلك صناعة الفخار . وهى صناعة ترقى ــ وصاحبها لا يكاد يشعر بها ــ الى فن ، وهى فى بدايتها فى جميع أنحاء الدنيا من اختصاص النساء ولم تبرح محتفظة بصفتها العملية النفعية ما بقيت فى أيديهن . ويروى بعض الباحثين فى طبائع البشر فى رحلة له باقليم جينيا من افريقا ، كيف كانت دهشته لخلو الفخار هنالك من كل زخرفة ، ويعلل هذا التعطل من الزخرف فى صناعة الفخار بأنها موكولة الى النساء وهن فى العادة لا ينزعن بطبعهن كثيراً الى الفن . ولقد وجد عالمنا الرحالة حيثما ذهب فى أسفاره مصداق هذا الرأى القديم الحكيم فى بعد الطبيعة النسوية عن الفن . ومن الاصقاع التى ارتادها جزيرة « بابى بابى » وهى تصنع الفخار لجميع القرى المجاورة ، ومما يأثره عن زيارته لها أنه وهو ينظر الى النساء والفتيات يجبلن الصلصال ويسوينه، لحظ بينهن البعض وقد أنجزن نصيبهن والقوارير مكدسة أمامهن وما من حلية عليها ، فسألهن : لماذا لا يدخلن التحلية عليها ولديهن الفراغ من الوقت ؟ فكان جوابهن : « وما الفائدة ؟ هـذا شىء غير

ضرورى ، ولكن هذا ما كان بمانع لاثنين من الفتيان أن يجدا متعة فى أن يطبعا بأظافرهما وبطرف عصا ما يشبه الزخرفة على حافة بعض القوارير

وهذه المشاهدات عند الامم فى حال الفطرة تؤيدها مشاهدات مماثلة لها بين المتحضرين . فقد ثبت لعلماء التربية فى تحرياتهم واستقراءاتهم فى مكاتب التعليم ان اجادة الرسم عند البنات لاحقة بذكائهن العام فى سائر العلوم وليست استعداداً خاصاً . وأما فى البنين فهى استعداد وحده

واذا نحن ولينا وجوهنا شطر ملكة الفن الخالص كما تتجلى فى مراتب الثقافة العليا الفينا الصدارة دائماً للرجال : فنصيب النساء فى تطور الموسيقى جد ضئيل . وهن بين الهمج والحضر فى جميع أنحاء المعمورة جد متوفرات على الموسيقى . ومع هــذا كله فانهن فى الغالب الاعم عازفات . وأما منشئو الموسيقى فكلهم من الرجال . وقد يرد على الذاكرة بضعة أسماء قلائل من السيدات لهن مؤلفات موسيقية ، ولكنهن بعد لا ترتفع واحدة منهن فوق المستوى المتوسط . وهــذا التقدير نفسه يدخله غير قليل من التجاوز والمحاباة لهن باعتبار أنهن سيدات ، والعجيب أن المطلبين اللذين هما أخص خصائص المرأة، وأعنى بهما حبها الرجل وحنانها على الطفل ، لم يظفرا منها بصدى فى الموسيقى ! فليس من ثنائية غرامية أو أغنية من أغانى المهد وضعتها امرأة فكانت من المأثورات الموسيقية التى لها قيمة فنية تجعلها نمطا فى ذاتها . وإن أشد الناس تشيعاً للمرأة لا يسعه الا التسليم بهذا القصور منها مع مواتاة الظروف لها . وانما قصاراه ان يحسن لها التخلص والتماس المعاذير . وأبرع ما قيل فى تعليل ذلك ان الموسيقى بوصف أنها اسمى عبارة عن العواطف ، والمرأة بفطرتها عاطفية،والعاطفة فيها طبيعية كالتنفس وجزء منها لا يتجزأ.فمن ثمة لا يكون فى مقدورها التخلية عن هذه العاطفة موسيقيا . وبينما للرجل على عواطفه غلبة تمكنه من التعبير عنها خارج نفسه فان العواطف فى المرأة هى العنصر الغالب،وما دامت كذلك فهى مستغرقة للموسيقى منطوية عليها

والموسيقى أقرب الفنون للعاطفة وأبعدها تجريداً معاً . فهى فيض نفسى يعالج معالجة الرياضيات ولها ميزانها وروابطها وضوابطها بحسب أحكام الايقاع وتركيب الالحان مع التزام تأديتها بالعلامات المرسومة المحتومة . وهــذه لاشك عملية تقتضى من ثبات الجنان ورباطة الوجدان مالا يتهيأ لغير الرجل بطبعه الاصلب الاشد . ومما له دلالته فيما نحن بصدده ان الرجل اذا ما تعلم الموسيقى فانه لا يبرح يلتذها ، فى حين أن المرأة يبطل حبها للموسيقى مع علو السن . والسر فى ذلك ان وقعها عند المرأة وقع عاطفى وليس بالفنى

وننتقل الى المرأة فى الأدب . والادب فى معناه الشامل ديوان لشتى مظاهر الاستعداد النفسى والنزوع الفنى . ونذكر من مناحيه أربعة : المعقولات والتصوف والشعر والقصص

فأما المباحث العقلية فمقصورة على الرجال ، ولا تكاد تستبين اسم امرأة حتى بين المتخلفين من

طلاب هذه الدراسات . وذلك أن قوام عمل الفيلسوف النظرى هو إقامة عالم مثالى مفترض على أساس من كيانه النفسى الخاص ، فطلبه بين المطالب كافة أبعدها عروجاً بالعاطفة إلى أفق الفكر وأشدها تجريداً للمادة مما هو حسى وعملى . وهذا ينافى طبيعة المرأة

كذلك نعرف فى النساء شدة انجذابهن الى الدين ، ومع ذلك لم يؤثر عنهن تعبير بليغ عن التصوف الذى هو لباب الدين فى كل زمان ومكان . واذا اتفق بين النساء متصوفات مثل رابعة العدوية والقديسة تيريزا فان عنصر المرض العصبى فيهن يكون ظاهراً ظهوراً بيناً لاخلاف عليه . وهذى أمهات كتب العبادة التى كانت ولما تزل غذاء الآلاف المؤلفة من النفوس وكلها مرددة نفس المعانى مع بعض الخلاف فى العبارة ليس منها كتاب لامرأة وان تكن مقروءة من الجنسين

أما فى الشعر فنصيبهن أكثر بكثير منه فى التصوف والمباحث العقلية . وشعرهن عاطفى غنائى وهن لا يوفقن منه الا فى القصار من المقطوعات الشخصية المركزة . وأما فن الشعر المكين الذى يجمع بين عرام الاندفاع واطالة التفكير معاً فيندر جداً فيهن . ومن المتعذر أن يتوافر لهن الخيال والاسلوب وقوة الفن البنائى

وأخيراً يأتى القصص ، والنساء مشهود لهن فيه بمكانة أعلى علواً كبيراً من أن تقاس الى مكانتهن فى أى فن من فنون الادب الاخرى . وقد أخرج بعضهن روايات لها حظ من القوة والمزية الفنية . بل ان العصر الحديث ليفخر بأكثر من قاصة واحدة تقف بجدارة فى المقام الاول بين القصاصين . بيد أن القصص فى حده الخاص لايتطلب من المقتضيات الفنية الجدية بقدرما يتطلب الشعر . لأن القصص ان هو الا ترجمة للحياة مفرغة فى قالب من الاحسان والتجويد ، وله أن يجرى فى أى منحى من مناحى الحياة المتعرجة ، وأوجب ما يقتضيه القصص هو الادراك الوحى للطبع البشرى والحياة الاجتماعية ، وأن تكون ساحته ملونة بألوان عاطفية تتفاوت فى شدتها . وهذا الادراك المتنبه للظواهر الاجتماعية ــ أو بعبارة أخص للتفاعل بين الرجال والنساء الذى تقوم عليه القصة ــ أمر طبيعى فى النساء عامة لانهن من هذه الناحية أدنى اتصالا بأمور الحياة فى المجتمع من الرجال . فضلا عن أنهن اكثر استيعاباً للتفاصيل الاجتماعية التى تقع تحت حسهن وأوعى ذكراً لها . وان النساء من أفقر الطبقات وأبعدها عن الثقافة لا سمر لهن الا القيل والقال عن علائق الاناث بالرجال وسرد الاقاصيص عما جرى لانفسهن أو حولهن بعد التزيد عليه والاضافة اليه . فليس إذاً بدعاً أن يكون بين ربات الثقافة من تشتهر بالابداع فى كتابة القصة . ولكن لا بد هنا أيضاً من استدراك وهو أن قصصاً كقصص فلوبير مثلا ترتفع الى مرتبة الشعر ليس للمرأة قبل بها لفرط ما تتطلبه من قوة فى الفن البنائى وعكفة على الاسلوب وكبحة للنفس

ونذكر بهذا السبيل تحرير الرسائل ، فان نجاح المرأة فيها عظيم اذ الشأن الاول هنا لخصائص المرأة كالترسل وقلة الاحتفال بالقالب والصراحة فى الامور الخاصة الشخصية . ومع هذا فانهن لم

ينشئن منها أدباً عالياً . وأشيع ما تعاطاه النسام من هذا الفن رسائل الحب فلهن فيها القدم السابقة والقدح المعلى . على ان النساء جميعهن فى هذه المقدرة سواسية . وان ألوف الرسائل المعطرة التى يتلقاها العشاق من عشيقاتهم فيودعونها أدراجهم زمناً ثم يسلمونها طعمة للنار لو أنها طبعت بدلاً من ذاك لرأينا أن مدام دى سفينيى لها فى تحبير الرسائل منافسات كثيرات

إلا أن هناك فناً واحدا يمكن القول بأن النساء فيه لاينافسن الرجال فحسب بل يسبقنهم فى حقيقة الواقع ويبرزن عليهم ، وذاك فن التمثيل . فلا تذكر ممثلا كبيراً إلا ذكرت فى قبالته أكثر من ممثلة لا تقل عنه شهرة وقد تزيد . وليس يتعذر رد هذا النجاح الى أصله العضوى . فالعمليات الذهنية عادة أسرع عند النساء منها فى الرجال ، ولديهن الانفجار العاطفى أظهر وأقرب تلبية . ثم ان ظروف النساء فى حياتهن الاجتماعية تحمل على اعتياد المرونة والملاءمة فى المسلك والتدرب على الاداء الصوتي للعواطف التى يشعرن بها او التى يعتبر من واجبهن الشعور بها . فالنساء بطبعهن وبحكم الاجتماع أدنى من الرجال الى موقف التمثيل . وقد يلحق بهذا أيضا أن النساء يحفزهن أكثر من الرجال مظاهر الاعجاب المباشر وتصفيق الاستحسان مما يحظى به التمثيل لاتصاله بشهوده السامعين

ولقد لحظ علماء التربية أن المطالعة من الدروس القلائل التى يظهر فيها تفوق البنات على البنين وأرجعوا الفضل الى سرعة ادراكهن لمعنى ما يقرأنه والى تمام الانسجام بين ذهنهن وبين الاداء بالصوت واللمحة والحركة . وحيثما بذلت العناية لقصرهن عن النزوع الى التكلف جاءت مطالعتهن كأحسن ما يشتهى المرء حسا وتفننا وتعبيرا

فاجادة الالقاء فى الطبيعة النسوية منذ الصغر . وعلاقة هذه المزية الطبيعية بالتمثيل ظاهرة غنية عن البيان . كما أن هذا الذى ذكرناه عن التمثيل المسرحى ينسحب على الغناء والرقص

ونخلص مما تقدم جميعه أنه فيما عدا الفنون التمثيلية يعتبر حظ المرأة من النزعة الفنية ضئيلا خافتا قليل الدبوع وغير صادر عن طبع . وذلك الحكم ناصع واضح حيثما قلبنا الطرف . واذا كنا صعدناه حتى الآن الى الفنون الرفيعة فاننا نعود فنصوبه برهة الى ما هو أدنى . فنرى أن الطبخ عمل المرأة منذ القدم وفى جميع الامم ، فاذا ما ارتقى من صناعة الى فن انتقل هو أيضا الى أيدى الرجال . وحتى الجنون فانه ليكشف عن فقر المرأة فى الخيال ، فهذيانها دائما واهن مسف يدب على الارض فلا يعدو الزينة أو دعوى ميراث دفين ، ولا يركب رأسها قط ما يتسلط على المجانين الذكور من تصورات العظمة الشخصية وما يدور بمخيلاتهم من السهادير الباذخة وشطط الاخيلة الرائعة . وقد بلغ من وفرة الادلة وقطعها فى انتفاء النزعة الفنية عن المرأة وثبوتها للرجل من دونها أن قرر أحد العلماء انها كاللحية سواء بسواء من علامات الذكورة خاصة

فالنساء على حد قول شوبنهور جنس غير فنى *

عبد الرحمن صدقى

* اعتمدنا الاعتماد كله فى هذا المقال على هافيلوك أليس

رأس لتمثال الأميرة تي . وقد أبدع الفنان الفرعوني في حفر ابتسامتها على الحجر . وهي ابتسامة تفوق ابتسامة الجيوكندا في سحرها وتعبيرها

عظمة الفن في عهد الفراعنة

بقلم الاستاذ أحمد يوسف

المصور بالمتحف الفني

رأس الملكة نفرتيتى ،
وهو القطعة الفنية الخالدة
من آثار فى تل العمارنة

تمثال لسيدة مصرية : من الدولة القديمة

كان الكثيرون — حتى فريق من العلماء أنفسهم — يحسبون أن الفن المصري ليس الا فناً محليا خاصا بمصر وحدها . وأنه جاف جامد . اذ يقوم على أوضاع خاصة ، ويخضع لقيود وتقاليد معروفة ، لا يتصل بالحياة العامة ، ولا يستلهم الطبيعة . فهو خال من آثار الرقة واللطف ، ومجرد من معانى الجمال

وكانت الفكرة أن الفن الجدير بالتقدير هو الفن الاغريقي . حيث برع الاغريق في تمثيل الجمال في منتجاتهم ، وابرازه بالصورة التى تعبر عن الحياة البشرية الملموسة . حتى عرف فهم بالفن الوصفي — أي الذى يصف الطبيعة كما هي — واعتبر فنهم من أجل ذلك الأساس الصحيح لفنون العالم الحديث

ولقد وضحت الآن الحقيقة التى خطأت تلك الفكرة ، وظهرت نماذج من الفن المصري القديم ، وآثار كثيرة العدد ، تنطق كلها بعظمة ذلك الفن وسمو غرضه . واضطر العلماء أخيراً أن يصححوا آراءهم فيه ، ويضعوه والفنون العالمية الأخرى على بساط واحد . واضطر العالم الجديد الآن الى احترامه وتقديره والعناية به

والفنان المصري القديم الذي كان مقيداً فى عمله الى حد كبير ، لاضطراره الى تصوير شعائر الدين قبل كل شيء ، نازلا عند التقاليد التى كان الكهنة يرسمونها له ، قد أرانا فى كثير من الأحيان أنه يفهم دقائق الطبيعة حق الفهم ، ويدرك معنى الجمال تماما ككل فنان وهو حين تسمح له الفرصة يبهرنا بأعماله بهراً

ومع أن الفن المصري القديم بدأ حياته في خدمة الديانة المصرية . وظل عاكفا على غايته هذه مدى السبعين قرنا التى عاشها مرتبطا والدين برباط وثيق ، الا أنه مع ذلك قد أوجد لنا أعظم الامثلة للقوة والقدرة . والذوق والاتقان . والرقة والجمال

واذا قورنت بعض أعمال أساطين الفن فى التاريخ الحديث ، بالنماذج التى أسعدنا الحظ بالعثور عليها من بين مخلفات المصريين القدماء ، مما يماثلها في نوعها وموضوعها ، لما قلت عنها قوة وقيمة

فهذه الابتسامة التى يفخر بها الغربيون في صورة «الجيوكوندا» للمصور الايطالى «ليوناردو دافينشي» ، ويملأون الجو دويا بالاعجاب بها ، قد ترك الفنانون المصريون مثيلا لها ، قد يكون أقوى منها تعبيراً عن حقيقة النفس الراضية المرحة المسرورة ، في تمثال الملكة «نانى» الموجود بالمتحف المصري . ولو ان الابتسامة فيه قد مثلت على الحجر الجيري في تمثال مجسم ، وفي الجيوكوندا على القماش في صورة مسطحة ملونة . ولا يخفى على القارىء ما تطلبه الحالة الأولى من مجهود ومهارة واتقان . ونحن نورد صورته هنا بغير تعليق تاركين الحكم في ذلك للجمهور

على أن هناك أمثلة أخرى للابتسامة البريئة في عمل الفنان المصرى . نذكر منها أيضاً تمثال الملك المصري العظيم «تحوتمس الثالث» الموجود بالمتحف المصرى . وهو من حجر الشيست الصلب القاسي

وفي هذه الابتسامات البريئة العذبة كل معانى الجمال والرقة والوداعة . ولا يصدق الناظر إلى احداها بأن المصريين القدماء لم يدركوا أسرار الجمال

وقد يتجلى فهمهم للجمال ومعناه في طريقة رسمهم لصورة الانسان على الورق أو الجدران .

« في نزهة صيد بحرية » وقد جثت الفتاة تقطف زهرة من زهرات اللوتس الطافية على الماء بجوار السفينة

اذ كانوا يتخيرون لحركة الجسم أوضاعا خاصة ، تختلف عن كل صورة في أى فن آخر . وكان ذلك توخياً لاظهار معنى الجمال في وضع كل جزء من الجسم

فمثلا صورة العين قد جعلوها في رسمهم في وضع الرأس الجانبية ـ profile ـ ترى كأنها منظورة من الامام . وكان ذلك للدلالة على جمال العين في اتساعها وتحديقها واتساق انسحابتيها . وفي رسمهم للصدر قد جعلوه مرئياً من الامام ليظهر فسحته وبناء الأكتاف بجانبيه . وهذا أحسن أوضاعه . وصورة البطن جعلوها مع ذلك في وضع يظهرها منحرفة قليلا عن صورتها أمامياً أو في وضع الثلاثة الأرباع ـ Trois quarts ـ لأنه خير وضع يبرز جمال البطن

أما المثل العليا من الفن المصرى القديم فاننا ان أردنا الاستدلال بها في موضوعنا هذا لاحتجنا إلى مجلد ضخم . وهي كثيرة العدد تضارب بعضها بعضاً في الحسن والجودة . وقد نكتفي منها بتقديم بعض النماذج القليلة والاشارة الى ما فيها من الفن والجمال

فتمثال السيدة المصرية ، الذى هو من مخلفات الدولة القديمة . وملك لورثة المرحوم اللورد كارنارفون مكتشف قبر « توت عنخ أمون » وهو ملون من الحجر الجيرى ، يكاد جماله يستهويك ويتسلط عليك . وكأنه يطل عليك من كل ملامح هذا الوجه المشرق المؤنس . فوق ما في هذه الصورة من طلاقة ولطف ورقة ، وصحة ظاهرة في الرسم والأداء وحسن التعبير

ولا يقل عنه حسناً تمثال سيدة أخرى ، هي الاميرة « نفرت » ـ أى الجميلة ـ وهو أحد بدائع الدولة القديمة أيضاً . من أواخر عهد الاسرة الرابعة . يرجع تاريخه الى نحو سنة ٢٧٠٠ ق . م . ومع ذلك يكاد يظهر كأن الصانع قد أنجزه بالامس . ولا يحتاج هذا التمثال إلى دلالة على ما فيه من الفن والجمال ، فهما يتحدثان فيه عن نفسيهما

وتمثال الكاهن « رع نفر » من الأسرة الخامسة . وتتمثل فيه الرجولة الكاملة في حسن تصوير واتقان فائق ومحاكاة ناجحة للطبيعة

ويجب ألا ننسى عظمة تمثال رأس الملكة « نفرتيتى » وهو القطعة الفنية الخالدة من آثار فن تل العمارنة ـ وهي موجودة الآن بمتحف برلين . فهذا الجمال الذي يشع منها في غير حاجة الى تدليل . وقد جمعت الفن والجمال معاً في أروع صورهما

وقد كان فن تل العمارنة ، ذلك الفن الذي أوجده « اخناتون » زوج « نفرتيتى » في عاصمة « اخناتون » أقرب الى تمثيل الطبيعة من فن كل عصر آخر من عصور المصريين . إذ اطلق اخناتون الحرية للفنانين ، وطلب اليهم العناية بتصوير الطبيعة كما يرونها ، ونقل الحقائق دون القيود والرسميات . فكانت نهضة فنية عظيمة أخذت لها طابعاً خاصا

ومن آثار هذا العصر الفائقة هذه الصورة المفقودة الرأس واليدين والقدمين . وهي من الحجر الجيري ومحفوظة بلندن . وتمثل جسم فتاة كاملة الأنوثة على غاية من الجمال ليس بعدها غاية لفنان

وهناك تلك القطعة النفيسة المدهشة للتمثال المعروف باسم « شيخ البلد » وهو من الدولة القديمة ومصنوع من خشب الجميز ويكاد يتخيله الانسان حياً ينطق

وذلك التمثال الآخر المشهور للكاتب المصرى من الأسرة الخامسة من الدولة القديمة أيضا . وهو

يمتلىء بالحياة والنشاط ، جاد في عمله ومهمته ، حتى ليكاد يحسبه الانسان حقيقة حالسة أمامه

وفي برلين بالمانيا تمثال لرأس من الحجر السرستيني الأحمر . ويحتمل أن يكون الملك نقطاب الأول . وقد بلغ هذا الرأس من القوة والدلالة والحيوية الى حد لايفوق عليه عمل أى فنان آخر في جميع الوجود

أما آثار التصوير والرسم فهي الأخرى لاتقل قوة وأداء عن آثار النحت

فهذه الخادم التي تعنى بوضع الأقراط فى آذان المدعوات الجالسات صفاً ، على جدران مقبرة المدعو « ناخت » من الأسرة الثامنة عشرة ، لمجموعة من التصوير الجميل المتقن مشبعة دلالا وحنانا

وهذه الفتاة التي ترى فوق السفينة التي تحمل أباها وأمها في نزهة الصيد ، جاثية تقطف بيدها من الماء زهرة استهوتها من زهرات اللوتس العائمة ، ماينطق في قوة الخط فيها وصحة الوضع زيادة لمستزيد . وهي تشرف الفنان حقا . وتتجسم فيها الحياة الطبيعية التي لم تكن مألوفة كثيراً مع التقاليد الدينية كأن صاحبها يقول لنا هذا هو فننا إذ اردنا محاكاة الطبيعة

ومن الرسم التخطيطي ذلك الاثر الباقي أعودجا فريدا فائقا لكل فنان قديم وحديث على جدران مقبرة حاكم طيبة يدعي « راموس » وهو يمثل أربعة رءوس من أسرى الشعوب الاجنبية :

زنوج واسيويين وليبيين ولا نظن هناك ما هو أبلغ من هذا الرسم أثراً في النفس ، عن تلك القدرة العظيمة التي كان عليها الفنان المصري القديم ، الذى اظهر بأيسر الخطوط اختلاف الملامح والسحن بعضها عن بعض ، بالنسبة الى تباين بلاد الاسرى

وقد نوهت العالمة النابغة « مرجريت اليس موراى » في كتابها عن « فن الحفر المصرى » Egyptian Sculpture بأن هذه الصورة لتعد احدى بدائع الرسم في جميع أمم العالم

احمد يوسف

المصور بالمتحف المصرى

تمثال الكاتب المصري : من الدولة القديمة

شيخ البلد : من الدولة القديمة وهو من خشب الجميز
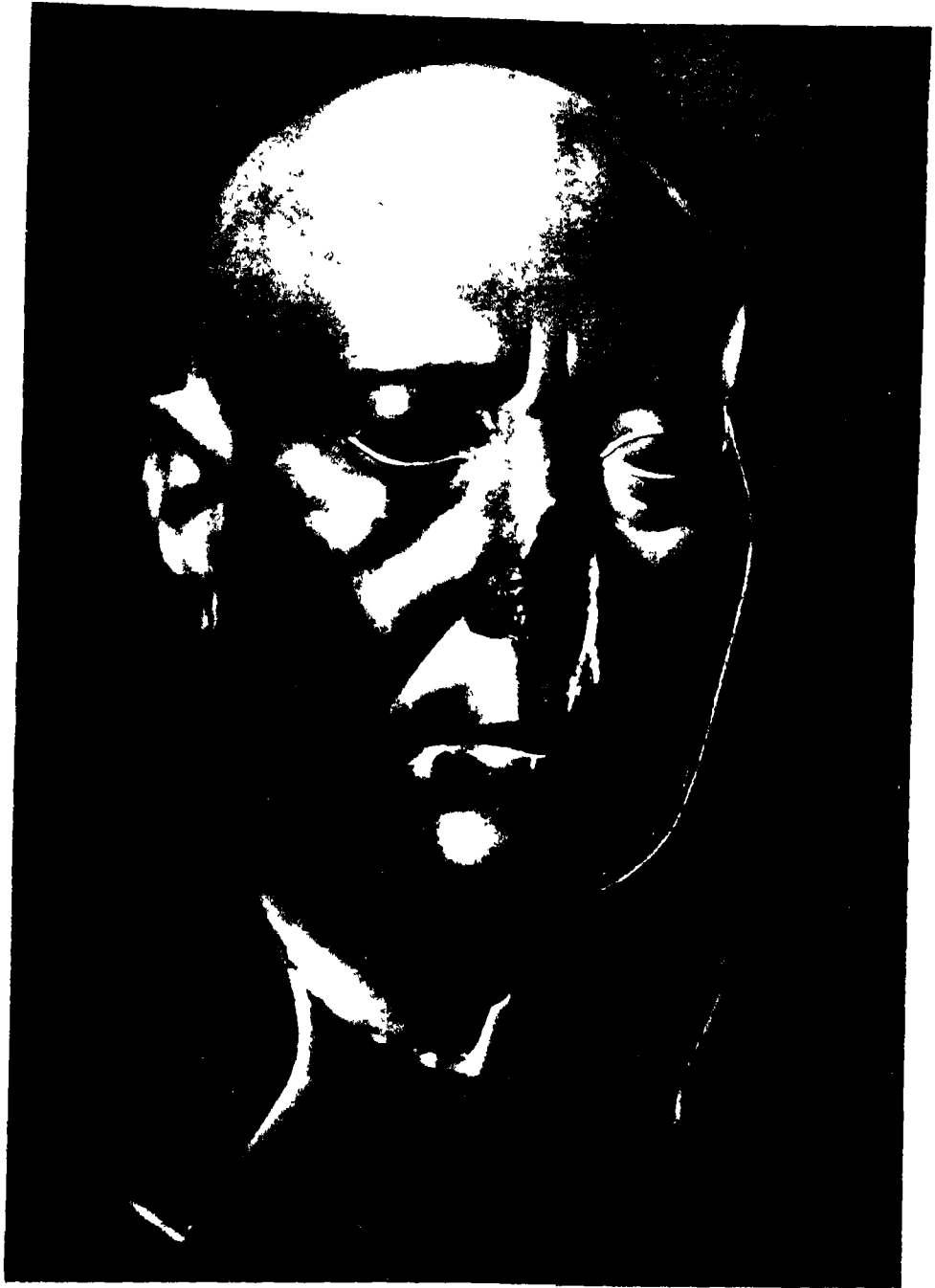
تمثال رع نفرت : من الاسرة الخامسة

معجزات الفن

بقلم الاستاذ محمد صدقي الجباخنجي

الاستاذ محمد صدقي الجباخنجي من فنانينا المصريين الذين تلقوا فن التصوير في باريس وبلجيكا ، وفي اكاديميق الفنون الجميلة العليا في روما . وفي فلورنس . وهو إلى جانب براعته في فنه أديب مطلع ، كما يدل على ذلك مقاله التالي

إن عزلنا في الطبيعة عبادة وتسبيح . . .

نكشف عن مواطن الجمال في الخليقة ونمجدها بمختلف ضروب التمجيد الفني ، ونلبسها من خيالنا أروع الحلل . .

وقد تكون الطبيعة في نظرنا قبيحة في بعض الاحيان وقد تكون جميلة في أحيان اخرى ، غير أن الفن يستطيع أن يوجد من القبح جمالا ويكمل الجمال العادى ، فيجعله مثلا أعلى

والفن حر لأنه يحب أن يذهب بعيداً على أجنحة الهواء هنا وهنالك لا تقيده أغلال ، ولا تحكمه أصول وشروط ، وله أشكال كثيرة منوعة ، كالطبيعة المتغيرة ، وغايته المنشودة هي تسجيل مواطن الجمال والفتنة في الطبيعة والانسان والحيوان والاشادة بها، كما ترى في كل أثر فني من الآثار الجميلة التي تضمها المتاحف . على أن من بين هذه الآثار ما يعد آية الفن ومعجزته الخالدة

* * *

فمن آثار الفن الخالدة تحفة تعد درة في تاج عصر نهضة الفنون الجميلة في ايطاليا وفخر المدرسة الايطالية في شتى العصور ، وهذه التحفة هي صورة (الجيوكندا) . وقد سطت عليها أيدى اللصوص ثلاث مرات ، وكانت الأخيرة هي القاضية عليها ، وما زال إطارها خالياً منها ومعلقاً مكانه يشهد على وقوع هذا الحادث

و « الجيوكندا » أو « موناليزا » الباسمة هي زوج أحد ضباط جيش فلورنس ، الذى عهد الى الفنان العظيم « ليوناردو دافينشي » بتصويرها ، فكانت تأتى الى مرسمه كل يوم لهذا الغرض أربعة أعوام ! . وما كانت اطالة مدة التصوير الى هذا الحد إلا لحرص الفنان على التمتع برؤية جمالها الفاتن وشدة شغفه بها وافتتانه بابتسامتها . جاءت الصورة من أبدع ما وصل اليه خيال المصور في إدراك معنى الجمال

* * *

ومن آثار الفن الخالدة رسوم الفنان العبقرى « ميكيل انجيلو بوناروتى » المعمر الجبار الذى

فينوس
المثال كانوه

أذهل العقول بمعجزاته الفنية في الحفر والتصوير والبناء . وتتجلى ابهة فنه وجبروته في كل أعماله . ومن ذلك تمثال « النبي داود » ويبلغ حجمه ثلاثة أمثال حجم الجسم الطبيعي. وتمثال « الرحمة » الموجود في كنيسة سان بيترو فى روما ويعتبر من اروع ما أخرجه الفنان الفذ في حياته

ويحكى عنه أنه بعد أن أتم تمثال موسى (أحد التماثيل الموضوعة على نصب البابا جوليو الثانى) أصابه الجنون من دقة صنعه فلم يعد يصدق أن ما تراه عيناه من صنع يده ، أو هو جزء من الحجر الاصم الذى حمل منه قاعدته ، فهاله الموقف وتنازعته الاوهام والشكوك : أهذا التمثال حي أم لا يزال جمادا ؟ ! وأمسك بعصاه الغليظة ، وضرب بها التمثال ضربة قاسية ، قد تكون القاضية عليه لو كان من الاحياء وطارت منه شظية ما زال أثرها باقياً الى اليوم . ثم صاح بالتمثال : « تكلم ياموسى » فلما لم ينطق خر ساجداً على الارض يبكي ويستغفر عند قدميه

وقد تعذبت نفس هذا الفنان الكبير في اواخر أيامه عذاباً أليما لفقده بصره ، وظل عاطلا لا يعمل شيئا . وكثيراً ما كان يشعر بالشوق الحار الى رؤية تماثيله ، وكان يذهب اليها يلمسها ثم يحتضنها ويبكي

تمثال داود

لميكيل انجيلو

وسمع ذات مرة انهم عثروا على قطعة حفرية فنية ثمينة وطلب الذهاب الى مكانها ، وجعل يتلمس اجزاءها في لهفة الولهان وعلى وجهه علامات الفرح والسرور. ولما ان انتهى اخذ يبكي بكاء شديداً حسرة على بصره وحزنا على حرمانه من رؤية هذا الجمال الفني العظيم

* * *

وتعتبر روما عاصمة ايطاليا اوفر بلدانها عدداً بالمتاحف الفنية التى تجمع آثار تطورات الفن في الاجيال العدة والشعوب المختلفة التى مرت على ايطاليا

القديس متى والملاك

المصور كرافادجيو

(متحف قيصر فريدريك ـ برلين)

تمثال موسى
لميكيل انجيلو

وعلى ذكر تطورات الفن في ايطاليا نقول ان الكنيسة ظلت عدة قرون مسيطرة على العقول الى اقصى حد ، وحرمت على الناس كل ضرب من ضروب التفكير الحر ، كما انها حظرت على الفنان كل دراسة لاتمت الى الدين بصلة ، مستأثرة به الى حد العبودية . فكان فن التصوير وقفاً على الدعاية المسيحية وتصوير ما جاء في الكتب السماوية لتقربها الى اذهان الناس تبعاً لرغبة البابا

ويحكى في هذا الصدد عن المصور « كرافادجيو » (١٥٦٩ — ١٦٠٩ الميلادية) أن البابا أمره بتصوير القديس متى والملاك ، فاطاع المصور ، رغم نفوره وسخطه على رجال الدين ، وكأنه أراد أن يزدرى بهم ويعبث بأفكارهم فصور القديس عاري القدمين فيصورة آدمي أحمق في نظراته شراسة ، وفي جلسته وهيئته همجية ، مما يناقض الرغبة البابوية رغم إجادته من الناحية الفنية (والصورة موجوده الآن في متحف قيصر فردريك في برلين)

رفضت الصورة رفضا باتا مع سخط البابا ، وخشى رجال الكنيسه إزاء سخط البابا ورفضه أن يثور الفنان ويتخذ من فنه اداة للتشنيع عليهم فكلفوه اعادتها في شكل محتشم اكثر لياقة بالقديسين ففعل (والصورة الآن موجودة في كنيسة سان لويس فرنسيس في روما)

وقد ثارت النفوس ثورة عنيفة وتناولت بالتحطيم تلك الاساليب والبدع التى فرضتها الكنيسة وتلك الاغلال التى كبلت بها العقول قرونا طويلة . وأفسحت هذه الثورة الهدامة الطريق أمام المصورين للمغامرة في الحياة والكشف عن أسرار الجمال الدنيوى واللاهوتى وتصوير القصص القديمة والروايات الوثنية والخرافيه والتاريخية

وقام على انقاض البناء الذى قوضته تلك الثورة صرح نهضة جديدة هي مزيج من القديم والحديث « نيوكلاسيك » وكان في مقدمة النزاعين الى هذا التجديد المثال « كانوفا » والمصور « اندريه ابيانى » في ايطاليا ، والمصور دافيد فى فرنسا

وبانتهاء عصر « النيوكلاسيك » تبدأ الحركة الرومانتيكية ، وقد خطا الفن بعدها خطوات واسعة في التجديد والابتكار ويسمى هذا العصر بعصر الفن الحديث

ويعتبر المصور فرنشيسكوهايس (١٧٩١ — ١٨٨٢) أول من عنى بتمثيل الحياة الرومانتيكية في ايطاليا على لوحته المشهورة « القبلة » وهي احدى طرائف القرن التاسع عشر ، وما تزال موجودة في متحف الفن الحديث في ميلانو

وكذلك لا ينسى التاريخ المصور « ترانكويللو » (١٨٣٨ — ١٨٧٨) كمبشر للفن الحديث فى ايطاليا فهو اول من اشتغل بفن الامير سيونست ، ومن صوره المشهورة التى خلدت اسمه « اللالئة »

بين الفن والفلسفة

بقلم الاستاذ على أدهم

ليس الفن فى حاجة قاهرة الى الفلسفة لان سبيلهما مختلف ، والغاية التى يتوخيانها ليست واحدة فالفن غرضه الجمال . والفلسفة غايتها الحق . والفنان بطبيعة عمله وموضوع رسالته غير الفيلسوف . بل هو الى حد كبير نقيضه . والفلسفة قائمة على اصالة المنطق وسداد الفكر ونفاذ البصيرة . والفن أساسه غزارة الشعور وقوة المخيلة . والفلسفة قد تمد أفق الفنان وتوسع مدى معرفته ولكنها تغريه بالتحليل والتعليل ، والاسراف فيهما يهيض خياله ويرين على فنه . فمن مصلحة الفنان ألا ينغمس فى الفلسفة كل الانغماس . ولا يكثر من المغامرة فى تيارها الجارف ابقاء على نقاوة فنه واحتفاظا ببساطته ، وليظل مستلهما وحى مشاعره مستجيباً الى صوت غرائزه . والفنان يعلم ان قوته الفنية نابعة مما وراء الوعى ، وهو لهذا فى الاغلب يجتوى الفلسفة ويسأم البحوث النظرية الصرفة . ووكده ان يبحث عما يهز مشاعره ويثير خياله . والتجويد الفنى الطبيعى المرتجل خير من التجويد المقصود المتكلف . ولست أقول بمقاطعة الفنانين للفلسفة . بل انى حريص على ان أجاهد تحت راية خصوم هذه الفكرة . لان تجاهل الفلسفة والتنكر لها يفضى بالفنان الى الاغراق فى العامية واسفاف الفكر وضيق المضطرب. والالمام بمذاهبها عتاد للفنان يعينه فى السمو الى مراقى الفن . ولكن العكوف على الاستقراء الفلسفى والتكثر من النظريات قد يكدر من صفاء الملكة الفنية ويغض من روعة الخيال . وشعر أبى العلاء المعرى مثل بارز لما قد يجره طغيان الروح الفلسفية على السليقة الفنية . ولا نزاع كذلك فى أن الفيلسوف الى حد ما فنان . لان تنسيق مذهب فلسفى وتخطيط بنائه ، والملاءمة بين نواحيه المختلفة ، وأطرافه المتشعبة، يستلزم مقداراً غير يسير من البراعة الفنية . ولكن قوة التفكير فى الفيلسوف بوجه عام أقوى وأرجح من الملكة الفنية . وهذا يجعل بعض آراء الفلاسفة عن الفن مستهدفة للنقد لعدم تأثل الروح الفنية فى طبائعهم . كما ان كتابة الفنانين عن الفن على ما قد تحوى من ملاحظات قيمة وخواطر سرية لا تشفى غلة

> **ان الفن يستدعي نظر الفلاسفة ويرغمهم على تقديره ، لمكانته من الحضارة ، ولأنه حركة هامة من حركات الروح وجهد ممتاز من جهودها . وهو يتطلب الدراسة والبحث من ناحيتين : ناحية الفنان ، وناحية الانتاجات الفنية**

الباحث لما يعتورها من نقص التحليل وضعف التخريج والاستنباط

وبحث العلاقة بين الفن والفلسفة يعني الفيلسوف أكثر مما يعني الفنان، لانه داخل في دائرة اختصاصه . فان كل نظام فلسفي مطالب بتفسير كل حقيقة وأن يتسع لكل مظهر من مظاهر النشاط العقلي . ولعل هذا هو السبب في ان كثيراً من الفلاسفة قد أفسحوا للفن مكانا في فلسفتهم وخصوه بعناية ملحوظة في مباحثهم . وقد جعل ممثلو نهضة الفكر الالماني في أوائل القرن التاسع عشر كل من يطرق هذه المباحث مدينا لهم، وضيفاً على موائدهم الحافلة،ولا سيما كانت وهجل وشوبنهاور . واشتهر في العصر الحديث مذهب كروتشه ابعد فلاسفة ايطاليا المعاصرين شهرة ، وقد أثر مذهبه في الحياة الفكرية برغم ما وجه اليه من نقد

والفيلسوف يثير السؤال ويصف المشكل ، ويروقه ان يتعاون مع الفنان في استجلاء غوامض الفن والاهتداء الى أسراره . ومن الاعتبارات التي تجنح بالفيلسوف الى الوقوف على تاريخ الفن أنه في كل عصر من العصور ينعكس التصور السائد للحياة والدنيا في الانتاجات الفنية . فالفن اذاً من بعض الوجوه تعبير جميل عن فلسفة العصر

ولقد كان بعض الفلاسفة الالمان يرى أن الاستمتاع بالفن رياضة نفسية هامة . وأنه من أقوى وسائل التهذيب ، ومن أحسن الذرائع الى التوجيه العلمي والسمو الاخلاقي . وذلك لان تأمل الجمال يطامن من علواء الحس ، ويجرده من الخشونة والجفوة ، ويعلمنا كيف نرقب الاشياء رقابة تأملية هادئة دون ان تغتلي بنفوسنا حرار الرغبات . وهذا يطلق النفس من أسر المطالب واللبانات ويجعلها قابلة لادراك القيم السامية قيم الحق والخير

وكل متحضر مثقف لا يكتفي بمشاهدة الحقائق . سواء في العالم المادي المنظور أو في عالم الوعي المحجب . ووفقاً لذلك نشأت من ناحية العلوم الطبيعية . ومن ناحية أخرى نشأت مذاهب الاخلاق والسلوك والآراء الدينية ونظريات الفن والجمال . والباعث اليها جميعها تلك الضرورة الملحة التي ترغمنا على تفهم الحوادث ودراسة حركات الوعي . وقد تروع الباحث كثرة مذاهب الفلاسفة في الفن والجمال ، ويرى في عدم انتهائها الى نتيجة حاسمة دليلا على قلة جدواها . ولكنه يندر أن يستعرض مفكر تلك الفلسفات ولا يقدر مابها من خواطر مضيئة ، وأفكار لامعة . وقد لايخلو من صواب قول ولترباتر: « قيمة فلسفة الفنون كانت في الغالب في الافكار الموحية النافذة التي وردت خلالها عرضاً » وليست فلسفة الفن سياحة جميلة في أقطار مطروقة وبلاد مأهولة ، وانما هي أشبه برحلة استكشاف يرود فيها الباحثون مجاهل خفية وأقاليم غير معروفة . والتفكير الفلسفي لا يرمي من وراء ذلك الى تحسين الفن وخلق مقاييس له واقامة حواجز تحد من حريته . وانما غرضه اجادة التفكير في الانتاجات الفنية ، والوقوف على سر الاعجاب بها والاحساس بجمالها . وربما كانت

هذه المحاولة النزيهة أنفس نتائجه وأشهى ثمراته . والذى يقبل على الفلسفة وفى حسبانه انها ستقدم اليه المفتاح لكل مستغلق من الامور ، وتلقنه كلمة السر التى يعلم بها خبيئة كل مجهول ، لاشك أنه واقع تحت تأثير وهم باذخ سرعان ما تنجلى عنه غشاوته ويستفيق من تأثيره عند مواجهتها ومعالجة مشكلاتها

وقد أصبحت الآن مناطق العلوم بارزة المعالم . والفلسفة تتناول المسائل التى يتركها كل علم . وهذا يضفى على الفلسفة أهمية خاصة وينزلها منزلة سامية ويفرض عليها واجباً خطيراً . وهى تستمد أهميتها من مختلف العلوم وتستورد منها الحقائق المقررة والمعلومات الممحصة لتستعين بها فى ابنيتها الفكرية وتكوين نظرياتها . فهى الى حد ما تعيش عالة على العلوم وان كانت لها وظيفتها الشاقة المستقلة . وتاريخها أبعد اغراقا فى القدم من تاريخ العلوم وان لم يكن أقدم من تاريخ الفنون

واتجاه الفلسفة الى معالجة المسائل الخاصة بطبيعة الجمال والفن كان باعثه فى بعض الاوقات ارتباطها بمسائل ما وراء الطبيعة . وفى أوقات أخرى ما كان يلاحظ من تأثير الذوق الفنى فى حياة الفرد وتقدم الحضارة . وقد كثر الالتفات اليها منذ منتصف القرن الثامن عشر . وذلك ان بومجارتن ــ أحد تلامذة الفيلسوف كريستان ولف ــ لحظ وجود ثغرة فى نظام العلوم السائدة ، فقد كانت جميع العلوم النظرية يتقدمها بحث ضاف عن استعمال العقل فى ضروب المعرفة العلمية وكان يطلق على هذا البحث اسم المنطق . ولكن الى جانب هذه المعرفة السامية القائمة على الفهم والنظر فان للانسان ملكة أقل شأناً وانزل منزلا وهى الادراك الحسى . وهذه الملكة هى التى تجتلب الحقائق اللازمة لفرع آخر من فروع العلوم وهى العلوم التى قوامها التجربة . فمن الواجب اذاً محافظة على الانسجام والتنسيق الفلسفى أن يسبق البحث فى هذه العلوم التجريبية فحص محكم دقيق لهذه الملكة . وحاول بومجارتن ان يتعهد هذا العلم ويكفله وينشئه أخاً صغيراً للمنطق . وقد استرشد فى ذلك بآراء الفيلسوف ليبنتز لانه كان يرى أن الجمال هو كمال التصوير الحسى كما ان الحق هو كمال التفكير النظرى . على ان هذا العلم الذى حاطه بومجارتن بعنايته لم يقتصر على مسألة الادراك الحسى بل أصبح شاملا لنظرية الجمال والاستمتاع به . ومن ثم اكتسبت كلمة aesthetics المعنى الذى يلابسها الآن فى الفلسفة

وأهم ما يشغل الفلاسفه ويستغرق أكثر جهدهم فى المسائل المتعلقة بالفنون هو البحث عن حقيقة الجمال سواء فى الفن أو الطبيعة والاهتداء الى تعريف له ، والبحث عن الصلة بين الجمال الذى يطالعنا عند مشاهدة صورة جميلة أو رؤية بناء أنيق البنيان أو منظر طبيعى فاتن ، والجمال الذى ندركه عند سماعنا منظومة من الشعر الجيد أو قطعة من الموسيقى الشجية . وهل هناك شىء واحد يبدو من وراء الالوان والخطوط والالفاظ والاصوات ؟ وهل الجمال كامن فى الاشياء أو أنه متوقف

على شعورنا ازاءها ؟ وليس غرض الفلسفة تمييز معالم الجمال وتعيين مواقعه ، وانما غرضها اشمل من ذلك وهو تحليل صفة الجمال ذاته ما استطاعت الى ذلك سبيلا . ويرى البعض ان الجمال غير قابل للتحليل وأنه صفة ملازمة للاشياء الجميلة لا يسبر عمقها ولا يدرك مداها . والذى يجعل قيمة لمثل هذا الرأى هو أن بعض الحقائق العلمية أو التاريخية قد تكون من التعقيد والغموض بحيث تتشعب فيها الآراء ويطول حولها الجدل. وعند ما تتوافر المعلومات تتقارب وجهات النظر ويبطل الخلاف. ولكننا نحار كيف نثبت لانسان جمال الزهرة ونقنعه بروعة النجوم . وبرغم ذلك فاننا نعتقد أنه لا بد أن يكون هناك فيصل بين الحق والباطل فى هذه المسائل . والفلسفة لا تكتفى بارجاع الامر الى الذوق وانما تحاول ان تعلل وتفسر

وهناك عوامل مختلفة تتدخل فى تقديرنا للجمال وتأثرنا به مثل الألفة . وصورة العذراء تحمل طفلها قد لا يكون تأثيرها فى نفس البوذى معادلا لتأثيرها فى نفس المسيحى . وبعض الصور القديمة تستهوى فريقاً من الناس لقدم موضوعها وتصرم عهدها . وقد يتباين تقدير سكان الشمال حيث يكثر الغيم والضباب لتوزيع الضوء فى صورة من الصور، عن تقدير سكان المناطق الحارة حيث الضوء شديد السطوع والشمس جلواء الطلعة . وقد نفهم مغزى الشعر فى لغة غير لغتنا ولكنه لا يؤثر فى نفوسنا التأثير البالغ الذى يحدثه الشعر باللغة التى تلقيناها منذ نعومة الاظفار ، حيث يكون لكل لفظة سحر خاص يلازمها وذكريات تزدحم حولها . ويتفاوت احساس ساكنى المدن وساكنى القرى بالجمال كما يختلف تقدير الشيخ والشاب والعالم والجاهل . ولتداعى الافكار تأثير ملحوظ فى تقدير الجمال . لاننا مثلا فى العصور الحديثة نستريح إلى رؤية الجبال الشاهقة والاراضى الجرداء المنبسطة لانها تنسينا أثقال الحياة الراهنة ومتاعب العمل المرهق فى المدن . ولكن شعور اسلافنا نحوها كان يختلف عن ذلك . فقد كانت توحى اليهم الخوف والرهبة لتعرضهم فيها لضوارى الوحوش وفتاك اللصوص ومعاناة آلام السغب والظمأ . وكما تختلف الاشخاص والامم فى تقدير الجمال كذلك تختلف العصور المتتابعة والحضارات المنوعة

والبحث عن الجميل يستدعى بحث علاقته بالحق والخير . والفلسفة الحديثة تعتبر الجمال والحق والخير أسمى القيم . وهذا بطبيعة الحال يؤدى إلى بحث الدور الذى تلعبه فى الحياة هذه القيم الثلاث، وهل هى صفات فذة لا نستطيع جلاء غامضها ومعرفة مصدرها أو هى صفات لها نشأتها وتاريخها ؟ وهل هى موجودة بقدرة خالق الكون الذى تحدثنا عنه الاديان المختلفة أو هى كما تقول الفلسفة الطبيعية من انتاجات الطبيعة فى تطوراتها المتلاحقة ؟

وعلم النفس ولو انه استقل الآن عن الفلسفة ما يزال وثيق العلاقة بها . وبعض المسائل التى يتناولها لا تزال شغل الفلاسفة الشاغل . ومن بين هذه المسائل كيفية انجاز الخلق الفنى واخراجه إلى

عالم الموجودات ، ووصف الحالة التي تطرأ على الفنان اثناء الخلق والابداع . وهل ترتسم في عقله صورة واضحة تامة لما يحاول خلقه سواء اكان صورة أم قصيدة ؟ وهل هو يستسلم وينقاد للانفعال الذي يستحدثه الموضوع الذي يصوره أو الحادثة التي يرويها في الشعر أو النثر أو المنظر الطبيعي الذي يراه ؟ وما هو نصيب الفكر ونصيب الاحساس في ذلك ؟ وما هو الالهام ؟ وهل هناك اوبقات يمتنع فيها عمل العاطفة ويتجه فيها التفات الفنان إلى تكميل التعبير وصقله على ضوء تجاربه المكتسبة ومعلوماته المدخرة وما أفادته طرف الفن وخوالد آياته ؟ وما هو نوع الخيالات التي تبرق في ذهنه خلال اقباله على عمله ؟ وهل هي مشابهة للصور التي تبتعثها الذاكرة أو هل لها قوة المدركات بالحواس أو هي اشبه باحلام اليقظة ؟ وهل يحس نفسه منفصلا عن الصورة التي يرسمها أويظن نفسه قدغاب في أثنائها وامتزج كيانه بكيانها ؟ والفنان في نوبة اهتياجه وأزمة حماسته تتقاذفه دوافع مختلفة بعضها مشعور به وبعضها لا يتعلق به الوعي . وهذه الدوافع يعمل على استكشافها علم النفس التحليلي ويبدو طرف منها في الاحلام . وعلاقة الفن بالاحلام والاساطير اصبحت الآن من المسائل البارزة في علم النفس الحديث

وموجز القول ان الفن يسترعي نظر الفلاسفة ويرغمهم على تقديره لمكانته من الحضارة ولانه حركة هامة من حركات الروح وجهد ممتاز من جهودها . وهو يتطلب الدراسة والبحث من ناحيتين: ناحية الفنان والعوامل المختلفة التي تعمل في نفسه . وذلك لتقدير الدوافع والافكار المسيطرة عليه والتي توحي اليه . وفي هذه الدراسة تعتمد الفلسفة على علم النفس . وناحية بحث الانتاجات الفنية ذاتها وهي دراسة تتصل بالتاريخ والاجتماع . وفي كلتا الناحيتين تعنى الفلسفة بالوقوف على مايسطره نقاد الفن وما يكتبه الفنانون عن عملهم . وفلسفة الفن يلتقي فيها تفكير الفيلسوف بمعلومات الناقد الفني وتجربة الفنان ولكل منهم مزايا يندر أن تجتمع في شخص واحد كما اجتمعت في الفيلسوف الفنان افلاطون . ومهما تكن قيمة هذه الدراسة فهي لا ريب تقيل من عثرات الذوق وتقلل من فوضاه وتكشف لنا عن بعض اسرار الجمال وتزيدنا عمقا في الفهم وقدرة على التقدير . وهي لا توجد الا حيث تزهر الحضارة ويسمو الفكر *

علي ادهم

* اهم المصادر التي رجعت اليها عند كتابة هذا المقال هي كتب كارت وصموبل اسكندر وونديلباند وستيس وغيرهم

الجمال في الموسيقى

أين سره، وأين مبعثه

بقلم الدكتور محمود احمد الحفنى

مفتش الموسيقى بوزارة المعارف

الجمال فى الفن الموسيقى معناه الشعور بالموسيقى والاحساس بها ، وهو جزء من الجمال العام ، ويعنى فلسفة الفن ، ويبحث فيه من حيث قوة تأثيره فى النفس ، ومحاولة تقصى الجمال الموسيقى وموضع اللذاذة بالسماع . وموقع ذلك من قوانين اللحن والايقاع ، وسر إيقاظ الموسيقى لقوى النفس ، وتحريكها للشعور الانسانى والتأثير فيه بتربية الذوق السليم ، والهداية إلى الفضيلة

من هذا يتضح ان الجمال فى الفن الموسيقى ليس مصدره قواعدها الموضوعة وأصولها من العلوم النظرية وعلم صياغة الالحان والانسجام الصوتى ، ولا هو علم الصوت وفسيولوجية حاسة السمع ، ولا غير ذلك مما له اتصال بالموسيقى العملية . انما الجمال فى الموسيقى ، كما فى بقية الفنون الجميلة ، موطنه النفس ، وقراره الروح وأداته التجارب المتصلة بهذه الناحية

وبدهى ، بعد الذى تقدم ، ان دراسة الجمال فى الموسيقى لا تتأتى الا لمن نضجت ثقافته الفنية ، وتمت له دراسة الموسيقى علمياً وعملياً

* * *

وللفلسفة مذهبان مختلفان فى الجمال فى الموسيقى : مذهب الشكل ومذهب المعنى

فالاول يعود بالجمال فى الموسيقى الى « الشكل » ، ويقول ان أساس هذا الجمال راجع الى تنسيق التراكيب المؤلفة منها . وما التأثير الذى تبلغه الموسيقى من المشاعر الا أثر من آثار حبك هذا التنسيق وقوة انسجامه ، كالبناء الجميل أو الوجه الحسن ، تسر العين رؤيته وتسحر النفس بهجته . فالتناسق ، فى رأى هذا المذهب ، هو أساس الجمال

أما المذهب الثانى (مذهب المعنى) فهو على النقيض من هذا المذهب الأول ، اذ لا يعترف بأن التراكيب الموسيقية هى سر الجمال فى الموسيقى ، ولا هي منشأ التأثير الذى تبعثه فى النفوس. وما هذه التراكيب وتنسيقها الا وعاء يكمن فيه الجمال

ومن رأى هذا المذهب ان الموسيقى لغة ، لا كبقية اللغات تؤدى الالفاظ والتراكيب

معانيها ، انما الموسيقى لغة مستقلة لا حجاب بينها وبين النفس ، تتصل بها بدون أداة ولا واسطة

ويتهم أنصار هذا المذهب أهل المذهب الأول بأنهم يعنون بالقشور دون اللباب ، ويقولون اذا كان الجمال فى الموسيقى مصدره التناسق فى التراكيب وحسن السبك ، فلماذا اذاً تمتاز موسيقى عبقرى كبيتهوفن أو موزار عن موسيقى غيرهما ممن يفوقهما فى حبك التراكيب وتنسيقها ؟

وآية أخرى لأصحاب هذا المذهب يدعمون بها رأيهم ، تلك هى التاريخ الموسيقى ذاته ، إذ يقولون انه ما من عصر بلغت فيه الموسيقى أوجها إلا كان اهتمام اهل هذا الزمان « بالمعنى » اكبر من اهتمامهم « بالتراكيب » . وهذه حقيقة ينطق بها التاريخ فى جميع مراحله . فهناك اليونان الأقدمون عرفوا ما يسمونه « إيتوس Ethos » وهو أن للموسيقى قوة تعبيرية كامنة تؤثر فى قوى النفس وطبائع الانسان تأثيراً شديداً ، ومن أجل ذلك نصحوا بلزومها فى تربية النشء وتهذيبهم . وبناء الدولة وقيام أركانها . وممن حمل علم هذا الرأى أفلاطون وأرسطو . وعصر ذهبي آخر فى التاريخ الموسيقى الحديث يستشهدون به على صدق فلسفتهم ، ذلك هو القرن السابع عشر والثامن عشر ، فقد تجلت فيهما موسيقى الاعلام باخ وهندل وموزار وبيتهوفن ، وهو العصر المسمى بعصر الكلاسيك

أما المذهب الأول ، القائل بتناسق الشكل وحسن التراكيب ، فقد بلغ شأوه فى القرن التاسع عشر ، وكان من أهم أنصاره « هومل Hummel » و« شرنى Czerny » و «هرتز Herz » وقد كان « التركيب الموسيقى » أظهر ما فى الموسيقى فى ذلك العصر ، حتى قال ادورد هانزلك Edward Hanslik » النمسوى ، وهو أشد أنصار هذا المذهب ، قولته المأثورة : «جمال الموسيقى فى التراكيب التى نحس لها نغماً »

وقد أفل نجم هذا المذهب وانتصر العصر الحديث للمذهب الثانى « مذهب المعنى »

ولقد خرج عصرنا الحاضر من المذهبين بمذهب جديد ، هو مزاج من المذهبين معاً ، وجعلهما مذهباً ثالثا ، ومؤداه ان الجمال فى الموسيقى مبعثه التوازن بين القوتين : « قوة التركيب » و « قوة المعنى » . وهذا المذهب الجديد طريقه علم الجمال النفسى « الجمال البسيكولوجى » ويبحث فى ماهية النفس البشرية وما يتصل بها من التفكير والشعور والارادة

وان عملية سماع الانسان للموسيقى ، وان كانت عملية « طبيعية » بحتة ، يقوم بها الجهاز السمعى إلا أنها مرتبطة ارتباطا مباشراً بعملية أخرى « نفسية » . وهذه العملية الاخيرة هى التى تخص الجمال فى الموسيقى . وأما العملية الاولى فهي تابعة وخادم لها فحسب

ولقد تقدم علم النفس المنطقي فى الخمسين سنة الاخيرة تقدماً عظيما كان من أثره تقدم البحث

الخاص بالجمال فى الموسيقي . وكان من نتائج هذه البحوث اثبات ان جمال التراكيب وحسن الشكل ليست إلا عناصر جيدة من العناصر الواجب توافرها للجمال فى الموسيقى

وبهذا يمكن أن نستخلص فى كلمة ختامية أن « العملية النفسية » فى سماع الموسيقى هى بعينها « لذة السماع » وهي « الجمال فى الموسيقي » وانها ترتكز على « عملية طبيعية » تقوم بها حاسة السمع وتتصل بها العملية النفسية اتصالا وثيقا . وهاتان العمليتان وحدهما العلم الحديث لجعلهما أساسا لما يسمونه « بسيكو فيزيك »

دكتور محمود احمد الحفنى

آلهة الجمال

تخيل القدماء لكثير من قوى الطبيعة ومثلها العليا آلهة . فكان عندهم إله للحرب ، واله للفنون ، واله للخير واله للشر ، وهلم جراً . وقد اتخذوا آلهة للجمال سموها باسماء مختلفة . فعند اليونان إلاهة الجمال تدعى « افروديت » وهى ابنة رب الارباب « زيوس » من زوجته الاولى التى كانت أول إلاهة جلست على عرش السماء

وإلاهة الجمال عند الفينيقيين هى « عشتروت »

وتسمى إلاهة الجمال عند البابليين « استر » . وهى زوجة الملك ميروداخ وكانت اجمل نساء زمانها فعبدها البابليون على اعتبار أنها الاهة الجمال والحب وزعموا أن النهار يضحك فى وجهها . والليل يرخى ستاره على شعرها

أما الرومان فالاهة الجمال عندهم « فينوس » وقد زعموا أنهم متسلسلون منها لان جدهم « انييس » هو ابن فينوس من زوجها « انشيسيس » أحد أبطال حرب طروادة

أما عند المصريين فاله الجمال « اوزيريس » والاهة الجمال زوجته «ايزيس» . وهى تمثل الانوثة الصالحة الفاضلة . وتروى الاسطورة القديمة أن «ست» اله الظلام اغتال « اوزيريس » ورمى جثته عند شاطىء البحر . فبحثت ايزيس عنه حتى وجدته ملقى بالقرب من « بيبلوس » فوضعته فى تابوت . فاخرجه ست من التابوت وقطعه أربع عشرة قطعة . ونثرها فى أنحاء مصر . فصارت ايزيس كلما عثرت على قطعة دفنتها وأقامت فوقها معبداً

التعبير الفني

بين قدرة الفن وإبداع الفنان

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

قضيت طوال ليلة أمس أتأمل مجموعة من روائع صور عصر النهضة، وأفاضل وأوازن بينها وبين مجموعة أخرى من بدائع الفن الحديث

وليس من شأنى أن أتحدث الى القارىء عن الفوارق الفنية التى تفصل بين تصوير وتصوير وتميز بين مدرسة ومدرسة. فهذا من شأن مصور خبير أو ناقد إخصائى أعلم بأسرار هـذا الفن منى

لقد اكتفيت بالاحساس والاعجاب، واسترشدت بقسطى من الثقافة فى فهم ما أتأمل، ورحت أفكر فى الفن عامة من حيث هو جوهر مشترك انسانى. واليك بعض ما توارد على ذهنى من خواطر:

* * *

ما الفن إلا قوة التعبير عما يكمن خلف المرئيات من جمال أبدى وحقائق خالدة

ما الفن إلا قوة التعبير عن ضمير المادة وروح الاشكال وسر التقاسيم والأوضاع

ولكى يستطيع الفنان أن يذهب فى هذا التعبير الى حده الاكمل، يجب أن يحذق دراسة نفسه أولا، وملاحظة العالم الظاهرى ثانيا، والاندماج فيما وراء هذا العالم الظاهرى ثالثاً

يجب أن يعرف كيف يكتشف شخصيتـه ويستجلى بواطنها ويرقب انفعالاتها وميولها ويحس مافيها من فتنة الغرابة والاستقلال أوفى شعور وأبلغه

ثم يجب أن تكون نفسه من الخصوبة والرحابة بحيث تتضع وتتضاءل وتشعر بنفوس الناس جميعاً وألوان وأشكال الكون جميعاً، كى تحبها وتفهمها وتحاول التعبير عنها جميعاً

* * *

الفن هو خلاص النفس البشرية من لعنة الارض!

هو صرخة الفرح الانسانى منتصراً على الألم والقبح!

هو الفرار من سجن «المحدود» الى فسحات غير المحدود!

هو تحقيق ذلك المثل الأعلى من الجمال والصفاء والسعادة الذى لا ينفك يلازم كل فرد منا ويقض مضجعه وينزع به الى حياة علوية مليئة لا تسمح بها الحياة العادية إلا نادراً!

فالفنان يخلق العمل الفنى فى ينفس عن صدره وينقذ شخصيته ويفر من متاعب هذه الدنيا ويضيف الى عالمنا الناقص عالماً أ كمل منه وأجمل !

الفنان يخلق العمل الفنى ليطلق خصائصه النفسية من عقالها ويفكها من إسار الاوضاع والتقاليد الاجتماعية ويتجه بها نحو الحرية فى فهم الحياة والنظر اليها والاحساس بها كما هيأتها الطبيعة فى ظلمات الغريزة وأعماق الفطرة

وليس الغرض من الجمال وإبداعه هو الحرية فقط بل الكمال أيضاً ، الكمال الروحانى عن طريق الحرية . تحقيق ذلك المثل الاعلى من الصفاء والسعادة عن طريق الحرية . ذلك المثل الاعلى الذى ينشده الفن كما ينشده الدين . ويلتقى فى محرابه الخالد الفنان بالقديس !

* * *

الفنان رجل محكوم بغريزته وخياله وإلهامه أى بعواطفه المضطربة المستبدة الطاغية

هذه العواطف هى التى تقوده وتسيره وهو يبدع العمل الفنى . بل هى نفسها التى يرغب فى تسجيلها فى العمل الفنى . ولكن العمل الفنى ذاته لا ينهض إلا على كبح هذه العواطف والتضييق عليها وحصرها فى إطار معين وتخير الصالح القوى المعبر منها وتنظيمه وترتيبه وصقله

وهذا هو عمل الارادة أى عمل العقل . فالفنان الصحيح هو الذى يسيطر بعقله على عواطفه كما يسيطر الفرد الممتاز بعقله على شهواته وغرائزه . أو كما تسيطر القوى الخالقة العليا على مختلف عناصر الطبيعة

ولذلك شبهوا الفنان العظيم بها وسموه خالقاً !

ويجب ان نلاحظ ان ليس الغرض المباشر من الفن هو تصوير العاطفة . اذ القيام بهذا الجهد فى الواقع ضرب من المحال . وما من انسان ، كائنة ما كانت عبقريته ، يستطيع رسم عاطفة من العواطف كما أحس بها وكما اختلجت فى صميم نفسه

واذن فغرض الفن هو تصوير العاطفة راضها العقل وأخضعها وأسبغ عليها حلة رائعة من جمال التناسب والنظام

وهذا هو السر فى ان جميع الأعمال الفنية الجديرة بهذا الاسم توحى الينا وتغرينا بفضيلتين عظيمتين هما :

« الشعور بالقدرة البشرية » و « الاحساس العميق بالصفاء والسلام » أى الشعور بالقدرة البشرية على اخضاع الجزء العاطفى المشوش المضطرب فينا ، توصلا إلى إقرار الصفاء والسلام والنظام فى نفوسنا

وقدما كان أرسطو يقول : « إن فن التراجيديا وهو يصور عواطفنا وميولنا تصويراً يسوده

عقل الفنان المنظم ، يتغلب على تلك العواطف والميول ، وبالتالى يعلمنا نحن أيضاً كيف نتغلب عليها فى حياتنا الخاصة ونتحرر منها ! »

* * *

ان فن الموسيقى نفسه ـ وأقصد هنا الموسيقى الغربية ـ لا يثير فى قلوبنا شتى الأهواء والعواطف ولا يحاول التعبير عن هذه العواطف فى عصفها وزئيرها وفوضاها إلا وهو يخضعها لقانون المزج والتوقيع والتساوق والانسجام اخضاعا رياضياً محضاً أساسه الارادة والعقل

وما فن النحت ؟

هو فن الجمود الرائع . فن التجرد من سلطان الزمن وسلطان الحركة . ولكن هذا الجمود المشاهد فى التماثيل الخالدة هو أرقى وأسمى من الحركة

لماذا ؟

لأنه مجموعة من الحركات أى من العواطف والميول الجائشة المصطخبة . عرف الفنان كيف يكبحها بارادته وعقله ويسودها ويخضعها ويضمها جميعاً فى وضع أبدى واحد ، فى تمثال واحد يشعرك عند ما تتأمله انه متأهب للقيام بأوضاع مختلفة وان فيه عواطف وأهواء وتعبيرات مختلفة ، وان الحركة مضطرمة بين تقاسيمه وان لاح للناظر العادى كتلة هامدة من الاحجار !

فالفن إذاً هو القدرة على السيادة . السيادة على النفس وعلى الطبيعة

ولذلك يعتبر الفنان العظيم أقوى الناس أعصاباً وأشدهم صبراً وأمضاهم عزيمة وأصلبهم إرادة بل يعتبر ـ كما يقول نيتشه ـ المخلوق الوحيد الذى يمثل فضائل العنصر الارستقراطى الصحيح أتم تمثيل وأبلغه !

ابراهيم المصرى

---

* اللهم ضع الجمال فى نفسى

* جمال بلا فضيلة كزهرة بلا رائحة

« سقراط »

مولد الممثل

أسطورة خيالية

بقلم الاستاذ خليل تقي الدين

حدث ذلك منذ آلاف السنين ، إذ كان أبناء الفن يعدون العدة للظهور في الناس

فالمصور خال إلى ألوانه ولوحاته ، و بين أنامله ريشة عذراء ، وفي رأسه صورة لم تولد بعد ولكنها اكتملت في خياله على أتم ما يكون

والنحات يشحذ أزميله ومنقاشه ، وتحت قدميه حجر أعمل فيه زنده ليخرجه فى الغد فتنة للناظرين

والشاعر مستسلم الى أحلامه ، يتغنى بنشيد علوى ، و يترنم بقصيدة غير منظومة سرت فيها نفحة الإلهام

والموسيقى يشد أوتار قيثارته وقد ضمها إلى صدره كما يضم العاشق رأس حبيبته المعبودة

والكاتب يداعب أقلامه وأوراقه ، وقد اختمرت في رأسه الفكرة ، حتى إذا القاها على الناس ذهبت فيهم مذهب الأمثال

وكان لهؤلاء الملهمين إله يهيمن عليهم و يبعث اليهم بشياطين الوحي تملي عليهم ما تشاء من بدائع الفن الخالدات

إله جبار ، يرسلهم فى الناس قادة ومبشرين ، فاذا خانوا رسالته أطفأهم كما تطفىء لفحة الريح المصباح المنير

وفي يوم مشرق من أيام الربيع سمع من جانب السماء صوت هائل ، أين منه قصف الرعود ، واسودّ وجه الأرض ، وأظلمت الدنيا كأنما الشمس غارت في البحر أو أطفىء شعاعها بنفخة مارد من مردة الجن ، وتجمدت الأنهار والجداول والينابيع ، واستبدلت من خريرها العذب سكوناً موحشاً كسكون القبور ، وهبت على الأرض ريح صرصر تقتلع

الأشجار، وتدك الجبال ، وتهوى بالمنازل الشامخة ، وخرست الطيور الصداحة ، وخرجت الضوارى من مكامنها ولها زئير ترتج له الأرض ارتجاجاً ، فشعر العباقرة أن الاله غضبان ، وتنادوا : إلى عبقر ، مهد الملهمين

فحمل المصور ريشته وألوانه ولوحاته

ونفض النحات يده من تراب الحجر المنحوت

وأجفل الشاعر وخلى عنه أحلامه وخيالاته

وتأبط الموسيقى قيثارته المشدودة

وجمع الكاتب أقلامه وأوراقه

وطار أبناء الفن جميعاً إلى حيث يلاقون إلههم الغاضب . وتساءلوا : أي ذنب جنوه ؟ . وظلوا حيارى لا يعرفون !

قال المصور : طفت في الحقول والرياض ، فأخذت من الورد ، والخزامى ، والنرجس ، والياسمين ، والاقحوان ، والشقيق والفل الوانها ، ورفرفت فوق الافق فنزعت عنه ثوب الشفق الأحمر ، وصعدت الى السماء فاعارتنى زرقتها المتماوجة ، وأخرجت من ذلك كله صورة للاله لم يحلم بها الاولون ولا الآخرون ؟ . . فلماذا غضب الاله ؟

وقال النحات : أما أنا فقد شرعت في إقامة تمثال لالهنا لو رامته نسور السماء لارتدت عنه لاهثة خائرة ، تمثال جبار لإله جبار ، اليس في ذلك مايرضيه ، فكيف يغضب ياترى ؟

وأغمض الشاعر عينيه وقال ـ كأنه يتمتم فى حلم : وأنا أيضاً قد وفيت حق الاله من التكريم ، فقد جاءنى شيطانى الليلة وانا أحسن ما أكون استعداداً له ، فراح يملى وانا اكتب ، وظل يزقنى الشعر كما يزق الطير فراخه ، حتى أتممت قصيدة ستتناقلها الاجيال جيلًا بعد جيل ، لكلماتها في الاذن وقع حلو عذب كترجيع الهزار ، ورنين كرنين الناي والعود ، ترى أيغضب الاله منى وانا قطعة من قلبه وخيالى ذرة من خياله ؟

وقال الموسيقى : أأنا مغضب الإله إذن ؟ بالأمس اسمعتنى أذنى الحساسة احلى اناشيد الطبيعة فوعيت هديل الحمام وتغريد العنادل ، وزقزقة الحسون ، وحفيف الشجر ، وخرير الجداول ، واطلعت منها لحنا خالداً خلود هذه الصوادح ، وقدمته هدية حقيرة للاله الجبار

لكن الكاتب قال : ليس الاله غاضباً غير انه سيتحف الارض بخالد جديد ،

يخرجه من احشائه . وما قصف الرعود ، واسوداد الدنيا ، وهبوب العاصفة،سوى مظهر من مظاهرولادته ، فنحن الخالدين لا نولد كما يولد جميع الناس ، بل تشعر بعظمتنا الدنيا من يوم يقذف الله بنا إلى الارض فيمتاز مولدنا بثورة من ثورات الطبيعة

وفي إيماضة ، اشرقت الشمس وعادت الطيور إلى تغريدها ، واستأنفت الجداول والانهار والينابيع جريها ، ولامست الارض غنيمة كبيرة بيضاء هبط فيها إله العباقرة حاملاً بين يديه مولوداً جديداً من مواليد الفن

وكما يسمع النائم في الحلم ، سمع الملهمون إلهم يقول :

— لقد خلقت لكم رفيقاً جديداً وحملته رسالة إلى الناس . واقمت له منبرا في الارض لا تتحطم خشباته ، وجعلت الدمعة في عينيه طائعة يستطيع ان يذرفها ساعة يشاء، وهو كلما ذرفها ابكى الناس

لقد اعطيته صوت الخطيب وطلاقة لسانه ، ومنحته القدرة على ان يجمع في شخصه جميع الناس فى شتى حالاتهم . فهو من على منبره يريهم من نفسه غير ما فيها ـ يريهم اللؤم والخسة وهو كبير النفس نبيل ، ويريهم الجبن وهو جرىء

يجسم لهم نقائصهم ونواحي الضعف فيهم فيصفقون ، ويسخر منهم فيضحكهم ، وقد يكون حين يضحك اشقى خلق الله ـ يتلاعب بعواطفهم كما يتلاعب الاطفال بالدمى

إذا روى لهم قصص الحياة فانما يروى قصتهم

ويدخل إلى منازلهم ، إلى قصور الاغنياء ، واكواخ الفقراء ، ومنازل السادة ، ومهود العبيد ، فيستل منهم اسرارها ويكشف لهم عن خباياها

وينفذ إلى قرارة نفوسهم فيريهم نزعاتها ، وكم للنفس البشرية من اهواء ؟

لقد خلقته وجعلتكم جميعاً عوناً له ، ووكلت إلى المصور ، والنحات ، والشاعر ، والموسيقى ، والكاتب امر تغذيته ـ عند ذلك صاح الملهمون جميعاً :

— وما اسم هذا المولود العجيب ؟

فأجاب الاله الجبار : لقد دعوته الممثل

في ذلك اليوم ولد الممثلون ، ومنذ ذلك اليوم عُدّوا في الخالدين

خليل تقي الدين

الطب فن جميل

بقلم الدكتور

محمد زكى شافعى

يرادف كلمة العلم كلمة المعرفة واليقين وإدراك الشيء بحقيقته والخبرة ، وهذه كلها تشمل كل أنواع العرفان ، ولكن بعض رجال العلوم اصطلحوا على أن يكون للعلم تعريف خاص يفرق بينه وبين أنواع المعرفة المختلفة . غير أنه لم يوجد للآن التعريف المحكم الذى يحدد ماهية العلم . وعلى كل حال يكفى لموضوع هذا المقال ان نعرف العلم بأنه المعرفة المنظمة للظواهر الطبيعية وللعلاقات بينها وبين بعضها فهو والحالة هذه يشمل كل الطبيعيات

وأما الفن فلا يقصد به ما يذهب اليه الجمهور من أنه لا يشمل إلا ما أطلق عليه رجال الثقافة « الفن الجميل » فقط كالتصوير والتمثيل والموسيقى وما اليها ، وانما يراد به ما هو أعم مما يدخل السرور على النفس ويبعث الانشراح فى الصدور ، لان الفن هو الحذق فى أى عمل كان

ان الانسان إذا أراد ان يعمل عملا ما فأول شيء يقوم به هوالتفكير فيما سيعمل،وهذا التفكير مركزه المخ أى العقل، ويلى ذلك إعداد المادة ثم العمل فيها إما بنفسه أو بوساطة غيره ، وإما بآلة أوبغير آلة. هذا مع وجود الارادة للعمل والقدرة عليه . فهذه العناصر مجتمعة أو أى عنصر منها مع الحذق تكون الفن فيرى القارىء من هذا أن الفن عمل من أعمال المخ الابتكارية وفى الوقت نفسه يحتاج لفعل من الافعال الجثمانية أى للحذق . فالفنى (ولا أقول الفنان لان الفنان هو المزين أو الماطل) حينئذ ليس الرجل الخيالي أو المفكر فحسب ، بل هو الرجل الذى يفكر او يتخيل ويبرز فكرته أو خياله الى الوجود . ولهذا يدخل بحق فى زمرة الفنيين الطاهى والبناء والحذاء . فهؤلاء رجال فن أو فنيون مثلهم مثل الشاعر والمصور تماماً

فانا شخصياً أعتبر صناعة طيارة جميلة المنظر أو غير جميلة من الفنون الجميلة ، بل أعتبر أنا وكثير من القراء طهى لون من ألوان الطعام كصحفة ملوخية متقنة فناً قد لا تعلو عليه فنون كثيرة. وإذا كان الحذق فناً فالنشل فن لانه يحتاج لحذق ومهارة غير عاديين وان كان من الفنون المسترذلة

الفن يجب ان يشمل كل ما يحتاج لغيرالاعمال الغريزية الحيوانية أو الذاتية . وان كان ولا بد من تقسيمه فيمكن ان نقسمه الى قسمين : الفن الذى من نتيجته عمل أشياء تؤثر فى أشياء أخرى كالآلات التى تؤثر فى حركات المواد وكل شيء له أثر مادى نافع،والفن الذى من نتيجته التأثير فى الاشخاص

لان تأثيره يقع على العقل والمخ كالتصوير والغناء والموسيقى والشعر والتمثيل ، ومع ذلك فالتصوير يمكن ان يعتبر من النوعين ، فالمصور لابراز فكرته يحتاج الى المادة أى الورق أو القماش والفرجون والالوان ليؤثر فى النفوس فيبهرها أو يرجها وفقا لدرجة حذقه ومهارته ، وهو فى وقت التصوير لا يفكر فقط فى الحصول على هذه الغاية بل يعمل لان تكون اللوحة نافعة مادياً بأن تصلح لأى وضع من الاوضاع ولأى غرفة من الغرف . واللوحات اللازمة لغرف المدارس ليست كالتى تلزم لابهاء الرقص أو لغرف النوم ، كما أن بعض اللوحات يستعملها أصحابها لمداراة عيب فى جدار أولسد طاقة وهذا لا ينقص من قيمة اللوحة بل يرفعها لانها صارت ذات فائدتين لا فائدة واحدة

ولنطبق الآن هذه المبادىء على الطب لنرى ان كان علماً أو فنا

ان العلوم فى مبدئها نشأت على المشاهدات التى وقع حس الانسان عليها . وأول هـذه المشاهدات وقعت بلا شك على الارض والشمس والقمر والنجوم والبحار والرياح . ولذلك كان فلاسفة الاطباء الاقدمون يعلقون مستقبل حياة الانسان بالكواكب والنجوم وحتى سعادته ونحسه ، ثم انتقل الطب الى الشعوذة والسحر وتدريجاً وصل الى ما نراه عليه الآن

فاذا أردنا بالطب التطبيب فقط فهو من غير شك أبداً فى حاجة الى مادة وأيد وآلات ومقدرة وارادة وحذق أو مهارة فهو والحالة هذه فن

ولكن لا يغرب عن ذهن القارىء أنه لوصول الانسان للمقدرة على التطبيب يجب ان يسبق ذلك ارتقاء سلم آخر من العرفان ، وهذا السلم له درجات عديدة بغير ارتقائها لا يمكن الانسان ان يدعى المعرفة بالتطبيب والا كان دجالا . وهذه الدرجات تشمل الطبيعة والكيمياء وعلوم الحياة والبكترلوجيا وغيرها ، وهذه علوم طبيعية تبحث فى مظاهر الطبيعة ولا يمكن فصلها عن التطبيب بأيه حال من الاحوال

ولذلك أعتبر بحق ان الطب علم وفن ، بل فن جميل ، وخصوصاً فرع جراحة التجميل الذى يشمل تصغير الانف والثدى وانتفاخ الوجنتين وتعديل العينين وصبغ النقاط التى على القرنيتين وتصحيح المعوج وهلم جرا

محمد زكى شافعى

---

* الجمال هبة من نعم الطبيعة « افلاطون »
* كثيراً ما يكون الجمال شراً من النبيذ يسكر بنشوته الساقى والحتسى « زمرمان »
* الجمال شفيع يفوق جميع كتب التوصية « ارسطو »
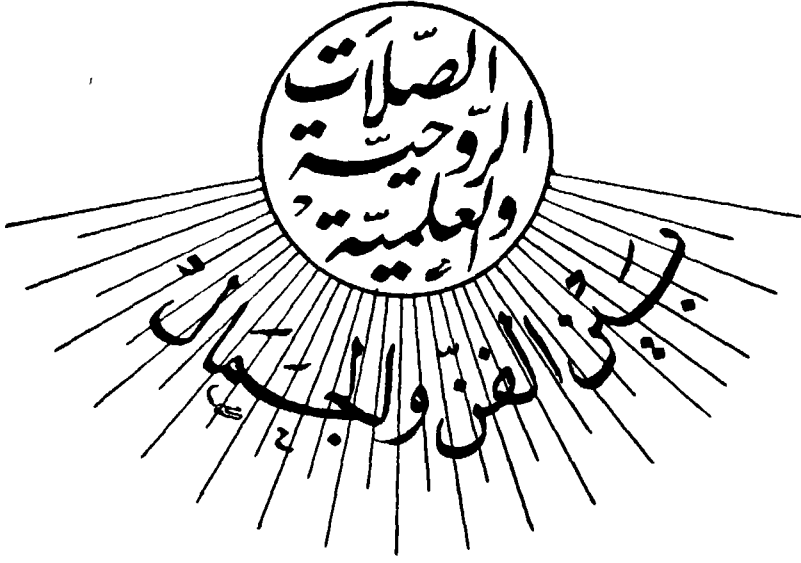
بقلم الدكتور زكي مبارك

ما أشقى الكتاب والشعراء!

تلك كانت كلمتي وأنا أتأهب لانشاء هذا المقال: فقد قضيت اسبوعين أنتظر لحظة تصفو فيها النفس، وتصقل الروح، ويرهف الاحساس، ويطيب الوجدان، وكنت كلما اقتربت من الغرض خطوة نفر الخيال فابتعد خطوات. ولم يرجعني إلى معبد الروح إلا مقال نشره الهلال منذ سبع سنين، وفي مطلع ذلك المقال نقرأ هذه الأشواق:

« إنما أكتب هذه الكلمة عن المسيو بلانشو Blanchot متأثراً برعاية العهد وحفظ الجميل. وكم تروعني هذه الانسانية التي تجمع بين الشتيتين بوشائج المودة وأواصر المعروف، فقد يكون هذا الرجل الذي أكتب عنه لمجلة الهلال قد حسب أن الأيام شغلتني عنه في القاهرة كما أحسبها شغلته عني في باريس، ولكني أشعر بأن بين كرام الناس من روابط الانسانية ما يسمو بالنفس عن نسيان الواجب انقياداً لمطالب العيش، أو طاعة لما ألفت الجماهير من التأثر بما بين الأمم من فروق ». وكاتب ذلك المقال رجل أعرفه بعض الشيء، لأن اسمه زكي مبارك

أما المسيو بلانشو فهو أستاذي وأستاذ كثير من رجال الفنون في باريس، واتصلت مودتي به زمناً طويلا، وقضيت في صحبته سنين كانت أطيب من المسك وأندى من الريحان

والقصة الآتية تمثل جانباً من الصلة الروحية والعلمية بين الفن والجمال

كان للمسيو بلانشو مثل(١) في حي مونبارناس، وكان ذلك الممثل كعبتي في ساعات الفراغ.

---

(١) مكان لصنع التماثيل

واتفق انه كان يصنع تمثال العارية ذات الطفل الجميل ، وكان له نموذج فتان . هو تلك المرأة ذات الجسم الخصيب التي ترون صورتها بجانب هذا المقال ، وكانت تلك المرأة تقف ساعات طويلة وهي عارية ، وكان المسيو بلانشو يمضي في فنه وهو مشغول عن كل شيء ، ولا يكاد يذكر أنه يواجه منظراً ينافي الحياء ، وكنت اجلس فأنظر في كتابي لحظة وفي ذلك الكتاب لحظات . وما نزال كذلك حتى نتعب جميعا فيدعونا المسيو بلانشو الى كأس من الشراب ، وعندئذ تشعر تلك المسكينة أنها كانت عارية ، وأنها في حاجة الى شعار تداري بهجسمها

أترون كيف تفنى الشهوات الرخيصة عند درس الجمال ؟ . أترون كيف تنسى المرأة انها عارية ، وكيف ينسى الفنان تقاليد الأدب والحياء لأنه في حضرة سلطان الفنون ؟

إن للروح والعقل مطالب لا يدركها الاطفال من أشباه الرجال ، أولئك الذين يظنون أن في كل نظرة مآرب دعارة ، وأوطار فسوق ، أولئك الصغار في عالم الفكر والبيان

وبين الشهوة والفن درجات لا يدركها إلا الراسخون في علم الاذواق ، وكأي من رجل تحسبه ماجناً وهو أقرب الى الله من المتنسكين ، وهل خلقت في الدنيا وحدك أيها الجاهل المتحذلق ؟ ان الوجود كتلة من الفن والجمال ، وقد تكون انت في جهلك وحذلقتك نقطة سوداء في خد ذلك الوجود تسمى الخال في كلام الشعراء ، فكيف ترى في تأمل الجمال خلاعة ومجانة وهو لم يخلق عبثاً ، وانما خلق ليكون سر الجاذبية والتماسك بين عناصر الوجود ؟

إن الشمس مضرب المثل في الحسن ، ولكن الشاعر لا يراها أجمل من ظلام الليل

والجاهل كالطفل يرى الشمس أجمل من كل شيء . فاذا أقبل الظلام انحدر الى فراشه يلتمس فيه الامان ، اما الشعراء والفنانون فلهم مواسم في ظلام الليل ، ولا سيما الظلام في الحدائق وعلى شواطىء الانهار والبحار ، وهل عبد المصريون النيل الا في هدآت الليل وهم مأخوذون بما يساور شاطئيه من الرعب والخوف ؟

ان هذا الوجود ليس الا وحدة فنية ، وما فيه من انوار وظلمات ، وحر وقر ، وأمن وخوف ، ونعيم وشقاء ، وصحو وغيم ، وضر ونفع . كل اولئك ملامح وضعها الفنان الاعظم في تلك اللوحة الفنية ،لوحة الوجود . والجهلاء يتأذون من ظواهر كثيرة حين يشعرون بقسوة البرد ، وعنت الفقر وعنف الشقاء ، ولو قد علموا سر الوجود لهللوا وصفقوا حين تثور الزوابع وتعصف الاعاصير ، فان الفن هو أساس الجمال ، ولا يقوم الفن إلا بألوان بعضها تافه وبعضها جميل ، ولو قام الفن على لون واحد لعدم الانسجام وضاع الجمال

كانت للمسيو بلانشو رحلات فنية يصحبه فيها رفاقه من اصحاب الاذواق ، وكانت له محاضرات يلقيها في أبهاء متحف اللوفر ومتحف روردان ، وكنت أصحبه كلما شرق او غرب ، وقد أنسى كل شيء من ذكريات تلك الايام ، ولكني لن انسى ابد الدهر ما صدمني به في

شانتي Chantilly فقد ذهبنا صباح يوم الى ذلك البلد الذى يتمتع بقصر منيف هو اليوم من اكبر المتاحف ، وكان معنا فى تلك الزيارة غادة هيفاء مصقولة الجبين ، فبادلتها الحديث فابتسمت إلى ، وهى تقول : Mon petit doigt me dit que vous n'êtes pas sèrieux

وكانت دعابة شغلتنى بها تلك الهيفاء عن محاضرة ذلك الفنان ، فلم اكد استمع اليه بضع دقائق حتى فكرت فى الخروج من المتحف لاقضى لحظات فى الغابة مع تلك الحسناء

غادرنا المتحف وخرجنا الى الغابة ، بعد ان داعبنا الاسماك التى تلهو وتلعب فى أحواض القصر ، وكان المطر يومئذ يهطل بعنف ، فكان منظر الغابة فتنة تشوق العين والقلب

لهونا لهواً شعرياً فى تلك الغابة الفيحاء ، وأسرعنا فعدنا قبل أن ينتهى المسيو بلانشو من درسه البليغ ، ولكنه لم يكد يرانى حتى ابتدرنى بهذا الحديث :

— أين كنت يا سيد مبارك ؟

— خرجت ياسيدى أتنشق الهواء فراراً من حر هذا المتحف !

— وأنت أيضاً تخشى الحر ، وقد ولدت فى مصر ؟

— أتريد الحق ، يا مسيو بلانشو ؟ لقد فررت الى الغابة لأرى فى أرجائها مراجع الفن الأصيل ، وتركتك تحدث رفاقك عن المحاولات الفنية التى يراد بها تمثيل مظاهر الكون ، وبذلك ترانى آثرت عالم الحقيقة على عالم الخيال . وهنا نظر إلى نظرة المحنق وقال :

— عذرتك ، يا سيد مبارك ، فانكم نسيتم الفنون منذ أزمان طوال ، ولم تعودوا تعرفون أين تكون الحقيقة وأين يكون الخيال ، أتحسب يابنى أن الفن ليس إلا صورة فتوغرافية للمناظر الطبيعية ؟ ان الفن يمثل ذكاء الفنان ، وهو محاولات عقلية قد تنفصل عن الاصل بعض الانفصال

وكانت ملامة ارتجفت لها أعصابى ، وعرفت يومئذ أنى طفل فى عالم الفنون

ومنذ ذلك اليوم أخذت اتابع دروسى مع المسيو بلانشو بعقل جديد ، وذوق جديد ، وصرت كلما زرت أحد المتاحف فكرت قبل كل شىء فيما يريد الفنان أن يقول

ثم أخذت اتوغل فى عالم الفنون حتى لأحسب اننى استطيع ان اكون فى طليعة كتاب النقد الفنى ، لو شئت ذلك ، والفضل فى هذا لاستاذى بلانشو الذى كان يصحح أغلاطى فى فهم الجمال ، فقد جلسنا يوماً فى احد مشارب الجران بولفار ومرت إحدى النساء فقلت : ياله من جسم بديع ! فاعترض وقال : انه جسم عادى ، لان المشية غير جميلة ، ثم أنشدنى قول بودلير :

A te voir marcher en cadence,
Belle d'abandon,
On dirait un serpent qui danse
Au bout d'un bâton.

عندئذ عضضت بنانى من الندم ، ففى كتاب « حب ابن ابى ربيعة » لمت ذلك الشاعر حين

قال : خرجت تأطر فى الثياب كأنها أيم يسيب على كثيب أهيلا

ثم عرفت انى لم اتنبه الى ما فى تلك الصورة الشعرية من روعة التمثيل

وأعود فأذكر أن للفن دقائق تحتاج الى فهم وتعمق . فقد تعرض علينا صورة فنية تمثل منظراً من روائع الجمال فيختلف الناظرون اشد الاختلاف ، وهى مع ذلك فى متناول جميع الاذواق ، ولأضرب المثل بصورة إيروس وبسيشيه ، وهى من بدائع ما يحفظ متحف اللوفر ، وتلك الصورة تفتن جميع الناس ، ولكنها لا تفتح امام عينيك ابواباً من السحر الفنى إلا حين تعرف ما وضعت له فى باب الاساطير . ولك ان تنظر تلك الصورة المنشورة فى الهلال ، ولكننا نرجو ان تعود اليها بعد قراءة هذا الملخص الوجيز :

كان لأفروديت إلاهة الجمال ابن جميل له أجنحة ذهبية اسمه ايروس ، وكان يذهب الى جميع البقاع محمولا على النسيم العطر عند دخول الربيع ، فتورق فى طريقه الأشجار وتزهر الأغصان . وكان يتنقل من مكان الى مكان مسلحاً بالسهام وفى يده مشعال وضاء . وكان يلهو بالمزج بين الدموع والبسمات ، والجمع بين السعادة والشقاء . . وسمعت أفروديت إلاهة الجمال أن بين سكان الأرض فتاة حسناء يعبدها من يراها كأنها أفروديت . وقد بعث جمالها المرموق عقارب الحسد والضغن فى صدر إلاهة الجمال . فدعت ابنها ايروس إله الحب ، وقالت له : « ايروس ، يابنى ، هذا هو الوقت الذى تحتاج فيه امك الى ساعديك القويين لامضاء ارادتها . إن ناساً بلغت بهم الوقاحة أن يساووا بين جمالى الخالد وبين جمال فتاة آدمية تدعى بسيشيه . فاذهب يابنى واحكم على تلك الفتاة بالشقاء : بأن تجعلها مدلهة بحب شاب بائس يضرب الناس بدمامته الأمثال »

عندئذ خرج إيروس من الأوليب ونزل على الأرض . ولكنه لم يكد ينظر الى جمال بسيشيه ونضارتها وحلاوتها حتى فتن بسحر تلك الانسانة التى لا تقل اشراقاً ونضرة عن امه أفروديت . وبلغ به الوجد المفاجىء أن نقلها الى قصر جميل فى بقعة نائية . وهناك فى ذلك المنزل المنعزل فوق ربوة عالية باحدى الغابات الهادئة ظل ايروس يزور محبوبته خفية فى هيبة وحذر

تلك خلاصة الموقف الذى يشرح صورة ايروس وبسيشيه . فحدثونى ماذا ترون ؟ أيلهيكم جمال ايروس عن ذلك المعنى المعجب الذى يمثل دهشته حين وقع بصره على ذلك الجسم الفينان ؟ وأى معنى أعجب من أن يأتى إله الحب ليلقى سهماً فيتلقى سهاماً ؟

إن هذه الصورة تمثل الصلة الروحية والنفسية بين الفن والجمال . فالفن هو حيوية الجمال ، هو الاصل الاول الذى يحيا به كل مخلوق جميل . ولولا الصلات الفنية بين اجزاء الجسم الفتان لذهبت معانيه هباء ، واصبح كتلة من اللحم لا رونق فيها ولا بهاء

وهذا الانسجام هو الجانب العلمى فى بناء الجمال . والجاذبية لا تقوم على غير أساس ، كما يتوهم الغافلون ، انما هى موازين ألماس فى عالم السحر والفنون

زكى مبارك

الجمال عند الصوفية

سر الحياة ومعين الحب

للسيد محمد الغنيمي التفتازاني

وهل يعنى الصوفية بغير الجمال ؟

اذا تبدى حبيبى   بأى عين أراه

بعينه لا بعينى   فما يراه سواه

اللهم انى أسألك من جمالك بأجمله وكل جمالك جميل ، اللهم انى أسألك بجمالك كله

بهذه الجملة العميقة ، نفتتح حزبنا الصباحى ، نستعين بجمال الشهود على جمال الوجود ، ولا ننظر الى ما يحوطنا الا بالمنظار الابيض ، فلو حجب عنا الجمال طرفة عين ، لحقنا الهجر ولاودت بنا القطيعة

وبعد فالجمال عند الصوفية ، هو كل شيء ، هو النور الدائم والمدد القائم ، هو سر الحياة ومعين الحب ، هو القوة القاهرة والعدة الظاهرة ، هو الدليل الملموس على رعاية ذى الجلال ، هو المظهر الاقدس للوجود المحدود ، ثم هو الطريق المعبد الى وجود الخلود ، هو القلب النابض والروح الوثابة

هو بالاختصار كل شيء اليوم وبعد اليوم ، فلولا مظاهر الجمال ما كانت سبحات الجلال ، ولولا سبحات الجلال لكانت عماية الضلالة عن الازل والابد معا

والآن ، إذا أردت ان تعرف مبلغ مايشغل الصوفية من الانس بالجمال فاستمع لقائلهم إذ يقول:

شاهدوا الحق من مرائى نفوس   جل عن كشفها الرفيع مثال

انما العين بالحقيقة للعين   تجلت فما هناك خيال

تحت أستار عزة وجلال   حاطها بالذى تراه الجمال

ومن هو ذلك المصقول الذى يستطيع ببصره استشفاف أسرار الجمال عند الصوفية ، انه جمال الجلال ، انه جمال الحق ، انه جمال التصوير ، ثم انه جمال الوجود المطلق ، وهو بعد ذلك جمال البارىء المصور ، ثم جمال الرحمن الرحيم

أرأيت الى جماله يبعث من صفحاته فى بدائع صنعه رسالات من مخلوقاته ؟

ثم أرأيت الى جماله يرقق صلب الفؤاد ويلين الصم الصلاد ؟

ثم أرأيت الى جماله يصعد بك من كدرة الوجود المقيد الى صفاء الوجود المطلق ؟

يالقومى من سكرة بمدام   ما لعقل الزمان منها خبال

بل من هذه السكرة بجلال الجمال خلقت عقول الجبابرة الذين حملوا مشاعل الهداية والنور فبددوا ظلمات الكون جميعاً

جمالك يا رسول الله ، يا محمد ابن عبد الله ، يا نور النور ، ومظهر الجمال المشرق على مر الازمان والدهور

جمالك يامحمد ، فى خلقك المتسق البديع ، وفى خلقك الوثيق المنيع ، وفى شرعك الخالد الرفيع

جمالك فى حديثك الذى هو فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق « وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى »

جمالك يا حامل لواء الرحمة ، يوم لا يشفع عنده أحد إلا باذنه

وجهك الوضاء حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج

بهذه العين السليمة المجردة ، وان ضعفت عن الابصار ، فبالمنظار الابيض ينظر الصوفية فى جمال الكون وجمال بارىء الكون ثم إلى جمال سيد الكونين

انتم فروضى ونفلى انتم حديثى وشغلى
يا قبلتى فى صلاتى اذا وقفت أصلى
جمالكم نصب عينى اليه وجهت كلى

وبعد فليلم اللوام ، وليعذل العذال ، فليس لدى الصوفية غذاء امرأ من جلال الجمال ، وهم بعد ذلك لايلومهم الا من يجهلهم ولا يعذلهم الا من يظلمهم

جردوا الوجود من الجمال ثم انظروا ماذا عساه يكون بعد ذلك !

ولكن أين هم الصوفية الذين يتعرفون إلى جلال الجمال ، بالاتصال بذى الجلال ؟ أو ليس من المسلم به أن يفتن المحب فى ارضاء حبيبه؟

فمن التهب فؤاده بحب الله ، ومن استنار فؤاده بقبس من جلال جمال محمد رسول الله ، وجب عليه أن يقف من أحكام الله موقف الطائع المنيب ، وان يسلك على ضوء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الطريق الذى يحلده فى سبحات الجلال إلى الجمال الخالد ، إلى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين . أما الآن فنحن عند حد قول الشريف الرضى :

ولقد وقفت على ديارهم وطلولها بيد البلى نهب
وبكيت حتى ضج من لغب نضوى وعج بعذلى الركب
وتلفتت عينى فذ خفيت عنى الطلول تلفت القلب

نعم فقد قدر لنا ولله الحمد أن ننعم بلحظات من دقائق اشراق جلال الجمال . ولكن :

لله أيام تقضت لنـا ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها شيء سوى أن نتمناها

ومهما بلغت بي الحسرة على ما أنا فيه الآن . من محق وحرمان

فهم نصب عيني ظاهرا حيثما سروا وهم فى فؤادى باطنا أينما حلوا

ولكن أين وكيف الطريق اليهم ، وقد جرفت المادة العالم ، وأصبح الجمال فى نظر الناس زيفاً كما أصبح الزيف جمالا ؟!

ليرجع الناس إلى الطبيعة الصافية فلا بهرج ولا زيف . ولتعد الابصار إلى اكتناه حقائق الجمال فهي نافذة بأشعته الى اعماق القلوب . وهنالك يكون الحب . واذا كان الحب كانت الحيـاة السعيدة الموفقة

أما الاحن والاحقاد والغايات والاغراض والشهوات واللهوات ، فهي السجف الاسود الذى يحجب عن الابصار جلال الجمال

أعظم ما لاقيتـه من معضلات الزمن
وجـه قبيح لامنى فى حب وجه حسن

محمد الغنيمى التفتازانى

جمال المسيح

لما اشتهر الفنان الخالد « دافنشى » استدعاه الدوق سفورتسا ليكون فى خدمته فى ميلان فاجاب دعوته والتحق به . وهنـاك رسم صورة « العشاء الأخير » الذى مثل فيه المسيح بين تلاميذه عند ما أخبرهم بأن واحداً منهم سيخونه . وكان دافنشى بطىء الرسم ، وكان رئيس أحد الأديرة هو الذى كلفه برسم هـذه الصورة . فلما استبطأه شكاه الى الدوق ، فأرسل الى دافنشى خطاباً يلومه على تأخيره ، فاجابه دافنشى بخطاب جاء فيه :

« لقد أتممت الصورة ، ولـكن بقى منها رأسان أشعر بالعجز عن اتمامهما ، لأنى أحس بالقصور عن تصور جمال المسيح ـ ذلك الجمال السماوى الذى يتمثل فى مولاى . أما رأس يهوذا الخائن ، فانى أعتقد أننى لا أستطيع تصوير وجه هذا الرجل الذى انطوى قلبه على نية الخيـانة لمولاه بعد أن استفاد منه ، وانتفع به كل الانتفاع

« ولـكن حرصاً على الوقت ، فانى سوف لا افـكر كثيرا فى رأس يهوذا ، بل سأقتنع بوضع رأس رئيس الدير مكانه . وهذا هو رأيى الاخير الذى لا أجد وسيلة غيره فى هذه العجلة »

فـكانت فكاهة جميلة ضحك لها الدوق كثيراً ، وطلب من رئيس الدير ألا يقلق دافنشى باستعجاله مرة أخرى

بقلم الاستاذ عبد الله عفيفي

لعل أوضح غرائز العربى دقة الحس ، ويقظة النفس ، وانتباهة الوجدان ، وبعد الخيال . وهى غرائز أنمتها حياة الصحراء وما يلابسها من أحداث مفاجئة وغارات مخالسة . ولقد كان للحب النسوى من هذه الغرائز القوية العنيفة المتوثبة أوفى نصيب . لانه لم يكن للعربى من سلوة فى حياته القاسية الدامية الا المرأة : فهى التى كانت ترافقه ولا تكاد تفارقه ، فى السلم والحرب ، وفى الخوف والامن ، وفى الطفولة والشباب ، وفى رعى الابل والغنم ، وفى رحلة الحى لانتجاع الربيع . وهى التى كانت تروى ظمأه ، وتأسو جراحه ، وتقوى نفسه ، وتشد عضده حين تلفحه الحرب وتغشاه السيوف ، وهو يعتقد حينذاك أن المرأة مدار حياته وموته . بها يحيا ومن أجلها يموت

وهناك امران زادا الصلة بين الرجل والمرأة قوة ووثوقا :

الاول : تساوى الثقافة الادبية بينه وبينها . فهى تحسن ما يحسنه من فنون القول وشجون الحديث . وهى تجيد ما يجيده من حلو التندر وطرافة المسامرة . وهى تتقن ما يتقنه من دقة الاشارة ، وملاحة العبارة ، وبراعة الاستعارة . ومع ارتقاء أدب المرأة الى سواء أدب الرجل كان يميز أدبها سمات الانوثة القوية الناعمة

الثانى : تهوينهم للشهوات المادية . وازدراؤهم لمن يبتغيها . ولقد كان البغاء معروفا عند بعض القبائل العربية . وكان يحترفه الاماء اللواتى أوقعهن سوء الحظ فى السباء . وكان هؤلاء البغايا لايقمن فى القبيلة ولا على مقربة منها بل يذهبن فى أعماق الصحراء الى مدى بعيد من الحى فى الظلام

وإذا جاوزنا هذا البغاء الذى ذمه العرب وذموا مبتغيه رأينا القوم يحمون بناتهم من الاتصال بالفتيان صلة ريبة وانحراف . فقد كان من أوضاع الاجتماع عند العرب أن من حق الفتى أن يكون مع الفتاة فى مجلس الأهل والعشيرة فيحادثها وتحادثه . ويسامرها وتسامره . ولكن الويل والوبال له إذا لقيها فى طريق فكلمها أو حياها . فهنالك الهول المطبق . والشر العقام . وقد يثير ذلك بين الحيين أو بين العشيرتين حرباً طاحنة لا يعلم عواقبها الا الله

ولقد عرض أحد الشعراء المتمردين لهذا النوع من حماية الفتاة فقال :

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا — سوى أننى قد قلت يا سرحة اسلمى
نعم فاسلمى ، ثم اسلمى ، ثمت اسلمى — ثلاث تحيات وإن لم تكلمى

وهذا الاسلوب من التمرد والتحدى لا يأتيه إلا شذاذ الشعراء الذين خرجوا على أوضاع العرف وقوانين الاجتماع . وهؤلاء يقضون أكثر حياتهم شاردين بمنجاة عن الحى . ولقد عرفنا من حديث مهلهل بن ربيعة وامرىء القيس بن حجر كيف أقصاهما عن منازل السيادة وشردهما عن الاقامة فى القبيلة تعرضهما فى شعرهما لحديث الشهوات المادية . وكلاهما من بيت الزعامة وسلالة الملك ، حتى لقد أهدر حجر دم ابنه فى سبيل ذلك

ولما بسط الاسلام ظله على أبدان العرب وقلوبهم لم يقف فى سبيل الحب لان الاسلام يهذب الفطرة ولا يقمعها . فهو يعطف على المحب البرىء الذى صرعه الحب عطفاً جميلا . وهذا المحب معدود عند الله من الشهداء . وفى الحديث المأثور : « من أحب فعف فكتم فمات ، مات شهيداً » .
وقيل ان اعرابياً وقف بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم فأنشده :

يا مليحة الدعج هل لديك من فرج
أم تراك قاتلتى بالدلال والغنج
هل على ويحكما إن لهوت من حرج

فقال الرسول : « لا حرج إن شاء الله »

من أجل ذلك ازداد الحب فى الاسلام صفاء وتهذيباً . وبقى على أشده فى البادية ، ولكنه بدأ يتأثر تأثراً مادياً فى بعض الحواضر الاسلامية لانتشار سبى الفرس والروم واندفاع كثير من الناس فى طريق المتع البدنية التى انسابت اليهم من هذه البلاد

وازداد شأن الحب العربى ضؤولة وهواناً فى العهد العباسى حين أصبحت بغداد مثابة متع الدنيا . وفى هذا العهد أخذ الرجل العربى يتجنى على المرأة العربية لانه رأى من غيرها ما بهر لبه وسحر عينيه . ولان حميته وعصبيته مادتا تحت أثقال شهوته . ومن ثم أخذ يعرض بها ويوازن بينها وبين غيرها . وذاع فى هذا العهد قولهم : من أراد قلة المئونة وخفة النفقة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر

جمال المرأة العربية

لم يكن جمال المرأة العربية جمالا عالمياً تباهى به النظائر من نساء العالم ، ولكن هذا الجمال جمال نسبى محدود . ولقد رأينا سلائل نساء العرب من بنات نجد والحجاز واليمن وحضرموت ، فوجدنا فى أكثرهن أدمة اللون ودقة التكوين ، وقليل منهن الفارعة النضة الواضحة المفصلة . وهذا الصنف من النساء هو الذى يذكره شعراء العرب ويتغنون بوصفه على ندرة فيه . ويخيل لى أن الفتى العربى على ما عرف عنه من أنه أعنف الناس حباً كان يحب فى المرأة شيئاً فوق تكوينها الجسمانى : فهو كان يألفها بالمرافقة ، ويألفها بالمحادثة ، ويألفها بشرف البيت ، ويألفها بقوة الروح قبل أن يألفها

بغضاضة الجسم ، وقسامة الوجه ، وحور العينين ، فاذا استمكن حبها من قلبه تخيل فيها كل معانى الجمال

ولقد حدثوا أن عبد الملك بن مروان رأى بثينة بعد موت جميل فاسكرها ، وقال لها : « ماذا رأى فيك جميل حين هام بك وانت حمشاء ادماء دقيقة الساقين حديدة العقبين ؟ ! » فقالت : « لقد رآنى جميل بعينيه لا بعينيك يا أمير المؤمنين »

أرأيت اذاً كيف كان هؤلاء الشعراء المحبون يتخيلون ثم يخالون ، ولقد وصف جميل صاحبته هذه بكل صفات الكمال المادى ، وهذا الضرب من الجمال يرى ويلمس ، ولا يختلف فيه اثنان ! ومع ذلك رأى هذا الشاعر فى محبوبته ما ليس فيها . ومن العجب أن جميلا لم يتمكن حب صاحبته من قلبه إلا فى موقف تشاتما فيه ، وفى ذلك يقول :

وأول ما هاج المحبة بيننا بوادى بغيض يا بثين سباب
كلانا أتى قولا فجاء بمثله لكل كلام يا بثين جواب

ومن حديث الادب أن ذا الرمة وصف صاحبته مية للفرزدق ثم أراه اياها بعد أن اسمعه وصفها ،فقال الفرزدق : « ولكنى لا أرى شيئاً مما تصف ! » قال : « اسكت فض الله فاك ! والله انك لترى كل شيء ، ولكن أكل الحسد قلبك ! » فانصرف الفرزدق وهو يضحك سخرية من صاحبه

وفى نساء العرب جميلات بلغن الذروة العليا من الجمال . ومنهن زينب ملكة تدمر ، ومارية بنت عفرز ، والمتجردة امرأة النعمان بن المنذر وهؤلاء الثلاث هجينات أى مختلطات الدم . فالأولى قيل انها لا تمت إلى العرب الاول . والثانية امتزج فيها الدم الفارسى بالدم العربى ، والثالثة من بنات اليهود . أما أجمل عقائل العرب فى الاسلام على الاطلاق فعائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . وسكينة ترجع بأبوتها إلى الحسين بن على سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنزع بامومتها إلى الرباب ابنة يزدجرد آخر ملوك الفرس . ومن هنا نعلم كيف سادت سكينة جميلات العرب . والمثل الاعلى من جمال المرأة العربية فى نظر الرجل العربى أن تملأ عينيه طولا وعرضاً وامتلاء واستواء وأن تكون الى كل ذلك كحلاء عيناء (١) زجاء (٢) بلجاء (٣) شماء (٤) مأشورة (٥) فلجاء (٦) لمياء (٧) لعساء (٨) جيداء (٩) غيداء (١٠) أثيثة الشعر (١١) مشرقة النحر مهضومة الحصر (١٢)

على أن تصنع الجمال مما يند عنه طبع العربية الشريفة إلا أن يكون كحلا أو طيباً . وقد لعن رسول الله النامصات والفالجات والواشرات والواصلات والواشمات

عبد الله عفيفى

---

(١) العيناء التي اتسعت عيناها واتسع سوادها (٢) الزجاء الدقيقة الحاجبين (٣) البلجاء التي بين حاجبيها بعد يسير على أن يكون هذا البعد خاليا من بقايا الشعر (٤) الشماء الدقيقة الانف مع استواء قصبته في علو (٥) المأشورة التي في اسنانها دقة وحدة وتحزيز (٦) الفلجاء التي في ثناياها تباعد (٧) اللمياء سمراء الشفاه (٨) اللعساء من اللعس وهو سمرة الشفة مع حمرتها (٩) الجيداء التي في عنقها طول وحسن وصفاء (١٠) الغيداء الناعمة العنق أو سائر الجسم (١١) الاثيثة الشعر التي في شعرها طول وعزارة وانسدال (١٢) هضم الحصر كناية عن دقته

الاصل فى الملكية العبقرية والقوة . ويلمس الباحث هذين العنصرين فى رأس كل أسرة متوجة . . والجمال قوة عظمى فى هذه الحياة . واذا كان الملوك يسلكون الى عروشهم سبيل العبقرية والقوة ، فلم لا تسلك الملكات سبيل الجمال ؟ واذا كان للاسكندر ونابليون وغيرهما من الملوك العباقرة الاقوياء أن يفخروا بما نالوا من الجاه والسلطان ، فلم لا يحق لسميراميس وكليوباتره ونفرتيتى وغيرهن من الملكات الجميلات أن يفخرن بما وهبهن الله من جمال ؟

الحق أن الجمال لعب فى تاريخ التاج أدواراً حاسمة ، أو ان شئت فقل لعب ثلاثة أدوار رئيسية ، هى : دور البطل ، ودور المترف الماجن ، ودور الملهم

دور البطل

هنا يتخذ الجمال عدة الحرب فيلبس الزرد ويبرز للقتال متقدماً صفوف الجند ليشيد للوطن مجداً حربياً . . وعناصر قوة هذا الجمال عديدة . بيد أن بقاءه موكول بقصر عمره أو طوله . ولما كان الجمال البشرى عارية تزول ونعمة تتبعها نقمة . فقد حرص الجمال البطل على أن يبلغ الذروة فى مثل لمح البصر ضناً بقوته على عناصر الفناء

وخير مثال لذلك « سميراميس » ملكة بابل واشور الحسناء . وحياة هذه الملكة سلسلة مغامرات سريعة حاسمة . فقد تزوجت فى أول أمرها ضابطاً فى حاشية ملك أشور . ثم لم تقنع بحياة الزوجية الخاملة فعملت على أن تسترعى نظر الملك بشتى الوسائل ، وأرادت أن يعشقها فعشقها وان يتزوجها فتزوجها . وهنا تقول الاسطورة : « ففى ذات ليلة ألحت سميراميس على الملك فى أن يوليها الملك المطلق يوماً واحداً لتنعم بلذته . فحقق لها أمنيتها . وما كادت تجلس على العرش ملكة مطلقة التصرف حتى أمرت بقتل زوجها فقتل . وانفردت بالملك من بعده »

وكأنى بسميراميس تريد أن تستغل جمالها فى تمثيل دور البطل قبل ان يضمحل . فرآها التاريخ على ظهر جوادها فى طريقها لفتح الهند وما بعد الهند . . . وقد شقت طريقها وسط

كتل بشرية وجحافل لاعداد لها حتى رآها التاريخ بعد بضع سنوات منهزمة فى احد ميادين الهند . . . بيد أن جمالها احال الهزيمة الى تراجع منظم . فقد فطنت الملكة الى حرج الموقف وادركت انها لا شك مأسورة . فنضت ثيابها ووقفت امام جنود العدو عارية ! .. وناهيك بمثل هذا الموقف تأثيراً وإغراء ! فقد وقف الجنود أمامها ذاهلين. ثم خشعت ابصارهم ونكسوا الرماح ، فعادت الملكة العارية الى فلول جيشها المنهزم وجمعت من شمله وتراجعت الى بلادها حيث استقبلت استقبال الابطال الظافرين

وفى قصور بابل ذبل جمال « سميراميس » فاحجمت عن خوض غمار حروب جديدة مخافة ان يهزمها جمالها المولى قبل هزيمة الأعداء . ووسوس اليأس فى صدرها . وسئمها الشعب وتآمر ابنها وولى عهدها على خلعها . فتنازلت عن العرش وقضت بقية حياتها فى هم وغم ويأس من الحياة لا يأس بعده . وهذا هو الجمال البطل اولا وآخراً : شباب طامح . واستغلال للجمال وسط صفوف الجند ، ثم افول فى برج الشيخوخة !

ومثل جمال سميراميس قمين أن يقال فيه انه لم يصب من متع الحياة إلا اتفهها . فقد احتكرته البطولة ولم تمكنه من عالم اللذات الا قليلا (١)

الجمال المترف الماجن

هو جمال كله فتنة واغراء ، ونفس بشرية هلوك على الشهوات تزجرها الايام فلا تزدجر ، بل تظل تنهل من اللذات وتكرع حتى تعاجلها الشيخوخة باسقامها وقبحها وفهاهتها ، او يقصف الموت عودها ولما تزل على ابواب الكهولة

وكليوبطره ملكة مصر مثال فذ لهذا الجمال المترف الماجن . قد فتحت عينها لترى النور فى الفصل الاخير من رواية البطالسة التى مثلوها على مسرح الملكية المصرية . ونشأت فى قصر يفيض باللذات ويجيش بالشهوات . فدرجت على هدى حسها ، ولبست التاج لا لتحكم أو تعدل بل لتعيش فى عالم اللذات بحواسها الخمس . فلما آنست فى نفسها الضعف ترامت على اقدام ابطال روما المتعطشين الى الجمال الشرقى المتأجج . فعشقت قيصر وانطونيوس وحاولت ان تعشق اوكتافيوس لتتم به مأساة حياتها . واستنفدت فى ذلك ما بقى لها من جمال واغراء . ولكن الشيخوخة كانت قد دبت فى مفاصلها ـ وكان اوكتافيوس ما يزال فتياً ـ فتحطم الجمال المضمحل على صخرة الشباب الجليد

كليوبطره

هذا ما اراه في هذه الملكة الجميلة . ولا قيمة عندى لما يقال من

(١) يجد القارىء في الرباء صورة أخري لسميراميس وهي لا تختلف عنها الا في ختام حياتها

انها ارادت ان تصل بجمالها الى استعادة مجد مصر الغابر . فكليوبطره غانية مترفة عابثة ماجنة قبل أن تكون ملكة ، وخير ما يقال فيها أنها لم تأخذ نفسها بشيء من الجد إلا لتدافع عن هذا الترف وتدفع الأذى عن حياتها المسترسلة فى العبث والمجون ، فلا غرو يتزايل مثل هذا الجمال سريعاً وتتخاذل تلك الشهوات الجامحة بعد نضوب معينها (١)

الجمال الملهم

هذا الجمال أجزل نعم الله على عباده وفى جملتهم الملوك . .

نحن الآن على شاطىء مدينة اخيتاتون عاصمة ملك اخناتون الشاعر النبى

النيل يحمل على صفحته زورقا ملكياً لونه أزرق ، والحية المقدسة تشق الامواه لركب الحياة ، وفى مؤخرة الزورق شاعر يتأمل فى جمال الكون وكأنه يتلقى نفحات الالهام ، وأمامه زوجته « نفرتيتى »

فاذا ولجنا ابواب القصر الملكى رأينا فتوة ظمأى الى رحيق الحب وروحاً ينور من الصخب ويلتمس الهدوء من كل سبيل ، ونظرات ذاهلة تقف أمام الأشياء وكأنها تراها أول وهلة . ولا عجب فهى نظرات شاعر . ثم نرى جمالا ينبعث منه الهوى العذرى وانوثة فى نشوة الربيع الباكر ، وفماً يهمس بالحب اذا رنم ، ويجود بالقبلات اذا تجسم . . . هاكم الجمال الملهم جمال نفرتيتى الحسناء . .

وفى ظلال هذا الجمال الوارفة ورياضه الفيحاء نضجت شاعرية اخناتون وبلغت مرتبة الشعر الخالد ، وطرح فرعون مصر عن كاهله ثياب المستبد المتعسف ولبس ثياب الحب والطهر ، ودعا الى الوحدانية . فلما اعلنت عليه الوثنية حرباً شعواء اعتكف فى عاصمة ملكه ووجد العزاء فى نفرتيتى الملهمة ذات العينين الساحرتين والفم الحلو ، وفى أناشيده المشرقة ، وفى نغماته البلبلية الصادحة ، وفى تلاميذه الابرار ، وفى هذا الكون الذى دعاه فاجاب وبهره فانبهر

هذا مثال للجمال الملهم . وهو لا يخلد لذاته بل لرسالته الجليلة التى يؤديها عن طريق رجل آخر كاخناتون بين الملوك . وهو افضل انواع الجمال الثلاثة (٢)

محمد محمد توفيق

---

(١) اذا أراد القارىء مثالا آخر للجمال المترف الماجن فليطبق احكامنا الآنفة على بلقيس ملكة سبأ ، وسيجد أن حياتها تشبه حياة كليوبطره في كثير من الوجوه

(٢) يعتبر جمال ارجومند زوجة شاه جيهان أحد ملوك الهند جمالا ملهماً ، فقد ماتت الملكة وخلفت لزوجها ذكرى جمالها ، فشيد لها (تاج محل) ذاك القبر الجميل الذي يعتبر قطعة فنية خالدة

جمال الفن
في الخط العربى

بقلم الاستاذ مصطفى بك غزلان
رئيس التوقيع بديوان جلالة الملك

فؤاد الاول : بقلم غزلان بك

لم يكن للخط العربي فى مصر شأن قبل الدولة الفاطميــة ، فلما أسست هذه الدولة ملكها العظيم الذى يمتدمن المحيط الاطلنطى الى العراق وجعلت مقره مصر ، وأنشأت مدينة القاهرة عام ٣٥٧، أخذت الحضارة الاسلامية تنبثق من هذه المدنية الزاهية على أرجاء الارض ، وأخذ الفن العربي الاسلامي يتألق من جميع نواحيه
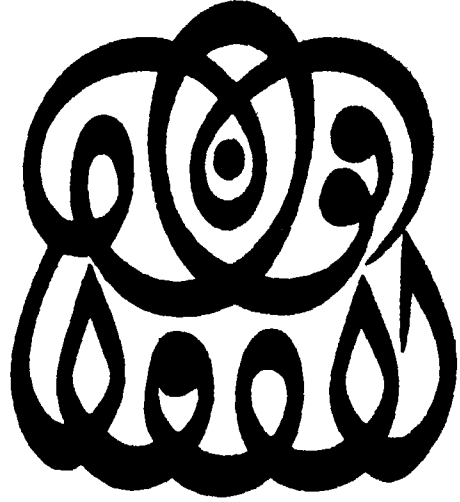
كان فى طليعة تلك النواحى فن الخط الذى جمّلوا به قصورهم وعروشهم وتحفهم وأدوات منازلهم مما لا تزال تنطق به آثارهم الى اليوم

و بعد العهد الفاطمي ، سار الخط سيره الطبيعى في ظلّ المماليك ، حتى اذا تغلب السلطان سليم التركى على طومانباى ــ آخر سلاطين المماليك ــ واستولى على مصر عاد ومعه صفوة رجال الصناعة والفن ، ومن بينهم الخطاطون المصريون الى القسطنطينية
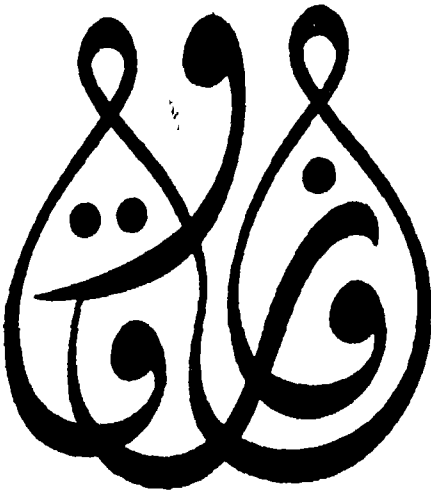
فاروق : بقلم غزلان بك

وفي رعاية الخلافة التركية ، وثب الخط العربى وثبة بالغة حتى قارب الكمال ، لأن خلفاء هذه الدولة ، أخذوا يتبارون ــ كما كان يفعل سلاطين المماليك من قبل ــ في اقتناء المصاحف البديعة الخط والتذهيب ، ليجعلوها في طليعة مخلفاتهم الخالدة ، وآثارهم المجيدة ، حتى لقد كان من هؤلاء الخلفاء من امتاز باجادة الخط الى حد بعيد

وكان الخطاطون العثمانيون ، هم أساتذة الخط في العالم الاسلامي ، ويعد المرحوم عبد الله بك زهدى أحد هؤلاء الخطاطين من الكواكب الساطعة التي انتظم نورها الوهاج آفاق الشرق ، فقد طلع على الناس بخط الحرم النبوى الشريف الذى يعد آية الآيات في الاجادة والرونق والبهاء ، وكان ذلك مما حمل المجدد العظيم الخديو اسماعيل ، على استقدام ذلك الخطاط الفذ الى مصر ، فلما قدم كتب ستور الكسوة الشريفة وكثيراً من ستور الاضرحة المقدسة ، وناصية « سبيل ام عباس » ومسجد الرفاعى

أثار ذلك في نفس المرحوم الاستاذ محمد مؤنس افندي شيخ الخطاطين المصريين في ذلك العهد ، روحاً جديداً من الابداع والاتقان ، وكان المرحوم مؤنس معلماً شعبياً محتسباً للخط في مصر ، يتوافى على داره الرحيبة بغاة الخط . فيتعلمون فنه الجميل ، وينعمون بحديقته الزاهرة ويأكلون ويشربون

واليوم بعد الانقلاب التركى ، الذى قضى على الخط العربي في تركيا ، أصبحت مصر مثابة الخط العربي ، وقد تعهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول حفظه الله هذا الفن برعايته السامية ، فأمر بانشاء « مدرسة تحسين الخطوط الملكية » التى تعتبر أول وأعظم معهد للخط العربي منذ عرف الناس هذا الخط ـ تلك منقبة عظيمة من مناقب ذلك الملك العظيم

فيكتور إيمانويل : بقلم غزلان بك

الذى يسهر على احياء العلوم والفنون ولا سيما الفنون العربية

بيت لشوقي بك ونصه :
ما مات من حاز الثرى آثاره
واستوات الدنيا على آدابه
(بقلم غزلان بك)

القلم الديوانى

كان الخط الديوانى شارة من شارات الملك في عهد الخلافة العثمانية ، لذلك كان سراً من أسرار القصور السلطانية لايعرفه إلا كاتبوه ، فلما نقل هذا الخط الى مصر كان كذلك شارة من شارات الامارة فى القصر العلوى ، ثم أصبح بعد ذلك شعار الاسرة الكريمة . ولولا عناية المليك العظيم ، لظل هذا النوع بين جدران القصر الملكي ايضاً لا يعرفه سوى كاتب هذه السطور والذين يعملون معه في قلم التوقيع . واليوم أصبح فنا يتعلمه التلاميذ. ويتفهمه الناس

وفي الحق ، أن الخط الديوانى يسمو على جميع الانواع الاخرى لحسن مظهره وجمال اوضاعه وانسجام حروفه ولين مقاطعه ، ثم هو خلاب الرواء ، يأخذ بمجامع الالباب

الخط الريحانى

نسبة الى أعواد الريحان ، وقد سماه صاحب البلاغ « الخط الغزلانى » له جمال يفوق جمال الديواني ، وأوضاعه تريك اشكالا متناسبة متناسقة كأحدث انواع الرسم

وقد تعلمت هذا النوع على المرحوم محمود شكرى باشا رئيس الديوان العالى الملكى ، الاسبق ، وكان رحمه الله يجيده اجادة تامة ، وله فيه ذوق وفن

تطاول هذا النوع من الخط على جميع الانواع فكتبت به الاسم الكريم (فؤاد الاول) انظر النموذج الاول الذي اصبح شعارا ملكيا رسميا لجلالته

وكذلك كتبت اسم حضرة صاحب السمو الملكي الامير (فاروق) انظر النموذج الثاني

واخيرا كتبت به اسم حضرة صاحب الجلالة (فيكتور ايمانويل) ملك ايطاليا ، انظر النموذج الثالث، وذلك يوم زيارة جلالته لمصر وقد ازدانت به بعض الرسائل التى رفعت لجلالته

مصطفى غزلان

الجمال
الستار الفض

ولا مبالغة في قولنا ان اجمل النساء وأشدهن فتنة وسحرا وجاذبية هن في هوليوود بل ان فيها نحو ١٧٠٠٠ فتاة ، كل واحدة منهن تكاد تعد انموذجا كاملا للجمال النسوي الفاتن . . !

ورب سائل يسأل : هل هذا الجيش الجرار من الحسان ، جماله من هبات الطبيعة ، ام من صنع الرياضة والاخصائيين في فن التجميل ؟

وللاجابة عن هذا السؤال نقول : ان جمال كواكب السينما مزيج من هذا وذاك .. والا لما بدا في اروع صور الحسن والفتنة

مارح أصحاب شركات السينما منذ ٢٥ سنة وهم يتوخون في اختيار الممثلات أن يكن في المقام الاول من الجمال ، اما المقدرة الفنية وصلاحية الصوت وما اشبه ذلك، فتلك اشياء تعد في المرتبة الثانية

ولا يكتفي المخرج بالجمال الطبيعي الذي يكون عليه الفتاة المختارة ، حتى ولو كانت احدى ملكات الجمال ، بل يعهد بها الى ايدى امهر الاخصائيين في فن التجميل ليتناولوا جمالها بالصقل والتهذيب حتى تخرج من ايديهم انموذجا كاملا للمرأة الحديثة الجميلة

ونظرة واحدة يلقيها القارىء على صور بعض الكواكب المنشورة مع هذا الفصل تبين له مقدار العناية الفائقة بتربية الجمال في هوليوود

احدى حسانه هوليوود تقوم ببعض التمرينات الرياضية لتحتفظ دائما برشاقتها
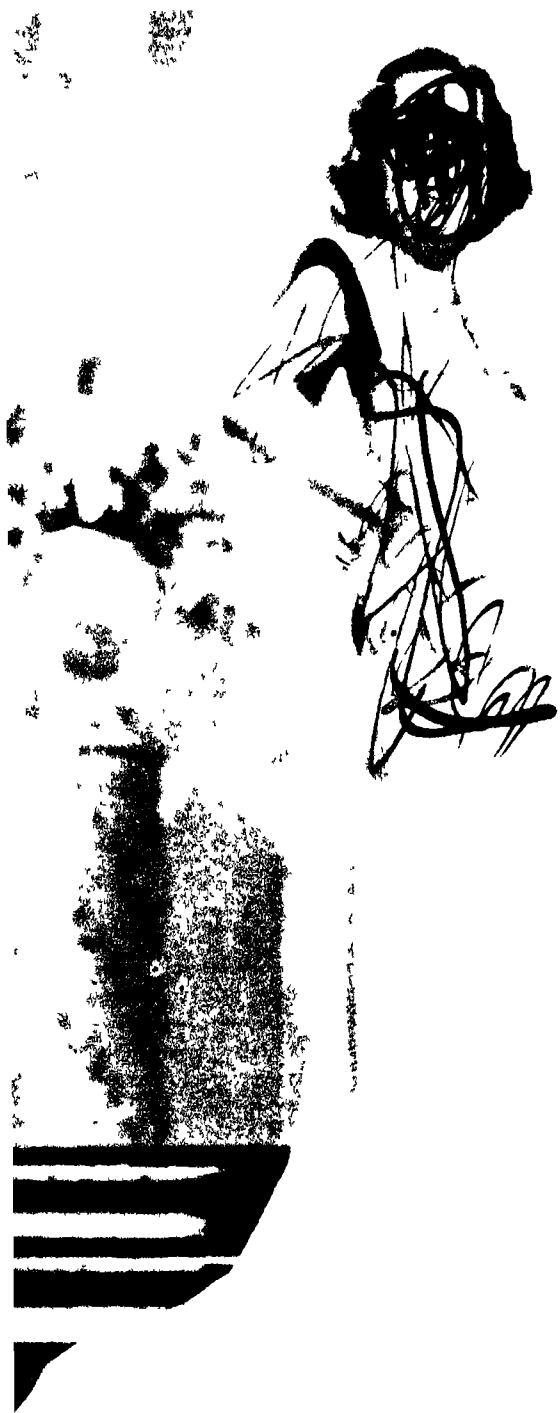
والواقع ان هوليوود التي هي مدينة السينما في امريكا يصح ان ندعى الى جانب لقب « مدينة السينما » ، بلقب « مدينة الجمال السوي الكامل » او « مدينة تربية الجمال الصحيح »

وربما كان اللقب الاخير « مدينة تربية الجمال الصحيح » هو انسب الالقاب لها عندما نتحدث عن جمال المرأة فيها

وفي هذه المدينة اكثر من مائة محل للتجميل والرشاقة . وهي أشبه بمستشفيات أو مصحات صغيرة منها بمعاهد للتجميل ، ويتولى ادارتها أطباء اختصوا في فن تجميل السيدات ، ويساعدهم نساء ورجال تدربوا على هذه الصناعة في اكبر المعاهد الرياضية والطبية الخاصة بالتجميل ، وقد جهزت باحدث انواع آلات التجميل وأجهزته

ومن غرائب الآلات التي نشاهد في هذه المعاهد « الحناك » وهو قطعتان من الخشب تنطبق احداهما على الاخرى وتوضعان حول العنق الغليظ لتنحيفه ! ومن عجب ان هذه الآلة كانت تستعمل لتعذيب الخارجين على الكنيسة في اسبانيا ايام الاضطهاد الديني ! وهناك ايضا الكرسي الكهربائي ، وهو يشبه الكرسي الذي يعدم عليه المجرمون في الولايات المتحدة ، الا انه يستعمل لانهاك قوى من تجلس عليه حتى ينضح العرق من جسدها وينصب بغزارة ، كي ينقص وزنها بزوال اللحم الزائد !

ولعل اعجب ما تراه في « معاهد التجميل والرشاقة » بعض الحسان معلقات من اقدامهن في السقف كالخراف في حوانيت القصابين !

ويستمر تعليقهن هكذا ساعة او ساعتين ، ثم ينزلن ويؤخذن الى حمامات البخار حيث يمضين فيها عشرين دقيقة ثم يخرجن وهن في اشد حالات الاعياء الى مكان التدليك حيث يدلكن باسطوانات خشبية خشنة ذات نتوء مؤلمة . . . كل هذا في سبيل الحصول على قوام رشيق

ايدا لوبينو

ملكات الجمال العالمي

منذ بضع سنوات وفد على مصر صحفي أوفدته لجنة تنظيم مسابقات الجمال ليسعى في اشتراك مصر في هذه المسابقات . فاتصل ببعض الهيئات المصرية ، وببعض الجمعيات النسوية يطلب إليها مساعدته في تحقيق هذه الفكرة لأنها من نشر الدعاية لمصر ، ولكنه لم يظفر في مسعاه إذ قامت دونه حوائل من التقاليد الشرقية

ولكن التطور الحديث الذي يجرف كل شيء في سبيله تغلب على تلك التقاليد . فما لبث أن اشتركت مصر في هذه المباريات في عام سنة ١٩٣٥ وانتخبت الآنسة شارلوت واصف ملكة للجمال في مصر وهي فتاة متعلمة مثقفة من أسرة عريقة في المجد أفرادها مبرزون في عالم المحاماة والسياسة ولهم شأن كبير في الحركة الوطنية

ورحلت إلى أوروبا في صحبة ذويها تحتفل بها الدول وتعقد لها الولائم والحفلات ثم قصدت أمريكا حيث اجتمع أجمل فتيات الأمم لاختيار أجملهن وجها وأبدعهن تكوينا ، ومبايعتها ملكة للجمال في العالم . وجاءت الأنباء بأن اسم مصر ارتفع فوق كل الأسماء ، وأن الجمال المصري أشرق على كل جمال وأن فتاة من مصر انتخبت أجمل الجميلات ونودي بها ملكة للجمال في العالم وأصبحت تلقب بـ « ميس يونيفرس » و « آنسة العالم »

***

وكانت مسابقات الجمال وليدة فكرة ابتدعها المسيو موريس دي واليف من صحفيي فرنسا المشهورين وما لبث أن نمت الفكرة وازدهرت ولاقت رواجا

وكانت هذه المسابقات مقصورة على دول أوروبا في أول الأمر ثم اشتركت فيها أمريكا أيضا فلم تعد ملكة الجمال تسمى غادة أوروبا فقط بل غادة العالم

ويقضي نظام هذه المسابقات أن ينتخب كل دولة أجمل بناتها ، ثم تجتمع بنات الأمم فتنتخب من بينهن أجملهن وتتوج لقب ميس أوروبا .

وفي الوقت نفسه تنتخب كل ولاية أمريكية أجمل بناتها وتجمع المنتخبات وتختار من بينهن أجملهن وجها وأرشقهن قدا وينادى بها « ميس أمريكا »

وتشرف على الانتخابات خبراء ومحكمون وكثيرا ما تشمل الحكومات هذه الانتخابات برعايتها، وتكون أيام الانتخاب أيام أعياد تعقد فيها الحفلات والمراقص والولائم

وأقيمت أول مسابقة كبيرة للجمال في سنة ١٩٢٠ وكانت لها ضجة في أنحاء العالم وانتخبت « الآنسة سوزيت » ملكة للجمال وهي غادة فرنسية في الثالثة والعشرين من عمرها فيض صحة ورشاقة وتألق فتنة وجمالا . وكانت من قبل ذلك فتاة مجهولة فأصبحت بين عشية وضحاها أشهر نساء العالم وعرفت من ألوان المجد والنعيم ما لم تعرفه امرأة قبلها

آنه كلوزل ملكة الجمال لسنة ١٩٣٣

وفي ختام السنة رحلت إلى امريكا حيث استقبلت استقبال العظماء الفاتحين ثم مرت الايام وشغل الناس عنها ونسى اسمها واهمل شأنها ولم يعد احد يذكرها . إلى ان ذكرت الصحف اسمها بعد ثماني سنوات في سنة ١٩٢٨ حين ماتت بالسل بعدما عانت آلام البؤس والشقاء

وتعددت مسابقات الجمال وكانت كل مسابقة تحاط بالصخب والانوار والمجد والجمال . وفي كل سنة تستوي حسناء جديدة على عرش الحسن ويسري اسمها مسرى الشمس في كل مكان ، ثم تمر الايام ويضمحل ذكرها ويهمل شأنها

على أن المسابقات لم تأخذ روعتها الا ابتداء من سنة ١٩٢٧ اذ اصبحت تشترك فيها اكثر دول اوربا بعد ان اقيمت لها الدعاية الواسعة واطمأن لها الناس وايقنوا ان ليس فيها مايشين سمعة الفتيات

وفي سنة ١٩٢٧ نودي برورت كورسي ملكة للجمال . ولكنها لم تر من ملكها طائلا . . فقد كانت عاملة في محل ازياء وما زالت عاملة كما كانت ، وانما زاد عليها فضول المصورين وتهكمات الساخرين

وفي سنة ١٩٢٨ توجت ريموند الان ملكة للجمال وهي فتاة فرنسية هادئة ودعة قاست من عرش تاج الحسن من الاهوال وفقدت هدوءها وراحتها

وتابع المخلوقون حرمين لاتورد ملكة للجمال في باريس سنة ١٩٢٩ . . وكان نصيبها ان تقادفها الاقدار ثم اشتغلت في مرقص حقير

وقد اصبحت مسابقات الجمال دولية ولم تعد مقصورة على اوربا بل اشترك فيها امريكا ايضا ، وكان للصحافة الأثر الاكبر في ذلك اذ ان جريدة تصدر في ريودي جانيرو هي التي قامت بمباراة الجمال العالمية في سنة ١٩٣٠ . وفي هذه السنة اصبحت

ريموند آلان ملكة الجمال لسنة ١٩٢٨

الانسة كريمانه خانم ملكة الجمال لسنة ١٩٣٢

المس اليجي ديبلاراكوس اليونانيه ملكة للجمال في اوربا ثم رحلت الى البرازيل مع الملكات الاخريات للاشتراك في المباراة العامه لانتخاب ملكة جمال العالم. ولكنها لم تفز فيها بل نودي بالمس يولاندا باربرا البرازيليه ملكة للجمال العالمي

ولم تعترف اليجي بصحه هذا الانتخاب بل طعنت في صحته وعادت الى اوربا تنشر اسوأ الدعايه ضد منظمي هذه المباريات ، واقامت صحته ثم ... الطارين واعاكوا في دارها

وفي سنه ١٩٣١ اقيمت مباراه الجمال الدوليه في جالفستون بولايه تكساس بامريكا وفازت المس البرله جولدار بيتر علم بلقب ملكة الجمال العالمى

وفي سنه ١٩٣٢ اقيمت مباراه الجمال في سبا في بلجيكا وكان الفوز فيها للجمال الشرقي اذ انتخبت الآنسه كريمان خانم التركيه ملكه للجمال في العالم

وفي السنه التاليه كانت بلده سبا تحتفي بملكه الجمال العالميه . ومر انتخابها بهدوء دون ان صحبه شيء من المنازعات العاديه

ثم كانت سنه ١٩٣٤ واقيمت مباراه الجمال في هاستنجس بانجلترا واشترك فيها ست عشرة دولة اوفدت كل دوله اجمل فتياتها وقد بذلت انجلترا لهذه المباراه دعايه كبيره وحملت دول اوربا على الاهتمام بها

وانتخبت مس هولندا واسمها ... بو موس ملكه للجمال في سنه ١٩٣٤

ثم كانت سنه ١٩٣٥ واقيمت حفلات المباراه في بلجيكا واشتركت مصر للمره الاولى في هذه المباراه ، وكان اشتراكا موفقاً على حو ما ... يا

سز شارلوٹ واصف
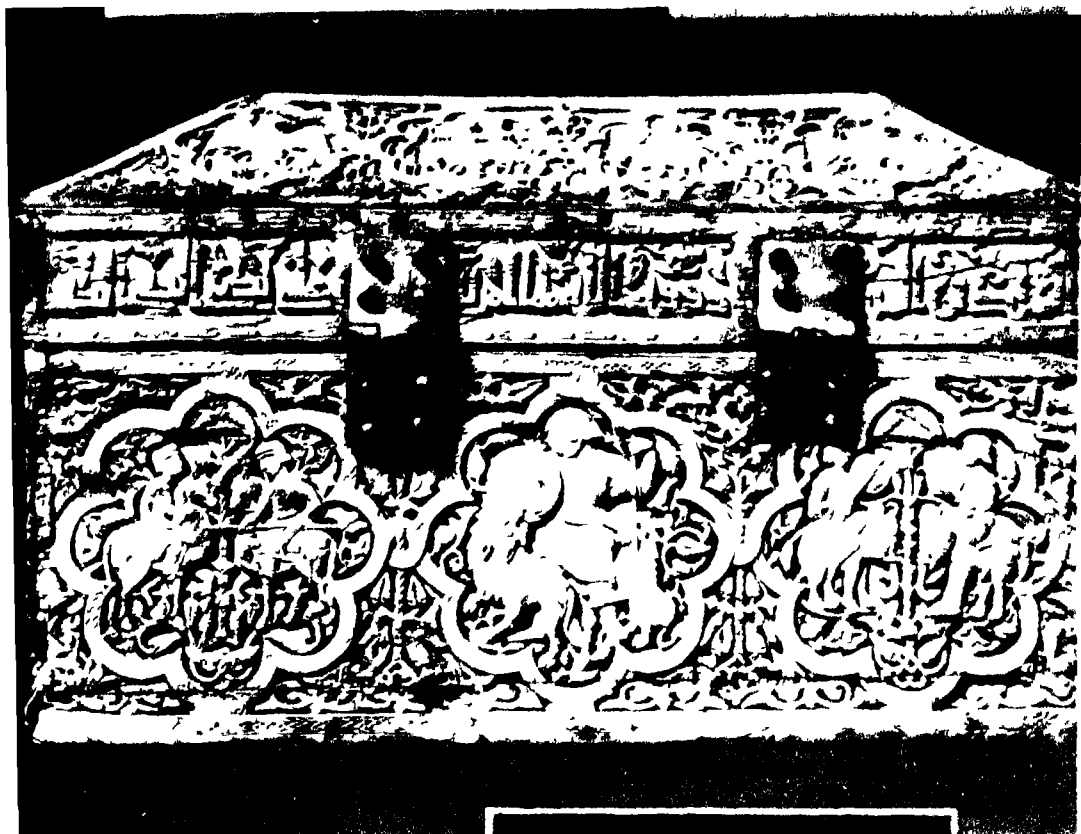
صندوق من العاج المزخرف باسم عبد الملك بن الحاجب المنصور

تاج لعمود مرمري من عصر الحكم المستنصر

وعل مدينة الزهراء

الأندلس
في جمال الفن الاسلامي

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

كانت الحضارة الاسلامية فى الاندلس عنواناً لعبقرية الاسلام وعبقرية هذه الامة العربية التى حملت لواءه . ولم تبلغ الحضارة الاسلامية ما بلغته فى الاندلس من القوة والروعة والجمال ، وما زالت الآثار والنقوش الاسلامية فى اسبانيا ، وما زالت الاطلال الدوارس فى غرناطة وقرطبة واشبيلية،تشهد بما كان لهذه الامة الاندلسية الباهرة من مكانة سامية فى ميدان الفن الرفيع . والفن الرفيع من خواص الحضارات العظيمة . وقد غاضت الحضارة الاندلسية ، وغاضت فنونها منذ بعيد، ولكنها تركت آثارها الباقية فى كثير من نواحى الحضارة الغربية . فى اسبانيا وفى جنوبى أوربا ، وما زال البحث الحديث المنزه يعرض تراثها وآثارها فى كثير من الاعجاب والعرفان

وحديث الفن الاسلامى فى الاندلس حديث متعدد النواحى ، ويستحيل علينا فى هذا المقام أن نعرض منه أكثر من صورة سريعة . بيد أنا سنحاول مع ذلك أن نعرض أهم خواصه وأطواره

نشأة الفن الاسلامي

نشأ الفن الاسلامى نشأة متواضعة . ونريد بالفن هنا معناه الدقيق الخاص ، فالتصوير والنحت والنقش والزخرفة والموسيقى والغناء وما اليها مما ينعت فى عصرنا بالفنون الجميلة ، يقع تحت هذا المعنى . بيد أن هنالك معنى أوسع للفن . فقد يشمل فنون الهندسة والعمارة وما اليها . ولا بأس من أن نعامله بهذا المعنى الاعم أحياناً . وهذه النشأة المتواضعة للفن الاسلامى ترجع بالاخص إلى عوامل دينية . فقد نشأ الاسلام خصيم الوثنية يضطرم بغضاً لمظاهرها ورسومها . وقد كان النحت والتصوير والنقوش الرمزية وقت ظهور الاسلام من مظاهر الوثنية ورسومها البارزة فكان الاسلام يخاصمها ويطاردها . ولم يشأ الاسلام أن يفسح صدره لهذه المظاهر والرسوم كما فعلت النصرانية حيث اعتنقتها وشملتها برعايتها وازدانت بها كنائسها وهيا كلها العظيمة منذ القرن الاول للميلاد ، ثم غدت فيما بعد مثاراً للخلاف الطائفى واعتبرت رمزاً لعبادة الصور ، وثارت حولها تلك

المناقشات والخصومات البيزنطية الشهيرة . بيد أن هذه الخصومة التى شهرها الاسلام فى عصره الاول على التماثيل والصور ، ورموز الوثنية ومظاهرها ، لم تلبث أن خفت وطأتها منذ القرن الثانى للهجرة حينما قامت الامبراطورية الاسلامية وانشئت فى ارجائها الهياكل الاسلامية العظيمة ، وبدت الخلافة فى عظمتها الدنيوية وأخذت بقسطها من الترف والبهاء والبذخ . عندئذ عنى الخلفاء بالفنون وازدانت قصورهم ومعاهدهم وحدائقهم بمظاهر الفن الرفيع . واعتمد العرب على الاقتباس بادىء بدء ، من تراث الفنون الفارسية واليونانية والرومانية والبيزنطية بنوع خاص . واقتبس عرب الاندلس أيضاً من تراث الفن القوطى . ولم يمض بعيد حتى امتزج الاقتباس بالابتكار وبدأ الفن الاسلامى فى مظاهره المستقلة ، وبلغ منذ القرن الثالث للهجرة سواء فى بغداد أو قرطبة مستوى رفيعاً من الروعة والبهاء . وبرع العرب فى صنع الزخارف والنقوش والرسوم والصور الدقيقة ، وانتهوا فى الموسيقى الى ذروة الافتنان والبراعة وازدهر الفن الاسلامي فى المشرق والمغرب أيما ازدهار

فى القرن الرابع

وبلغ الفن الاسلامي فى الاندلس أوج ازدهاره فى القرن الرابع الهجرى . ويجب أن نلاحظ ان الفن الاسلامى فى الاندلس كان فى تحرره من قيود التحريم أسرع وأوسع مدى منه فى المشرق . وكان عرب الاندلس أسبق الامم الاسلامية إلى صنع التماثيل والصور ، وقد زينوا قصورهم ومعاهدهم منذ القرن الثالث بالتماثيل والصور والنقوش التى تمثل الحيوان والنبات والطير . أما التماثيل والصور البشرية فكانت تلقى نوعاً من التحريم العام . وفى عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ — ٣٥٠ هـ) خطا الفن الاندلسى خطوة أخرى فصنعت التماثيل والصور البشرية وزينت بها القصور والمعاهد الخلافية . وكما ان عصر الناصر كان أعظم عصور الدولة الاسلامية فى الاندلس فكذلك كان أعظم عصور الفن الاندلسى . وقد كان قصر قرطبة الكبير حتى عهد الناصر موضع العناية والرعاية من جميع أمراء بنى أمية وكان مجمع البهاء والرواء والفن ، ولكن الناصر آثر أن ينشىء له ضاحية ملوكية جديدة تكون آية فى الفخامة والبهاء ، فانشأ مدينة الزهراء وقصورها ومعاهدها الباهرة ، وأفاض عليها من الوان البذخ والبهاء وبدائع الفن والزخرف آيات رائعات. وكانت نقوش الزهراء ورسومها وتماثيلها أبدع ما اخرج الفن الاسلامى فى الاندلس.ولا يتسع المقام للافاضة فى وصف عظمة الزهراء وروائعها الفنية،فنحيل القارىء الى ما أورده صاحب نفح الطيب فى هذا الشأن من مختلف الروايات والفصول (١) ولكنا نخص بالذكر هنا مثلين رائعين من آيات الفن الباهر التى زينت بها قصور الزهراء ، فمن ذلك أسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أبهى منه فيما صنع الملوك

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقري (مصر) ج ١ ص ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٦٤ — ٢٦٦ وابن خلدون ج ٤ ص ١٤٤. وراجع Murphy Mohamedan Empire in Spain P. 167-174

الأوائل مطلى بالذهب وعيناه جوهرتان لهما ضوء ساطع قد أقيم على بحيرة قصر الناعوة ، يجوز الماء الى مؤخره من قناة تحمل اليه الماء العذب من جبل قرطبة على حنايا معقودة فيدفع الماء إلى البحيرة فى منظر رائع (١) ومن ذلك الحوض البديع الذى جلبه الناصر لاستحمامه وأقيم عليه اثنا عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس مما صنع بدار الصناعة بقرطبـــة : اسد إلى جانبه غزال ثم تمساح ، يقابلها ثعبان وعقاب وفيل ، وفى الجانبين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحدأة ونسر ، كلها من ذهب مرصع بالجوهر النفيس وتخرج الماء من أفواهها (٢) . وهنا أيضاً،أعنى فى عصر الناصر نرى لاول مرة فيما يظهر،تماثيل الانسان وصوره تمثل فى الفن الاندلسى الى جانب تماثيل الحيوان وصوره . فيروى ان الناصر أمر أن تنقش صورة جاريته وحظيته « الزهراء » على باب قصر الزهراء . وهذه الجارية فيما يروى هى التى حملته على بناء الزهراء وتسميتها باسمها (٣) وزينت ابهاء الزهراء بتماثيل وصور بشرية (٤) فكانت ظاهرة فنية جديدة

وبلغ الفن الاندلسى فى عصر الناصر وابنه الحكم المستنصر ذروة القوة والبهـــاء . وما زالت اسبانيا النصرانية تحتفظ ببعض تحف فنية نادرة من تراث ذلك العصر ، منها وعل الزهراء الشهير ، وهو تمثال وعل من البرونز زين جسمه بالنقوش والزخارف العربية البديعة ، وتاج عمود من المرمر به زخارف دقيقة مدهشة وقد نقش عليه اسم الحكم المستنصربالله واسم حاجبه،وكلاهما بمتحف قرطبة ، وصندوق من العاج البديع نقشت عليه صور فرسان وأسود آية فى الدقة ، وذكر عليه اسم صاحبه وهو عبـــد الملك بن ابى عامر ولد الحاجب المنصور ويحفظ بكنيسة بنبلونه الكبرى (٥) . وقد برع الاندلسيون فى الصناعات الفنية الدقيقة مثل صناعة الحلى الفائقة والتحف العاجية والجلدية ونافسوا فيها صناعة بيزنطية (٦) . وكانت القصور والمعاهد العامة والمساجد الجامعة معرضاً لابدع ما تمخض عنه الفن الرفيع يومئذ من صنوف الزخارف والرسوم والتحف الفنية . ومن ذلك أنه كان بجامع قرطبة تنور من نحاس أصفر يحمل الف مصباح وقد زين بصور ونقوش رائعة يعجز عن وصفها القلم (٧) . وقد امتازت المدرسة المحافظة بالتفوق فى نوع بديع من الزخارف يقوم على رسوم الشجر والأوراق والاغصان والاشكال المتماثلة المبتكرة دون الصور التى تمثل الانسان والحيوان ، ذلك لانها كانت تقوم على احترام التقاليد الدينيـــة القديمة ، واشتهرت هذه المدرسة فى العصور الوسطى وكان لها أثر عميق فى تطور الفن الاوربى وما زالت تعرف بالنماذج العربية (الارابسك) (٨)

---

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٤ (٢) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٦ (٣) نفح الطيب ح ١ ص ٢٤٥
(٤) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٥ Murphy; ibid; p. 292 (٥) Lévy-Provençal: L'Espagne Musulmane au Xeme Siecle Pl. XXII, XXIII, XXIV (٦) Lévy-Provençal ; ibid p.184
(٧) نفح الطيب ج ٣ ص ٢٤٥
(٨) Aschbach: Gesch. der Omajaden in Spanen II-352 Murphy; ibid 291;

فى عهد ملوك الطوائف

وسطع الفن الاندلسى أيام الطوائف مدى حين ونثر ملوك الطوائف ولا سيما بنو عباد فى اشبيلية وبنو ذى النون فى طليطلة ، حولهم آيات من البذخ والترف والبهاء . واغدقوا على قصورهم ومعاهدهم بدائع الفن وروائعه مما أفاض فى وصفه المؤرخون والكتاب والشعراء . وكان بنو عباد فى اشبيلية أعظم حماة للفنون والآداب . وكان قصر المأمون بن ذى النون ملك طليطلة آية رائعة من آيات الفن والبهاء . وكان روشنه الشهير الذى بنى وسط بحيرة القصر من الزجاج الملون المزين بالنقوش الذهبية مستقى خصباً لخيال الشعراء ، وكانت حافة البحيرة مزدانة بصفوف من تماثيل الاسود التى تقذف المياه من أفواهها وهي لا تزال تقذف الماء ولا تفتر ، وتنظم لآلىء الحباب بعدما تنثر (١) . وكان للمقتدر بن هود ملك سرقسطه فى قصره مجلس رائع زينت جدرانه بالنقوش والتحف الذهبية البديعة (٢) . ولم يكن هذا الهوى الفنى قاصراً على الامراء والكبراء ، فقد روى لنا المقرى انه كان ببعض حمامات اشبيلية تمثال بديع الصنع قال فيه الشاعر :

ودمية مرمر تزهو بجيد تناهي فى التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا ولا ألمت باوجاع المخاض
ونعلم أنها حجر ولكن تتيمنا بألحاظ مراض

وفى عهد المرابطين والموحدين خبت دولة الفن الاسلامى فى الاندلس . ذلك لان أولئك الغزاة البربر الذين كانوا يضطرمون بروح دينية محافظة لم يقدروا روعة الفن الرفيع وسحره ولم تفسح لهم الثورات والحروب الداخلية مجالا لرعاية الفنون والآداب

فى مملكة غرناطة

وازدهرت الفنون والآداب كرة أخرى فى مملكة غرناطة وكان بنو الاحمر حماة كرماء للفنون. ونلاحظ ان الفن الاندلسى بلغ فى هذا العصر ذروة التحرر والافتنان أيضاً وتوسع الفنانون المسلمون فى تصميم المناظر والرسوم،ولم يقتصر الامر على الصور والرسوم والتماثيل المفردة بل تعداه إلى المناظر المصورة وإلى المجموعات المنحوتة . وما زالت حمراء غرناطة، وما زالت ابهاؤها ومجالسها الرائعة تنبيء عما انتهت اليه آخر دول الاسلام فى الاندلس من البذخ والبهاء ، وعما بلغه الفن الاندلسى فى هذه المرحلة الاخيرة من حياة الاسلام فى اسبانيا من الدقة والافتنان ، وسوف يبقى قصر الحمراء وما يحتويه من النقوش والصور الرائعة رمزاً خالداً لعظمة الفن الاسلامى فى الاندلس . وفى الحمراء : فى قاعة الحكم ، وفى بهو الاسود ، وفى قاعة السفراء ، وفى غيرها من الابهاء المنيفة زينت

(١) نفح الطيب ــ ج ١ ص٢٤٧ و٢٨٢ ــ قلائد العقيان للفتح بن خاقان ص ١٩٤ و ١٩٥
(٢) نفح الطيب ج ١ ص ٢٥٠

الجدران بمجموعات كاملة من المناظر المصورة ومن ذلك صورة لمجلس الحكم وصور تمثل موقعة حربية وكوكبة من الفرسان ومناظر فروسية وصيد وغيرها

الموسيقى فى الاندلس

نعرض بعد ذلك لناحية أخرى من الفن الاسلامى فى الاندلس هى الموسيقى. وقد كان للموسيقى بين فنون الحضارة الاسلامية أيما شأن. وكان ازدهارها بالاخص فى بغداد وقرطبة حيث بلغت حضارة الاسلام ذروة العظمة والنضج. وكان ازدهارها فى عصر مبكر جدا منذ أواخر القرن الثانى للهجرة فى ظل الدولة العباسية الفتية. وفى هذا الوقت نفسه انتقل إلى الاندلس قبس من هذه النهضة المشرقية، فنزح زرياب الموسيقى غلام الموصليين (١) اساطين الموسيقى والغناء لهذا العهد الى الاندلس فى عصر عبد الرحمن بن عبد الحكم (اوائل القرن الثالث) فاستقبله بنفسه وبالغ فى اكرامه وأغدق عليه العطف والبذل. وكان زرياب موسيقياً عظيماً ومغنياً ساحراً، فذاع فنه وافتنانه فى الاندلس والمغرب، وانشأ بالاندلس مدرسة موسيقية وغنائية باهرة استطال نشاطها وأثرها حتى عصر الطوائف، وازهرت أيام الطوائف فى اشبيلية فى ظل بنى عباد بنوع خاص (٢) وسطع فى مملكة غرناطة قبس من هذه النهضة، واشتهرت الموسيقى الاندلسية فى غرب اوربا فى العصور الوسطى، وكان لها أثرها فى تطور الموسيقى الغربية. وبرع المسلمون فى العزف على كثير من الآلات الموسيقية المعروفة حتى اليوم واخترعوا الكثير منها ولا سيما «القيثارة» التى كانوا يعتبرونها اجمل الآلات الموسيقية. وكان للموسيقى الاندلسية أثر كبير فى تطور الموسيقى الايطالية القديمة. ولا زالت آثار من الاوضاع والتقاليد الموسيقية الاندلسية تمثل فى الموسيقى الاسبانية الحديثة (٣)

وللعرب اثار قيمة فى الموسيقى العلمية والعملية. وفى مكتبة الاسكوريال مخطوط عربى نفيس عن الموسيقى وعناصرها ومبادئها وأوضاعها وانغامها وكذلك عن الآلات الموسيقية المختلفة واشكالها وتراكيبها (٤) وهو دليل على ما بلغه المسلمون فى هذا الفن من الرسوخ والابتكار

وقد يرى بعض الباحثين الغربيين أن الاندلسيين تلقوا معظم تراثهم الفنى عن الفنانين النصارى، وفى هذا الرأى مبالغة، فقد اقتبس الاندلسيون من فنون القوط والفرنج والبيزنطيين والبنادقة، ولكنهم كانوا مبتكرين أيضاً وكانوا منشئين لفن اسلامى محض بما اسبغوه عليه من الوان الافتنان الرائع التى اختصوا بها وتميز بها تراثهم الفنى مدى الاحقاب

محمد عبد الله عنان

---

(١) ابراهيم الموصلى وولده اسحاق وولده حماد (٢) ابن خلدون ـ المقدمة ص ٣٥٧ ـ ونفح الطيب ج ٢ ص ١٠٩ وما بعدها (٣) Murphy; ibid; 296-Aschbach; ibid : 353
(٤) Casiri: I-p. 374

عبقرية الفنون

بقلم الاستاذ عبد الرحمن شكري

لا أذكر أكان جيتى الالمانى او كارليل أول من عرف العبقرية بأنها اهتمام المرء لفنـــه وكده فيه اهتماماً وكداً لا حد لهما، ولعل الثانى قد نقل هذا التعريف عن الاول . ولكننا نرى ان بين المشتغلين بالفنون من يفنى حياته لاحياء فنه فلا يكون فى فنه شىء من دلائل العبقرية ، وقد يقضى أناس ليلهم ونهارهم يحاولون ان يضرموا فى انفسهم نارها فلا يظهر فيما يذكون من الفن بصيص العبقرية . واكثر من هذا ان امثال هؤلاء قد لا يستطيعون ان يصنعوا فناً جميلا لا عبقرية فيه . ففى هذه الحال لا يدركون فناً ولا يصيبون عبقرية حتى ولو كان اهتمامهم وكدهم لا حد لهما ، وبعض هؤلاء يقضون حياتهم فى عبث الفن ، فاذا رأيت تعبهم عجبت من تعب ونصب وأمل وعزم وايمان وصبر ، وحسبت ان الذى ابتعث كل هـذه الصفات فن خالد فلا ترى فيما يعبثون به من الجد أو ما يجدون به من العبث شيئاً خالداً . وليس أدعى الى التأسف عليه والاشفاق به ممن يقضى حياته فى لغو الفن مؤمناً بان العبقرية هى الاهتمام والكد اللذان لا حد لهما

والعبقرى يبعثه الشغف الى الاطلاع كما يبعثه الشغف الى الانتاج فهو يريح نفسه فى الحالتين حتى لا يكاد يحس كده واهتمامه اذا كان فى اطلاعه أو انتاجه كد ، وهو قلما يأخذ باسباب فنه او يزاوله الا بباعث خفى من نفسه كانه غريب عنه لا سلطان له عليه .وقد تتخلل فترات الاطلاع والأخذ بأسباب الفن ومزاولته والانتاج فيه ، فترات اخرى طويلة من فترات الركود تكون روحه فيها اشبه بالارض التى اعفيت من الزراعة لتستريح وتستعيد صفات الانتاج

ومن العبقريين من يحمل عبقريته كما يحمل المخاطر روحه على طرف سنانه أو رمحه يرمى بها كل مرمى وكأنه لا يرى لها قيمة

وبعضهم كان يتأمل عبقريته كما يتأمل غيرها من أمور الحيـاة ويعلى او يخفض من شأنها كما يعلى او يخفض من شأن الحياة فى احوال نفسه المختلفة . وكأن لديه فى نفسه ما هو أعز من كل ذلك . فتعريف العبقرية انها اهتمام وكد لا حد لهما تعريف باطل لأن الكد ليس بالصفة الخاصة بالعبقريين او العامة فيهم جميعاً . ولو انه قيل ان الفنان هو الذى يرى ان للفن فرضاً يؤديه من كد واهتمام لا حد لهما لحسن المعنى. والعبقرية والفن كالدائرتين اللتين تشتركان فى شطر منهما وتختلفان فى شطرين

مزاج العبقري

ويقولون ان العبقرية مزاج منحرف عن الأمزجة المعتدلة ويبالغون في وصف هذا الانحراف ويقصرونه على اهل العبقرية والحذر فرض عند تدبر هذه المبالغة إذ الناس يتهمون بالشذوذ والانحراف كل من ظهر عليهم فى قول او فكر او فعل ويحسبون صنفاً خاصاً من اصناف الخليقة كل من غايرهم فى العقل وخالفهم فى القول والرأى

وهذا الحسبان قد وقع فيه العلماء عند نظرهم فى حياة اهل العبقرية الذين يؤدون زكاة شهرتهم وظهورهم بالنظر الثاقب والرأى الجديد أضعافاً مضاعفة من آلامهم . ويقولون ان العبقرية ان تقوى ملكة من ملكات العقل وأن تضعف اخرى فينبغ الرجل من اجل اختلال التوازن بين ملكات عقله . ولكن ينبغى الا ننسى ان انحراف المزاج والشذوذ فى الفكر او الخلق او العادة وان اختلاف ملكات العقل فى النمو امور شائعة بين ذوى العبقرية ومن لا عبقرية لهم وهى توجد بمقادير متفاوتة فى العبقريين قدر تفاوتها فى غيرهم وتختلف اسبابها فى أهل العبقرية كما تختلف فى غيرهم بين اثر الوراثة وأثر البيئة والحياة . فالنقاد يخطئون لمحاولتهم فصل ذوى العبقرية عن الناس فى تدبر صفاتهم إذ الحقيقة ان ذوى العبقرية يشبهون الناس فى اكثر محامدهم ونقائصهم وان المزاج المعتدل النظرى يكاد يشذ عنه كل انسان فى صفة أو صفات من تلك الصفات التى ذكرها النقاد وعدوها من خصائص المزاج المنحرف . وأهل العبقرية لما انهم يشبهون الناس فى اكثر صفاتهم يختلف كل منهم عن الآخر فنهم العاقل ومنهم شبه المجنون ومنهم المتزن وغير المتزن والقوى والضعيف والخير والشرير واذا شئت فقل ان هذه الصفات تختلف فيهم مقاديرها كما تختلف فى الناس عامة فلا غرو اذا كانت الصفة المميزة لهم وهى جدة الصنع والنظر توجد فى الناس ايضاً بمقادير مختلفة فى اطوار مختلفة إلا انها جدة مصحوبة بشيء من صدق النظر والجمال ويعظم هذا الشيء كلما عظمت العبقرية

نظر العبقري الى نفسه

ولقد كان بعض ذوى العبقرية شديدى الايمان بانفسهم وغير هؤلاء على النقيض يزدرون ما يجيدون طموحاً الى ما لم يصنعوا ويطلبون فوق كل إجادة إجادة وطائفة منهم تتردد بين الثقة والشك فتنتابها دورة أشبه بالدورة التى تنتاب أنفس بعض الناس من زهد وتقشف تارة ومن تمتع بالحياة تارة أخرى .ومن يريد ان يقصر العبقرية على طائفة دون طائفة يصنع صنيع الذى يحكم على العبقريين بغير ما يحكم به على الناس كما اوضحنا

والحقيقة ان العبقريين فى نظرهم الى ملكاتهم كالناس ، فنهم من يغالى بها ومنهم من لا يغالى ومنهم من كان الشك ينتابه فى كثير من أمور الحياة ومنهم من بلغ به إعظامه لعبقريته

ما هو شبيه بداء العظمة ومنهم من كان يدفع بعظمته مكايد الناس ومنهم من تعاطى العظمة لعرفانه ان الناس قلما يثقون إلا بمن يثق بنفسه ويعظمها وانهم تبهرهم مظاهر الايمان بالنفس حتى يعبدوا صاحبها كما حدث فى عصور التاريخ أو يتخذوه وسيلة الى الله او يعتقدوا فيه العبقرية

والعبقرى مثل غير العبقرى ليس بمعصوم من الخطأ فى نظره الى ملكاته كما انه ليس بمعصوم من الخطأ فى تفضيل صنع على صنع وهو قد يخطىء حيث لا يخطىء الفنان لأن هـذا يتبع السبيل الموطأ والعبقرى يجتاب الطرق غير الممهودة فيختط خطة وهذا عذر قد يلجأ اليه من لا يجيد إجادة الفنان ولا إجادة العبقرى بل يخطىء ويحيل خطاه على عبقرية موهومة

العبقرية والاحتراف

ومن الناس من يريد ان يرغم الفنان على أن يجعل فنه حرفة يرتزق منها ومنهم من ينكر عليه ذلك والاحتراف واقع حتى بمن لا يرتزقون من فنهم وانما بما يكسبهم الفن من الجاه والاصدقاء ومعاونة اهل الرياسة أو بما يكسبهم من الشهرة التى يستعينون بها فى جلب الرزق من حرفة أخرى مقاربة او مباعدة لفنهم ولـكن بعض الناس يريدون من الفنان أن يحترف فنه احترافا مباشراً متصلا بفنه حتى ولو ألقى به فى الطريق وشرده تشريداً ويطيلون فى الـكلام المفخم المأخوذ عن صغار الفنانين الباريسيين الذين كانوا يقضون أوقاتهم فى احتساء الابسنت وفى الطرقات والمقاهى ويقولون انهم يكتسبون خبرة بامثال هذه الحياة. ومن الغريب ان اناسا آخرين ياخذون عليه الاحتراف ويعيبونه به! وليس الاحتراف أو نقيضه من دلائل العبقرية. وسواء احترف المرء فنه أو لم يحترفه فهو فى الحالتين اذا عاش من أجل فنه كان خيراً ممن يموت من أجله لأنه يزاوله ويحييه وأما الآخر فيموت فنه بموته. والتفكير السليم والخبرة بالحياة والناس والطبيعة لا تأتى فقط من طريق يشرد المرء نفسه فيه اختياراً

ومن الغريب ان أناساً يلومون المحترف على احترافه وهم لا يلومون الطبيب أو المعلم أو المحامى ويقولون: ان الفنان المحترف قد يضطره احترافه الى ان يصنع ما لا يرضى عبقريته. وهذا أمر ليس بالمحتوم ولو حدث شىء منه لـكان الفنان فى هذه الحالة معطيا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ولا يمنعه هذا من إرضاء عبقريته ايضاً إلا اذا شغل احترافه كل حياته. وعلى أى حال لا أظن أنه يشتغل بما يرضى عبقريته أقل ممن يحترف غير فنه وسيبقى ما هو جدير بالخلود مما أرضى به عبقريته من الفن العالى وقد يهىء له احترافه الفن فرصاً لا تتهيأ إلا به. ولمن يحترف فنه على اى طرق الاحتراف سواء الاحتراف الواضح القريب والاحتراف غير القريب الذى وصفناه مزية كبيرة لانه يكتسب الخبرة والدربة والحنكة والاطلاع اكثر ممن يحترف غير فنه وإن كان الاخير فى بعض الاحايين نظرات جديدة كنظرات من يبتعد عن المنظر الحسن من

مناظر الطبيعة كى يرى ما لا يراه القريب. والمحترف فى أكثر الاحايين أكثر انتاجاً وإجادة لانه أكثر مزاولة لفنه. واعنى المحترف العبقرى فليس كل المحترفين من ذوى العبقرية وليس العبقرى مدفوعاً إلى الاحتراف لا محالة، وإنما هى أحوال الحياة وقد يتفرغ المرء لفنه اذا احترف غيره فلا يصرف فرص مزاولة فنه فى البحث عن الرزق. ولكن لما كان الفنان قد تنتابه عوارض يقظة الوعى الباطنى ليلا فان الارق يضنيه اذا لم تتح له فرصة الراحة نهاراً

عالمي أم محلى

الفن العالى يصلح لكل مكان فان العقول والنفوس لا تختلف فى جوهرها وان اختلفت فى أذواقها وهذا الاختلاف لا بد من مراعاته عند النقل. واذا لم تكن فى الفن فكرة عالمية ولم يكن فيه شعور عام انقلب الى ملح ونكات محلية وألاعيب لفظية أو معنوية تروج فى مكان دون مكان وقد يكون فنها جميلا مليحاً ولكن مكانته دون مكانة الفن العالمى. والفن العالمى قد يكون مقروناً بثقافة عالية وقد لا يكون مقرونا إلا بثقافة تنشأ عن مزاولة الفن والتمرس به دهراً حتى تسقط عنه أخطاؤه التى تنبو عن أصول الفن الصحيح

فالفن العالمى قد يكون آية فى البساطة والسهولة وقد يكون مقرونا بالثقافة الكثيرة. والسهولة والبساطة لا ينفيان الثقافة على أى حال

والثقافة نوعان ثقافة العلم والفكر وثقافة التشذيب والتهذيب والمزاولة والخبرة. ولكننا نستنكر أن يقهر الفنان ثقافته كى يروج فنه بين من لا ثقافة لهم إلا أن يكون فى قهر بعض ثقافته داع الى اعظام فنه وكماله وإتمام قوته وخلاص له من الشذوذ الرخيص الفاتر المخل. ولكن هذا قهر ثقافة بثقافة فنية اعظم قيمة وليس من قبيل قهر الثقافة من أجل إخراج فن للعامة. ولو جاز هذا الامر فى صنع لما جاز فى كل اعمال الفنان

وليس الفن الجميل العالى فى مقدور كل انسان فى كل وقت حتى يقهره على ما لا تشاء العبقرية والثقافة والوعي الفطن. والفنان الكبير له أثران: أثر فيمن يستطيع ان يدرك كل مرامى فنه وأثر فى الآخرين الذين يتأثرون من يستطيع ادراك كل مرامى فنه أو بعضها. فأثر الفنان الكبير أشبه باثر الحجر يرمى به فى الماء فيصنع فيه دوائر متعددة تعظم وتتسع حتى يشمل أثر الحجر سطحا واسعا من الماء بعد أن كان أثر وقعه فيما حوله من الماء. وهذا ايضا اثر الفنان فى شعبه. ومن أجل ذلك كان اكثر عظماء الفنانين عالميين لأنهم انما يعبرون عن جوهر العقل البشرى والنفس البشرية اينما كانت وعن الطبيعة فى مظاهرها التى يشترك فى استجلائها كل انسان ويلتذ جمالها كل ذى لب مهما اختلفت مظاهر جمالها

عبد الرحمن شكرى

عبقرية الجمال

بقلم الأستاذ طاهر احمد الطناحي

« بينما كان عمر بن الخطاب يطوف ليلا بالمدينة سمع امرأة تهتف فى خدرها وتقول :

هل من سبيل الى خمر فاشربها ... أو هل سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل ... سهل المحيا كريم غير ملحاج

« فقال عمر : لا أرى معي رجلا تهتف به العواتق في خدورهن . عليَّ بنصر بن حجاج . فجىء به ، فاذا هو أحسن الناس وجهاً وأجملهم خلقاً . فقال عليَّ بالحجام ، فجاء الحجام فجز شعره فخرجت وجنتاه كأنهما شِقَّتا قمر . فقال له : اعتم ، فاعتم ، ففتن الناس به . فقال عمر : والله لا تسكن بلداً أنا فيه . . وسيره الى البصرة »

تلك قصة يرويها الرواة على أنها تدل على إحدى فضائل عمر فى المحافظة على عصمة النفوس من الزلل ، وعلى أنها إحدى الحوادث التى تصور لنا مثلا من أمثلة يقظته في تتبع أحوال رعيته وحرصه على مصالحهم الدينية والدنيوية . . . ونرويها نحن هنا لغرض آخر غير هذا الغرض الذي نعتقد ان الفاروق كان في غنى عنه ـ نرويها لهذه العبارة التى قال فيها الراوى : « فخرجت وجنتاه كأنهما شِقَّتا قمر » . فلو أن الجمال على الاطلاق هو تناسب الاجزاء كما يقول البعض ، أو الشعور بالشيء الجميل كما يقول آخرون ممن بحثوا فى معنى الجمال ، لكان الغرض الذى رمى اليه عمر من تشويه وجه نصر بن حجاج بقص شعره قد تحقق بنقص جزء مهم من تناسبه ، و بصرف شعور الناس عن جماله . ولكنه على العكس بدا خيراً مما كان . وكأن هذا الشعر الفتان الذى اختاره عمر لتشويه صاحبه لم يكن له فضل فى جمال نصر ، فقد زادت فتنة الناس به بعد حلقه حتى ضاق به عمر فحلف ألا يسكن بلداً هو فيه . .

فما السر فى ذلك ؟

السر فيه أن هناك شيئا غير تناسب الاجزاء،هو عبقرية الجمال و روحه التى تسيطر على النفوس ، وهذه العبقرية تنمحى امامها الحدود والمقاييس ، فكما أنك لا تستطيع أن تقيس العبقرية في الادب أو الموسيقي أو التصوير بمقياس من المقاييس ، ولا تقدر أن تحدها بحدود

كما تحدد المسافات والابعاد ، كذلك عبقرية الجمال ، هى شىء فوق القياس والتحديد ، نراه ببصيرتنا قبل أن نفهمه باذهاننا ، وهى قوة تنفذ الى البصيرة كما ينفذ الجمال المعنوي فى بيت الشاعر المطبوع ، فتطرب له نفسك حين سماعه ، وقبل ان ينتقل الى ذهنك ، وكما ينفذ الجمال الموسيقي فى نغمات النشيد قبل ان تفهم معنى النشيد ، فالبصيرة هنا هي التى تقوم بدورها ، ولو أنك رأيت منظراً من مناظر تلك العبقرية في الطبيعة أو الانسان فاعجبت به أشد الاعجاب ، فلست في حاجة لان تسأل نفسك لماذا أعجبت به ، ولا أن تحلله تحليلا منطقياً وتقيسه بالحدود والمقاييس ، ولعلك لو حاولت ذلك ما استطعت

فتعريف سقراط للجمال على الاطلاق بانه نسبى لا ذاتي ، وبأنه لا يوجد شىء جميل في ذاته لا ينفصل عن شعور الانسان ، تعريف لو طبقناه على كل كائن معنوى أو مادى لما كان هناك وجود لشىء من الكائنات ، فلو قلنا انه لا وجود للشمس إلا حيث يوجد الشعور بالشمس ، ولا وجود للعدل الا حيث يوجد الشعور بالعدل ، لما كان هناك شمس ولا عدل ولا غيرهما من الكائنات المادية والمعنوية

وكذلك افلاطون وارسطو في تعريفهما الجمال بالتناسب والتماثل والدقة في الاجزاء وتوسط الحجم دون أن يعينا كنه هذا التناسب ومقدار التماثل والدقة ، بل تركا ذلك للاذواق ، فهذا التعريف لا ينطبق على كل جميل ، وهو تعريف ناقص للجمال . على ان الحكم في ذلك كله للبصيرة ، كما قلنا ، لا للمقاييس والحدود

اما « كانت » و «هيجل» و « شوبنهور » من فلاسفة المتأخرين ، فقد ابعدتهم فلسفتهم عن حقيقة الجمال كما ابعدت المتقدمين الذين كانوا يريدون ان يخضعوا كل شىء للمنطق والموازنة والتحليل ، وقد قال فولتير :

« اذا سألت الفلاسفة عن معنى الجمال اجابوك اجابة غامضة بعيدة عن الواقع الملموس ، فدعهم وابحث عما تستطيع ان تفهمه » !

والذى نستطيع أن نفهمه هو أن الجمال موجود في ذات الشىء الجميل الذى نراه ببصيرتنا قبل افهامنا . وهو حينما وجدت عبقريته لا تقاس بالمقاييس ولا تخضع للشعور المتأثر بالبيئة والنزعات التى تحدثها التربية والوسط والذوق الادبى

فحسناء كالليدى هاملتون يعجب بها المصرى كما يعجب بها الانجليزى ، وكما يعجب بها الزنجى والياباني والصينى. واذا عرضت صورة أية عبقرية من عباقرة الجمال في الامم ألفيت اجماعاً

من سائر الافراد والجماعات على استحسان هذه الصورة مهما اختلفت الحضارات ، وتباعدت المسافات ، فرأس الملكة نفرتيتي وموناليزا أو الجيوكندا ، وتمثال فينوس ، وامبراطورة اليابان في رسم ايزاكو وادا ، ومدام دوبمبادور ، والاميرة كانت ، في رسم فانديك ، وغيرها من أمثلة الجمال العبقرى ، لا تجد من لا يعجب بها ، ومن لا يقر لها بالجمال الساحر والتأثير النافذ الى كل النفوس سواء في ذلك الاوربى ، والافريقي ، والاسيوى ، والامريكي ، و الاسترالى

أمل المرأة

وعبقرية الجمال هي أمل المرأة الذى تسعى اليه ، ولو كانت على حظ كبير من الجمال ، فهي تتوسل اليه بالوسائل الصناعية ، كما يتوسل بعض الادباء من غير العباقرة بالمحسنات اللفظية في الشعر والنثر . ولكن عبقرية الجمال شيء يسمو على هذه الوسائل . واذا استخدمت فيها الوسائل الصناعية شوهتها لانها كاملة لا تحتاج الى الزيادة والتكميل ، وهى في بساطتها تجبر النّاس على الاعجاب بها ، لا فرق فى ذلك بين العدو والصديق ، والعاشق والحاسد ، والمؤمن والكافر ، فهي أينما وجدت ذات قوّة سماوية ، لانها هبة إلهية لا يستطيع أحد أن يجحد سيطرتها على النفوس والأنظار ، وهى آية الله التي يعجز بها البشر ليقروا له بالعظمة في كل بدعة من بدائع الخلق

وغاية الرسام من فنّه ابراز هـذه العبقرية ، فاذا عثر بها فى إنسان أو نبات أو جماد فتن بها ، وسرعان ما يلائم بين حقيقتها وخياله الطامح إلى المثل الاعلى ، وقد لا يعدو الواقع في رسمه كأنه ينقل بفوتوغرافيته لا بيده ، لان الجمال العبقرى لا يحتاج الى من يكمله ، أما الجمال العادى - أو الجمال الناقص - فهو في حاجة الى هذا التكميل ، فيخلع عليه الرسام من خياله جمالا فوق جماله ، فيبدو فى ثوب عبقرى ، لان غاية الرسام كما قلنا هي إبراز هذه العبقرية بقدر ما يستطيع

وعبقرية الجمال تخدم الفن حينما وجدت ، وهى ترقى به الى المستوى الروحاني ، لانها من روح الله ، فاذا لم توجد هذه العبقرية أمام الفنان في ظرف من الظروف ، وافتقد نموذجاً منها يرسم على غراره احتال بخياله في الوصول اليها . ومن هنا تتفاوت أقدار الفنانين فى تمثيل عبقرية الجمال ،فأقدرهم على تمثيلها أقوامهم بصيرة في استكناه الجمال الذى لا تعرف له حدود

هل الجمال شقاء؟

و بعد فهل الجمال سعادة أو شقاء ؟ أما انه سعادة للفنون ، فذلك مما لا شك فيه ، فانه يتقدم بها الى الامام ، ويرقى بها من الدرك الحيوانى الى مكانة سامية في عالم الروح ، واما انه شقاء لاصحابه وللمجتمع ، فقد رأينا ما جنته عبقرية الجمال على نصر بن حجاج وما أصابه من الضيق والنفى عن وطنه ، والذين يتصفحون التاريخ يجدون ـ عدا قصة يوسف وما أصابه من جماله ـ امثلة كثيرة ، فهيلانة أم تلماك ، وكليو بطره ملكة مصر ، كان جمالها شؤماً عليها ولو كانتا قبيحتى المنظر لما شقيتا في حياتهما

والجميلة دائماً مرمى انظار الرجال ومثار للمنازعات ، فجمالها شقاء لها وللمجتمع ، وقد سببت كثيرات منهن اقتراف افظع الجرائم واخطر الاعمال بل كادت بعضهن تسبب قيام حرب دولية كما وقع في حادثة الكونتس فرنسيسكة وزوجها مسيو ليتشيف وعشيقها الضابط جوزيف وايلد ، فقد اشترك في الخلاف بينهم ثلاث دول وقعت في نزاع دولى بسبب هذا الخلاف

وكل من يتصفح حياة ملكات الجمال في العصر الحديث يجدها مليئة بالشقاء والآلام. وما زلنا نذكر مصرع الآنسة « اينيس سورية » ـ أول ملكة للجمال ـ بالسل بعد ما تقلبت فيه من مآس وما اصابها من بؤس بعد ظفرها بهذا اللقب

فالجمال شقاء لاصحابه كما هو شقاء لغيرهم وقد كان سبباً في شقاءٍ بعض الملوك والامراء بما يصابون به من الغدر والخيانة التي تغرى بها أطماع الطامعين وأثرة الحاسدين. نذكر من ذلك ملك بهار أحد ملوك الهند فقد امتحن بهذه الخيانة من اجمل امرأة كان يحبها فانصرف عن الجمال وعن الحب واعتزل العالم وعكف على نظم أقواله في كراهة الجمال وكراهة النساء . ومما قاله : « ان المرأة الجميلة علة الشر فى الحياة وسبب انحطاط الرجل لانَّ نور الحكمة ما يزال يتألق فى أفئدة الرجال حتى يطفئه الحب . فالرجل يستطيع الاحتفاظ بكرامته والسمو بنفسه وروحه حتى يأسره جمال المرأة فينسيه كل شيء ويقعد به عن الرقى الى السماء » !

طاهر احمد الطناحى

نهضة الفنون الجميلة
في مصر الحديثة

لما تولى المغفور له محمد على باشا الكبير عرش مصر اهتم بالفنون الجميلة فيما اهتم به من جلائل الأعمال ، فأنشأ مدرسة الهندسة بالقلعة سنة ١٨١٦ وجلب لها مهرة الفنانين فى الرسم والزخرفة من فرنسا ، ثم أنشأ مدرسة المهندسخانة ببولاق ، واختص بعض أفراد البعثات العلمية بدراسة الفنون الجميلة ، فتخرج فيها حسن افندى الوردانى ، وكان من طلاب البعثة الأولى ، وتخصص فى الرسم والزخرفة، ومحمد افندى مراد ومحمد افندى اسماعيل من طلاب البعثة الثالثة ، وتخصص كل منهما فى الرسم والنقش والزخرفة وحسين كوجك (كوجك باشا) من طلاب البعثة الخامسة . وقضى ٢١ سنة فى أوربا وكان ماهراً فى الرسم والزخرفة

وقد أنشأ المغفور له محمد على فرقاً موسيقية بالخانكة سنة ١٨٢٧ وفرقة آلاتية سنة ١٨٣٤ . وحذا الخديو اسماعيل حذو جده العظيم فى تشجيع الفنون الجميلة ، وكان بطبيعته ميالا الى تغذية النهضة وتقدمها ، فأنشأ مدرسة الفنون والصنائع سنة ١٨٦٧ وتخرج فيها وفى المهندسخانة مهرة الرسامين والمهندسين فى النقش والبناء . وشجع اسماعيل فنى الموسيقى والتمثيل فانشأ مسرح الكوميدى بالازبكية سنة ١٨٦٧ واحتفل بافتتاحه سنة ١٨٦٨ ثم انشأ دار الاوبرا سنة ١٨٦٩ وبلغت نفقات بنائها ١٦٠ الف جنيه ، ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر من تلك السنة أول أوبرا واسمها (ريجوليتو) ثم مثلت فيها رواية « عائدة » وهى التى قام بوضعها فردى بناء على طلب الخديو وعاونه فى تحضيرها ماريت باشا

ولم يقتصر اسماعيل على ذلك بل جلب فرقا أجنبية من مهرة الممثلين والموسيقيين وسرت روح النهضة الفنية فى عهده ، فظهر من نوابغ المطربين عبده الحمولى ، ومن كبار المطربات السيدة الماس . وقد بعث الخديو اسماعيل بعض نوابغ الشبان المصريين لدراسة الفنون الأخرى كالرسم والتصوير ، ونشطت النهضة الفنية فى عصره وظهر فيه بعض نوابغ الرسامين والمصورين إلا أن جهودهم كانت محصورة فى اعمال الحكومة الرسمية

وفى سنة ١٨٨٩ أنشا الخديو توفيق باشا مدرسة الفنون والصنائع بالمنصورة ، وأخذت النهضة الفنية تتدرج فى الرقى والتقدم الى وقتنا هذا . غير أنه لم تظهر جهود الفنانين الفردية فى مصر الحديثة إلا منذ نحو ٣٥ سنة حين أقيم معرض الرسم والتصوير لاول مرة بالقاهرة وكان العارضون كلهم أجانب

وفى سنة ١٩٠٧ أنشأ الامير يوسف كمال مدرسة الفنون الجميلة ، وهى أول مدرسة أنشئت لتعليم هذه الفنون فى مصر الحديثة وفيها تخرج معظم الفنانين المصريين

وفى سنة ١٩٢٠ دعا الأستاذ فؤاد عبد الملك الى إقامة معرض سنوى تعرض فيه آثار الفنانين ، وقد أقامه على نفقته الخاصة باحدى دور شارع فؤاد الاول

وفى سنة ١٩٢٣ الف صاحب السمو الامير يوسف كمال جمعية محبى الفنون الجميلة ، ومنذ ذلك الحين تولت هذه الجمعية الدعاية للفنون الجميلة . وقد شملها جلالة الملك برعايته السامية . وفى عام ١٩٢٧ صدر أمر عال بتأليف لجنة الفنون الجميلة برئاسة وزير المعارف وأعضاؤها من كبار رؤساء المصالح الحكومية التى لها ارتباط بالفنون

وفى مصر الآن ثلاث مدارس للفنون الجميلة ، هى : مدرسة الفنون الجميلة ، ومدرسة الفنون التطبيقية ، ومدرسة النجارة والصناعات الزخرفية

وقد انشأت وزارة المعارف اخيراً « متحف الفن الحديث » بالقاهرة وعرضت فيه ما اقتنته من آثار الفنانين المصريين والاجانب

وفى نية الوزارة أن تنشىء « مدينة للفنون الجميلة » وقد أعدت لهذا الغرض ٤٦ فداناً لتقام عليها المدينة بجهة العجوزة

ومازالت النهضة الفنية فى مصر تتقدم الى الامام . وقدظهر فيها طائفة من الفنانين المصريين الذين رفعوا رأس مصر فى المعارض المصرية والاجنبية ، وحازت آثارهم أجمل التقدير والاعجاب

ولا أكذب البارى بنى الله هيكلى صنيعةَ إحسانٍ ورِقّ حسانِ
أدين إذا اقتاد الجمال أزمتى واعنو إذا اقتاد الجميل عنانى

شوقى

فهرس الهلال

الجزء الاول من السنة الرابعة والاربعين

الهلال

الجزء الرابع ـ السنة ٤٥

أول فبراير سنة ١٩٣٧ ـ ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٥٥

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

هدايا الهلال

هدية الهلال الخامسة : « مختارات جرجى زيدان »

الى جانب ما يلمسه القراء من العناية الفائقة فى تحرير الهلال الذى يأبى الا أن يقدم لهم خير ما ينتجه أعلام الفكر فى الشرق العربى ، يرون أنه قد أخذ على نفسه هذا العام اهداء مشتركيه طائفة من الكتب القيمة النافعة ، المتعة الطريفة . فأرسل الى من سدد الاشتراك أربع هدايا : كمال أتاتورك ، هنرى الخامس ، فاروق الأول ، تقويم الهلال . وسيرسل اليهم عما قريب هديته الخامسة وهي « مختارات جرجى زيدان » التى تضم طائفة كبيرة من خير ما أنشأه مؤسس الهلال من المقالات والبحوث فى شتى نواحى العلم والأدب والفلسفة والاجتماع ، والتى ساهم بها صاحبها بنصيب كبير فى نهضتنا الفكرية الحديثة . وتبلغ قيمة هذه الهدايا [illegible] قيمة الاشتراك فى الهلال
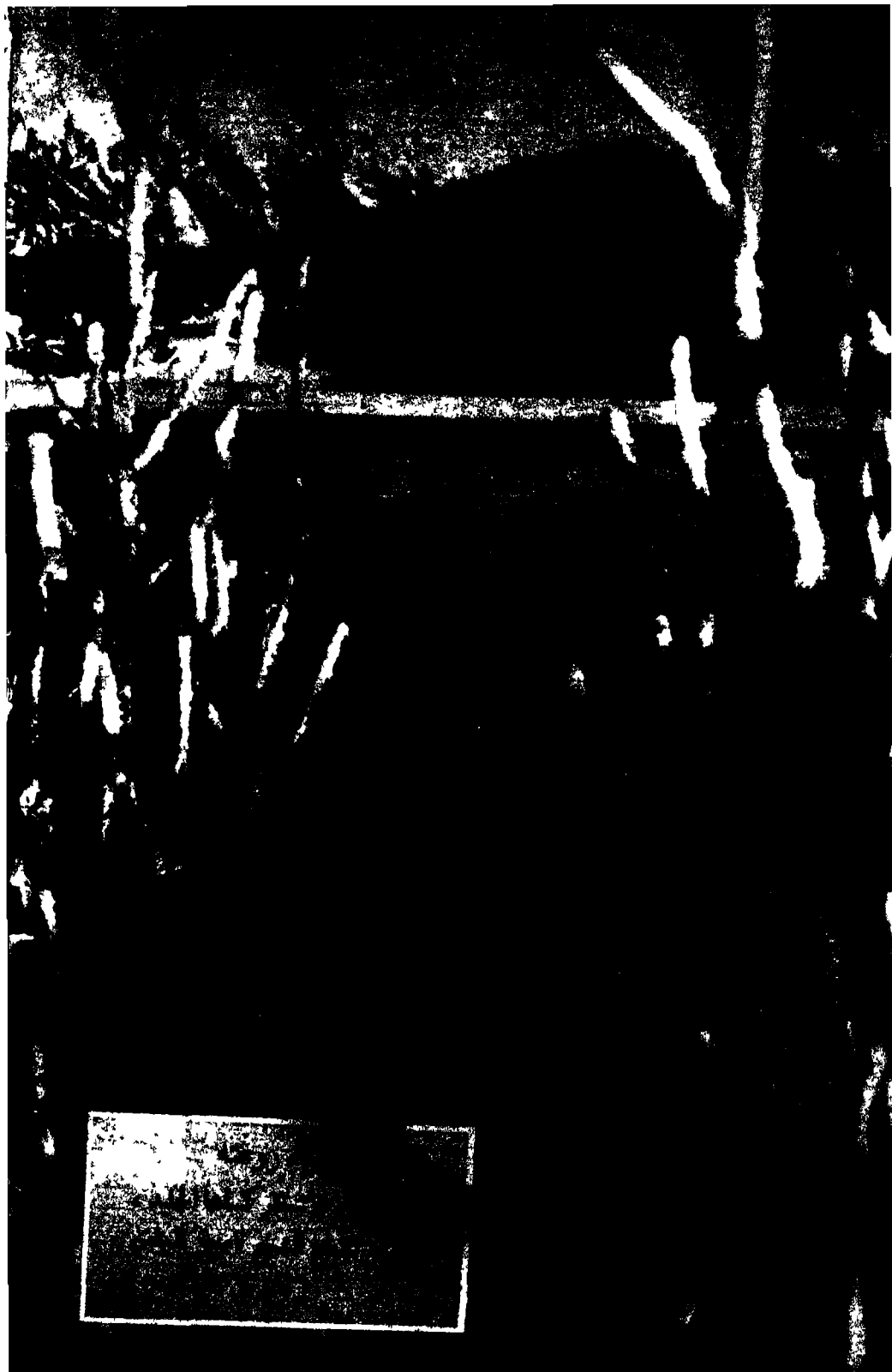
بعض وجهات التفكير الحديث

للأستاذ الدكتور طه حسين بك

« .. أوضح ما يقال عن الاتجاهات الأدبية فى هذه الأيام أنها تتحد اتحاداً مزعجاً مرهقاً مخيفاً حقا فى البلاد التى تخضع للنظام القوى والسلطان العنيف ... ثم هى تختلف اختلافاً قوياً خصباً رائعاً فى البلاد الحرة التى تستمتع بالحرية الديموقراطية »

وإنما أريد التفكير الذى يمس الأدب من قريب أو التفكير الذى يصدر عنه الأدب وتستمد منه أقلام الأدباء ما تذيع فى الناس من آثار . وواضح أن فصلا فى مجلة لايستطيع أن يلم بوجوه التفكير الأدبى الحديث فى بلد بعينه، فضلا عن أن يلم بها فى أوربا كلها ، فضلا عن أن يلم بوجوه التفكير على اختلاف أنواعه فى بيئة من البيئات أو عصر من العصور . فالوان التفكير تختلف أشد الاختلاف بالقياس الى البيئات المفكرة وبالقياس الى الافراد المفكرين أيضاً

وألوان التفكير هذه إنما تختلف لأن طبائع المفكرين ، أفراداً أو جماعات ، شديدة الاختلاف والتنوع فيما بينها . والأصل أن تختلف الوان التفكير باختلاف الأفراد الذين يفكرون ما دام لكل فرد طبيعته ومزاجه وظروفه المحيطة به ودائرته التى يدور فيها ، ولكن طبيعة الحياة أرادت أن يجتمع الناس أحزابا وشيعاً فى الرأى ، كما يجتمعون أحزابا وشيعاً فى السيرة العملية . فمها تختلف طبائع الأفراد وأمزجتهم، ومهما يكن لذلك من أثر فى تفكيرهم وفيما ينتجون من أدب، ومهما يكن لذلك من قيمة في دراسة الأديب والتماس شخصيته الفردية وتمييزه من غيره، فان من اليسير ومن المألوف أن نبحث عن ألوان مشتركة للرأى يمتاز بها فريق من الناس بالقياس الى فريق آخر ، بحيث تتكون لهذا الفريق أو ذاك شخصيته العقلية الأدبية التى تشيع فى أفراده جميعا ، ثم يتمايز هؤلاء الأفراد بعد ذلك — أو قبل ذلك لا أدرى — بأمزجتهم وطبائعهم الخاصة

فاصحاب مذهب شعرى بعينه يشتركون فى خصائص نعرفها فيما ينتجون لنا من الشعر . ونحن بحكم هذه الخصائص نستطيع أن نميزهم فى سهولة من أصحاب مذهب آخر من مذاهب الشعر ، ثم هم بعد ذلك يتفاوتون فى انتاجهم تفاوتاً مصدره شخصياتهم وما يؤلفها من طبيعة ومزاج وما يحيط بها من أحداث وظروف . وما أظن أن هذه القضية محتاجة الى استدلال وتفسير ، فالناس قد الفوها منذ العصور البعيدة جداً ، وهم يقسمون الشعراء والكتاب الى فرق متمايزة ومدارس متباينة، وهم

يبينون ما لهذه الفرق من الخصائص وما بين أفرادها من التمايز ، ثم ما بينها هى من أسباب القرب والبعد ومن مظاهر الائتلاف والاختلاف

ولكن الشىء الذى قلما نفكر فيه ونطيل الوقوف عنده هو أن الحياة الجديدة قربت بين الناس أشد التقريب وباعدت بينهم أشد المباعدة وأحدثت هاتين الظاهرتين المتناقضتين فى وقت واحد . فوسائل النشر والاذاعة وأسباب المواصلات قد الغت المسافة الزمانية والمكانية الغاء وأتاحت للناس أن يظهر بعضهم على آراء بعض فى غير مشقة ولا جهد ولا انتظار . كما أن ظروف الحياة نفسها قد قوت الشخصية الفردية تقوية غريبة حقاً وجعلت لكل فرد مفكر وجوداً داخلياً يشبه أن يكون مستقلا ، ويشبه أن يكون عالماً ممتازاً له حدوده التى لا يستطيع أحد أن يتجاوزها أو أن يقتحمها . وعلى ذلك جعلنا نفكر مستقلين ونفكر مجتمعين ، وجعل تفكيرنا المستقل ينتج آراء لا تحصى وينتج آراء شديدة الاختلاف والتمايز فيما بينها بحيث يكاد أمرها ينتهى الى الفوضى ، ويعجز بحث الباحثين واستقصاء الذين يقفون جهودهم على الاستقصاء ، وجعل تفكيرنا الاجتماعى يقارب بيننا أشد المقاربة حتى يكاد يكون هنا وحدة ملتئمة لا يكاد يظهر فيها اختلاف على بعد ما بيننا من الآماد التى تفرق بين الأمم والشعوب وبين الفرق والأحزاب وبين الافراد أنفسهم

فلم يبق بد لدارس الأدب من أن يتجه هذين الاتجاهين ويلتمس فيما يقرأه من الآثار الأدبية مظاهر الاستقلال الفردى من جهة ومظاهر التضامن الاجتماعى والانسانى من جهة أخرى . ولست أعرف عصراً اشتد فيه الصراع بين الفرد والجماعة كهذا العصر الحديث . ولعلك ترى معى أن هذا الصراع قد مر باطوار ثلاثة ظاهرة منذ تحضر الانسان وأخذ فى التفكير والانتاج :

فالطور الأول تطغى فيه الجماعة على الفرد طغيانا كاملا شاملا فتفنيه فى نفسها وتنطقه بلسانها وتثير فى نفسه عواطفها وأهواءها . فاذا أظهر الفرد شخصية مستقلة ففكر على غير ما تفكر الجماعة وأعلن غير ما تحب الجماعة من الرأى قاومته الجماعة أشد المقاومة وبطشت به أفظع البطش وعرضته أحيانا الى الموت

والطور الثانى يطغى فيه الفرد طغياناً شديداً فيثور بالنظام القائم ويقلبه رأسا على عقب ويستخلص لنفسه حقوقا ما كان ليحلم بها، وينتهى هذا الطغيان الى كثير من الاضطراب والاختلاط ثم تستقر الأمور وقد كسب الفرد حقوقا لم تكن له واستبقت الجماعة بعض ما كان لها من سلطان . وهذا هو الطور الأخير الذى يتحقق فيه التوازن بين حقوق الجماعة وحقوق الفرد . وواضح جداً أن هذا التوازن لا يتصل وإنما يستقر حيناً ريثما يستريح المختصمان كأنه هدنة موقوتة ثم تستأنف الخصومة بينهما كأشد ما كانت قوة وعنفاً

ومن المحقق أننا فى هذه الأيام لا نستمتع بالتوازن بين استقلال الفرد وسلطان الجماعة ، وإنما نحن نعيش فى عصر قد اختل فيه هذا التوازن اختلالا شديداً كما يقول أصحاب السياسة . فالأفراد

قد كسبوا حقوقاً تبيح لهم حرية واسعة فى القول والعمل والتفكير . ولكن الجماعات قد أنكرت إسراف الأفرادَ فى الاستمتاع بما كسبوا من حقوق ، فهى تريد أن تردهم الى القصد وأن تخضعهم لنظامها وتفرض عليهم سلطانها من جديد

وأنت ترى هذا الصراع قد انتهى فى هذه الايام الى عنف لم يكن يعرفه من قبل ، فهو الذى يقسم أوربا هذه الاقسام الثلاثة التى يثور بعضها ببعض ويكيد بعضها لبعض ويبطش بعضها ببعض ، والتي تتهيأ كلها لموقعة نظنها حاسمة ولا ندرى أتخرج الحضارة منها سالمة ظافرة قادرة على البقاء والنمو أم تصبح الحضارة بعدها حديثاً من أحاديث التاريخ !

هذه النظم السياسية الثلاثة التى تختصم فى أوربا ليست فى حقيقة الامر الا مظاهر للخصومة بين الفرد والجماعة ، نظام يريد أن يحتفظ بالتوازن بين الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية الى حد ما وهو النظام الديمقراطى ، ونظام يريد أن يخضع الجماعة لسلطان قوى عنيف يستأثر به وبحمايته وتنفيذه أفراد ممتازون وهو نظام الفاشزم ، ونظام ثالث يريد أن يرد الامر الى الجماعة وإلى طبقات بعينها من الجماعة هي التى تؤلف الكثرة الكثيرة ويريد أن يمحو الفرد محواً ـ إن جاز هذا التعبير ـ وأن يفنيه فى الجماعة إفناء ، وهو النظام الشيوعى

ومن المحقق أن التفكير فى هذه البيئات المختلفة مختلف أيضا وان الانتاج الادبى فيها مختلف باختلاف التفكير

فالمفكرون والمنتجون فى البيئات الديمقراطية يفكرون وينتجون على أنهم أفراد لهم شخصياتهم المستقلة المتمايزة التى كسبت ما كسبت من حقوق والتى هى حريصة أشد الحرص على ألا تضيع مما كسبت شيئاً بل على أن تضيف اليه كسباً جديداً متصلا . وأصحاب النظام الفاشى يفكرون وينتجون على أن الجماعة خليقة أن تسعد وترقى وتبلغ ما قدر لها من كمال ، ولكن وسيلتها الى ذلك انما هى قوة الفرد الممتاز وسلطانه وبراعته وقدرته على التنفيذ والمقاومة والاقناع والارهاب . فالجماعة يجب أن ترقى ولكن على أن يرقيها قائدها العظيم الفذ . والمفكرون المنتجون فى النظام الشيوعى يفكرون على نحو قريب من هذا النحو جداً لولا أنهم لا يغلون فى تقدير القادة وإكبارهم وإنما يجعلونهم خداما للجماعة ومظاهر لسلطانها وأدوات لتحقيق ما تريد وما تسمو اليه من أمل

ومع ذلك فهم ينتهون فى آخر الامر الى مثل ما ينتهى اليه الفاشيون لان الجماعة لا تستطيع وهى جماعة أن تدبر الامر وتحكمه وتنفذه ، ولابد لها من أن تنتهى الى أفراد بأعينهم تطمئن اليهم وتثق بهم وتعتمد عليهم فى التدبير والاحكام والتنفيذ . وما أسرع ما يسيطر هؤلاء الافراد على الامر كله ! وما أسرع ما ينزلقون الى الطغيان ! وما أسرع ما ينجم منهم الفرد القوى الذى يستأثر بكل شيء ويفرض نفسه ورأيه وارادته على الجماعة فرضا ! وما أدرى أيوجد آخر الامر فرق بين

السلطان الذى يستمتع به هؤلاء الاشخاص الثلاثة فى أوربا اليوم : موسوليني فى ايطاليا وهتلر فى المانيا وستالين فى الروسيا !

توجد فروق فى الأساليب وألوان السيرة العملية الظاهرة ، ولكن النتيجة الاخيرة واحدة وهى أن هؤلاء الاشخاص هم كل شىء فى أوطانهم قد استأثروا بالسلطان كله وفرضوا على شعوبهم ارادات لا مرد لها ولا سبيل الى الخلاف عن أمرها الا أن يتعرض المخالفون للموت

وانا أعلم أن تصور الامور الأدبية والاقتصادية والسياسية يختلف فى هذه البلاد اختلافا شديداً . فنظام الطبقات هو أساس السياسة والاجتماع والاقتصاد فى بعضها ، ونظام رأس المال هو أساس هذه الأشياء فى بعضها الآخر ، والأدب يعنى بالشعب وطبقاته الدنيا فى بعض هذه البلاد وهو يعنى بالطبقات الوسطى وبالطبقات الممتازة فى بعضها الآخر ويكاد يهمل الطبقات الدنيا اهمالا

أعلم هذا حق العلم ولكنى أريد أن نتجاوز المظاهر الى الحقائق وأن نصل الى أحب شىء الى الفرد وآثر شىء عنده وهو الحرية الفردية حرية التفكير والقول والعمل . أريد أن نصل الى هذه الحرية وأن نلتمسها عند الفاشيين والشيوعيين فسنجد أمرها متشابهاً أشد التشابه عند أولئك وهؤلاء ، بل سنجد أمرها متفقاً أشد الاتفاق عند أولئك وهؤلاء ، متفقاً فى أنها مهدرة لا توجد أو لا تكاد توجد . فليس للفرد أن يظهر من الرأى في قوله وسيرته الا ما يلائم النظام القائم ولا يخالف عنه ، وأقل شبهة توهم الانحراف عن النظام في قول أو عمل أو إرادة أو رأى تعرض صاحبها لخطر شديد . والاحداث التى تقع فى روسيا والمانيا وايطاليا أكثر من أن تحصى وأوضح دلالة من أن تحتاج الى شرح أو تفسير

على أن مؤرخ الآداب قد يجد راحة ثقيلة ممضة اذا أراد البحث عن الآداب فى هذه البلاد التى تخضع للسلطان القوى ، فهو لن يجد لهذه الآداب الا اتجاهاً واحداً هو الذى يفرضه النظام القائم ويأخذ به الناس أخذاً عنيفا . ويعاقب الذين يخرجون عليه بالموت عيلة أو الموت بعد محاكمة شكلية أو النفى الى مكان بعيد

فالاتجاه الأدبى فى ايطاليا والمانيا فاشى وهو فى روسيا شيوعى . ومعنى ذلك أن الناس يفكرون وينتجون فى المانيا وإيطاليا كما يريد لهم هتلر وموسوليني أن يفكروا وأن ينتجوا ، فمن أحس منهم عجزه عن هذا الادعان الذى لا يلائم طبيعة العقل الحر فليس له بد من أن ينفى نفسه من الأرض وأن يلتمس لنفسه مهاجراً يفكر فيه وينتج كما يريد لا كما يراد له . انما يشق البحث الأدبى ويتعقد ويختلف حيث يستمتع الأفراد بحرية التفكير والقول والعمل ، وحيث تستطيع النفوس الفردية والاجتماعية أن تزهر وتتفتح كما تريد لها طبائعها وأمزجتها ، وحيث تستطيع النفوس الفردية والاجتماعية أن تستملى الأدب والفن من ضمائرها ومن الصلة بين ضمائرها وبين الحياة ، لا من السلطان الجاثم فى هذا القصر أو ذاك والذى يهيىء لها من حين الى حين ما ينبغى أن تتلقى من

وحى وما ينبغى أن تجيل من رأى وما ينبغى أن تجد من شعور

إذهب الى ايطاليا فلن تجد الا الادب الفاشى ، واذهب الى روسيا فلن تجد الا الادب الشيوعى . فاذا أراد كاتب ايطالى أو روسى أن يفكر كما يريد هو لا كما يريد موسوليني أو ستالين فلا بد له من الهجرة الى لندرة أو الى باريس أو الى ما يشبه هاتين المدينتين . ولكن اذهب الى لندرة أو الى باريس أو الى بروكسل أو الى لاهى أو الى أمريكا فستجد ألوان الادب كلها تلتقى وتفترق ، تأتلف وتختصم ، ويكون بينها هذا الصراع الخصب الذى يتيح للافراد والجماعات حياة تلائم ما فرض الانسان لنفسه من المثل العليا منذ أخذ يفكر ويسيطر بعقله على الاشياء

أنت فى باريس تجد الأدب الشيوعى مصوراً أقوى تصوير وأبرعه ، وتجد الأدب الاشتراكى وتجد الأدب الفاشى ، ثم تجد الأدب الديمقراطى على اختلاف ألوانه ثم تجد الأدب الملكى ، وقد تجد الأدب الامبراطورى الذى لم ينس ولا يريد أن ينسى مجد نابليون ، ولاتظن أن هذا كله لغو يتصل بالسياسة وحدها . فان لكل لون من هذه الألوان السياسية المتباينة أثره فى الفن والنظام الاجتماعى والشعور الدينى . اذا قرأت الشيوعيين قرأت الاندفاع الشديد الى العناية بالطبقات الدنيا والاصلاح من أمر البائسين ، فوجدت الرحمة والرفق واللين، ووجدت الى جانبها العنف والغلظة والقسوة بالقياس الى الاغنياء المترفين الذين يستأثرون بالنعمة دون غيرهم من سائر الناس ، ووجدت الالحاد فى الدين والثورة بالكنيسة والسخط على كل نظام قائم ، ووجدت الآثار الفنية لهذا كله في ألوان التفكير والتعبير ، بل فى ألوان الفن المختلفة التى لا تترجم عن نفسها بالكلام ، وأنت واجد فى الأدب الاشتراكى ما يلائم الاشتراكية من هذا كله أشد اعتدالا مما تجده عند الشيوعيين ، وأنت واجد فى الأدب الديمقراطى ما يلائم الديمقراطية من هذا كله أشد اعتدالا واتزانا مما تجد عند الاشتراكيين والشيوعيين . ثم أنت واجد عند الملكيين غلواً شديداً فى نقائض ما تجد عند الشيوعيين . ومن هذا التناقض الشديد ، ومن هذا الخصام العنيف المتصل بين المتناقضات فى جميع ساعات الليل والنهار ، تأتلف فى البلاد الحرة حياة موسيقية رائعة حقاً ، يجد فيها العقل ما يشتهى من ألوان اللذة العقلية المختلفة ، ويتيح له ذلك براءة من السأم والملل والضيق . وأغرب من هذا أنك تجد في البلاد الديموقراطية من تصوير الشيوعية والفاشية أروع مما تجد فى ايطاليا وروسيا نفسهما ، لأن الشيوعيين الفرنسيين والفاشيين الفرنسيين يستمتعون فى تصوير آرائهم والذود عنها بحرية لا يستمتع بها نظائرهم فى ايطاليا وروسيا ، ولهم خصومهم يصارعونهم فى الصحف ويصارعونهم فى الكتب ويصارعونهم فى البرلمان ويصارعونهم فى المظاهرات ، فيمنحهم هذا الصراع المتصل المختلف حياة لا يجدها نظائرهم فى البلاد التى لا يرتفع فيها للمعارضة صوت ولا يسمح فيها بنقد النظام أو الانكار على القائمين بالسلطان

وجملة القول أنك اذا أردت أن تبحث عن اتجاهات التفكير الأدبى فلن تجد ميداناً لهذا البحث

أخصب ولا أجدى ولا أعود بالفائدة الا فى البلاد الديمقراطية التى يتحقق فيها التوازن على نحو ما بين الفرد والجماعة . ومع ذلك فقد حدثت فى الأيام الأخيرة الماضية حادثة لاتدع سبيلا الى الشك فى شيء من هذا ، وهى حادثة التاج البريطانى . أرأيت الى هذا الصراع العنيف بين شخص الملك وجماعة الامبراطورية البريطانية كلها ، كيف بدأ ؟ وكيف اتصل ؟ وكيف انتهى ؟ وكيف خرجت منها الجماعة ظافرة ؟ وكيف خرج الفرد منها ظافراً ؟ وقد حفظت الديمقراطية للامبراطورية نظامها وتقاليدها ؟ وقد حفظت للملك حريته وخلت بينه وبين ما يريد من الاستجابة لعواطفه والانقياد لقلبه ، ورضى الملك ورضى الشعب ولم يكلم أحد منهم كلما . ثم اجتهد فى أن تتصور حادثاً كهذا فى بلد شيوعى أو فاشى واجتهد فى أن تتصوره مبتدئاً ومتصلا ، ثم أن تتصور غايته التى ينتهى اليها ثم قارن بين الصورتين

أما أنا فلا أكاد أستطيع تصور حادثة كهذه فى بلد لا يستمتع بالديمقراطية . إذن لفرض الفرد ارادته على الجماعة فرضاً فادعنت إدعاناً مطلقا لتحكم الأهواء أو لفرضت الجماعة ارادتها على الفرد فأذلته وأخضعته لما لا يريد

ولا تظن أن هذه الحادثة سياسية فحسب ، بل هى أدبية عقلية أيضاً، فقد أتيح للكتاب أن يكتبوا ، وللخطباء أن يخطبوا ، ولرجال الشارع أن يتظاهروا ، وسيتيح للشعراء أن يقرضوا الشعر ، ولأصحاب الفن أن يصوروا شعورهم بالحادثة وآراءهم فيها كما يريدون دون أن يؤذى أحد منهم فى شيء من ذلك قليلا أو كثيرا . ومن الذى يستطيع أن يقول إن هذه الحادثة العظيمة حادثة تتصل بالسياسة وحدها ولا تتصل بالفن وبالأدب خاصة أمتن اتصال وأقواه ؟ لقد حدثت فى التاريخ القديم حادثة تقاربها فتركت فى الأدب آثاراً خالدة ، وما أرى إلا أن هذه الحادثة الأخيرة ستنتج فى الأدب الحديث آثاراً خالدة أيضاً

واذن فاوضح ما يقال عن الاتجاهات الأدبية فى هذه الأيام أنها تتحد اتحاداً مزعجا مرهقا مخيفاً حقاً فى البلاد التى تخضع للنظام القوى والسلطان العنيف ، تتحد حتى تكاد تجعل الناس كلهم فرداً واحداً وتفرض عليهم حياة الحيوان الاجتماعى وسيرة النمل والنحل ، ثم هى تختلف اختلافا قويا خصباً رائعا فى البلاد الحرة التى تستمتع بالحرية الديمقراطية . أو أنت تستطيع أن تقول إن التفكير الأدبى يتجه فى ظل السلطان العنيف اتجاها واحدا لايلبث أن يفيض السأم والملل، ويتجه فى البلاد الحرة اتجاهات لا تحصى ، ولكنها لا تفيض مللا ولا سأما ولا ينقضى منها عجب الباحث ولا حاجته القوية الى البحث والاستقصاء . فاما تشخيص بعض هذه الاتجاهات ورده الى مصادره الأولى ، ثم الانتهاء به الى بعض نتائجه الممكنة فشيء لا يكتب فيه فصل ، وقد لا يتاح استقصاؤه فى فصول

طه حسين

رجالنا

طلعت حرب ..!

بقلم الاستاذ فكرى اباظه

أرجو أن يعلم القراء أننى فى تعرضى لتحليل الشخصيات أحاول أن أبرز صورة « فنية » وصورة تاريخية صحيحة لهذا الصنف الكبير الشهير من الناس . ليست مهمتى مهمة سرد محامد وفضائل وكفايات واستعدادات . وإنما مهمتى مهمة دراسية بحتة تشمل الظواهر والبواطن معاً . والمعروف والمجهول معاً . والمتجلى والمتوارى معاً . . .

وقد ارتطمت أول ما ارتطمت بالنحاس باشا فى العدد الماضى . وأرجو أن أكون وفقت فى « وزنه » بالميزان الصحيح . واليوم تورطنى مجلة « الهلال » توريطة أخرى فأرتطم بشخصية أخرى عاتية كأختها جبارة . وهي شخصية « طلعت حرب » مارد المال فى مصر ...

مدرسة قديمة ...

والرجل مهما قلتم عن نبوغه وعبقريته وعصريته فليس من حق العصر الجديد « موديل ١٩٢٠ – ١٩٣٧ » أن يحتكره ويدعيه . إنه من أبناء « المدرسة القديمة » ، المدرسة التى خرجت محمد عبده ، وسعد زغلول ، والهلباوى وغيرهم . وهؤلاء يمتازون بأن « نعومة الاظفار » – و « نعومة التربية » – و « نعومة الحياة الأولى الأساسية » لم تلن عظامهم – ولم « تدلل » أذهانهم – ولم « تذب » طباعهم . والحياة الخشنة الأولى هى خير أساس للجلد والصبر الطويل والمناعة فى العمل المضنى الشاق ، المنهك للجسم والذهن معاً . فمن يتساءل دهشا : كيف استطاع ويستطيع « طلعت حرب » أن يدير كل هذه الدنيا الاقتصادية الفادحة ؟ فهنا يجد الجواب . . .

دغرى – CORRECT

إذا أضفت الى هذه المناعة والتحصين صفة أخرى تصورت كيف تدعم هذا الحصن فى بناءيه الخارجى والداخلى ، وكيف استطاع أن يصمد للزمن ! هذه الصفة هي أنه « دغرى » أو « Correct » فقد احترف الرجل من زمن بعيد إدارة الأموال والأملاك والثروات وأعطى سلطة واسعة النطاق فى تدبير أمور موكليه والواثقين فيه فأجرى حكم الله وحكم الذمة والضمير وارتفع فوق الذروة العليا من سمعة « اليد البيضاء » و « الجيب النظيف » فحصل على « رأس مال » دونه كل رءوس الأموال وهو « السمعة الحسنة » ! . . .

فاذا علمت أن زملاءه فى هذا النوع من الاحتراف جرت تقاليدهم على استغلال مراكزهم ، والخروج من الادارة برأس مال مادى ، عظم فى عينك الفرق بين الطرف الذى ثبت ، والطرف الذى هوى وذرته الرياح . . .

ما من ثروة ، أو ملك ، أو « وسية » أو « روكية » امتدت لها يد « طلعت حرب » إلا وامتدت لها البركة وامتدت فوق يده يد الله . . .

هذا « الرأس مال » هو الذى سرى فى القطر سريان الكهرباء والسحر حين بدأ مشروع بنك مصر فتجاوبت الأحواء . بترديد النـداء . فأنشأ ، وبنى ، وشيد ، واستفحل أمره وأمر مشروعاته حتى احتلت القطر من موانيه وثغوره على البحر الأبيض المتوسط الى أقاصى الصعيد حتى الشلال ! . . .

الذين يتسرعون فيغريهم النعيم العاجل على النعيم الخالد الآجل يجب أن يأخذوا من هذه الفقرة درساً ، وعلماً ، وفناً ، وعظة . . .

قاموس

ويمتاز الرجل بصفة أخرى هى أنه « قاموس » واف من الف مجلد للأسر المصرية ، وأسرارها المالية ، وحالة أفرادها الشخصية والأدبية والمعنوية . .

اذا فتحت حرف « الألف » تجد الأسرة المبتدئة بالحرف مرتبة منظمة بعقاراتها ، وأموالها ، وأملاكها ، وديونها ، ورهونها ، وحجوزها ، وبيوعها . وهكذا الحال تحت حرف «الباء . والتاء» حتى حرف « الياء » . . .

والقاموس المكون من الف مجلد ليس مخطوطا فى ورق . وليس مطبوعا فى مطبعة . وليس مرصوصاً فى مكتبة للرجوع اليه . وإنما هو مخطوط ، ومطبوع ، ومرصوص فى مكان واحد ! هو ذاكرة « طلعت حرب » وهى منحة من منح الله ، وفلتة من فلتات الطبيعة ، ومعجزة من معجزات البشر ، بل هى « قلم تحريات » واسع النطاق قلما يتهيأ لبنك من بنوك العالم بأسره . . .

هذه هى « الدعامة » القوية التى يستند اليها « رب المال والاقتصاد » في هذا البلد ، والتى جعلت خطواته على بصيرة وعلى حذر ، والتى تفادى بها الوقوع فى الأخطاء وفى حفر الجهـل بحقائق المستدينين والمتعاملين

بروباجندست ! . . .

و « طلعت حرب » بروباجندست ورجل دعاية من الطبقة الأولى . وهو شجاع فى هـذا وجرىء ومقدام . وهو يعلم تمام العلم أن « الاعلان » فى مصر بل فى كل العالم هو سند التجارة وسند الاقتصاد وهو لا يضن على هذا الباب من أبواب واجبه بوقته ولا بماله ولا بنفوذه . وهو نهاز للفرص ذو ذوق سليم فى اختيار المناسبات وقنص الظروف وإطلاق قنابل ومدافع « الدعاية » فى الوقت الملائم . ويحار الانسان المحلل فى كيف تهيأ لرجل من « المدرسة القديمة » أن يبرع فى هـذا الضرب من ضروب الأساليب الحديثة ! فاذا ما علمت أن الرجل مطلع كثير القراءة زالت دهشتك وعلمت أنه علمى عملى ، نظرى واقعى ، مخضرم بين أسـاليب القرن التاسع عشر والقرن العشرين . . .

أديب واجتماعى ومحافظ ورجل دين . .

قد لا يعرف الـكثيرون أن « طلعت حرب » أديب وكاتب وباحث واجتماعى . وله فى البحوث مؤلفات قديمة لا أدرى أين اختزنها ولماذا لا يعيد طبعها ونشرها وعنده كل الوسائل . وأهمها فيما يرتبط بشخصيته رده على أحـد أقطاب الفرنسيين بصدد الاسلام ، ورده على قاسم أمين . ومن هذا وذاك تعلم أنه « رجل دين وإيمان وإسلام » وأنه « رجل محافظ » يرعى تقاليـد الأسرة المصرية القديمة كل الرعاية ، وفى بعض تصرفاته الاقتصادية كان شديد التحفظ بصدد « النسائيات » وبصدد طفرة المرأة المصرية . ومن شواهد « محافظته » أنه ثائر على اتيكيت المجتمعات السـاهرة . ثائر حتى على بدل الاسموكنج والفراك الا اذا اصطر اضطراراً ، ثائر على الخمر والدخان ، ثائر على كل ما يتورط فيـه رجال العصر الحديث من « قنزحة » و « فرنجة » . فما سمع أحد أنه أقام لأصدقائه العديدين من أجانب ونزلاء حفلة رقص وشراب ، وما سمع أحد انه أجرى الخيول فى السباق وأنشأ الاسطبلات كما يفعل رجال المال . . .

عنيد . . ومستأثر ! . .

يعانى المحلل الاجتماعى معاناة هائلة حين يتعرض لنقط « غامضة » فى كبار الرجال . . .

فلا شك أن « طلعت حرب » عنيد ، شديد المراس . متى كون اعتقاداً أو إحساساً فى شخص أو فى مشروع ، أو فى حركة جديدة ، فأنصحك باليأس كل اليأس من أن تحول فكرته ، أو تخدش اعتقاده ، أو تغير رأيه . محال !

أسلم ـ لا جدلا وإنما بحق ـ ان الرجل لم يكون اعتقاده أو إحساسه عفواً واعتباطاً وتسرعا ، وإنما لا بد أنه بحث ، واستقصى ، وفكر ، وجمع الوقائع ، وأنضج الرأى فى « معمل » رأسه الكبير

وانما يبدو للناس ما لا يعرفه النـاس . وهو لا يفضى بأسباب ولا بحيثيات وانما يكبر عليه أن يقدم حسابا عن رأيه الخاص . فهو يحتجزه لنفسه وتظل « المظاهر » بارزة لا يعرف الناس سرها فيظنون أنه « عنيد » والسلام . . .

والعجيب فى أمره أنه من كثرة أعماله وقلة أوقات فراغه وعدم انغماره في مجتمعات الطبقة العليا ونواديها وسهراتها ، لم يكون للآن « حاشية » شخصية تجارى ذكاءه وعلمه وعظمته ، أو ترتفع ـ حتى ـ الى ربع طوله وعلوه . ألا يدهشك أن تكون طبقة تفكيره وثقافته المكتسبة فى السماك ، وطبقـة « حاشيته الخاصة » لا تزال تزحف على الأرض ؟ ! كيف يجتمع الضدان ، وكيف يجرى الحديث ، وكيف يدور السمر ، وكيف تحدث المناقشات ، وكيف ترتطم الآراء ، وكيف تورد اليه وقائع الحياة « النهارية » المتسعة النطاق ؟! كل دلك لا يتصوره محلل ولا تستطيع الا التسليم باستحالة التوفيق بين الضدين ، وبين المتنافرين المتباينين . . .

وهكذا أثبت الاستقصاء النفسانى فى جميع أمم العالم أن للاقطاب والفطاحل والفحول غرائب وعجائب ومدهشات وناحية غير مفهومة فى زاوية غامضة من زوايا أمخاخهم الكبيرة . وتعليل دلك عندى أن العظيم الضخم الذى يمضى يومه الحافل بجلائل الأعمال لابد له من رياضة ذهنية . فاذا لم يكن بطبيعته من عشاق « التنس » أو « الجولف » أو « الرقص » أو « القمار » كصاحبنا ، وجب عليه أن يريح ذهنه المتكدس المزدحم ، وأن « يتريض » رياضة فكرية وشخصية متواضعة ضعيفة لا تتعب ذهنه ، ولا تسترعى تفكيره ، ولا تكلف ذهنه ولا لسانه عناء واجهادا . . .

وهكذا يلذ لرجلنا العظيم الجبار أن يهون على نفسه وأن يستمع فى حلقته الخاصة لمنطق فقير ، وسمر فقير ، وأحاديث فقيرة ، وبيانات ومعلومات فقيرة ، وكم فى فقر المنطق والمعلومات والاخبار الشخصية والعامة من لذة ومن فائدة للمستغل المستثمر القوى الذى يخرج من التراب تبراً ، ومن أعماق المناجم ذهباً وماساً . . .

ومن أهم نواحى « طلعت حرب » التحريات و « الاستخبارات » . أليست جزءاً من عمله بالذات كرجل يجس نبض الحركة المصرية كلها ؟؟ وقد لايصلح لهذه العملية كبار معاونيه ومساعديه اما لعدم انغمارهم فى أوساط مصادر الاخبار . واما لبعدهم عن الدنيا المتكلمة و« المدردشة » الثرثارة. وقد لا يجد أصلح من هذا النسج الفقير لترديد الاخبار والاقوال ولو ترديد الببغاء . ولست أجزم تماما كيف يقدر الرجل القادر المتصرف أخبار هذا الطراز من الناس . ولست أجزم تماما بأنه « لا يدخل فى حسابه » تبليغاتهم فقد تكون صحيحة جيدة الاختيار . وقد تكون على خلاف دلك.

وانما هناك دائماً « الضمانة الواقية » وهو أنه رجل « فراز » يحتجز البضاعة المتينة لنفسه ، ويلقى بالبضاعة الرخيصة فى الهواء . . .

وقد قلنا فى العنوان أيضاً إنه رجل « مستأثر » يكلبش بيديه على أعمال الاسهم والسندات والحوالات والكمبيالات ـ والقطن والبذرة ـ وزمزم والنيل وكوثر ـ والكتان والحرير ـ وحروف الطباعة ـ والصدف ـ والسمك ـ والغزل والنسيج . . . الى آخر ما ورد ، وما يرد وما سيرد فى تاريخه الحى العجيب . « يكلبش » بيديه على الاجمال والتفصيل وعلى الجملة والقطاعى . فلا يترك شاردة ولا واردة الا ودرسها وأصدر بصددها أمراً . .

هذا كثير ! . .

وكثير فوق احتمال البشر ! . . .

ولعل المسئولية العظمى التى يحتملها على عاتقه هي التى جرته جراً الى هذا الارتطام . ولكن مطلوب الى « طلعت حرب » أن يربى بجواره شخصيات وأن يغذيهم بحمل المسئولية وبحرية التصرف و « بالاستقلال الذاتى » فى العمل . وأخرج من الحساب طبعاً صديقيه مدحت يكن ، وفؤاد سلطان ، فانا نتكلم عن الطبقة الثانية لا الطبقة الأولى الشريكة والمساهمة . ثم من حق الوطن على « طلعت حرب » أن يقول له : ارحم نفسك نوعاً ما . . .

انه خلق بالفعل ـ وأستغفر الله فانى أقصد الخلق الاعدادى لا الخلق فى حد ذاته ـ . . . نعم خلق بالفعل طائفة من الشباب وأغرقها مسئوليات وأنضجها بسرعة البرق . ولكنه بعد أن رأى ثمرة تربيته يرجع فيطويها ويتغلغل فى عملها التفصيلى من فرط الحرص وشدة تقديره للمسئولية ويعود فيحمل نفسه كل الأعباء . . .

بعيد النظر يأسر ويغزو . . .

أما عن بعد نظره فلست أحتاج الى كلام طويل . فهذه القلاع والحصون والقصور والميادين ما رسخت ، وشمخت ، واتسعت ، إلا بفضل بعد نظره . ولعل هناك شيئاً من « إلهام الله » صان ويصون هذه المنشآت وهذه الدول والممالك الصناعية والتجارية . . .

ولكن بعد النظر يتجلى فى بحث جديد دقيق يتلخص فى أنه : آسر وغاز . . .

ما من عظيم مصرى ولا سياسى مصرى ولا موظف مصرى ولا قطب مصرى إلا وقد ربطه « طلعت حرب » برباط المعاملة المادية مع بنكه وشركاته ، والرباط المادى بآثاره ونتائجه وملحقاته رباط متين قوى نافذ المفعول !

بهذا الشكل سيطر « طلعت حرب » سيطرة كاملة على قوى الدولة الشعبية والحكومية فأمن

نزوات الأغراض ، وشهوات المشاغبـة ، وهواجس الشيطان ، وضمن لمنشآته أن تنادى النداء العادل المعقول فيلبى ولاة الأمور النداء ! . . .

مناطقه الشرقية والاسلامية !

يلاحظ المحللون الاجتماعيون فى السنين الأخيرة تطوراً « لطلعت حرب » خارج الحدود ، فى الشام والعراق والحجاز وبلاد العرب والاسلام . . .

وهو جد متحمس فى خطته الجديدة بل لعله أغدق على مشروعاته هناك إغداقاً يفوق الذى توقعه المتوقعون . . .

قد يكون مرجع هذا نزعة شرقية واسعة النطاق كمنت فى نفس الرجل من زمن بعيد وآن أوان التجلى بها . . .

وقد يكون لاسلام الرجل الصحيح دخل فى الموضوع ففرض « الاسلامية » على نفسه فرضاً اسوة بفروض الله . . .

وقد يكون هذا التمهيد لشىء مختمر مختبىء فى ذهنه الكبير لا يكشفه مثلى من حافرى ومنقبى أعماق الرجال . . .

ولـكن الذى لا شك فيه بلا نظر الى كل هذه الافتراضات أن الرجل في تسلله الى خارج الحدود قد أدى واجباً عالمياً شرقياً هو أجدر الواجبات عندى بالاكبار والاجلال . . .

كفى . . .

هذه الشخصية تجرى بقلمى جرياً سريعاً وجرياً متعبا وشاقاً . ولو استرسـلت معها لقطعت أشواطها أنفاسى . . .

كفى أنه أعجوبة من أعاجيب الدهر الحاضر والسلام !

فـكرى أباظه
المحامى
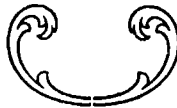
البحر الأبيض المتوسط

محور السياسة الأوربية فى الوقت الحاضر

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

سياسة البحر الابيض المتوسط فى الوقت الحاضر هى السياسة الاوربية أو السياسة العالمية عامة فى حيز الاختصار . وما من دولة فى أوربا إلا وهى تحسب حساباً للبحر الابيض المتوسط، إما للسيطرة عليه أو لاتقاء الخطر من جانبه أو للتفاهم بينها وبين الدول التى لها نفوذ فيه

قال بول موران فى كتابه « طريق الهند » :

« كنت فى الصيف الماضى بضيافة ملك النفط ، ذلك الرجل الهادىء الجياش والحاسب الحالب الاريب . فرأيته في حديقته المطاولة لحديقة وندسور الملكية ، وسمعت منه وهو يهم بالابتسام كلمات صارمة وحقائق خفية تصعق كثيراً من رجال السياسة عندنا وعند غيرنا لو أنهم أحاطوا بما وراءها ، ويحضرنى منها الآن قوله : « ان لفرنسا جيشاً جراراً يعتمد كله على الآلات المتحركة . ففى الساعة الحاسمة تعلمون أن النفط الذى لديكم لا يكفيكم أكثر من خمسة عشر يوما »

« وكذلك نرى يوم يقع الصدام أننا بغير ملكة البحار أو بغير المحالفة الانجليزية لن يكون سلاحنا بحذافيره إلا حدائد مفلولات »

ومن ثم أصبحت الحكومة الفرنسية تحسب حساب السياسة البريطانية فى كل شىء ، وتكاد تتبعها فى كل طريق ، وهى على سبيل الحيطة تضاعف ما تستطيع مضاعفته من سفن الاسطول فى البحر الابيض المتوسط ، وتزيد عدد غواصاتها حتى بلغت ثلاثا وثمانين الى جانب الثلاث والخمسين التى فى الاسطول البريطانى ، وهى أقل فى الدوارع والنسافات من بريطانيا العظمى ، ولكنها تعتمد على أن دوارعها ونسافاتها تعمل فى البحر الابيض وحده أو فى البحر الابيض والمحيط الاطلسى وقليل من البحار الاخرى ، خلافا لبريطانيا العظمى التى تتفرق دوارعها ونسافاتها بين جميع البحار حول الجزائر البريطانية والهند والمستعمرات الافريقية وسنغافورة واستراليا وزيلندة وكندا وما وراء ذلك من الاملاك والملحقات . وتحاول فرنسا

أن تعوض نقص الاسطول بزيادة الاسلحة الجوية ، ولا تغفل ساعة عن مركزها ومركز الدولة البريطانية فى شواطىء البحر الابيض الغربية أو الشرقية

فالبحر الابيض المتوسط يربط بين السياستين الانجليزية والفرنسية من هذا الجانب رباطا وثيقا لا تكف الدولتان عن التأهب له أو التفكير فيه

ولقد غيرت بريطانيا العظمى خطتها فى الاستعداد الحربى تبعاً للحالة التى جدت ولا تزال تجد فى ذلك البحر الجامع المحفوف بالاعاصير السياسية ، فالتفتت إلى سلاح الطيران بعد أن طال إهمالها إياه اعترافاً بعظمة الاسطول ورجحان القوة البحرية ، وأخذت فى تنظيم وزاراتها على نمط جديد بحيث تشتمل وزارة البحرية على طيارات السفن وما اليها ، بعد أن كانت الطيارات كلها تابعة للقسم الجوى ، ولا شك فى أن هذه الحالة قد كان لها شأن عظيم فى توجيه الانتخابات الماضية وقيام الحكومة البريطانية الحاضرة ، فلولا عوارض البحر الابيض المتوسط لما نجح حزب المحافظين ولا فشل حزب العمال ومن يواليه من الاحرار

ومنذ اليوم تحسب الدولة البريطانية حساباً للطوارىء البعيدة فتهتم بالطريق البحرى حول أفريقية وبالقواعد البحرية فى سنغافورة وغيرها من الشواطىء الاسيوية

وتحسب كذلك حساباً لهذه الطوارىء فى علاقاتها بكل أمة كبيرة أو صغيرة تطل على البحر الأبيض المتوسط . فهى دائمة الاتصال باليونان وتركيا ، ومشغولة بالتقلبات الداخلية فى البانيا ويوغسلافيا ، ومكترثة بعد طول الاعراض بالقضية المصرية ، ومن آثار هذا الاكتراث أنها فتحت باب المفاوضات فيها وتطرقت منها الى الاتفاق الأخير

أما ايطاليا فهى تسمى البحر الأبيض بحرنا (Mare Nostrum) كما كان يسميه الرومان ، وتطمع بغير مراء فى السيطرة عليه بعد حين يقصر أو يطول ، وتحاول من ثم أن تشرف على السياسة النمسوية والبلقانية وتمد شباكها الى الأقاليم التركية . ومن مطامعها أو من أحلامها أن تخلف فرنسا وانجلترا على شواطئه الأفريقية ، ويزين لها ذلك أنها تملك المضايق بينها وبين صقلية وبين صقلية والجزيرة الصغيرة المعروفة باسم بانتلاريا « Pantellaria » وبين هذه الجزيرة وتونس وإلى جانبها من الشرق برقة التى لها قيمة عسكرية أكبر من قيمتها الاقتصادية

وبديه أن الدول الصغار على شواطىء البحر الأبيض تهتم بالحالة فيه أشد من اهتمام الدول الكبار ، وتتقلب الحوادث بين شعوبها على حسب التيارات التى تتجه اليها المنافسات بين من يحاولون السيطرة على شواطئه من بعيد أو قريب

فاذا وقع حادث خطير فى اليونان أو يوغسلافيا أو البانيا أو ما يليها من شعوب البلقان فثق أن هذا الحادث لا يخلو من أصبع للمنافسة بين الانجليز والطليان على الخصوص

ففى اليونان مثلا حزب الاحرار وحزب المحافظين ، أو حزب الجمهوريين وحزب الملكيين . ومن المعروف أن حزب الأحرار هو الحزب الذى أنشأه فنزيلوس وجنح به الى جانب ايطاليا بعد أن يئس من مناصرة الانجليز إياه فى غارته على آسيا الصغرى . فما زال الانجليز يغضون النظر عن الصراع بين الحزبين حتى اشتد الصراع بينهم و بين الطليان منذ سنتين ، ومن ذلك الحين أصبحنا نسمع بانقلاب خطير فى السياسة اليونانية كلما تغلب الأحرار وأوشكوا أن يقبضوا على زمام الحكومة ، وآخر ما كان من ذلك عودة الملكية الى اليونان ثم اعلان الدكتاتورية فى أغسطس الماضى على يد الجنرال « متكساس » بعد أن تعادل الحزبان وأفضى الى مجلس النواب خمسة عشر نائباً شيوعياً يوازنون بين الكفتين

وفى يوغوسلافيا يلاحظ أن الميول الانجليزية غالبة على البلاط والوزارة والعسكريين هناك . فالملك بطرس الثانى كانت له مربية انجليزية ثم ارسل الى انجلترا ليتعلم فيها ثم عاد الى بلاده بعد مقتل أبيه وله مرب من الانجليز . وليس ذلك عن حب انجلترا بل عن كراهية لايطاليا ، لأنها لا تخفى مطامعها فى تلك المملكة الحديثة التى تواجهها على بحر الادرياتيك . ومنذ استفحل الخلاف بين الصربيين والكرواتيين وأدى ذلك الى قيام الدكتاتورية وسخط القوميات الصغيرة ومقتل الملك اسكندر بيد واحد من المقدونيين ، اصبحت الشعوب المختلفة التى تشملها مملكة يوغسلافيا وهي تتنازع الولاء بينها ،تارة الى الانجليز وتارة الى الطليان او الألمان ، وهذا هو المرجل الذى يخشى ان يحدث الانفجار بين الدول الصغار والدول الكبار

وفى اسبانيا ما كان احد يظن ان الدولة البريطانية تغضى عن الحكومة الشيوعية هناك ، لولا ان الفاشيين الاسبان يطلبون النجدة من ايطاليا و يساومونها على جزائر البليار أو على ميناء سبتة فى الضفة الافريقية ، ولولا ان انجلترا وفرنسا وايطاليا يعنيهن جميعاً ان تظل الحكومة الاسبانية ضعيفة الأسر منهوكة القوى لما استعصى عليهن وهن مجتمعات ان يتوسلن باحدى الوسائل الناجعة الى فض النزاع و إخماد لهيب الحرب الأهلية ولو الى اجل قريب

وقد عرفت تركيا الكمالية فرصتها السانحة فنهضت فى هذه الآونة لتحصين المضايق التى كان تحصينها محرما عليها ، فاذا بالدول يقبلن منها هذه المخالفة لاقامة الحواجز فى وجه الروسيا ، واذا بالروسيا لا تكره هذه الحواجز لأنها تصد عنها بعض الهجمات وقد تنفتح لها عند الضرورة

متى تحسنت العلاقات بينها وبين الحكومة التركية

ويظهر ان الروسيا تريد ان تقلل من تعويلها على البحر الأبيض المتوسط ، فهي قد انشأت وزارة خاصة أو ادارة مركزية لفتح الملاحة فى البحار القطبية ، واستطاعت صيف سنة ١٩٣٥ أن تسير السفن الموقرة بالمؤونة والمسافرين فى تلك البحار المهجورة ، وفتحت قناة من بحر البلطيق الى الشمال فاختصرت المسافة بين لننجراد واركانجل من ٢٨٤٠ الى ٦٧٤ ميلا بحريا ، وشرعت فى مد الخطوط الحديدية شمال الخط الممدود الآن بنحو مائتين وخمسين ميلا ، وعمرت مدن سيبيريا على أفواه الأنهار وشواطىء المحيط المنجمد لتنظيم الانتقال بين أطراف تلك البقاع الواسعة . ومهما يقل القائلون فى تعليل ذلك بالأغراض السلمية والكشوف العلمية فالذى لا مراء فيه أن أهبة الحرب فى مقدمة الأغراض التى تجرى من أجلها هذه الأعمال الضخام

ومع هذا لا نخال الروسيا مفلحة فى اجتناب البحر الأبيض المتوسط ولا قادرة على إغفال السياسة التى تدبرها الدول المشرفة عليه أو تنوى هى تدبيرها تطبيقاً لمذهب الشيوعية أو إحباطاً لبعض المساعى التى تتقى عواقبها الحمية . وأمامنا موقف الروسيا من مشكلة اسبانيا شاهد قوى على مكان هذا البحر من الخطط الروسية

* * *

ذلك هو مجمل الحالة التى تدور عليها سياسة البحر الأبيض المتوسط ، وسوف يزداد اهتمام الدول بهذه السياسة ويشتد التنافس بينهن على توجيهها والأخذ بناصيتها . ولا نظن الاتفاق المعروف باتفاق « الجنتلمان » بين انجلترا وايطاليا يغنى شيئاً فى هذه المنافسة المستحكمة ، الا أن يمهد الطريق للتراجع الى ضرب من العداء المستتر أو المودة الظاهرة ، وغاية ما يرجى من حالة التنافس بين الدول المعنية بالبحر الأبيض المتوسط أنه يتيح للأمم الصغيرة التى على شواطئه أن تعزز قواها وتستكثر من جندها وسلاحها ، لأن الدول الكبار لا تجرؤ على منعها والاستبداد بأمرها حرصاً على رضاها ومخافة من انتقاضها . ولعل هذه القوة التى تستفيدها الأمم الصغار تحمى السلام فى العالم وتخفف بعض الشىء من أخطار الحروب ، لأن تسخير هذه الأمم أو احتلال بلادها ضرورى للدولة الكبيرة التى تقدم على الحرب فى الأحوال الحاضرة ، وليس من السهل أن تستباح بلاد يملك أبناؤها السلاح، ويقدرون على المقاومة والاستقلال أو المعاونة القائمة على حرية الاختيار

عباس محمود العقاد

حوض البحر الأبيض المتوسط الذى يعتبر محور السياسة الأوربية فى الوقت الحاضر

[اقرأ مقال الأستاذ العقاد ٣٧٣]

من مناظر الشتاء

بحيرة سانت موريتز وقد صار ماؤها جليداً ،
وبدت الأشجار على ضفافها كأكوام الثلوج

[تصوير شتينر في سانت موريتز]

أدبنا الآن يُمثِّلنا
وما الأدب إلا صورة الحياة

بقلم الاستاذ امين الخولى

المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

« . . فى الحق أن أدبنا فى عربيته وعربيته ، وقديمه وحديثه ، ثم فى تململه وتقلقله ليس إلا صورة صادقة لحياتنا الاجتماعية . . »

كتب الاستاذ الجليل احمد أمين فى هلال يناير مقالا عنوانه « أدبنا الآن لا يمثلنا : حاجته الى التطعيم بالأدب الأجنبى » . وأ كتب كلمتى هذه وعنوانها ما ترى ، فالمقابلة واضحة لا تحتاج الى بيان . . أما ما عساه يحتاج الى شيء من البيان فهما تحية أقدمها ، ورأى أبديه

فأما التحية فللمثل الأعلى فى النقد النزيه ، والمناقشة البريئة الأدبية ، التحية لأله النقد ــ ان صح هذا التطعيم الأجنبى ــ أستوحيه وأستلهمه ، لأن النقد الشائع والمناقشة الرائجة فى مصر لا تفلح فى أن تأخذ الا إحدى صورتين : خصومة حاقدة ، تشفى غلتها ، وتشبع حنقها ، وتكذب فى دعوى البحث العلمى ، وحب الحقيقة ، وأشباه ذلك من عبارات كاذبة مجرمة ، أو صداقة محابية ، ترضى هواها ، وتخدم غرضها ، وتكذب فى دعوى الوزن الدقيق ، والتحرى المنصف ، وما الى ذلك من أقوال مفضوحة مكشوفة

، وانى لأحاول أن ألقى الى القارىء غير ذلك راجياً ألا تخوننى نفسى ولا يغلبنى ضعفى

بينى وبين الاستاذ احمد أمين من الأواصر والصلات كثير يتقاضانى أقله السكوت ، طاعة لشرعة هذا النقد المتعارف . فلى منه الاستاذ ، والصديق ، والزميل ، والجار ، وما الى ذلك من نعوت كلها محبب مقرب ، وكلها يبدى مخالفتى إياه فى صورة مبغضة عند من يعرف النقد على هذا المعنى الفاسد . لكنى أتقدم لمخالفته ومناقشته ، ونقده فى غير ما تهيب ، وفى غير ما هوى له أو عليه ــ ما استطعت ، وفى عبارة لن يراها ــ ان شاء الله ــ مثيرة لغير الرضا التام . وتلك هى المحاولة التى اعتدتها تقدمة ، وقربة للمثل الأعلى فى النقد ، وتحية لقدسية هذا المثل وحرمته وطهره

هذه هى التحية . وأما الرأى فما أحب أن أقرره من صحة اعتبار الأدب صورة الحياة دائماً ، وان أدبنا يمثلنا فى هذا العصر تمام التمثيل . وليس يثبت ذلك الا أن ننظر فى دقة لحياتنا ، ونتفق على من نحن الآن ؟ ولسنا الا شرقيين قد ورثنا حضارة لها مزاجها وكيانها . ثم طلعت علينا حضارة غربية لها مزاج آخر ، وكيان آخر ، وهاجمتنا محاولات لاحياء قديم أسبق من الحضارتين

تثير عصبيتنا لمجد أسبق شاده الفراعين ، ونحن بين هذا وذاك اشتات بدد : يذهب كل فريق الى ناحية ، ويلوذ بزاوية ، أو يقوم فريق وسطا بين هذا وذاك . ومظاهر هـذا التقسيم واضحة فى حياتنا ، فلا أقول لك مثلا إن فى مصر دارين للآثار مصرية وعربية ، ودراستين للآثار مصرية واسلامية ، ولـكن أقول لك إن لدراسة الأدب نفسه فى مصر معاهد ثلاثة : كلية الآداب تجنح للثقافة الحديثة الغربية ، والأزهر بكليته للغة العربية يحتفظ بالشرقية جاهداً ، ودار العلوم تميل الى هنا حيناً وتصد عن هناك حيناً . وانظر مع ذلك فى صنوف التعلم عندنا ، تجد مثقفين قد وردوا مناهل العلم فى جامعات الغرب ، وتعرفوا الى الحضارة النشطة القوية العاملة . وتذوقوا أو حاولوا تذوق صنوف الفنون المبدعة ، فى مثلها السامية . وإلى جانب هؤلاء متعلمون قد عكفوا على القديم ليس غير ، فهم يحرمون الفنون ، ويودون بجدع الأنف لو مزقوا الصور ، وحطموا التماثيل ، وأغلقوا دور السيما ، يعدون المتحف المصرى داراً للأصنام ، وبقية من جاهلية وثنية . ثم هناك آخرون قد مروا بمدارسنا المدنية ، وقطعوا مراحل التعليم فيها ، فتنسموا ريح تلك الحضـارة الحديثة واتصلوا بتلك الفنون اتصالا تاما ، فهم يتحدثون عن الاجادة الفنية ، والدقة فى الذوق ، وينعتون الاخراج والأداء ، ويذكرون الحسن الفنى وقوته و و . . وآخرون قد أصابوا حظاً من ذلك يختلف قلة وكثرة ، وضيقاً وسعة بما يتهيأ لهم أن يمروا من خطوات التعليم . وإلى جانب هؤلاء وأولئك ، ترى ناساً توسطوا بين هذه الأطراف ، ونالوا نصيباً من كل جانب ، يتحدثون الى أهل القـديم فيفهمونهم ، ويجدون من قديم اصطلاحهم ، وموروث علمهم ما يرضى ويطمئن ، وان تحدثوا الى أهل الحديث سمعوا منهم ، ولقوا عندهم من البـديع الجديد ما يقرب اليهم . وتعجب إذ ترى كل هذه الأنماط والأشكال من المتعلمين ليسوا الا قلة لا تقوم الا بعشر الأمة ، ووراءهم كثرة حافلة تربى على تسعة الأعشار ، قد رتعت فى أميتهـا ، وقنعت بعاميتها ، ونسيها جهل اختلفت صورته فى الشمال عنها فى الجنوب ، وغايرهما الوسط . فان تكتف فى الحديث عن الأدب بالنظر الى القلة المعدودة ، والنسبة المحدودة ، فأنت واجد ــ ولا غرابة ــ ما أشار اليه الاستاذ من أدب عربى أنس اليه بعضهم ، ووجد فيه الكفاية بل ما فوقها . وأنت واجد ــ ولا غرابة ــ من استروح الى الادب العربى فى مصادره وأصوله التى تنالها ثقافته ، ويتهيأ له تذوقها فى لغاتها ، ثم أنت واجد ــ ولا غرابة ــ من يقنع من الغربى والعربى بما قد تناله يده من منثورات مترجمة أو مقطوعات خفيفة هشة فى أصولها الأوربية ، أو راض بالمزيج الذى تخرجه المطابع من قديم تحييه ، أو حديث تلخصه أو تترجمه . واستمع إذ يتلاقى هؤلاء وأولئك تسمع خير مناظرة بين أزهريين وجامعيين : يقول الأولون إن الأدب القديم كاف لثقافة الأديب ، فيقول الآخرون لا. بل لابد من الأدب الاوربى فى ثقافة الأديب ، أو تسمع من يقول باقتباس المدنية الأوربيـة فى جملتها وبرمتها ، ومن يقول بالاحتفاظ بالشرق القديم فى أصله وجوهره . وهكذا يقوم جدنا على هذا الاختلاف ،

ويتصل هزلنا بهذا الاختلاف ، وقد تفرقت ألوان حياتنا ، كما تفرقت أزياؤنا فتفاوتت آلامنا واختلفت آمالنا ، وتغايرت مثلنا ، وكذلك كان الأدب الآن صورة حياتنا هذه ، بل صورة أدق وأضبط ما تكون الصورة

فلعل أصدق ما يقال فى وصف أدبنا الآن أنه لا يمثل مصرية قد ائتلف عنصراها ، والتقى على وفاق طرفاها ، وقد طاب منهما الأصلان ، وكرم العنصران ، من فرعونية قادت الانسانية وأسست المدنية ، وعربية شاركت فى تمدين الدنيا ، وحملت مشعل الهدى . فنحن منهما بين أصلين كريمين ، كالمرء قد كرم أبواه وعز أصلاه ، على أنه يعد خلقاً غيرهما جديداً ، خلق لزمان غير زمانهما ، وعاش بكيان هو من كيانهما ولكنه غيره . أجل لا يمثل أدبنا هذه المصرية ، ولكن أين هى تلك المصرية اليوم ؟ ؟ انها تحاول الوجود ويقوى رويداً رويداً ساعد الدعوة اليها والعمل لها ، وطموحنا الأدبى يتقدمها ويستشرف لها فيؤيدها بما يملك اليوم من موادها وأصولها ، ويبحث عن أطيب عناصرها ليغذيها بها فيشعر فى قرارة نفسه بقلق واضطراب ، يمثلهما مقال الاستاذ احمد أمين فى حكمه عليه ، وهذا الشعور هو أول تخطيه الذهنى نحو الكمال

وهذا الطموح الأدبى والاستشراف الفنى هو الذى يكون أمامنا ، والماضى قدما نحو غايتنا ، يحلم بها ويتعشقها ويناجيها حتى تتحقق ، فيكون لنا إثمار أدبى يصورها ويمثلها

فنى الحق أن أدبنا فى عربيته وغربيته ، وقدمه وحداثته ، ثم فى تململه وتقلقله ليس إلا صورة صادقة كل الصدق لحياتنا الاجتماعية التى لا يترجم لها عنوان موحد ، ولا تبرز لها صورة مكتملة

ومن هنا أقول للاستاذ الجليل إن الأدب لا يزال كدأبه صورة الحياة ، وهو اليوم كما كان فيما مضى وكما سيكون فيما يلى ، وإن أدبنا فى مكانه من الحياة ، وإن طموحنا الفنى يحدونا ويتقدمنا

ويوم يكمل ايماننا بمصريتنا ، ويقوى عملنا لها ونعتز بتمجيدها وتقديسها ، بعد توحيدها وتدعيمها ، إذ ذاك يظهر أدبنا الذى هو صورتها دون أن نخلقه خلقاً ، أو نتعمل له تعملا لأن العلم يصطنع ، والصناعة تفترع ، والنشاط يخلق ، أما الفن فلا . . . انها صورة كل أولئك بعد أن يوجد ويتحقق

وما أصدق القولة القديمة المأثورة : « لا يستقيم الظل والعود أعوج » ، ولا كالظل للعود من الأدب حين يصور الحياة . وليس يخفى على الاستاذ طريق تقويم العود وتدعيم الأصل ، والعمل لابرار المصرية المنشودة فيكون الفن الذى يعنى مجدنا ، ويهتف لنصرنا ويكبر عظمتنا ويحيى آمالنا . كما لنا اليوم ذلك الأدب الذى يمثل اختلافنا وافتراقنا ويصور دور انتقالنا

وحسبى ذلك ، فما أرانى إلا قد اكملت نقدى غير مصانع ولا جائر فأديت التحية وأبنت الرأى

أمين الخولى
المدرس بكلية الآداب

ساعة الوحى

آراء لطائفة من الادباء

تمر بالاديب ساعات يسلس فيها قياد القريحة فتجود بالانتاج الخصيب، وأخرى تستعصى فيها القريحة فلا تجود بشيء . وفى هذا المقال يتحدث طائفة من أدبائنا عن هذه الساعات كيف تأتى ومتى ؟

الاستاذ عباس محمود العقاد

« إن من خصائص الفنون الأولى أنها لا تتقيد ببرنامج ، ولا تخضع للنظام « الآلى » الذى تخضع له الصناعات اليدوية وما شابهها ، فى ساعة تكتب عشر صفحات وفى عشرة أيام لا تكتب صفحة واحدة ، وأنت لا تستطيع أن تجزم متى تكون تلك الساعة المباركة قبلها بفترة وجيزة ، وإن كنت تستطيع أن تلجأ الى جميع الوسائل

« على أن خير الحالات جميعاً ، بل الحالة التى لا غنى عنها لفنان ، أن تكون النفس فى حالة « حركة » لا فى حالة ركود أو جمود . ومعنى الحركة أن تجيش النفس بعاطفة من العواطف ، أو تهتز لشعور غالب ، كالحزن ، أو كالحب ، أو كالاشفاق ، أو كالتفتح بالعاطفة والاستعداد للشعور بما يشعر به من حولها أو ما يلوح على ما حولها من المناظر والأشياء

« ويجب أن أتحدث هنا عن تجربتى الخاصة ، لأن التجربة الخاصة فى هذه المسائل هى كل شيء ، وهى كذلك كل شيء حيث لا توجد القواعد المقررة التى يتفق عليها جميع الناس

« فمعظم ما أنظم من الشعر إنما أنظمه باقتراح من عند نفسى ، لا أتقيد فيه بموعد ولا بغاية . فان لم يتيسر نظمه الساعة فليرجأ الى ساعة أخرى فى يوم آخر . ولا داعى للعجلة أو للفراغ من النظم فى موعد مرسوم

« ولكنه يتفق بعض الأحيان أن تأتى المناسبة التى أتلقى فيها اقتراحا بنظم قصيدة مطلوبة لموعد معلوم . فماذا أصنع فى هذه الحال ؟ لم أستطع مرة واحدة أن أعد وعداً جازماً بنظم القصيدة فى موعدها . ولكنى جريت على ان أستمهل المقترح أياما قبل الجزم بالقبول . ثم ابدأ النظم على اعتبار انى لم اتقيد باجابة ولا بوعد ، ويحدث فى جميع الأحوال أن تتم القصيدة قبل ان اجيب بالقبول ، وان تتم احياناً فى يوم واحد أو ساعات قليلة . ولكني مع تكرار هـذه التجربة عشر مرات أو

اكثر من ذلك لا ازال أشعر بالحاجة الى تلك الحيطة وذلك الاستمهال ، ربما أبدأ التجربة وإنى غير مقيد بيوم ، ولا متوجس من الخلف ، ولو على فرض بعيد . . . »

الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« الأدب ليس عندى فناً ، أو هو على الأصح قد صار صناعة لى ، ولا أرانى هويت بمقامه حين أقول ذلك ، أو غضضت منه . وقولى إنه صناعة هو الوصف الصحيح لما يصير الأمر بعد طول المزاولة

« والمرء فى شبابه تحلو له بعض الألفاظ فيتعلق بها ، وان كان لا يحيط بمعناها ومدلولها على الوجه الصحيح ، ومن هذه الالفاظ كلمة « الوحى » . ومعروف أن الحياة كلها قائمة على الايحاء ، وأعنى بالحياة حياة الناس من كل وجه . والايحاء متبادل بلا انقطاع أو فتور . وكل امرىء يستوحى من غيره ومن الأشياء ويوحى أيضا الى سواه . وما من خاطرة أو خالجة الا وهى وليدة خواطر أو خوالج أخرى . ولكل ما يدور فى النفس الانسانية من الآراء والاحساسات ، أو الخوالج على العموم أبوان كالانسان نفسه ، وجدود معرقة فى القدم تعريق أبينا آدم . ولست اعرف « وحيا » خاصاً للأدب ، فان الأديب يستوحى من كل انسان ، وكل ما هناك من الفرق بين الأديب وغيره ان الأديب أسرع تلقفاً للوحى واستجابة له

« أما عن استعصاء « الوحى » أحياناً فانى أفهم منه أن الايحاء الى النفس يكون ضعيفاً فلا يجد الأديب منها استجابة كافية . ولا حيلة له فى هذا . وخير له فى هــذه الحالة ألا يحمل نفسه على استجابة لا يحس منها استعداداً كافياً لها . ومن الأدباء من يستعين — أو يقال إنه يستعين — على الاستجابة بوسائل صناعية ، وهذه سخافة وإرهاق ، وخير له وللادب عند الفتور ألا يصنع أو يحاول شيئاً ، حتى تنشط نفسه . وهذا هو ما أتوخاه أنا على الأقل ، فما أحسست قط فتوراً عن الكتابة ، أو عن أى شىء مما أعالجه من أمور الحياة المختلفة ، الا انصرفت عما أراه مستعصياً على أو أرى نفسى فاترة عنه »

الاستاذ انطون الجميل بك

« لا أعتقد ان للوحى زماناً ومكاناً خاصين ، وقد اعتدنا — ان صواباً أو خطأً — ان نقرن الوحى بالهبوط فنقول : « يهبط الوحى » قاصدين انه الهام يتنزل الينا من عل ، فى حين ان الوحى قد يصعد الينا مما نراه على الارض كما يهبط علينا من السماء ، أو يأتينا مما يحيط بنا . كذلك قد يجيئنا ونحن قابعون فى مخدعنا أو سائرون فى الطريق أو متنزهون فى حديقة غناء أو مسترسلون فى حديث يثير الحزن أو الطرب ، والرضا أو الغضب

« وكذلك قل عن الزمان فالوحى كالسارق لا نعرف متى يدخل علينا فى النهار أم الليل أم عند صياح الديك . ولعادات الانسان ونظام حياته تأثير بعيد فى كل ذلك . فهذا الشاعر الذى يشغل نهاره فى كسب رزقه لا يعرف ان يخلو الى شيطانه الا اذا جن الليل وحال سواده بينه وبين ما يحيط به

« يروى عن الشاعر « الفريد دى موسيه » انه كان اذا أراد النظم نهاراً أغلق نوافذ غرفته ليحجب ضوء النهار وأشعل مصابيحه ليوهم نفسه انه فى جوف الليل

« أما الوسائل التى يلجأ اليها الفنانون حتى يسلس لهم الوحى قياده فكثيرة منوعة وكلها يرجع الى تنبيه الاعصاب ، فهذا لا يجيئه الوحى الا بين سيجارة يدخنها وقهوة يرتشفها ، وذلك لا يأتيه الالهام الا من خلال حبب كأس يحتسيها

« وحكوا عن الشيخ نصيف اليازجى انه كان اذا عصاه الشعر دعا « أم حبيب » زوجته لتهيء له الشيشة

« ورووا عن بيير كورناى انه فى مثل هذه الحالة كان ينادى أخاه توماس من الدور السفلى فى الدار قائلا : « سلفنى قافية »

« وقرأت عن أحد نواب فرنسا الذين اشتهروا ببلاغتهم الخطابية منذ بضع سنوات انه اذا أراد تحضير خطبة كان يركب سيارته ويقودها بنفسه ساعة من الزمن فى أقصى سرعة ، ثم عاد يكتب خطاباً يثير العواطف ويهز أوتار القلوب

« وهكذا ترى ان لكل فنان طريقته فى استحضار وحيه »

الاستاذ توفيق الحكيم

« ليس لى وحى ، فان آلهة الفن لم يشرفونى بهذا السفير ذى الاجنحة الشفافة البيضاء يبعثونه إلى فى لحظة من اللحظات . انما الوحى الذى أعرفه هو انكباب على المكتب ثمانى ساعات فى عمل متصل ، فاذا لم يأت وحى فى خلال هذه الساعات الطويلة فانه لن يأتى مطلقاً . على أن الصعوبة عندى هى إرغام نفسى على الجلوس الى المكتب وتهيئة ذلك الجو العبق برائحة الخلق والابداع المشبع بروح التناسق والجمال ، ذلك الجو الذى يمكن أن يخرج فيه شيء جميل . ولى فى ذلك طريقتى التى تناسبنى ، وهى أن أدير « الجراموفون » واستمع الى الطفل الالهى « موزار » ساعة من الزمن أو ساعتين ، فاذا يدى فى غالب الاحيان تجرى بعد ذلك على الورق ، واذا الجراموفون وهو يقف من تلقاء نفسه ، قد صمت منذ زمن طويل دون أن أشعر به ، واذا أنا محاط بصمت عميق لا يقطعه غالباً الا رنين الساعة الكبيرة تدق دقات أعرف منها أنى غبت عن الوجود ، منكبا على العمل أكثر من خمس ساعات . والويل كل الويل لمن كان بينى وبينه ميعاد خلال ذلك الوقت ، فان كانت ثقته فى دقة مواعيدى ما زالت موجودة وانتظرنى ، فانه يجدنى قد تأخرت عليه لا بأرباع الساعات ولا بأنصافها ، بل . . . »

الاستاذ احمد رامى

« لست أدرى متى يجرى الشعر على لسانى . ولكنى أحس دبيباً فى روحى اذا ما أخذتنى سهمة طويلة وأنست الى الوحدة ، ولو بين غمار النفس

« هنالك تأخذنى هزة من الطرب الى شىء من الشعر ، لى أو لغيرى ، فأورده فى شىء من التغنى ، حتى اذا ما طربت وغام الدمع فى عينى ، انتقل بى الخاطر الى المعنى الجديد الذى قصدته فى شعرى . فاذا لان لى المطلع واتزن المقام فى الصوت وشعرت بالخلوة التى أريدها ، تم لى ما أردت وخرجت من هذه الجلسة بقطعة كاملة ، لا ازال اردد أبياتها حتى أحفظها عن ظهر قلب بغير أن اخط منها حرفا ، ثم امليها على نفسى ، وانظر فيها مكتوبة وقلما اغير فيها شيئا

« على ان هنالك ساعات يلين فيها الخيال ويتدفق الخاطر ، منها ساعة الغسق حيث يختلط النور بالظلام ، فيخرج منهما شىء كالضياء المعكس تأنس له العين ويسرح فيه النظر . وساعة القمر حين يغمر ضياؤه السماء ويلقيه على الارض ويجعل من الشجر أشباحا تتمايل . وساعة الوسن حيث أشعر أن الناس كلهم نيام وانا الصاحى وحدى . . .

« هذه الساعات أنسب ما تكون للنظم وألين ما تكون لقياده . أما اذا عصى الخاطر والتوى البيان وهربت القافية ، فلا سبيل الى استحضار الوحى ، ولو تم كل ما تقدم من مهيئات الشعر

« ورحم الله الفرزدق حيث يقول : تأتى على الساعة وخلع ضرس من أضراسى أهون على من قول بيت من الشعر ! »

الاستاذ على محمود طه

« لعل الذكرى أعظم الملهمات التى أفاضت على وحى الشعر ، سواء فى ساعات مرحى ، أو لحظات كآبتى . وأكثر الساعات احتفالا بانتاجى الفنى – أو موافقة له – هى ساعات الليل بعد انتصافه، صيفاً كان ذلك أو شتاء ، فان روعة الليل ومشاهده تشجينى وتسمو بى عن السكون المادى الذى يستبد بغرائزنا حينا وعقولنا أحيانا

« وليس من عادتى أن أقبل على الكتابة الا اذا دفعتنى الى ذلك عاطفة ملحة ، أو أنست من نفسى القدرة على التعبير عن شعور خاص ، تعبيراً صادقا شافيا . فاذا بدأت الكتابة ثم انصرفت عنها لداع ، وعدت بعد ذلك الى إتمام ما بدأت فلم تسمح لى النفس ، حاولت ذلك بغشيان دور السينما ، أو العزلة فى غرفتى ، أو التريض منفرداً بنفسى فى بعض الحدائق ، أو على ضفاف النيل ، الى ساعة متأخرة من الليل ، حيث استمتع بالاستغراق فى تأملاتى والاتصال بالأشباح والاصداء الهائمة فى عالمى العقل والحس ، أو المرأة والطبيعة . . . »

أدوار الصراع بين

الثقافة الأزهرية والثقافة الحديثة

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

« ... من الخطأ أن نتصور هذا الصراع نضالا يضطرم بلون الخصومة ، وإنما هو تنافس ثقافى ومعنوى بين أساليب الفكر القديمة والحديثة . وفى اعتقادنا أن الأزهر ضرورى لصرح ثقافتنا الجديدة ضرورة الجامعة المصرية ذاتها ، وانه برسالته ومهمته الخاصة يتمم رسالة الثقافة القومية العامة . . . »

قبل فاتحة القرن التاسع عشر لم يكن فى مصر ثمة مجال للتحدث عن المنافسة أو الصراع بين الثقافة الأزهرية وبين أية ثقافة أخرى ، فقد كان الأزهر حتى ذلك العهد ، كما كان طيلة القرون ، منبع الحركة الفكرية ومثوى الثقافة العامة فضلا عن الثقافة العليا ، ولم تحل ظلمات العصر التركى الذى استطال ثلاثة قرون دون قيام الأزهر بمهمته الفكرية العظيمة ، بل لبث خلال هذه الظلمات الكثيفة ، وهذا الانحلال الشامل محتفظا بتقاليده العريقة ، أميناً لرسالته ، حريصاً على تأديتها ، ولبث معقل الحركة الفكرية الاسلامية ، وأعظم مورد للثقافة العربية فى المشرق كله

وانما يبدأ حديث الصراع بين الثقافة الأزهرية والثقافة الحديثة منذ الفتح الفرنسى . ففى خلال الفترة القصيرة التى قضتها الحملة الفرنسية فى مصر ، نشأت بذور حركة جديدة لم تتفتح عواملها ولم تتضح وجهاتها إلا بعد ذلك بفترة طويلة ، ففى أثناء وجود الفرنسيين بمصر استطاع بعض العلماء والمفكرين المصريين أن يشهدوا عن قرب مظاهر حضارة جديدة متقدمة ، وأن يقفوا على طرف من مظاهر العقلية الغربية وطريقتها فى التفكير والعمل . ويعرب لنا الجبرتى مورخ العصر - وهو من علماء الأزهر - فى أكثر من موضع من تاريخه عن شديد اعجابه بما حمله الفرنسيون الى مصر من ضروب الثقافة وغريب الفنون والمخترعات ، ويصف دار كتبهم التى أنشأوها بحى الناصرية ، وما رأى فيها من الكتب النادرة والصور الممتعة ، والتصانيف الاسلامية المترجمة ، ثم يصف لنا دار الكيمياء وما شاهد فيها من غريب التجارب والاختراعات ، ودار التصوير وما فيها من صور متقنة لكبار العلماء ورجالات مصر يومئذ وصور الطبيعة والحيوان والنبات ، ويمتدح تقدير المحتلين للعلماء وترحيبهم بكل قارىء ومفكر

وليس اعجاب مؤرخ العصر بما شهد من مظاهر الثقافة الحديثة إلا صدى لنوع من التقدير العام . ولقد كان تقدير التفكير المصرى لهذه المظاهر الجديدة فى الدرس والبحث أول ظاهرة

نفسية تدل على الاتجاه الجديد الذى يتطلع اليه التفكير المصرى ، وكان الركود الطويل الذى انحدر اليه الأزهر فى أواخر العصر التركى ، وما توالى عليه من الارزاء والمحن ، وما أصاب هيبته وموارده من الضعف ، قد أخمد جذوة ذلك الشغف القديم بالثقافة الازهرية ، خصوصاً بعد ان فقدت كثيراً من مزاياها الادبية والمادية القديمة . ومع أن شبيبة العصر كانت تلجأ الى الازهر باعتباره مورد الثقافة الوحيد يومئذ ، فانها كانت تتطلع الى نوع آخر من الثقافة يكون أكثر ملاءمة للروح الجديدة التى سرت الى مصر عقب الفتح الفرنسى ، وكان للفتح الفرنسى فضل كبير فى بعثها

ولم تفت هذه الظاهرة محمد على الذى آل اليه تراث مصر ، وأخذ يوجه مصائرها السياسية والاجتماعية والثقافية الى نواحيها الجديدة بذكاء وبراعة تدعوان الى الاعجاب . ولقد وضع هذا المصلح العظيم أول دعامة فى صرح ثقافة مصر الحديثة ، ولم تقف همته عند انشاء المدارس المختلفة الابتدائية والتجهيزية والخصوصية كمدارس الطب والهندسة والالسن والفنون والصنائع(العمليات) ــ ولكنه عنى أيضاً بارسال الطلبة المصريين الى أوربا ليتلقوا ثقافتها وعلومها الرفيعة ، ولينشئوا الثقافة القومية فيما بعد على أسس محدثة . ومنذ سنة ١٨٢٦ تتوالى البعثات المصرية الى أوربا ، الى فرنسا وانكلترا والنمسا . وبلغ عدد هذه البعثات تسعاً أو عشراً ، وبلغ عدد طلبتها أكثر من ثلثمائة ، وبلغ ما أنفق عليها زهاء نصف مليون . وتلقى هؤلاء الطلبة المبعوثون الدراسات العليا فى الادارة والحقوق والعلوم السياسية واللغات والهندسة والطب والكيمياء والرياضيات ومختلف الفنون العسكرية والعملية ، ونبغ منهم عدد كبير فى مختلف العلوم التى تلقوها . وكانت صفحة باهرة فى تاريخ مصر الحديث تشهد لكاتبها المصلح العظيم بعبقرية مستنيرة نادرة ، وكانت جهود هذه الجمهرة من الطلاب والعلماء النوابغ أعظم دعامة قامت عليها ثقافتنا الحديثة

بيد أنه يجب ألا ننسى نصيب الأزهر فى هذه الحركة الثقافية الباهرة ، فقد كان بين طلاب هذه البعثات عدد كبير من طلاب الأزهر ، وكان منهم نوابغ أفذاذ مثل رفاعه بك الطهطاوى امام البعثة الأولى وصاحب الفضل فى انشاء مدرسة الالسن الشهيرة ، وابراهيم بك النبراوى وغيرهما ممن تلقوا دراستهم الاعدادية بالازهر . ثم ان ابناء الأزهر هم الذين اضطلعوا باعظم قسط فى اخراج الموسوعات والمراجع العربية والاسلامية التى عكفت مطبعة بولاق على اصدارها منذ منتصف القرن الماضى ، والتى ما زالت أثمن وأجل مجموعة فى المكتبة العربية ، وكانت من أعظم العوامل التى مهدت الى بعث الادب العربى القديم

كان الأزهر قد بلغ فى تلك الفترة منتهى الركود والضعف ، وكان تقدم الحركة الثقافية الجديدة نذيراً بتأخره وقصوره عن مجاراتها ، وعاملا فى انصراف الاذهان الطموح عن وروده ، بيد أن الأزهر لبث مع ذلك موئل الثقافة الشعبية العامة ، ولبث محتفظا ببقية من تلك الجذوة القديمة التى

طالما سطعت في عصوره الماضية ، ولبث بالأخص معقل اللغة العربية وعلوم الدين . ولما ظهرت ثمار النهضة الثقافية الجديدة فى عصر اسماعيل ، كان الأزهر قد أخذ يفيق من سباته الطويل ، ويبرر شيئا فشيئا من غمر الماضى ، ويتطلع بدوره الى تفهم الروح الجديد ، وكانت هذه اليقظة بطيئة ولكن محققة . وفى سنة ١٨٧١ ظهر فى حلقات الأزهر المصلح الاسلامى الكبير السيد جمال الدين الافغانى ، والتف حوله عدة من نوابغ الطلاب والشيوخ الازهريين ، فكان ظهوره حادثاً فكريا واجتماعياً عظيما ، وكان عاملا فى تغذية الروح الجديد الذى سرى الى الحركة الفكرية الاسلامية ، ثم كانت الثورة العرابية فبعثت المحنة الى مصر بطائفة من الزعماء الأقوياء سواء فى ميدان السياسة أو التفكير ، وكان للازهر نصيبه البارز في تكوين الزعامة الفكرية يومئذ ، ويكفى أن نذكر أسماء مثل سعد زغلول ومحمد عبده وغيرهما ممن تخرجوا فى الأزهر فى تلك الفترة ، لنبرهن على أن هذا المعهد الخالد لم يفقد خلال عصور الانحلال والتأخر كل حيويته الفكرية القديمة

بيد أنه يلوح لنا أن هذه الأمثلة البارزة كانت خاتمة عهد نخشى ألا يراه الأزهر بعد . ذلك أن تيار التطور قد حمل الازهر فى طريقه ، ولكنه لم يحمله الى الطريق السوى . أجل فقد اضطرم الازهر بروح الاصلاح الجديد ، ولكنه لم يظفر منه إلا بالمظاهر العرضية ، وقد خلع الازهر رداءه العلمى القديم وبدا لنا فى شكل جامعة وكليات منظمة ، ولكن هذا التغيير لم يتناول سوى المظاهر الشكلية ، ولم يظفر الازهر بعد ببديل يعوضه عما كان يتمتع به من التقاليد والمزايا الدراسية القديمة ، ولم يعن زعماء الاصلاح الازهرى بالاخص بتحديد مهمة الازهر الجديدة تحديداً واضحا ، وما زال الازهر يجمع بين مزيج غير واضح من الاساليب القديمة وبعض مظاهر الثقافة المحدثة ، وما زال عليه أن يشق لنفسه طريق الوضوح والاستقرار

وليس شك فى أن الثقافة المحدثة قد تبوأت فى مصر المكان الأول ، وأحرزت نصرها النهائى على تراث القديم وأساليبه ، وهى تؤكد هذا النصر كل يوم بما تخرجه من جندها المستنير الطموح الى الحياة العصرية بكل ما فيها من المزايا المعنوية والمادية . بيد أن ذلك لا يعنى أن مهمة الأزهر قد انتهت أو أنها يجب أن تنتهى . ذلك أننا نعتقد بالعكس أن للازهر مهمة جليلة ، وأنه يستطيع الاضطلاع بها إذا وفق الى اتخاذ الوسائل والأساليب الصالحة لتأديتها ، تلك المهمة هى العمل على تدعيم رسالة الاسلام ، ورسالة اللغة العربية والحضارة الاسلامية . ولقد كان الأزهر معقل هذه الرسالة طوال العصور الوسطى والعصر التركى ، وفى وسعه أن يكون معقلها اليوم ، بيد أنه يجب لذلك أن ينزل الازهر الى ميدان الحياة الجديدة بروح جديدة ، وقوة فتية ، ويجب أن يتحرر من غمر الماضى نهائياً . وعليه قبل كل شىء أن يفهم حدود مهمته ، وأن يكرس جهوده لتأديتها ، ويجب أن يجعل الأزهر من نفسه كلية حديثة بكل معانى الكلمة على مثال الكليات الدينية المحدثة فى أوربا وامريكا ، فهذه الكليات على صفتها الدينية تجرى فى دراستها على أحدث الأساليب

والمناهج ، وتخرج شباباً دينيا مستنيراً يفهم العالم الجديد والحياة الجديدة ، ولا يفترق عن أبناء الثقافة المدنية إلا بنوع ثقافته ومهمته الخاصة ، ونريد بالأخص أن يخرج الأزهر شباباً يعشق اللغة العربية ، ويضرب فى علومها وفى بلاغتها بسهم وافر، ويعمل على تقوية دعامتها ونشر تراثها القديم . فالازهر اليوم قاصر فى هذا الميدان الذى هو من أخص مهامه ، وقلما نجد اليوم بين أئمة البيان والكتابة أزهرياً من أولئك الذين حفلت بهم حلقاته فى أواخر القرن الماضى . وربما كانت هذه البعوث الأولى التى بدأ يوفدها الازهر الى أوربا أول خطوة حقيقية فى سبيل التطور المنشود

هذه هى قصة الصراع بين الثقافتين ، بيد أن من الخطأ أن نتصور هذا الصراع نضالا يضطرم بلون الخصومة ، وإنما هو تنافس ثقافى ومعنوى بين أساليب التفكير القديمة والمحدثة ، وفى اعتقادنا أن الأزهر ضرورى لصرح ثقافتنا الجديدة ضرورة الجامعة المصرية ذاتها ، وانه برسالته ومهمته الخاصة يتمم رسالة الثقافة القومية العامة

محمد عبد الله عنان

من شعار الادباء

* يتدفأ برنارد شو على موقد نقشت على حافته هذه الكلمة :

« انهم يقولون . ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون . . »

* كان القصصى الانجليزى جون جولزورثى يثبت على مكتبه ورقة بها هذه الجملة :

« لن أمر بطريق هذه الدنيا سوى مرة واحدة . واذا فلأؤد اليوم من الخير ما يتسع له ذرعى ، ولأظهر اليوم من الرفق بالناس والحيوان جميعا قدر ما أستطيع . . لن أهمل هذا ولن أؤجله ، لأنى لن أسلك هذا الطريق مرة أخرى »

سحر الطبيعة وروعتها في افريقيا ـ الاسود يسلم ولا يناضل ، لا عبرة عنده بالماضي ولا تدبير للمستقبل ـ نفسه متحركة متنقلة كالفراشة السوداء ـ النفوذ كله للدين والسحر ـ حفلات السود وموسيقاهم ورقصهم وأدبهم

نفسية السود

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

قلما يذهب مستكشف أو تاجر أو مبشر من الجنس الأبيض الى قلب القارة السوداء الا وقع تحت سحرها ، وانجذب بقوة خفية الى هذه الأرض الحافلة بالمهالك ، وإلى سكانها أبناء الطبيعة المستوحشين ، وقد أتى يسخرهم فأعطاهم من نفسه ـ شاء أو لم يشأ ـ فاذا هم اخوة له فى الانسانية أقرب من اخوانه فى الجنسية . وقليل من الذين عرفوا افريقية وعاشوا في قلبها زمناً ، من يقوى على فراقها والتحرر من أسرها ، فهو مهما ابعد كالأسير لأرض العبيد ، يحملها أبداً فى قلبه ويقصر عليها تفكيره وذكره . بل منهم من أحبها حتى الموت فأبى الا ان ينتظر فيها حمامه ، وأن تضم تربتها عظامه

ولو أنها كانت أرضا مباركة للسلام ، لينة الجناب ، موطأة الاكناف ، عيشها الخفض وظلها الأمان ، لما كان موضع للعجب . ولكنها من هذا على النقيض

فافريقية ، وعلى الأخص افريقية التى يستوطنها السود ، كتلة صماء ، قائمة كما هى قطعة واحدة من أقدم الحقب الجيولوجية ، ممتنعة على تغيرات القشرة الأرضية والرواسب البحرية . وهى لارتفاع سواحلها أشبه بالجفنة ، مقعرة الصحن مرتفعة الأطراف ، تتجشم انهارها الجهد الناصب للوصول الى البحر ، ولا يتهيأ عندها اشتباك التأثيرات البحرية بالبرية . وان المرء ليقع فى روعه ان الطبيعة فى افريقية لا تعرف القصد ، وأنها تعيش بالاسراف ، الاسراف فى الجفاف وفى البلل ، الاسراف فى الفاقة وفى البذخ . فثمة الصحارى ، والمروج ، والغابات الكثيفة ، وفصول الأمطار ، وفصول الجفاف ، وهى تعرض وتتعارض بجلاء عجيب ، مرتسمة على الارض بخطوط صريحة لا تدريج فيها ولا اطراد . وللطبيعة هنا فى مجاليها المعتادة وظواهرها المتعددة حركة وحشية ، فلا قياس لها ولا إلمام بمقاصدها ولا أمان من تقلباتها ، ولا عزاء فيها كما يتحدث الشعراء من شقاء المجتمع ، وليست هى كما يصف لهم الخيال بالأم التى يطمأن فيها الى صدر حنون . وكيف وريحها تنقلب احيانا صرصراً

عاتية ، وتسور إعصاراً يطوى الأميال عاصفا موارا ، يصم دويه الآذان ، وينخلع له قلب الحيوان والانسان،وتتقطع انفاسهما فرقا ، وتميد له رواسى الاطواد ، ويقلع بواسق الدوح،ويهلك الحرث والنسل فلا يلبث امامه شيء ! وكيف وأنهارها طوراً هزيلة ضاوية لا حياة فيها ، وطوراً هى سيول عارمة أو بحار زاحفة تجرف جزراً طافية ، وينساب العباب عريضا مهيبا وتنحدر به الحدور فيطفر من شلال الى شلال هادراً مزمجراً بين الجنادل كالبهم المستنفرة ، فاذا سلسلت البطاح اختلطت المياه وانساحت مستنقعا شاسعا تزبئر فيه ادغال من القصب كالرماح المشرعة وتصدر عنه الهوام المزعجة ناقلة للامراض الموبقة ! وفى وسط هذه الروعة يعيش الجنس الاسود مهدداً على الدوام بالملمات ، من طوفان وأى طوفان ، واحتراق للمحاصيل بفعل الرياح الجافة المرمضة او تلفها بفتك الجراد افواجا أفواجا ، ومن عدوان الوحوش الضارية تحوم فى جوارهم وعدر الأفاعى الهائلة متمددة راصدة على فروع الاشجار الضخام ، ومن خطر انخساف التربة والسوخان فى المستنقعات وتفشى الذباب والبعوض ومعهما الأوبئة والحيات ومرض النوم ، الى غير ذلك مما لا يقع تحت حصر

فلاجرم أن تكون طباع السودان مما يلتئم وهذه الطبيعة المهتاجة المتقلبة

وفى مقدمة هذه الطباع التسليم . فهو لا يفكر فى التمرد وفى الكفاح المتواصل لأن القوة تعوزه . ولقد جردته الطبيعة بدهائها ولطف تدبيرها من الحاجة الى الكد ومن القدرة عليه ، بما أفضلت عليه من قسمة ضئزى ، من رزق ميسور دانية قطوفه لا يتكلف له جهدا ، وبما اطبقت عايه من جومنهك الحرارة يحل القوة ويراخى الأوصال ويفت فى العصب ويسقط الهمة ويفتر العزائم

وهو مستغرق الحس فى الحاضر ـ واطوله عنده اللحظة التى هو فيها ـ فلا يذكر الماضى ولا يريد التفكير فى المستقبل . ولولا هذه الغفلة منه لما أطاق الحياة ، وكيف كان يطيقها وكل ما حوله لا يبعث على الأمن . ومن ثمة كانت الصفة الغالبة على نفسه هى قابلية الحركة فيها وعدم قرارها على حال ، فتتعاقب عليه الانفعالات والعواطف والرغبات واحدة فى إثر الأخرى متعارضة متناقضة ، حتى ليتبادر الى وهمك انه على فطرته الأولى ليست له ذاكرة ، أو ان له ذاكرة على غير غرارنا . وقد نتساءل : أهو طيب ؟ أهو شرير ؟ وواقع الامرأن له هنيهات حب وله هنيهات بغض ، ولكنه يتنقل من هذا الى ذاك دون أدنى كلفة ، كالفراشة السوداء لا تراها هنا حتى تراها هناك . ومرد ذلك كما قلنا الى انصرافه بكامل حسه الى اللحظة الراهنة والمظاهر الخارجة فلا تكاد ترسخ له حياة شخصية نفسية باطنة ولا تستقيم له وجهة ولا تطرد عاطفة . وإنه ليحدث مثلا عند وقوع وفاة أن يجتمع الآل والجيران والخلان حول الميت يندبونه سويا فيذرفون الدمع السخين ويعولون أيما إعوال . فاذا اتفق ان الق ماجن بنكتة عارضة قهقهوا بالضحك مغربين ، ثم استمسكوا بعدها وذكروا ما هم فيه فسحت جفونهم وفاضت شؤونهم فيضها

وقد زعموا أن الأسود لا يصدق . والأحرى أن يقال انه لا يعرف الصدق فى ذاته مستقلا عن العاطفة . فهو فى معظم الأحوال لا يتعمد تحريف الحقيقة وإنما يكيفها على حسب هواه فى تلك اللحظة ، فهو يكذب على نفسه كذبه على الناس . وهيهات أن تتركز فى ذهنه الحقيقة وتتمثل ودماغه متفتح لمهاب الرياح لا ينطبع على السحائب السارية فيه شىء ثابت . وهذا أيضا علة قصوره عن ارتياء الرأى وعجزه دون الحكم على الاشياء وصحة القياس والتعليل

كذلك يخطىء من يقول إن الأسود كسول . فان فيه نشاطاً وبه قدرة على الجهد الناصب ، ولـكنه لا يعرف ولا يألف الجهد المتواصل . فهو يعمل لسد حاجاته العاجلة قانعاً بالـكفاف أو ما يقرب من الـكفاف . وإلى دلك فانه من قلة التبصر والتدبير بحال لا يتصورها الوهم ولا يعلق بها الخيال . فترى الأهالى السود عد تمام الحصاد يقيمون الأعياد الـكبيرة ، ويلهون عن الشتاء وهو قريب على الأبواب ، وتكون الاناقة كل الاناقة عندهم إد ذاك أن يصنعوا عشرة أضعاف ما يلزم العائلة من طعام وأن يطرحوا الباقى على كثرته أمام البيت على مرأى من العادين والرائحين إظهار للغنى والترف على قدر وفرة الفضلات . وهم بعد شهر يتضورون من الجوع ويشرفون على الهلاك صبراً ، فهل تراهم يعتبرون ؟ بل انهم ليصنعون فى السنة التالية مثل ما كانوا يصنعون . ومن العبث تحديثك الرجل الاسود عن المستقبل وما يجب عليه قبله من الادخار والأهبة . فانه ليقبل عليك بسمعه ويخيل اليك أنه مقتنع حق الاقتناع فلا تكاد تتركه لنفسه حتى يتطاير المقال عن أذنيه ويذهب أدراج الريح

فالأسود كما رأيت عبد للطبيعة ، مستسلم لها نازل على حكمها ، لا يطالبها بأكثر مما تعطيه ، ولا يطمع كالمستعمرين البيض فى الغلبة عليها ، ولا يجد فرحة مثلهم فى ترويض عناصرها ، ولا يحسب لشخصه وجوداً مستقلا عنها . وإذا كان كل ما يحيا شاعراً بأنه كائن تام ، فرد قائم بذاته ، وأنه أنانية مستقلة ، ومولده فى زمان وحده ومكان وحده ، وله فى الحياة نصيب خاص يؤديه ، فيقول هذه المسألة مسألتى وهذا الأمر يعنينى ، شديد الاحساس بحريته وإرادته ومسئوليته أمام نفسه . اذا كان كل ما كذلك ، فان الاسود على خلاف ذلك ، أقل شعوراً بأنانيته ، شديد الارتباط بما حوله وبالأرض التى تقله ، وجوده امتداد لاسلافه ، وكيانه جزء لا يتجزأ من كيان عشيرته . فهو مندرج فى قوى الطبيعة مع الحيوان والنبات والجماد . . وأرواح الأموات أيضا . ولما كان الأسود أبداً فى علاقة روحية مستمرة مع الأشياء والقوى المنظورة منها وغير المنظورة ، فلا غرو أن يكون النفوذ كله عند السود للدين والسحر

والسود قوم ديانتهم الاعتقاد بألوهية خالقة أوجدت الـكون فى البداية وهذا حسبها . ثم تأتى بعدها القوى الخارقة التى عليها مصائر الخلق والتى تقتضيهم العبادة ، وهى أرواح صادرة عن تلك الألوهية العليا أقامتها عنها فى تصريف الأمور وخلعت عليها جبروتها . وكل ما فى الطبيعة من

الجمادات أو من الاحياء فان فيه شذرة من الروح الكلية . وهذه الشذرة لها مع هذا شخصية الحى أو الجماد الذى تتحيز فيه طالما هو موجود ، وهى قوية فعالة مدركة مريدة متصرفة فيه ، وهى خافية الا أنها دائما حاضرة ، وذات حساسية مرهفة مادية ومعنوية فتبصر وتسمع وتعى ، ومن ثمة كانت مخوفة الجانب مرهوبة السطوة لسرعة غضبها وشدة نقمتها ونكالها لأدنى إساءة . غير أنها أيضا تتأثر بالاطراء وتأخذها الشفقة وتذكر الصنيع الجميل وترضى عمن يرفع لها الدعوات ويبذل لها القرابين والضحايا تكفيراً عن السيئات والخطايا

ولا ينبغى الخلط بين الروح التى هى عنصر القوة المتصرفة ، وبين النفس التى هى نسمة الحياة وعنصرها . فان النفس لا شأن لها أكثر من انها القوام لحياة الفرد وصحته ،وهى تنتقل من جسم لآخر ولا خلود لها الا على هذا الوجه ، وهى تأتمر بأمر الروح وليس لها بمفردها ادراك أو ارادة . ويخلص من هذا انها ليست منسكا ومناط عبادة . ومن طريف ما يزعمونه أن النفس تغادر الجسد الى حين أثناء النوم . وما الحلم عندهم الا صورة من حياتها الخاصة ولهوها مع نظائرها خارجا عن الأجسام . ومنهم من يرون فى ايقاظ النائم بغتة خطراً عليه واجراما ، لأن نفسه قد تكون ساعتئذ فى الخارج ولا يتسع لها الوقت للعودة الى الجسد فتحصل من ذلك الوفاة . وعلى العموم فان النفس اذا زهقت فما ذاك بمحض ارادتها ، وانما هى الروح المتصرفة التى تحكمها قهرتها روح أخرى أشد منها وأقوى سطوة . فالموت فى نظر السود حادث من تدخل روح أخرى سواء أكان عدوانها من تلقائها أو كانت أداة سلطها الغير . وأما الاسباب الحسية كالمرض والطوارىء فان هى الا أسباب ظاهرية لا ينخدعون بها

وفى حين أن النفس تناسخية لا تترك محبسها فى جسد الا لتتقمص جسداً غيره ، فان الروح تتحرر بموت الشخص . ولئن كانت الروح تحتفظ بشخصيتها وطبائعها ومشاربها وشهواتها الا أنها بانطلاقها من سربال الجسد الذى كان يقيدها ويحد من حركتها ، وبانفصالها عن النفس التى كانت مطالبة على الدوام بارشادها وهدايتها فى سعيها ــ تصبح أكثر استقلالا وأعز سلطانا . وتزداد بها القوى الخارقة التى تتدخل كل حين فى حياة البشر ، ويصير حقاً على الناس عبادتها إن أرادوا ألا ينزل بهم غضبها ولا تحق عليهم نقمتها

وهذه القوى الخارقة ــ سواء أكانت ارواح الطبيعة أم ارواح الاسلاف ــ لها القدرة على الخير وعلى الشر وعلى الكف عن الخير والشر معاً . فليس بالصحيح ما ذهب اليه بعض من عالجوا هذا الموضوع من أن السود يقسمون الارواح الى أخيار واشرار . بل الصحيح أن الارواح فى اعتقادهم لها عقلية الآدميين ونفسيتهم . ولذا كانت مصلحتهم فى السعى الى استرضائها بكافة الوسائل الملائمة . وهذا بجملته مطلب الدين عندهم

والدين عند السود متصل بالسحر ، حتى قيل إن الدين ضرب من السحر مهذب وإن السحر

هو الدين فسد أمره . على انه للتفرقة بينهما يصح القول بأن الدين ـ فى تقريره ان الانسان رهن بمشيئة قوة قاهرة غير منظورة ـ يضع المبادىء ويرسم الحدود للعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، فهو وضع خلقى . أما السحر فيحاول أن يفرض مشيئة الانسان على القوى غير المنظورة ، فهو نفع مادى . ومن ثمة كان الدين للكافة وكان السحر مقصوراً على طبقة خاصة . ولا مشاحة فى أن الدين عند السود فى الكثير من شعائره وطقوسه يلابسه السحر . إلا أن للسحر مع ذلك وجوده المستقل وسماته واغراضه الخاصة

والى الدين والسحر ترجع جميع المظاهر الفنية عند السود . واكثرها شيوعاً التمائم والتعاويذ وتتخذ وقاية من الأمراض والجروح ومن اللصوص والقتلة ، ومنها أيضاً ما يمنع الخصومة ويرزق النسل ويوفر المال وينفق السلع ويوقع الحب وغيرها من أغراض لا حصر لها ، وقد لا يصح الجهر بها . وتركيب هذه الاشياء غير متروك للمصادفة وحدها أو هوى الساحر ، ولكنه قائم على القياس والتعليل. فالطلسم الواقى من العدو مثلا يكون على صورة شخص مكتوف اليدين مغلول الرجلين ، كما أن الحجاب الذى يعصم من المرض يشتمل مثلا على نبات به مناعة على الحرارة والجفاف، وكثير من التمائم تصاغ حليا ، وعلى الأخص ما كان منها على مثال الافعوان فيتخذون منه خواتم وأساور وشنوفاً ، ليطرد عنهم مرض النوم ذلك الافعوان الـكلوء العين . وليست التمائم والتعاويذ كلها للوقاية بل منها المرصود على العدوان والايذاء

كذلك هم يقيمون فى مدخل دورهم احياناً دمى لتأخذ عنهم الشر أو تعوقه دون طروقهم . كما ينصبون بها تماثيل للميت العزيز احتفالا بجنازته وتذكاراً له ومحلا لروحه ، وهى تكون من الخشب أو الصلصال أو الحديد أو البرونز بحسب المواد الأولية فى الأقاليم

ومعابدهم لا تخلو من أدوات للطقوس الدينية كآنية الشراب المهراق ، والمدى المعدة لذبح الأضاحى ، والطبول المقدسة والآلات الموسيقية والجلاجل والنقارات لاستحضار الروح أو دعوة المصلين وعكاكيز الكهان وما الى ذلك . وكلها من بدائع الفن وطرفه الحقيقية

ولا يظهر رجال الدين فى الحفلات إلا بثياب التنكر . وأروع ما فيها القناع ، ويمثل فى الغالب رأس بعض الوحوش منقولا عن الطبيعة أو خليطاً منها مركبا . والمراد بالقناع هو ادخال الروع فى قلوب الاتباع والعامة فى جوف الليل على ضوء المشاعل والنيران الموقدة ، كما أن فيها إشارة كذلك الى زوال الصفة البشرية عن المتنكر وتجرده من الوجود الطبيعى وانسلاخه عن عالم الشهادة إيذاناً بدخوله الى عالم الروح واتصاله بالقوى الخارقة . ولا يغيب عن القارىء أن الحيوان الذى يتخذون أشكاله معدود من ضمن القوى الخارقة وفى اتخاذ شكله اكتساب لصفته

وتحل الموسيقى والرقص فى حياة السود منزلة أعظم منها فى أية بيئة أخرى . فهما عماد الحفلات الدينية . وعدا ذلك فانهما من حاجات السود اليومية يجتمعون لهما كل مساء ويشترك فيهما الشباب

والشيوخ نساء ورجالا . فيرقص البعض ، ويتحلق الآخرون حولهم ينظرون ، وترتفع الأصوات بالنشيد وتصفق الأيدى بالتوقيع ، والوجوه كلها مشرقة عليهـا سيماء غبطة لا يحدها وصف . والرقص عند السود يختلف عنه عند الغربيين والمغاربة . فليس هو تشابك بين اثنين ومخاصرة بين جنسين كأهل أوربا ، ولا هو رجرجة أرداف ثقيلة كالراقصات فى شمال افريقية . وانما هو حركة جماعة ومعرض أفراد معاً ، ترى فيه شخوص ناطقة ملامحها أعجب النطق ، وينتظمها جميعاً نظام واحد محبوك السبك . وبعبارة أخرى يتجلى فيه المجموع المنسجم المنتظم من غير أن يجنى ذلك على جمال الحركة فى جسم الفرد . وفى هذا الرقص سكنات وحركات ومواقف على أكمل وضع ، وفيه تجتمع حماسة الجنون وخفة الظرف كأغرب وأبدع ما يكون الجمع

وللسود أيضاً شعرهم وأدبهم ، والغالب عنـدهم الأساطير على ألسن الحيوان ، كالأساطير التى نعرفها عن العرب والتى نقرؤها فى إيزوب اليونانى ولافونتين الفرنسى ورديارد كبلنج الانجليزى ، فأبطالها النمر ، والسلحفاة وهى مثال التعقل ، والارنب الأريب الذى يأخذ بحقه دائماً من الفيل ، وكذلك الضفدع والعنكبوت وغيرها . والقصاصون فى السودان لا يتقيدون بأن تكون حكاياتهم مقبولة عقلا ، فهم يروون عن جواميس تطلع الشجر وعصافير تزحف على الأرض وعنكبوت يبتلع البقرة . ونحن نجتزىء هنا بالقصة الآتية نموذجاً من أدبهم وشاهداً على خيالهم :

« خرج الوالد والابن الى غابة للصيد . فلما بلغا الى طريق فيهاموطأ من كثرة الغادين والرائحين نصب الابن شبـاكه . فى اليوم الأول وقع فى الشبكة أخو أمه . وفى اليوم الثانى وقع أبو أبيه . وفي اليوم الثالث وقعت أمه . وفى اليوم الذى بعده كان الواقع فى الشبكة هو الطريق نفسه . فقال الأب : « يابنى دع الطريق . وإلا فكيف الرجوع الى بلدتنا ؟ » فلم يستمع له الابن ، بل تناول الطريق الذى صاده ، وطواه طيا ، وأودعه جرابه واحتمله على كتفه ومضى يسير ومعه أبوه . وطال بهما السير ولم يبرحا الغابة ، واستحال عليهما العودة الى البلدة ، وفى آخر الأمر ألقى الابن الجراب عن كتفه وفتحه ، فقفز منه الطريق فى الحال وامتد على طوله حتى البلدة ، وجرى الوالد وابنه وراءه على الأثر ، ولما أن بلغا بلدهما استولى الابن على الطريق قائلا : « هـذا الطريق لى وليس لأحد أن يطرقه » . وظل الطريق موحشاً محروماً من الطارقين ، فتملكه حزن شديد وقضى فى آخر الأمر نحبه »

وبعد ، فهذه أفريقية السوداء . وهى أيضاً أم الملايين من السود الذين يسكنون أمريكا وجزر الارخبيل ، على أنه مهما تبدلت البيئة وتغير المناخ واصطنعوا أخلاقاً غير خلائقهم واعتنقوا ديناً غير دينهم ، فان أمهم أفريقية لن يبرح دمها على تطاول السنين والاحقاب فى عروقهم ، يظهر فى موسيقى الرومبا ورقص الـكاريوكا ، بل وفى دخيلة ايمانهم وصميم اعتقادهم فى آلهتهم الجديدة

عبد الرحمن صدقى

(٢)

بين نابليون ومدام موريس

حينما يسيطر الحب على قلب الرجل العظيم

بقلم الاستاذ حسن الشريف

تحركت السفينة « اوسيان » من ميناء تولون تحمل الجنرال بونابرت الى مصر وتقل معه آماله الواسعة فى إنشاء الامبراطورية الشرقية التى طالما راودت مطامعه بعد إذ ضاقت ميادين أوربا بالمجد العسكرى الذى كان يبتغيه

ووقف بونابرت على سطح السفينة يودع بالنظرات والبسمات زوجته جوزفين . ووقفت جوزفين على رصيف الميناء تلوح له بمنديلها وتحمل النسيم القبل التى كانت ترسلها اليه على أطراف أناملها . وظل الزوجان يتبادلان الاشارات ويتناجيان باليدين حتى لم يبق من السفينة أمام ناظرى جوزفين إلا الشراع كأنه الغيمة البيضاء فى الأفق البعيد ، وحتى لم يبق من الشاطىء الاذلك الخط الأسمر الغامض الذى لا تتبين العين فيه شيئاً . وأطرق إله الحرب برهة ثم أدار وجهه الى رفاقه فاذا بين أهدابه دمعتان تترقرقان كأن الكبرياء تأبى عليهما أن تنحدرا من المآقى ، وإذا على شفتيه ابتسامة كاسفة محزونة تحاول أن تخفى ألم نفسه فلا تفعل سوى أن تنم عليه

وكان الزوجان قد اتفقا على أن تذهب جوزفين الى احدى مدن الحمامات لتستشفى فيها حتى اذا تم لبونابرت فتح مصر وانتظم له الأمر فيها ، أرسل سفينة تجىء اليه بها لتنعم معه بالحياة ردحاً من الزمن على ضفاف النيل . ويعلم الله أن جوزفين كانت صادقة إذ وعدت زوجها باللحاق به ، ولكنها عادت فتمثلت مشقة السفر وهول البحر وحرور الصحراء وغيلان افريقيا ومجاهل القارة السوداء وبؤس الحياة بين المتوحشين . أو قل إنها عادت فذكرت باريس وملاهيها ومسراتها وهناء العيش فيها ، وكيف تكون جوزفين فى غير باريس وكيف تكون باريس من غير جوزفين . ومن يدرى فلعلها ذكرت أيضاً صاحبها هيبوليت شارل وحبهما الجديد الذى لم يشبع ولم يرتو فى الفترة القصيرة التى امضياها فى ايطاليا ، وأن هذا الفتى المحب الجميل ينتظرها على أحر من الجمر ليطفىء رضابها العذب لهيب قلبه وليهدىء بين ذراعيها المفتولتين ثورة حبه ، فآثرت العودة الى باريس ، وصارت تكتب الى زوجها فتعتذر له بالتوعك والمرض وبخشية سوء الجو من أن تلحق به

وها هو ذا بونابرت فى مصر ، تم له الفتح العسكرى الذى ابتغاه وبدأ ينظم الفتح العلمى الذى امتازت به عروته ، وأخذ يعد العدة لاكتساح الشام ليمهد الطريق الى الهند لينتزعها من براثن الانجليز . ولكن الحياة خلال كل ذلك مملة كئيبة لا لهو فيها ولا مرح ولا نساء . وقد كرت الأيام

متماثلة وتعاقبت الشهور متشابهة حتى أصبح تماثلها وتشابهها حملا على نفسه لا يطاق . فأين هـذه القاهرة المظلمة الحزينة الخاملة التى لا متعة فيها للعين ولا بهجة للقلب ، من باريس المتلألئة الصاخبة الجذابة، التى لاتنتقل فيها العين من جديد الا لتقع على جديد ولا تخلص النفس من مسرة الا لتنغمس فى مسرة ؟ وأين فتنة مصر الجافة التى تتجلى فى سمائها ونيلها وصحرائهـا واهرامها وفى الأسرار الكامنة فى أرضها والألغاز المنقوشة على أحجارها وصخورها ، من فتنة فرنسا الحية المرحة المتعددة النواحى والأشكال ، التى تتجلى فى فخامة سهراتها وبهاء مراقصها وفى جمال النساء ورشاقة الأبكار وإناقة الفتيان وفى كل ما تهفو اليه القلوب وتطيب له النفوس وتقر به العيون ؟

لم يكن فى القاهرة إذ ذاك من الملاهى الافرنجية غير ملهى « تيفولى » وهو حديقة نسقها أحد النزلاء الفرنسيين على نمط مصغر من سمية لها بباريس ، وأقام فيهـا ناديا ومغنى ومقصفا ومرقصا ونشر فى أرجائها ألعابا مختلفة من أراجيح وخيول خشبية وأهداف للرمايه وما الى ذلك مما تحتويه حدائق الألعاب . أما النساء الأوربيات فلم يكن منهن فى مصر الا القليل . فلقد صدرت أوامر القائد العام بمنع الضباط والجنود من استصحاب زوجاتهم عند رحيل الجيش الى مصر . بيد أن بعض هاته الزوجات أبين الا أن يشاطرن بعولتهن مصيرهم فتخفين فى زى الرجال واندسسن فى الصفوف وأفلتن من الرقابة عند الابحار وكمن فى مخازن السفن طول السفرة ، فلما بلغن مصر خلعن زيهن المستعار وبرزن مباهيات بمغامرتهن ، فكن زينة للسهرات فى ملهى تيفولى ومتعة لأنظار الضباط الذين قضى عليهم أن يحرموا معاشرة الجنس اللطيف الى حين

وكان من بين هاته الزوجات المغامرات شابة فى الثامنة عشرة من عمرها،ضامرة القوام رشيقة القد مليحة تقاسيم الوجه ، ذات عينين زرقاوين تفيضان طفولة وبشراً ، وأنف مرهف دقيق ينبىء عن الشهوة المستعرة فى هذا البدن الغض ، وشفتين رقيقتين رطبتين تغريان بالتقبيل وتفتران عن أسنان صغيرة ناصعة البياض قد نسقت فى فمها الحلو كأنها الدر المنظوم ، وشعر أشقر ناعم يتوج رأسها الصغير وتتدلى منه خصل ذهبية تداعب جبينها المشرق فتزيده إشراقا

كان اسمها مرجريت بليل . وكانت صبية خياطة فى مدينة كاركاسون . وقد وقع فى شرك جمالها ابن أخى معلمتها الملازم فوريس فأحبها وتزوج بهـا . وبينما العروسان يتمتعان بلذة الأيام الأولى من شهر العسل ، اذا الأمر بالتعبئة يفاجئهما فيضطر الملازم الشاب الى السفر الى مصر . وتأبى العروس أن تفارق زوجها فتجد الوسيلة الى الابحار معه متخفية فى زى أحد الجنود

ومذ ظهرت مدام فوريس فى حديقة تيفولى استرعت الأنظار بجمالها ومرحها ، واستهوت القلوب بفتنتها ورشاقتها ، فصبت اليها النفوس وتجمعت فيها الآمال وصارت ملتقى أبصـار الشبان وموضوع الاعجاب العام . ولعمرى لو ظهرت مرجريت فوريس فى باريس الغنية بنسائها لوقفت

على جمالها العيون وخفقت لرؤيتها الأفئدة ، فما بالك وهى تظهر فى القاهرة حيث النساء فى المساهر قليلات ، والجميلات منهن نوادر ؟

وكان يوم عيد أقام فيه الجنرال بونابرت حفلة بحديقة تيفولى دعا اليها ضباط الجيش ورجال أركان الحرب والعلماء المرافقين للحملة . وقد بدت مدام فوريس تلك الليلة فى أجمل زينة وأحسن حال ، فأقبل عليها الشبان يراقصونها ويتنازعونها ، وصارت تنتقل من ذراعى هذا الى ذراعى ذاك مبتهجة متهللة تنشر الأنس والمرح فى كل مكان . وقادها الشاب أوجين ده بوهارنيه - ياور بونابرت وابن زوجته جوزفين - الى المقصف ليتناول وإياها بعض المرطبات . وفيما هو يغازلها بأرق الحديث وأعذب الكلام وهى تستمع اليه ضاحكة تياهة غير مبالية بما يقول ، اذا القائد العام يتجه نحوهما وقد سلط عليها بريق عينيه الذى لا تقوى على مواجهته الأبصار ، فلما صار على قيد خطوة منهما أومأ اليها برأسه تحية وداعب بأصبعيه أذن ياوره وقال :

— أهكذا تهمل ضيوفى لتنفرد بصاحبتك يا أوجين ؟

ثم حدق الى وجه الشابة حتى حملها تطرق حياء واستطرد فقال :

— ولكن جمالها يشفع لك عندى وانى لمعجب بحسن ذوقك فى الاختيار

وتصعد الاحمرار الى وجه الصبية فأحنت رأسها لترد التحية ، وبادر أوجين بتقديمها الى قائده قائلا : « مدام فوريس » فمد نابليون يده مصافحاً وظل ممسكا أطراف أناملها بيده وقال :

— ان الملازم فوريس من خيرة ضباطى ولكنك حملته على مخالفة أوامرى إذ أردته على أن يستصحبك الى هذه البلاد

قالت : لا ذنب لروحى فى ذلك يا سيدي الجنرال فلقد فعلت ما فعلت وهو لا يعلم شيئاً

فشد القائد على أصابعها بيده وهز رأسه متبسما وقال :

— اذن فسوف تؤدين لى عن ذلك حسابا ، وسترين انى لا أهمل مثل هذا الحساب

ومن ذلك اليوم لاحظ الضباط أن الجنرال بونابرت يكثر من التردد على ملهى تيفولى ويظل يرتاد طرقاته وممشاه حتى يلتقى بمدام فوريس وعندئذ ينصرف عمن سواها ويخرج من جده ووقاره الى التبسط معها فى الحديث وتعليمها الرماية بالبنادق الهوائية ومصاحبتها كلما أرادت أن تلهو بركوب الأراجيح والخيول الخشبية ، حتى اذا غادرت الملهى ضاق صدره وعاوده الجد والوقار وانصرف الى التكلم فى السياسة والحرب ومسائل الجيش

وأدرك المقربون اليه أن غراما ناشئاً قويا يدفعه الى تلك المرأة ، فتطوع وسطاء الخير منهم - وما أكثرهم حول الاقوياء والكبراء - لتمهيد الطريق وتذليل الصعوبات وتقريب ذات البين ، وأسفرت المفاوضات عن تمنع هو أقرب الاشياء الى القبول . وكان تلاق كأنه غير متعمد ولامقصود تبودلت فيه الممازحات الكثيرة المعانى ، وآنس بونابرت أن العفة ليست أقوى الحوائل بينه وبين

الشابة الشهية ، فامطرها هدايا ورسائل غرام وأحاطها بحصار منظم من الرسل والوسطاء ، ولوح لها بالمستقبل الذى يعده لزوجها والذى تبينت من خلاله الغنى والجاه وعلو المكانة ورفعة المقام

وفى صبيحة يوم من أيام الشتاء تلقى الملازم فوريس أمراً بالابحار الى فرنسا على أول سفينة مقلعة ليؤدى مهمة سرية لدى الحكومة الفرنسية وليحمل تقارير هامة الى مجلس ادارة الدولة . وقد نص الامر على أن ينتظر بباريس حتى تضع الحكومة ردها على هذه التقارير فيعود بها الى مصر عندما تسمح الأحوال . . . . ولم ير الضابط فوريس فى كل ذلك أكثر من ثقة يضعها القائد العام فيه ، واذا كان ابتعاده عن زوجته قد شق على نفسه فان تلك الثقة التى يخصه بها رئيسه الأعلى قد خففت عنه هذه الشقة . فسافر المسكين مصدع القلب راضى الكبرياء

وفى اليوم التالى لسفره أولم الجنرال بونابرت وليمة دعا اليها مع كبار الضباط بعض السيدات الفرنسيات ودعا بينهن مدام فوريس . ولقد خصها بمكان الشرف من المائدة الى يمينه . وفيما هو يتحدث الى بعض المدعوات اذا حركة من يده تقلب كأساً على المائدة فيسيل النبيذ على أثواب مرجريت ، فيتصنع بونابرت الأسف وينهض وتنهض معه مدام فوريس ويقودها الى غرفته لتعالج ثوبها وتصلح من شأنها . . . ولكن غيبة الاثنين تطول أكثر مما ينبغى لتنظيف ثوب ، فيتبادل المدعوون البسمات التى لا تدع شكا فى أن الجميع قد أدركوا ما فى الامر من سر

واذا كان شىء من الشك قد بقى لدى البعض فقد زال عندما رأى الناس البيت المجاور لسراى الفى بك يستأجر لحساب القائد العام ويفرش بأثمن الرياش ، ومدام فوريس تنتقل اليه لتقيم فيه

ولكن يشاء القدر المعاكس ألا يطول هناء العاشقين . إذ بينما هما ينعمان بالايام الأولى من حبهما الجديد ويحسبان أن الزوج لن يعود قبل ثلاثة أشهر أو أربعة ، يظهر الملازم فوريس فجأة وعلى غير انتظار فيعكر صفو خلوتهما الهنيئة ويوقظهما من هذا الحلم اللذيذ

كان فوريس قد أبحر من دمياط ، ولكن السفينة التى أقلعت به لم تكد تبتعد عن الميناء حتى أسرتها سفينة انجليزية من السفن التى كانت تحاصر الشواطىء ، وكان الانجليز على علم بما كان من أمر بونابرت مع مدام فوريس وابعاده زوجها ليخلو له وجهها ، فلما قبضوا على الزوج زين لهم المكر أن يدعوه يذهب الى القاهرة ليفاجىء زوجته بين ذراعى بونابرت ، مؤملين أن يكون لهذه الفضيحة أثرها السىء فى نفس الفرنسيين

وعاد فوريس الى القاهرة محنقاً على زوجته الغادرة واقتص منها القصاص الذى جعلها تطلب الطلاق . ولقد كان لها ما أرادت وقضت السلطات المختصة بتطليقها من زوجها . والتمس الزوج اعفاءه من الخدمة فى مصر فأجيب التماسه وعاد الى وطنه كسير القلب محزون الفؤاد

ومذ استعادت الصبية حريتها خلعت عنها اسم مدام فوريس ورجعت الى اسم عائلتها فصار اسمها مرجريت بليل . وكان أصحابها يدللونها بتسميتها « بليلوث » فعرفت بهذا الاسم فى التاريخ

ولم تبق علاقتها بالقائد العام سراً خافيا على أحد . فلم تحاول من ناحيتها أن تستر الظواهر ولا أن تتقى المآخذ، بل تبدت فى أغلى الثياب تحمل أثمن الحلى وتركب أجمل العربات وأجود الخيول ، وفتحت أبهاء بيتها لاستقبال ضباط أركان الحرب وأعيان الفرنسيين ، وأولمت الولائم وتصدرت المآدب وأقامت المراقص وأحيت الحفلات . وكانت تركب الى جانب بونابرت فى عربته ويخرجان للنزهة يحف بهما ضباط الياوران فيذكران الناس بقصة انطونيوس وكليوباتره ، أو ترتدى بذلة قائد وتمتطى صهوة جواد عربى أصيل تسير به فى شوارع القاهرة فيؤدى لها الجنود التحية العسكرية ويرمقونها بأعينهم باسمين ويتهامسون قائلين : « هذه جنرالتنا الجميلة بليلوث »

ولقد دفعته رغبته فى أن يكون له ولد الى التفكير فى تطليق جوزفين والتزوج بمرجريت بليل اذا هى أسعدته بمولود . وكان يتحدث فى ذلك الى بعض خلصائه ويتأوه قائلا : « ولكن هذه البلهاء لا تحمل » فينقل الخلصاء اليها أسف القائد فتبتسم ابتسامة محزونة وتقول : « لو كان الأمر بيدى وحدى ما تأخرت »

* * *

وآن الأوان ليرتحل بونابرت عن مصر بعد أن استعصى عليه فتح عكاء وأحبط الانجليز مشروع امبراطوريته الشرقية ، فأقلع من أبى قير موصياً أن تلحق به بليلوث على أول سفينة تغادر مصر ، وترك لها الف جنيه لتنفق منها على اقامتها وسفرها . بيد أن الجنرال كليبر الذى خلف بونابرت على الجيش الفرنسى رأى أن يتمتع بسائر امتيازات القائد العام وبكل مخلفاته ومن بينها مرجريت ، فأقام العراقيل فى سبيل تسفيرها واحتفظ بها ما شاء أن يحتفظ ، ثم أرسلها الى القائد « مينو » المعسكر بفرقته عند مياه رشيد وأرسل اليه معها الكتاب الآتى :

« عزيزى الجنرال

« ان السيدة التى تحمل اليك كتابى هذا ترغب فى السفر الى فرنسا لتلحق بالبطل الذى كان عشيقها هنا . وهى ترجو أن تسهل عليها وسائل الرحيل وتوفر لها أسباب الراحة . ولعلها تعرف كيف تترضاك لتفوز منك بما تريد ، أو لعلك بالغ منها ما يعطفك عليها . ومهما يكن من الأمر فانى أرجو لك معها الحظ والتوفيق . . . »

ويظهر أن الجنرال مينو كان أكثر احتياطا وحذراً من زميله كليبر فلم يشأ أن يتورط مع عشيقة « البطل » فى علاقة قد تؤثر على مستقبله ، فكتب الى صاحبه :

« عزيزى الجنرال

« لقد وصلت الحسناء ولكنى لم أشأ أن أقابلها . ولسوف أؤدى لها ما يسعى من الخدمات على شرط أن تظل بعيدة عنى حتى لا يكون بينى وبينها ما يوقعنى مع صاحبها فى حساب . لقد علمتنى التجارب أنه يجمل بالعاقل أن ينحو بنفسه من هذه العلاقات المريبة والا أدت به الى أوخم العواقب ،

وسترى أن مسألة هذه المرأة لن تمر بسلام . فان « لصاحبنا » أعداء كثيرين ولن يعدم بين أعضاء الجمعية التشريعية من يثير تلك المسألة ويجعل منها موضوعا لخطبة يلقيها فى ساعتين . ولعلك تدرك من الآن مدى الفضيحة ومبلغ ما سيكتنفها من القيل والقال . فما بالك بما قد يصبنا نحن المساكين اذا اتضح أن لنا صلعاً فى المسألة ؟ »

وتصل بليلوث الى فرنسا فاذا صاحبها الجنرال بونابرت قد قلب الحكومة الادارية وارتجل نفسه رئيساً أعلى للدولة بلقب القنصل الاكبر ، فتحاول أن تتصل به لتصل ما انقطع من علاقاتهما . ولكن القنصل الاكبر ـ وهو الرجل الذى يجب أن يضرب للجميع المثل العليا فى الاخلاق والفضائل وآداب الحكم ـ لا يستبيح ما كان يستبيحه الجنرال بونابرت ، فيأبى مقابلتها ويرفض توسلاتها ، ولكنه يهتم بأمرها فينفحها من وقت لآخر بمبلغ من المال ويشيد لها مسكناً جميلا فى ضواحى باريس ثم يزوجها بضابط من ضباط الجيش المتقاعدين ، ويسند اليه منصباً قنصليا فى الخارج ويجرى عليه مرتباً يكفل للزوجين طيب العيش وهناء الحياة

بيد أن بليلوث لا تقوى على حد الحياة الزوجية ، فلا تلبث حتى تغادر زوجها القنصل فى احدى مدن السويد وتعود الى باريس وحدها حيث تستأنف حياة اللهو والسرور فتنفق بغير حساب وتغشى المغانى والمراقص والمسارح ، وتتنقل فى رعونة وطيش من عاشق يوم الى رفيق ليلة حتى لتختلط عليها أسماء عشاقها ومواعيدهم فتسهو وتضرب لاثنين منهم موعداً واحداً فى بيتها فاذا التقى المتزاحمان لم يكن ثمة مخرج من هذا الحرج إلا بالمبارزة فيتبارزان ويقتل أحدهما الآخر

وفى هذه الاثناء يخطو بونابرت خطوته الهائلة ويعتلى عرش فرنسا باسم الامبراطور نابليون، فتعاود بليلوث ذكريات الماضى السعيد وتذكر أن بونابرت كان يضحى بجوزفين فى سبيل الزواج بها لو أن الحظ اسعدها وانجبت منه ولداً . وعندئذ تثور المطامع فى رأسها كالعاصفة وتحاول شتى الوسائل أن تذكر الامبراطور بنفسها فتكتب اليه وتوسط لديه الوسطاء وتعترض طريقه وتتعمد أن تظهر أمامه فى الحفلات التى يدعى اليها ، ولكن هذه الجهود كلها تذهب سدى ، فتتمارض وتكتب اليه متوسلة بحبهما القديم أن يزورها لتتزود منه بقبلة تهون عليها الموت وتواسيها فى القبر ، فيجيئها الرد رزمة من الأوراق المالية غير مصحوبة بقبلة معزية ولا مشفوعة بكلمة مسلية

ولقد عاشت بليلوث طوال السنين التى لبثها نابليون على عرش فرنسا عيشة هنيئة راضية لم ينغصها سوى اعراض الامبراطور عنها . فلما انتقل الى منفاه بجزيرة القديسة هيلانة انقطع مورد رزقها الفياض وعبست فى وجهها الحياة فعرفت ذل الفقر وذاقت مرارة الاملاق ، وعاشت بعد وفاة نابليون ثمانياً وأربعين سنة تبيت وتصحو متأثرة بفكرة واحدة ، وهى لو أنها ولدت لنابليون بمصر ولداً لعرفها التاريخ باسم الامبراطورة مرحريت

حسن الشريف

العلم بين القانون

فى مكافحة الأجرام

بقلم الدكتور محمد زكى شافعى بك

« . . لا يمكن اجتثات الجريمة من جذورها إلا اذا اتحد جميع الباحثين في طبيعة الانسان ليقفوا على أسباب زيغه وانحرافه عن جادة الصواب ، والعمل لارشاده بالوسائل العلمية . . »

لم تنتشر كثيراً فكرة تضافر القانون والعلم فى مكافحة الجريمة ومعالجة المجرمين ، وإن كان بعض رجال القانون قد أخذوا بها منذ حين قصير . ويقال إن الاختبار دل على نجاحها وجدواها مع حداثة العهد بتطبيقها . ولو أن اولئك الذين يرون الاقتصار فى كفاح الاجرام على القانون وحده وازنوا بين عدد من أفلح فيهم علاجهم وعدد من أخفق فى شفائهم ، لتبين لهم مسيس الحاجة الى أدواء أخرى تعزز وسائلهم وتكملها . ولكن الاحصاءات طريق خاصة بالبحث العلمى لم يسلكها القانون حتى اليوم اكتفاء باعتماده على عادات الامم وآراء المشترعين ، ولهذا ما برح القانون هو العامل الأساسى فى معالجة المجرمين،واقتصر العلم حتى اليوم على بحث حالة بعض المجرمين الصحية أو تعليمهم بعض الصناعات . ولم تتخذ الوسائل الفعالة للحيلولة بين المجرم والجريمة ، وذلك ببحث العوامل المسببة للجريمة

ومن أهم العوامل التى تساعد فى الانتفاع بالعلم فى معالجة الاجرام أن يلم رجل القانون الماماً تاماً بطبيعة الانسان ، فيجب أن يتضافر علماء القانون والنفس والأمراض العقلية والاجتماعية فى بحث الجريمة ، كما هو الشأن فى المانيا حيث تعقد المؤتمرات بين هؤلاء العلماء من آن لآخر لهذا الغرض ، فيبحثون الداء ويجتهدون فى وصف الدواء المركب من وصفاتهم جميعا

وأظهر دليل على فائدة ذلك ما يقوم به خبراء الأمراض العقلية فى المحاكم من المساعدة القيمة لاقامة العدل بين الناس بفحص المجرمين المشتبه فى اصابة عقولهم والذين اذا ثبت مرضهم أخلوا من مسئولية الاجرام . ومع ذلك لم يسلم بضرورة فحص مرضى العقول بواسطة إخصائيين إلا بعد جهد وصراع بين النظريات القانونية والعلم ، أو بين عاطفة حب الانتقام من المجرم وعاطفة الرحمة والرأفة بالمريض

وتوجد أمثلة كثيرة لمسائل سلمت فيها المحاكم أخيراً للعلم ببحث أسباب الاجرام : فمن ذلك جرائم الاحداث التى كان للعلم فيها أثر عظيم فأنجاهم من وصمة الاجرام التى كانت ستلازمهم طوال

حياتهم لو لم يتعهدهم العلم وينصب نفسه عليهم قيما ووليا

ان القانون يشخص الداء ويصف العلاج ثم يلاحظ نتيجة ذلك ، بينما العلم يشخص الداء ويفكر فى العلاج ويبحث نتائجه ، فان كانت فى صالح مرتكب الجريمة نفسه وصالح الهيئة الاجتماعية وصف الدواء . ولن تجتث الجريمة من جذورها ويقضى عليها قضاء مبرما إلا باتحاد رجال القانون وعلماء النفس والامراض العقلية والاجتماع فى معالجة الاجرام ، أى باتحاد كل الباحثين فى طبيعة الانسان للوقوف على أسباب زيغه وانحرافه عن جادة الصواب ، والعمل على ارشاده أو ارجاعه الى الطريق المستقيم بكل الوسائل العلمية وأهمها بحث نفسيته وبيئته بالاختبار والتحربة

* * *

ولنضرب مثلا لضعاف الخلق ، وهم الاشخاص المصابون بضعف عقلى مع ميول اجرامية أو فاسدة والذين يحتاجون الى العناية بأمرهم مع كبح جماحهم لوقاية الآخرين من شرورهم

ويستنتج من هذا التعريف أن المجرمين العائدين لا يدخلون فى هذا النطاق . كما أنه لا يشمل ضعاف العقول العاديين ، لأنه من المنتظر أن يكون ضعاف الخلق على جانب من الذكاء أى أنهم أذكى من ضعاف العقول العاديين ، لكنهم بدهياً لا يصلون فى ذكائهم الى درجة المجرم العادى الذى يتعمد الاعتداء على المجتمع لفائدته الشخصية ، وكذلك ضعاف الخلق هم غير البله الذين هم طبقة من طبقات ضعاف العقول انحدر بهم الضعف العقلى الى دركات أدنى من غيرهم من ضعاف العقول ، وهؤلاء قد يقترفون جرائم وهم عارفون أنها جرائم ، لكن لا يميزون الفوارق المختلفة بين جريمة وأخرى

ويحتاج الضعف الخلقى فى بحثه الى دراسة الافعال الناجمة عن هذا الضعف وكذلك حالة عقل المصاب بالضعف الخلقى

ان الجريمة والرذيلة يرتكبهما السليم والمصاب بأى نوع من أنواع الضعف العقلى ، ولكن للتفريق بينهما يتعين معرفة طبيعة عقل مرتكبهما ، والبواعث على ارتكابهما والبيئة التى تحيط به . فالأطفال ضعاف العقول قد يشعلون النار فى أى شىء للتلهى بالشعلة المتولدة من الاشتعال مع عدم ادراكهم للتلف الذى تحدثه النار

ولنضرب مثلا آخر يؤيد ضرورة معرفة العناصر الثلاثة التى أشرنا اليها ، بالفتاة التى تمشى فى الطرقات وهى تكاد تكون عارية . فاننا ببحث حالتها نحكم بأول خاطر يخطر لنا بانها مصابة بضعف خلق ، ولكن عند تحليل نفسيتها قد يتضح أنها إما مهملة فى العناية بلباسها أو لا تعنى بالمألوف اجتماعياً أو أرادت أن تظهر احتقارها للعرف والاجتماع ، وفى هذه الحالات تكون الفتاة مصابة بنقص عقلى ، لا بنقص خلق أو ضعف خلق

ولكى نقدر طبيعة ذنب أو جريمة ما ، من حيث دلالته على شذوذ عقلى ، يتعين أن ندرس بيئة

مقترف هذا الذنب أو الجريمة دراسة مفصلة ، لأن مايقترفه الانسان ذو البيئة الراقية مهما صغر شأنه قد يحاسب عليه حسابا يختلف تماما عما يحاسب به شخص من بيئة منحطة ، لأن دلالته فى الحالتين مختلفة بلا نزاع . فنمو الخلق فى الانسان يتوقف على دستور ذويه الخلق ومدى اتباعهم له . فمثلا اذا لم يجد اشمئزازاً من حيازته لما لا يملك فانه بغير شك لن ينفر من السرقة والاغتصاب ، واذا نجح فى اقترافه جريمة السرقة وأفلت من العقوبة وتكرر ذلك يتعودها . والعود فى ارتكاب الجرائم يشير الى نقص فى العقل

ولا يساق الى ارتكاب الجرائم غالباً الا ذوو الذكاء المحدود . وبحث الجريمة وكيفية حدوثها والتصرف بعد اقترافها قد يؤدى الى تشخيص الحالة من الوجهة العقلية

ويمكن بسهوله مثلا الحكم على عقل شاب يسرق حقيبة من منزل ويحاول بيعها للشرطى المجاور للمنزل . وكذلك فى حالات الجرائم الجنسية فان مقترفيها من ضعيفى الذكاء الذين لا يمكنهم أن يسموا بعواطفهم الجنسية الى غايات أرقى وأشرف

ولكن هذا لا يمنع وجود طبقة من مقترفى الجرائم أو الذنوب أو الرذائل ذوى ذكاء قريب من المتوسط أو ممن لوحظ شذوذهم منذ الصغر وعدم قبولهم الخضوع لأحكام المجتمع والعرف ، وهؤلاء يقف نمو عواطفهم عند حد الطفولة ولا يتعداها ، وقد تكون هذه العواطف ضعيفة أو قوية . ومظاهر هذه الحالة القسوة وسوء السلوك فى احدى النواحى وعدم الاكتراث لرغبات الأهل أو لارشادهم أو لعقابهم . وهذه حالة يكشف عنها الأهل الساهون وتظهر واضحة جلية فى نهاية التعليم الثانوى مثلا أو بعده ، وتختلف عن الحالات السابقة بانها فى الواقع خلقية وعلاجها لا يبت فيه الا بعد التحليل النفسانى

وهذه الأمثلة تكفى للدلالة على ضرورة اشتراك العلم مع القانون فى علاج الاجرام

محمد زكى شافعى

* * *

الاربعون والخمسون

سن الاربعين هى كهولة الشباب ، وسن الخمسين هى شباب الشيخوخة

فيكتور هيجو

العظيمات العشر في تاريخ الغرب

اختار المؤرخ الكبير « اميل لودفج » عشر نساء عثلن عظمة المرأة في شتى أنحاء الحياة . ولكنه قصر اختياره على عظيمات الغرب ، مع أن الشرق أنجب عدداً كبيراً من العظيمات . وفى هذا المقال عرض طريف لسيرة عظيمات الغرب ، ونرجىء الحديث عن سائر العظيمات الى مقال آخر

أعظم النساء جميعاً أمنا حواء ، إذ هى أول امرأة ، أى أول من بث الفتنة والدهاء ، وهى أول زوج ، أى أول من خلق الحب والجمال ، وهى أول أم ، أى أول من عرف البر والحنان ، ولكن حواء سبقت التاريخ المعروف فليس لها صفحة فى كتابه . ومثلها فى هذا مثل هيلانة التى أجرت سيول الدماء فى حروب طروادة ، أو مثل سميراميس التى أنشأت بابل وحدائقها المعلقة . فهذه شخصيات لا تحيا فى صفحات التاريخ المؤكد المعروف ، وإنما فى أقاصيص الشعوب وخيالات الفنانين

ولكن التاريخ يقص علينا أروع الأمثلة عن عظمة المرأة فى كثير من أنحاء النشاط الانسانى : فى الدين والقداسة ، وفى الحرب والسياسة ، وفى العلوم والفنون . ولا سبيل الى الحديث عن هؤلاء العظيمات جميعاً ، فلنقصر هذا المقال على العشر اللاتى اختارهن « اميل لودفج » من مختلف عصور الغرب وشعوبه

— ١ —

أولى هؤلاء العظيمات « اسبازيا » التى استطاعت أن تكون بطلة أثينا أيام أن بلغت ذروتها فى السياسة والفلسفة والفنون ، وذلك بفضل ما أوتيت من جمال الجسم وفتنته ، ومن صفاء القلب وجرأته ، ومن ذكاء العقل ومضائه ، فاتخذها بركليس حليلة له بدلا من زوجته ، واستخلف ولده منها بعد أن مات ابناه الآخران . وكان يستشيرها فيما يدبر من سياسة وحروب ، ويستوحيها فيما يقوم به من اصلاح وتجديد . وبلوتارك في تراجمه « وارستوفان فى قصصه يصوران بركليس أداة طيعة فى يدها . فلها الفضل فيما ينسب اليه ، وعليها الذنب فيما يحاسب عليه . وإلى جانب هذا المجد السياسى كانت دار أسبازيا مجمعاً للنبوغ الاغريقى ، فكان يلتقى عندها الفيلسوف سقراط الذى قال عن نفسه انه تلميذ من تلاميذها ، والطبيب بقراط الذى لقى من ذهنها وثقافتها عوناً له فى بحوثه وأعماله ، والمثال فدياس الذى استلهم روحها وجمالها فى فنه الرائع الخالد

اساريا

حان دارك

— ٢ —

وتأتى بعد هذه القديسة « كاترين » الايطالية ، نشأت هذه القديسة نشأة روحية خالصة ، فنى طفولتها كانت تحلم بالشهداء والقديسين ، وفى سن السابعة وهبت نفسها عروساً للمسيح . ولما خشيت أن يخونها طيش الشباب ، أو تضلها فتنة الجمال ، أخذت نفسها بحياة التقشف والزهد . فقصت شعر رأسها ، ورفضت أكل اللحم ، وجعلت فراشها على هيئة النعش ، وعاشت فى بيتها عيشة الرهبان فى الأديرة

ومع أنها كانت فتاة فقيرة جاهلة إلا أنها تركت أثراً حطيراً فى تاريخ الكنيسة الرومانية . فانه لما انتخب البابا الفرنسى « كلمت » الخامس هجر مدينة روما واستوطن أفينون بفرنسا ، فانقسمت الكنيسة وساءت احوالها مدى سبعين عاما ، ورأت كاترين ما أصاب المسيحية من الضعف والفوضى فعقدت العزم على أن تعيد الى الكنيسة وحدتها ، وأن ترجع البابا الى مقره القديم . وأخذت تبعث الرسائل الى البابا غريغورى الحادى عشر ، والى خصومه امراء ايطاليا حتى وفقت الى فض هذه الخلافات التى كادت تودى بمكانة الدين ورجاله

ولم تكن تعرف القراءة والكتابة ، ولكن رسائلها وصلواتها تعد من أروع ما جرى به قلم انسان . وكتابها « الناموس الالهى » لا يعدله فى الأدب الايطالى كله سوى « الكوميديا الالهية » لدانتى

ولم يمتد بها العمر طويلا ، فقد ماتت فى الثالثة والثلاثين لفرط ما أضنت نفسها فى رعاية المرضى والفقراء . وهداية الضالين والشاكين ، وأمر القسس بالتقوى والصلاح ، ونهى الحكام عن الخصام والقتال

— ٣ —

والقديسة كاترين تذكرنا بقديسة أخرى هى « جان دارك » التى تعد حياتها معجزة من معجزات القوة الروحية . درجت هذه الفتاة فى بيت عامر بالدين والايمان ، وعنيت منذ طفولتها برعاية الطير والحيوان ، فامتلأ قلبها بعاطفة الرفق والرحمة وشعور الحنو والاحسان . ولما شبت عن الطوق قليلا بدأت تسمع أصواتاً غريبة أثناء خلوتها ، فنذرت لله أن تبقى عذراء مدى الحياة وأن تهب نفسها للخير وللدين

وكانت جان دارك تعتقد أنها اختيرت لاداء رسالة خطيرة ، هى أن تنقذ فرنسا من الجيش الانجليزى المتوغل فى أرجائها إذ ذاك . فارتدت ملابس الفرسان وامتطت صهوة الجواد ، ولبست الدرع وامتشقت الحسام . وأعلنت بين قومها أنها سمعت منادياً يدعوها الى تحرير وطنها من أعدائه ، فسخر بها الناس وزعموا أن بها مساً من الجنون ، ولكن ولى العهد رضى بان يضع الجيش تحت امرتها . واستطاعت هذه القائدة — إن صح هذا التعبير — التى لم تبلغ السابعة عشرة أن تبث فى القلوب شعور التضحية والفداء ، وأن تعلم الجند كيف يموتون ويستشهدون حتى تحقق لهم النصر المؤزر على العدو الغاصب

ثم أخذت ولى العهد الى كنيسة ريمس حيث توجته ملكا على فرنسا . وكان عليها أن تقف عند هذا حيث انتهت مهمتها . ولكن الملك ألح عليها أن تبقى على رأس الجيش حتى يتم جلاء الانجليز ، فدب دبيب الحسد والغيرة فى نفوس القواد الفرنسيين ، فتركوها تقع فريسة فى أيدى الأعداء الذين اتهموها بالسحر والكفر وألفوا محكمة من القسس قضت عليها بالاحراق ، وكانت حين ذاك فى سن التاسعة عشرة

— ٤ —

بعد هذا ضعف شأن الدين فانتقلت عظمة المرأة الى السياسة حيث ظهرت ملكة انجلترا « اليصابات » . وهى امرأة واسعة العقل حكيمة ، قوية القلب جريئة ، وقور المظهر رزينة ، ولكنها كانت تضمر الحقد والضغينة ، وتنطوى على الحسد والغيرة حتى إنها مرضت عند ما بلغها أن عدوتها مارى استوارت ، أنجبت ولداً . وقد رفضت اليصابات أن تتزوج أنفة وكبرياء ، فبقيت العزوبة تأكل روحها وجسمها حتى بلغت السبعين ، ولم يكن هناك من يرث العرش الا مارى استوارت ، فكانت تظن بها أسوأ الظنون ، وتبث حولها العيون والارصاد ، وتحيك لها التهم والمكائد ، حتى قدمتها للمحاكمة فقضت عليها بالاعدام

وفى عهدها هاجم انجلترا الاسطول الاسبانى العظيم « الأرمادا » ولكن الأسطول الانجليزى الناشىء حطمه حطماً ذريعاً ، وبذلك صارت انجلترا سيدة البحار ، وبدأت عهد التوسع والاستعمار

ويعد عصر اليصابات العصر الذهبى لانجلترا ، فهو عصر مجد فى السياسة ، ورخاء فى الاقتصاد ، وخلود فى التفكير ، وحسبه أن أنجب شكسبير !

— ٥ —

ماري تريزا

العظيمة الخامسة هى « مارى تريزا » ملكة النمسا ، فقد استطاعت بما أوتيت من دهاء وذكاء ومن جرأة وثبات ، أن تصمد فى وجه فردريك الأكبر . فانها لما رأت عجزها أمام قوته عقدت معه الصلح ريثما يشتد ساعدها ، وبعد ذلك انقلبت عليه وكادت تودى بملكه . وكانت تستغل أنوثتها فى حياتها السياسية ، تسفح الدموع بين يدى الخصم القوى ، وترسل البسمات فى وجه الصديق الودود . ومع هذا فقد كانت امرأة فاضلة وقوراً ، كما كانت أماً محبة ولوداً . فقد أنجبت ستة عشر ولداً ، وكانت تكتب لبناتها تحضهن على الاكثار من النسل

— ٦ —

و« مدام دى منتنون » احدى العظيمات العشر ولاريب . فقد ولدت فى غيابة السجن ، وذاقت فى صباها مرارة الفقر ، ولكنها صارت زوجة أعظم ملوك عصرها ، لويس الرابع عشر . ولم تكن مع هذا على حظ عظيم من الجمال ، بل كانت كبيرة الملامح منيفة القوام

وحياة هذه المرأة سلسلة من المصادفات التى تسنح للعظيم فيحسن انتهازها . فقد تعرفت فى بدء حياتها الى الشاعر الفكه الهجاء « سكارون » ورضيت أن تتزوج منه رغم انه كان مشلولا فقيراً ، وذلك انها رأت أن هذا الزواج يمهد لها سبيل الاتصال بنبلاء فرنسا الذين كانوا يفدون على بيت الشاعر ، يسمرون معه ويستمعون حديثه البارع . ثم مات زوجها وانقطعت عنها موارد الرزق ، فاشتغلت مربية لأولاد خليلة الملك ، وأحسنت تربيتهم مما حمل أباهم على أن يعترف بهم أبناء شرعيين . ودعاها الى أن تنتقل بهم الى القصر حيث استطاعت بما

مدام دى منتنون

أوتيت من ذكاء نادر وخلق عظيم أن تعدل بالملك من طريق اللهو والمجون الى طريق الجد والرزانة . فأصابت من احترامه وتقديره ما لم تصبه امرأة من قبل ، فلما ماتت الملكة ألح عليها أن تتزوج منه فرضيت على أن تبقى أمام الناس وصيفة لا ملكة . ومع هذا فقد كانت تدير كل كبيرة وصغيرة فى شؤون فرنسا ، فكان لويس الرابع عشر يرجع اليها فى شتى أمور الدولة ، وكان الوزراء يعقدون مجلسهم فى صالونها حيث تصرف الأمر وفق ما تريد . ومع أنها بلغت أقصى المجد والثروة فانهـا لم تنس ما يقاسى الفقراء من بؤس وشقاء ، فكانت تصرف همها الى انشاء المدارس والملاجىء

— ٧ —

وقد أنجب العصر الحديث طائفة جديدة من العظيمات تعد فى مقدمتهن الممرضة الانجليزية « فلورنس نايتنجيل » . نشأت هـذه السيدة فى أسرة رفيعة المركز وفيرة المال ، فكانت تنفق فراغها فى زيارة أقطار الشرق والغرب . ولـكنها كانت تشعر فى قرارة قلبها أن عليها أن تعمل عملا مجيداً ، فكانت تقول : « ان ذهنى يطالبنى بأن أقنعه وأرضيه ، ولن أقنع طبيعتى الطامحة بالزواج ، ولا بالصداقة ولا بالسياحة . . ربى ! ماذا يرضيني ؟ وما هو مصيرى » ؟

فلما بلغت الثلاثين وقامت حرب القرم بين الروسيا وبريطانيا وجدت الفرصة التى تقضى على حيرتها وترضى قلبها . فقـد كانت نسبة الوفيات بين الجرحى والمرضى عظيمة جداً فسافرت الى ميدان القتال على رأس عدد كبير من المرضات وأخذت تعمل ليلا ونهاراً فى زيارة المستشفيات ومراقبتها ، وفي رعاية المرضى ومواساتهم حتى انخفضت نسبة الوفيات من ٤٢ ٪ الى ٢ ٪ . ولما أرادت العودة الى انجلترا تأهب الشعب للاحتفاء بها ، ولـكنها أبت الا أن تعود متنكرة دون أن يعلم بها أحد من الناس . وقد عاشت الى التسعين منصرفة الى اصلاح المستشفيات والمصحات

— ٨ —

العظيمة الثامنة هى الفتاة الامريكية « هاريت ستو » التى نذرت قلبها لمحاربة الرق وتحرير الرقيق . وكانت هذه الفتاة مثقفة العقل ، متينة الخلق ، حساسة القلب ، فأثر فى نفسها ما يقاسيه الرقيق من هوان وعذاب ، فكتبت الى احدى المجلات قصة بعنوان « كوخ العم توم » تبين فيها شرور الرق وآثامه ، وكانت تظن ان القصة ستنتهى فى ثلاثة أعداد،ولـكنها قالت بعد ذلك : « لم أستطع ضبط القصة . انها كتبت نفسها . لقد أملاها الله وما كنت الا أداته » . فكأنها كانت تكتب عن إلهام وعبقرية . وقد هيأت هذه القصة الأذهان للحرب التى شنها لنكولن على الرق

— ٩ —

و«مدام كورى» مكتشفة الراديوم هى مثال رائع للمرأة العظيمة فى هذا العهد ، فهى لا ترضى بأن ينفرد الرجل دونها بأى عمل مهما كان خطيراً . وهى نموذج خالد للجهاد الشاق والصبر الجميل .

فقد أخذت تدرس مع زوجها خواص الأجسام المشعة دون أن يجدا ما يلزمهما من الأدوات العلمية ، ومع ذلك فقد صبرا طويلا حتى وصلا الى اكتشافهما العظيم . ولما عرضت الحكومة الفرنسية على زوجها وسام اللجيون دونير طلب بدلا منه معملا للتجارب العلمية . ثم مات زوجها فخلفته فى كرسيه فى جامعة باريس ، وقالت عند ذلك : « ان حياة العالم ليست امنا ولا سلاما ، بل هى صراع شاق مع الظروف التى تحيط به ، ومع نفسه التى تسول له ، وكثيراً ما كنت أتأفف وأتذمر وأيأس ، فكان زوجى يقول لى : ولكن أليست هذه هى الحياة التى اخترناها وآثرناها على غيرها ؟ » وكانت مدام كورى بسيطة الملبس ، ساذجة المظهر ، ولكن وجهها يضىء بالجد والذكاء والوقار

مدام كورى

— ١٠ —

أما العظيمة العاشرة وهى احدى هؤلاء الممثلات والراقصات اللاتى تتهافت عليهن الجماهير فى المسارح والسينمات ، وأعظمهن جميعاً هى الممثلة الايطالية « اليانورا ديوز » ، فقد ولدت فى قطار أثناء تنقل أهلها للتمثيل فى سيرك متجول ، وقاست فى صباها مرارة الفقر والمرض والعمل المضنى ، ولكنها لم تبلغ التاسعة عشرة حتى كانت أعظم ممثلة فى ايطاليا ، واتصلت بالشاعر دانونزيو اتصال حب وهوى كان له أثره ونتاجه فى الأدب الايطالى الحديث . ثم انتقلت الى مسارح لندن ونيويورك فنالت إعجاب العالم بأسره. واتصلت بالشعراء والفنانين ووهبتهم من ذات نفسها سعياً وراء الشهرة ، وتقلبت إذ ذاك فى أعطاف البذخ والرفه والنعمى ، ثم لم تلبث أن ولى عنها كل ما نالت من مال وشهرة وأصدقاء ومعجبين ، فماتت فقيرة وحيدة فى فندق أمريكى

اليانورة ديوز

ولعل أروع ما فيها أن جمالها الآسر الفاتن قد استحال فى كهولتها الى هذا الطابع الخالد العظيم الذى اتسم به وجه جوتيه ونابليون وبيتهوفن ، والذى نفتقده دائماً فى وجوه النساء

قوس النصر الذي أقامته بعثة طلاب الجامعة المصرية التي تعمل في حفائر
تونة الجبل ليمر منه مليك البلاد حين ذهابه إلى الآثار الخالدة هناك

[illegible]تفلت مصر العليا طوال الشهر الماضى برحلة حضرة صاحب الجلالة الملك الى مدنها وقراها و[illegible] آثارها العظيمة الخالدة . فنى اليوم الثانى من شهر يناير استقل جلالته اليخت « قاصد خير » من مرفأ حلوان ، وبرفقته جلالة الملكة والدته وسمو الأميرات شقيقاته ، ولفيف من كبار رجال الحاشية والحكومة ، قاصداً زيارة الوجه القبلى من شماله الى جنوبه ، حيث يشاهد ويدرس آثار الفراعنة الأمجاد ، ويتفقد شؤون رعيته الوفية

وهذه الرحلة هى حلقة من سلسلة الرحلات التى قام بها جلالته الى كثير من جهات مملكته ، بقصد دراسة ما تحفل به من آثار ماضيها الخالد المجيد . فقد بدأ أيام ولايته للعهد [ز]يارة الجيزة حيث وقف الى جانب الاهرام ذات الروعة والجلال، وإلى جانب أبى الهول ذى الخ[فايا] والأسرار. [illegible] اليوم يزور بلاد الوجه القبلى حيث خلف الفراعنة كثيراً من الآثار التى تدل [على] مدى ما بلغوه من [illegible]قل ، وسعة العلم ، وبسطة النفوذ . فشاهد آثار بنى حسن وق[illegible] ، ثم تونة الجبل حيث [illegible] وليس » ، ثم العرابة المدفونة [illegible] دندرة ، فمدينة الأقصر واسوان [illegible] ما تركت مصر القديمة من [illegible] ل وتماثيل هى الآية على ما بلغت من مجد حافل ورقى عظيم ، وقد أبدى جلالته أثناء زيارته تلك المناطق علمه الواسع بتاريخ مصر القديمة ، فكان يسأل ويناقش من رافقوه من العلماء ، ويستمع الى شروحهم باصغاء وانتباه

جلالة الملك بين آثار « بني حسن » يصغي إلى شرح الأب دريوتون مدير مصلحة الآثار

وإلى جانب دراسته للآثار كان جلالته يعنى بتفقد شؤون رعيته المخلصة . كما زار كثيراً من المعاهد والمصانع التي يرجى منها أن تجعل من مصر الحديثة خير خلف لمصر القديمة

وقد تجلى في هـذه الرحلة ما يكنه الشعب لمليكه من الحب والولاء ، فكانت جموعه تتدافع وتتراحم مهللة مستبشرة بمقدم المليك ، هاتفة داعية له أجمل الدعاء . واستوى أفراد الشعب جميعاً في إظهار فرحهم ووفائهم ، فلا فرق بين شيخهم الفاني وطفلهم الدارج ، ولا بين ثريهم الكبير وفقيرهم المعوز ، لأن الكل يشعر بأن فاروقاً هو الملك الذي لا ينسيه العرش والقصر أن وراءه أمة عليه أن يرقى بها ويسعدها ويعليها . أما ما أظهره جلالته في هذه الرحلة من البساطة والديموقراطية فهو موضوع الحديث في كل مكان . وتروى في هذا طرائف وفكاهات شتى ، وما بالك بملك يأبى وهو وسط الصحراء الا أن يجارى الطبيعة هناك ، فيفترش الأرض ويتناول طعامه على غبرائها..؟!

ما أشد عناية المليك بدراسة آثار بلاده ، وقد بدا متطلعاً اليها فى شغف وإعجاب واهتمام

ترى المليك فى طريقه إلى مدينة هرموبوليس التى كشفتها الجامعة المصرية بتونة الجبل ، يتحدث إلى الاستاذ سامى جبرة مدير حفائر الجامعة

جلالة الملك يفحص حجراً أثرياً بتونة الجبل فحصاً يدل على شغفه العظيم بدراسة الآثار المصرية

اختبار الطيارين

مهنة الطيران ممتعة جميلة ، ولكنها تقتضى ألا يزاولها الا من كان سليم البنية قوى الاعصاب . فكثيراً ما يتعرض الطيار لأخطار جسيمة تودى به إن هو ارتجف أمامها واضطرب ، وينجو منها اذا هو ثبت تجاهها هادئاً رزينا . والطيار لا يستطيع أن يوجه طائرته وجهة مستقيمة الا اذا كان ذا أعصاب قوية متينة ، والا تأرجحت به الطيارة وتمايلت

ولهذا فان اختيار من يصلح للطيران يستلزم بحثاً دقيقاً من الناحيتين الجسمية والنفسية . وقد أقيم فى مطار « بورجيه » معمل به شتى الوسائل والأجهزة العلمية لاختبار أجسام وأعصاب من يريدون احتراف الطيران . كما يختبر فيه الطيارون المحترفون مرة كل ستة أشهر ليعرف مقدار احتفاظهم بقواهم التى تؤهلهم للبقاء فى العمل

وترى على هذه الصفحات طائفة من صور بعض هذه الاختبارات
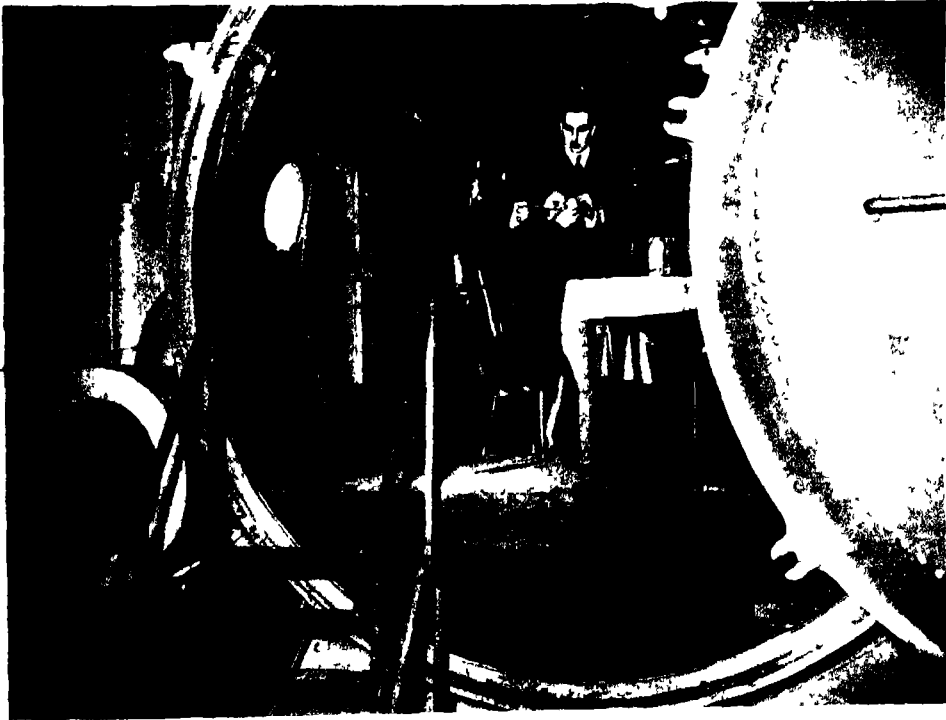
تريد هذه الفتاة أن تحترف الطيران ، فأدخلت إلى غرفة أفرغت من الهواء قليلا ، حتى صارت كمية الهواء بها بنسبة كميته فى طبقات الجو العليا ، ليرى مقدار احتمالها الجسمى لهذه الحالة ، كما ألقيت إليها أوامر من خارج الغرفة استدل من تنفيذها لها على قوة أعصابها على الاحتمال
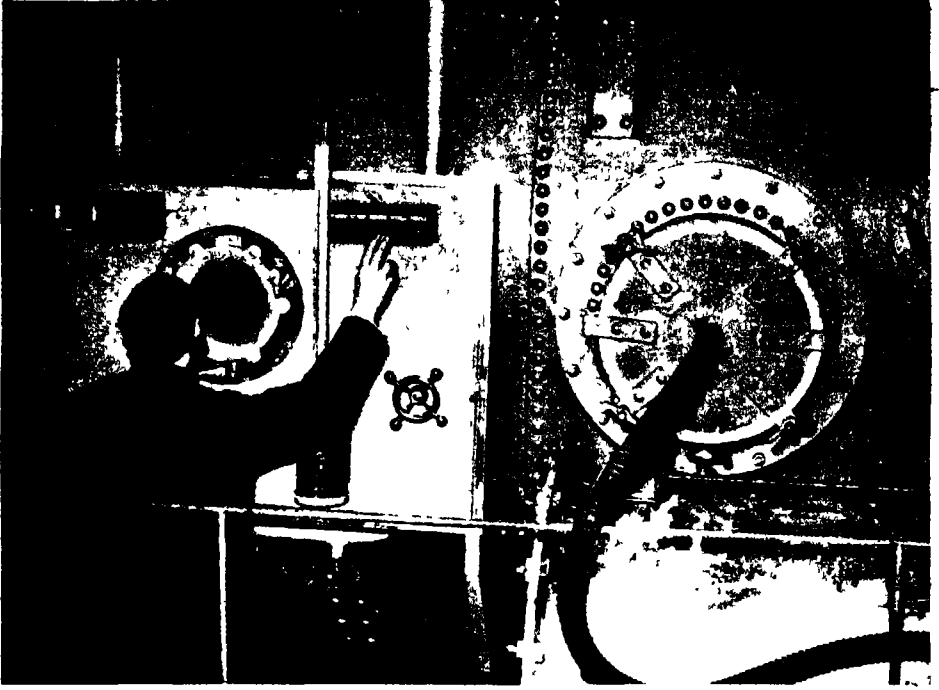
يجلس هذا الرجل خارج غرفة الاختبار ، ويلقى الى من بداخلها أوامر مختلفة بواسطة الجهاز الذى أمامه. وترى الى جانبه الانبوبة التى تفرغ بها الغرفة من بعض هوائها

اختبار العين بواسطة أجهزة علمية تقدر قوة الأبصار تقديرا دقيقاً

المتحن [illegible] يطرق ساق الطالب المرشح ، والى جانبه رجلان ، أحدهما ينظر إلى ساقه والآخر إلى وجهه ، ليلاحظا تأثير الطرق فى أعصابه

طريقة أخرى لفحص العين بواسطة إظهار علامات دقيقة يطلب الى المرشح رؤيتها بوضوح
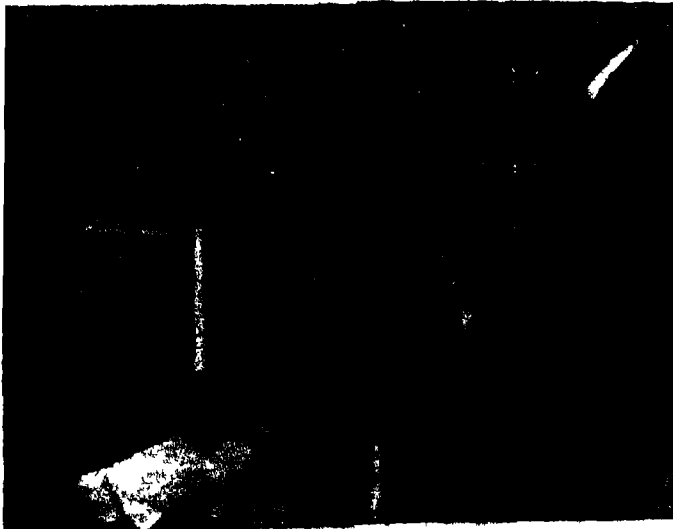
ترى هنا المرشح للطيران عارى الجسم لاختبار قواه البدنية [illegible] جانبه المتحن يقدر شرايينه بجهاز خاص

التقبيل

عنصر من عناصر الحياة

بحث نفسى بقلم الدكتور أمير بقطر

التقبيل فى علم النفس مسلك ، أو سير ، أو تصرف ، كسائر التصرفات والمسالك البشرية . وما هذه التصرفات والمسالك سوى إجابات لمنبهات خارجية عنا فى غالب الاحايين . وتصل هذه المنبهات الينا عن طريق الحواس ، وهى ليست خمسا كما كان يعرفها القدماء ، ولكنها اثنتا عشرة أو تزيد . وجسم الانسان جهاز دقيق ، غريب التركيب ، مكون تكويناً يدفع صاحبه الى تلبية كل نداء أو منبه خارج عنه أو داخله أحيانا ، وهذه التلبية عملية معقدة تستلزم الخطوات الآتية :-

(أولا) يلزم أن يكون هناك منبه كتفاحة للاكل ، أو زهرة للشم ، أو لحن موسيقى للسمع ، أو رقعة من الحرير للمس ــ وليكن المنبه فى بحثنا هذا خداً غضا ورديا جميلا

(ثانياً) يلزم أن تكون هناك حاسة أو أكثر سليمة كالعين أو اليد أو كليهما فى هذه الحالة ، تؤدى وظيفتها خير تأدية ، رؤية ، أو لمساً ، أو كليهما

(ثالثاً) يلزم أن ينتقل هذا المنبه كرسالة بواسطة هذه الحاسة الى الجهاز العصبى المركزى ، يحمله خيط عصبى حسى ، كما يحمل السلك المعدنى الدقيق تيار الكهرباء . والجهاز العصبى المركزى يتكون من الدماغ والحبل الشوكى ، ويلزم أن يكون هذا الجهاز سليما بالطبع

(رابعاً) يلزم أن تكيف الرسالة داخل الجهاز ، تكييفاً يربطها باختبارات سابقة ، ويهيئها التهيئة اللازمة . ولعل هذه هى أهم الخطوات الست

(خامساً) يلزم أن تنقل الرسالة من الجهاز يحملها خيط محرك عصبى (كما فى الخطوة الثالثة) الى عضلات الفم

(سادساً) وهنا يتم الجواب أو تلبية النداء أو المنبه الخارجى ، أو بتعبير آخر يتم التقبيل بانقباض عضلات الفم وضغط الشفتين على الخد

وكل مسلك أو تصرف لا بد أن يكون جوابا أو تلبية لمنبه . والتلبية أو الجواب نوعان : فهى تستلزم حركة ، كانقباض عضلات كما ذكرنا فى مثال التقبيل ، أو افراز غدة من الغدد ، ومثال ذلك اللعاب من الغدد اللعابية ، والدموع من العين ، واللبن من الثدى ، والعرق من المسام . هذه الافرازات وأمثالها ، هى من ناحية علم النفس إجابات لمنبهات ، ومثلها مثل الحركات العضلية ،

كتحريك اليدين والقدمين والرأس والشمة وغيرها

ومعظم (١) المسالك البشرية منشؤه الدوافع النفسية أو الغرائز ، فاذا لمحت حجراً يترقرق لمعانا فتناولته لفحصه ، فانك تفعل ذلك مدفوعا بغريزة حب الاستطلاع ، واذا تبين لك انه قطعة من الماس فأخذته ، فيكون الدافع غريزة الحيازة ، واذا رأيت رجلا يقترب منك فعدوت ، كان الدافع لك على العدو غريزة الخوف أو المحافظة على النفس ، وهكذا

دوافع التقبيل

أما الغريزة التي تدفع المرء الى التقبيل ، فقد اختلف في تعليلها علماء النفس بعض الاختلاف . فمنهم من يفرق بين التقبيل الذي يبعث عن الرحمة والحنان ، وذلك الذي يكون منشؤه الحب الأبوي أو البنوي ، وذلك الذي يطفىء لواعج الغرام ، أو الشوق ، وذلك الذي يكون الباعث له مجرد العادة . ومنهم من لا يفرق بين تقبيل وتقبيل ، بل يرجع كل أنواعه الى غريزة واحدة ، ودافع نفساني واحد ، هو الدافع الحسي أو الشهوة الحسية ، كما سنشرح ذلك في حينه . ويقول هؤلاء ، وعلى رأسهم فرويد من علماء فيينا وأطباؤها النمساويين : إن مناطق الشفتين والفم واللسان من الأعضاء التناسلية الثانوية ، كالثديين ، وإن المبالغة في التقبيل حتى في غير أحوال الهيام والعشق مثير للرغائب الحسية ، مهيج للشهوات

والتقبيل يشمل خمس حواس ، وهي اللمس ، والسخونة ، والضغط ، والشم ، والذوق . وهناك ما يحمل على الاعتقاد بأن التقبيل عند الانسان الفطري كان بواسطة الشم ، واللحس باللسان ، كما نشاهد في الحيوانات اليوم . ولا يزال الأوربيون في معظم اللغات الآرية يقولون إن الكلب قبل سيده أو كلباً آخر ، اذا لعق وجهه بلسانه . وما يزال التقبيل عند كثير من قبائل أنام والصين واليابان وغيرها من وظيفة الأنف أو اللسان أو كليهما . وما تزال الحيوانات تجعل مقدمة الاتصال الحسي باناثها شم أعضائها التناسلية وذوقها . ومن الغريب أن وظيفة اللسان في التقبيل الشهواني (الحسي) ما تزال على قيد الوجود ، في حين انها اختفت أو تكاد في غيره من أنواع التقبيل ، إذ لا توجد إلا عند سكان بعض البلدان الاسيوية ، حيث تلحس الأم طفلها كالحيوانات بدلا من تقبيله بالطريقة المعتادة

وللعاب صلة متينة بالتقبيل ، خصوصاً الحسي منه ، إذ يتغير طعمه ورائحته ونكهته تغيراً كيماويا ، تبعاً لنفسية العاشقين وحالتهما وقت التقبيل ، ومن أقوال سليمان الحكيم في نشيد الانشاد في التوراة : « ليقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر .. شفتاك .. تقطران شهداً ، تحت لسانك عسل ولبن .. رائحة أنفك كالتفاح ، وحنكك كأجود الخمر » . ويقول بيرون عن زوجته الثانية :

---

(١) نقول معظمها لأن بعضها مجرد أعمال انعكاسية آلية ، مثل طرفة العين لمجرد اقتراب شيء منها فجأة

إن طعم قبلاتها كالتوت البرى . والشعر عند جميع الأمم ملىء بهذه العبارات التى تتفق والمبادىء العلمية الحديثة فى هـذا الموضوع ، ولعل أبلغ هده العبارات ، وأقربها الى حرفية الواقع ، قول الشعراء الغربيين : « اشرب قبلاتك » . وقد تبلغ المغالاة فى التقبيل شرب اللعاب فعلا ، وأ كثر من ذلك الاستعانة بالأسنان الامامية . ويذكر لنا بعض العلماء أن عادة التقبيل العنيف عند مقاطعة بريتانيا فى فرنسا كانت موضع المناقشـة يوما ما فى المجمع العلمى الطبى بباريس ، إذ قدم أحد أعضائه مشروعا لتشجيع الزواج وإكثار النسل في فرنسا ، بتحبيذ هذا النوع من التقبيل بين غير المتزوجين من شبان وشابات ، إغراء لهم على تعجيل الزواج

وتتضح علاقة اللعاب بالغريزة الجنسية فى التقبيل من القبلات الجافة التى يمكن أن نسميها رسمية ، كقبلات وزير الحربية مثلا للجنود والقواد عند تسليمهم براءات الرتب وأوسمة الشرف ، وقبلات الناس بعضهم لبعض لمجرد حكم العادة ، وقبلات الـكهنة لأحد العروسين عقب حفلة الزواج عند بعض الأمم

قلنا ان التقبيل تعبير عن عاطفة ، كالابتسام ، والضحك ، والبكاء . ونعلم جيداً أن البكاء مثلا يعبر عادة عن الحزن ، ولـكنه كذلك يعبر عن الفرح تارة وعن الخوف ، أو الألم ، أو اللذة ، تارة أخرى . والتقبيل كسائر التعبيرات النفسية ، أو التصرفات كما سميناه ، يعبر عن ظاهرات كثيرة ، قد تكون متناقصة فى الظاهر ، وان رجعت جميعها الى أصل واحد . فالقبلة الغرامية للفتاة البكر مثلا أمل ورجاء ، وللزوجة إيمان وعقيدة ، وللمرأة العانس (التى فقدت كل أمل فى الزواج) إحسان وصدقة . والقبلة الغرامية يسعى اليها الشاب والشيخ على السواء ، إلا أن الشاب يختلسها اختلاساً ، والشيخ يشتريها كما يشترى السلعة من الأسواق

تقبيل الوالدين

يقول مكدوجل من علماء النفس : ان أساس عاطفة الحنان رغبة القوى فى حماية الضعيف . وكثيراً ما يقبل الرجل امرأة ، لا لسبب ظاهر فى بادىء الأمر ، سوى هده العاطفة ، فيشعر نحوها كأنه أب لها ، غير أنه لا يلبث أن تنقلب هذه العاطفة من حنان وبنوة الى غرام وهيام . يقول لنا قائل ان هذا الرجل الشيخ يعطف على هذه الفتاة ، ويحنو عليها حنواً أبويا ، بيـد أنه يجب أن يحذر ذلك الشيخ البرىء المسكين لان هدا العطف اذا لم يقف عند حد أصبح أشد وطأة ، وأقوى مراساً ، ولأن عاطفة البنوة الحقيقية أقرب العواطف الى نفس الانسان بعد الأنانية ، والأم أقرب عاطفة الى ابنها منها الى زوجها

وهذا يؤدى بنا الى القول ان إغداق القبلات بغير حساب على الأطفال بعد بلوغهم سناً معلومة خطر معيب يجب تلافيه ، فاذا لم تحول هذه القبلات الى ناحية أخرى sublimated بعد سن المراهقة

وقعت الأم وابنها فى العقدة التى يسمونها عقدة « أوديب » Oedipus Complex

غير أن السواد الأعظم من العلماء لا يعتقدون أن هناك علاقة تذكر بين الحب الأبوى والغريزة الجنسية ، بل يعتقدون على النقيض من ذلك ان فى الحب الأبوى أو قبلة الأب لابنه (فى سن المراهقة فما فوق) عاطفتين متضادتين : الأولى عاطفة الانانية ، وهى التى يحسب فيها الاب أن ابنه ما هو إلا لحم من لحمه ودم من دمه ، أى جزء منه ، وليس للابن شخصية قائمة بذاتها . وثانيهما عاطفة المنافسة ، وهى التى يحسب فيها الاب ابنه مزاحماً له فى حبه لزوجته ، ومنافساً له فى رجولته وكبريائه وكرامته ، مما يتولد عنه عداء جدى بين الوالد وابنه فى كثير من الاحوال ، ويشتد هذا العداء إذا كانت الزوجة غير أم الابن

والعاطفة العدائية بين الرجل وابنه موجودة فى كتب الادب ، مثال الحكاية الكلاسيكية « سحراب ورستم » والرواية الروسية الخالدة « الآباء والابناء » لمؤلفها « ترجنيف » . وفى العصر الحديث يترك الابن أباه ويعيش وحده حتى قبل الزواج ، تفاديا من أن يتمادى الاب في أنانيته

كذلك الأم تشعر نحو بنتها بما يشعر به الأب نحو ابنه ، والنتيجة البيولوجية أن البنت تفارق امها بالزواج ، فاذا أصبحت موالية لها بعد الزواج ، أصبحت الأم هدفا لجميع النكات والنوادر والمداعبات التى تصوب نحو الحماة عادة

ومن السهل جداً أن يتطوع قارىء بنقد الكلام فى هذا الموضوع . والاستخفاف بالاشارة الى ما قد يتأتى من العلائق الجنسية الشاذة بين الوالدين وأولادهما نتيجة هذه الظاهرة البريئة ، ظاهرة العطف والتقبيل والحب ، التى يولع فيها الى ما بعد بلوغ البنت أو الابن سن المراهقة . غير أنى أحيل القارىء الى علاقة السيدة ترتشارد ببنتها كترين فى كتاب « المرآة الخضراء » لهوج ولبول ، وعلاقة وتان لرحفرد فى كتاب « زحفرد » لواجنر

اطوار التقبيل

وهنا ننتقل بالقارىء الى أطوار التقبيل منذ الولادة الى سن الرجولة . وهي عين الأطوار التى تمر بالانسان في حياته الجنسية ، وعددها اربعة : ففى الطور الاول لا يولع الطفل الا بنفسه ، ولا نراه يقبل الا نفسه ، وهذا التقبيل يظهر فى مص الاصابع . وفى الطور الثانى ينتقل هذا الحب ، وما يتبعه من الميل الى التقبيل ، الى والديه . وفى الطور الثالث ــ وهو قبل سن المراهقة بثلاثة اعوام أو اربعة ــ يميل الى تقبيل الاطفال الذين من جنسه ، الذكر للذكر ، والانثى للانثى . وفى الطور الرابع ــ بعد سن المراهقة ــ ينتقل هذا الميل الى تقبيل الجنس الآخر

ويتضح من هذا ان الاطوار الثلاثة وقتية ، أما الاخير فهو وحده الطور الطبيعى الدائم ، طور النضج . غير انه مما يؤسف له ان بين البالغين رجالا ونساء من يقف نموه الجنسى فى نهاية مرحلة من المراحل الثلاث الاولى

*

ومن الغريب أن الناس اعتادوا أن يتسامحوا مع البنات بعد سن المراهقة ، فيتركوهن يقبلن بعضهن ، ويكثرن من هذا التقبيل بغير أن يتسرب الى الأذهان شيء من الريبة ، في حين أن الذكور فى هذه السن يمتنع عليهم تقبيل بعضهم بعضاً ، لأن مثل هذا التقبيل يدعو للريبة ! نقول من الغريب أن يعتاد الناس هذا التفريق ، فى حين أن الخطر فى الواحد لا يقل عنه فى الآخر . كما يتضح من المباحث التى قام بها علماء النفس في هذا الشأن . وأمامى الآن كتاب عام [١] يشير الى هذه المسألة وآخر خاص [٢] فى علم النفس يشرح الموضوع بعبارة علمية فنية معززة بالأرقام . وربما كان الفرنسيون على حق فى مراقبة بناتهم مراقبة دقيقة من هذه الناحية ، فاذا خرجت فتاة للنزهة مع صديقتها ، صحبتهما عمة أو خالة أو امرأة أخرى (Chaperon) ، كما يفعلون فى بلدان أخرى عند خروج شاب وفتاة للنزهة

قبلة الصديق

ولم يستطع علماء النفس تعليل التقبيل بين الأصدقاء من جنس واحد ، الذكور للذكور أو الاناث للاناث ، ولعلهم لا يعدونه تقبيلا بالمعنى الصحيح ، ما لم يدخل فيه عنصر حسى أى شهوانى . ولذلك يجب أن نفرق هنا بين نوعين من التقبيل : النوع الاول يشمل القبلة الجوفاء الجافة التى منشؤها العادة لا العاطفة . فاذا تلاقى رجلان بعد غياب فترة من الزمن فقبل احدهما الآخر ، فان هذا التقبيل ضرب من المبالغة ، ولا يختلف كثيراً من الناحية النفسية عن قبلة يهودا أو القبلة الخائنة . أما النوع الثانى فيشمل القبلة الحقيقية التى لا يستطيع العلماء التفريق بينها وبين القبلة الجنسية بين العاشق وعشيقته . وفى التوراة نجد داود يقول عن صديقه ناثان إن حبه فاق حب النساء . ولا يقصد علماء النفس بهذا القول أن القبلات فى مثل هذا الحب بين ذكرين أو أنثيين ، لا بد أن يتخللها عنصر شهوانى ، ولكنهم يقصدون أن هذا العنصر الشهوانى مستتر ، لاشعورى ، فاما أن يبقى كذلك ، أو ينفجر . ويتبين من هذا أن معظم التقبيل على أرصفة المحطات وسطوح البواخر بين الأصدقاء من جنس واحد مبالغة ومحاكاة وعادة ، ولا يعد تقبيلا بالمعنى الصحيح

وقد شهدت مرة حفلة توزيع الجوائز ، فى ضاحية من ضواحى باريس ، على طالبات مدرسة ثانوية أو ابتدائية ، فجلس على المنصة أعيان القرية ، وكانت كلما تتسلم فتاة جائزة ، صحب التسليم قبلة من أحد هؤلاء الاعيان لهذه الفتاة . ولست أدرى ماذا يسمى علماء النفس هذه القبلات ! هل هى قبلات الحنان والابوة على مذهب مكدوجل ؟ أو هي قبلات جنسية فى حالة الطالبات في سن السادسة عشرة الى العشرين على مذهب فرويد ؟ أو هى قبلات جافة جوفاء بحكم العادة والمبالغة

---

(١) Man, Woman, and God

(٢) Emotions of Normal People

القبلة المقدسة

هل هناك قبلات روحية مقدسة ؟ من الاقوال التي تكاد تكون خيالية عند الفلاسفة أن روح الطفل تولد بظهور أول ابتسامة على ثغره . والقبلة التي يطبعها أحد الوالدين على فم الطفل في هذه اللحظة هي أبرز مثال للقبلة الروحية أو المقدسة . بيد أن هذه في الحقيقة هي قبلة الحنو ، ومثلها قبلة الطفل في جميع الاطوار ، وقبلة المريض ، والحزين ، والضعيف ، والحيوان المدلل ، والزوجة بعد مضي زمن كاف على الزواج وغير ذلك

ولم يبق لنا الا الموازنة بين التقبيل عند الرجل ومثله عند المرأة . يعتقد العالم لمبروزو أن التقبيل مظهر من مظاهر الحب عند المرأة ، ولكنه كسائر هذه المظاهر ، ينشأ عن الغريزة الحسية ، كما هي الحالة في الرجل ، ولكن يتصل أيضاً بغريزة الأمومة . ويقول الفرد دي فيني Alfred de Vigny تعزيزاً لهذه النظرية : إن كل حب في المرأة يرجع الى ثديها أو غريزة الأمومة ، وأن كل عاشق تهيم به المرأة ، ما هو في نظرها الا بمثابة طفل تحنو عليه وترضعه . ويقول في مكان آخر : ان المرأة لا وجود لها بغير الحب ، وانها تؤثر أن تعيش مع لص تهواه ، من ألا تحب ، لأنها بغير الحب في عداد الموتى

والتقبيل والحب عند الرجل عنصر من عناصر الحياة ، وليس الحياة كلها كما عند المرأة ، ويظهر هذا الفرق جيداً في أعضاء التناسل ، إذ انها خارجة عن الجسم في الرجل ، في حين أنها عميقة اللفائف ، متغلغلة فيه عند المرأة

أما القبلة الصادقة التي يفهمها علماء النفس ، فهي تلك القبلة الحارة الانفاس ، الذكية الرائحة ، المبللة باللعاب المتبادل ، تلك التي تتصل بأرق العواطف البشرية ، وأسمى الغرائز الانسانية ، وأشد اللذات الحيوانية وأقربها الى تخليد النسل ، والمحافظة عليه من التدهور والفناء . هي عصارة الحب والحنان والعطف ، ودواء الهيام والجوى ، وحرقة الصبابة والتدله . هي مزيج من السيادة والحنو والحيارة والكلف عند الرجل ، والخضوع والاستسلام والحب عند المرأة

القبلة مرآة يرى فيها الابن شبح أمه ، وترى فيها البنت شبح أبيها ، ويرى فيها الجميع سلسلة الخلود ونهر الابدية ينحدر من التربة الارضية ، الى البذرة النباتية ، الى العود ، الى السنبلة ، الى الخبز ، الى الدم ، الى الجنين ، الى الطفل ، الى الرجل والمرأة ، الى التربة وهكذا دواليك . . . إذ القبلة كالحب عنصر من عناصر الحياة للرجل ، ولكنها الحياة بأسرها للمرأة : هي للفتاة البكر أمل ورجاء ، وللزوجة ايمان وعقيدة ، وللعانس والعجوز إحسان وصدقة

أمير بقطر

« .. لو وقف الحظ عند خراب الديار لهان ، ولكن هنالك ثلثمائة ألف نفس من سكان المدينة بلا مأوى أو طعام . . »

خراب مدينة سان فرنسيسكو

صورة رائعة من مآسي الزلازل

كان سكان مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية يتتبعون فى الصحف أنباء ثورة بركان فيزوف ويتألمون لما أصاب ايطاليا فى مدينة من أهم مدنها ، ويتبرعون بالأموال مساهمين فى الاكتتاب العالمى الذى فتح لمساعدة منكوبى نابولى ، غير عالمين أن الطبيعة غادرة عمياء تضرب خبط عشواء بلا اختيار ولا تمييز ، وأنها تدخر لمدينتهم الجميلة نكبة أدهى وأروع من تلك التى ألمت باخوانهم الايطاليين

ففى مساء يوم الثلاثاء الموافق للسابع عشر من شهر ابريل سنة ١٩٠٦ - أى بعد تسعة أيام من كارثة نابولى - خرج سكان سان فرانسيسكو يستنشقون نسيم الربيع المنعش على رصيف البحر ويستجلون محاسن الطبيعة فى تلك الليلة المقمرة ، بينما احتشد أغنياؤهم وعليتهم فى مسرح الأوبرا يستمعون الى المغنى الأشهر « أنريكو كاروزو » وهو يغنيهم بصوته العذب الرخيم رواية « توسكا » . ولم يكن فى الأرض ولا فى السماء ما ينذر بأن هذه المدينة الساهرة المضيئة الزاهرة ستصبح بعد ساعات أطلالا خربة ورسوما متهدمة

كانت الساعة قد فاتت الخامسة من الصباح عندما روع السكان النيام بزلزال عنيف أرقص المساكن وهز الأبنية وأقض المضاجع ، فاستيقظ الناس هلعين يتساءلون عن النبأ العظيم ! ثم قفزوا من أسرتهم ومراقدهم وخرجوا بملابس النوم يلتمسون النجاة فى الميادين الواسعة والمتنزهات الرحبة والخلاء الفسيح . ولكنهم لم يكادوا يخطون أعتاب بيوتهم حتى أحسوا أن سطح الأرض يتموج تحت أرجلهم تموجا تتشقق من شدته الطرق وتتكسر أنابيب الماء ، وسمعوا جوف الأرض يغلى ويدوى ويتمزق كأن جهنم نصبت فيه ، وأبصروا مداخن المصانع الكبرى تتصدع ثم تخر من عليائها فتستحيل أكواما من تراب وأحجار ، وبعض تلك الصروح الشمخرة التى تناطح بعنائرها السماء يتداعى ويترنح ويميل ، فاذا هو أكداس من صخر فوق أكداس من حديد

وكانت الهزات الأرضية تتتابع بعد ذلك خفيفة على فترات متقطعة ، فلا تدع للسكان وقتاً يستجمعون فيه شتات صوابهم أو يتدبرون حرج موقفهم . فلما باغت الساعة الثامنة زلزلت الأرض مرة أخرى زلزالا هائلا لم يطل أكثر من أربعين ثانية ، ولكنه كان من الشدة بحيث قضى على

جميع الأبنية التى أبقى عليها الزلزال الأول متصدعة الزوايا متداعية الأوصال ، فانقلب كثير من العمائر والدور أطلالا وخرائب تنبعث من تحتها أنات الجرحى وولولة المستغيثين ، واستحالت بعض الشوارع الكبري تلالا من الأنقاض تظللها طبقات كثيفة من الغبار

عندئذ جل الخطب وفدح المصاب ، فلم تكن تسمع الا صيحات الرعب والتنادى بالأسماء ، ولم تكن تبصر الا أقواما طاشت عقولهم وطارت ألبابهم يحملون نفائسهم فى صرر فوق اكتافهم ويضمون صغارهم الى صدورهم ويجرون من هنا الى هناك لا يعلمون أين المفر ولا أين المستقر ، ما يغادرون بيوتهم حتى تتساقط حلفهم ، وما يسلكون طريقاً حتى يسده أمامهم صرح يخر أو بيت ينهار

وكأنما أبت عناصر الطبيعة الا أن تتعاون في ذلك اليوم المشئوم على إهلاك الانسان الذى طالما اذلها لأغراضه وسخرها فى منافعه . فبينما كان السكان يقاسون هول الزلزال وقلوبهم ترتجف فى صدورهم رعباً وفزعا ، اذا بالنيران تشب فجأة فى عدة جهات من حى الأعمال فى آن واحد ، واذا بألسنتها تمتد ومساحتها تتسع ، ويتصل بعضها ببعض ، فتصير الحى العامر أتوناً متأججاً ، بل جحيما مستعراً

خرجت النيران من مراجل المصانع التى هدمها الزلزال ، ومن مجارى الغاز التى قصمتها الهزات الارضية فراحت تلتهم كل ما تصادفه في طريقها ، تبتلع بيتاً بعد بيت ، وتنتقل من شارع الى شارع وتتجاوز حياً الى حى الى أن صار قسم « السيتى » شعلة مندلعة الالسنة تهدد باقى المدينة بالشر المستطير

ثم سكنت الارض وعاد اليها هدوؤها ، فنشطت السلطات الى تدبير وسائل الانقاذ وتنظيم طرق المقاومة ، فانتشر رجال المطافىء فى أرجاء القسم بمضخاتهم وبدأوا يعملون . ولكن يا للهول ! ماذا يعملون ولا ماء هناك ؟ لقد خربت الزلازل أنابيب الماء فى الارض فلا معدى عن أن يقفوا مكتوفي الأيدى عاجزين أمام العدو القاهر وهو يتوغل ويشتد ويتفاقم ، ويتهدد الأحياء المجاورة بالخراب الأكيد

يئسوا من إطفاء الحرائق فلجأوا الى الديناميت ينسفون به الأبنية المهددة ليحصروا النار فى مكان وليحولوا دون امتدادها الى ميادين أخرى ، ولكن النار كانت أقوى من أن تحاصر وكانت الرياح تساعدها على الاضطرام والتنقل ، فصاروا ينسفون سلاسل من البيوت دفعة واحدة عسى أن ينقذوا ما جاورها ، بيد أن النار كانت لا تلبث حتى تشتبك فى الأخشاب المتراكمة فوق الأنقاض ، ويذكيها الغاز المتصعد من للمواسير المهشمة فتمتد وتنبسط وتتسع ، فتجور على الأماكن التى سلمت من الزلزال والديناميت . ولم يأت الظهر حتى كان نصف المدينة ضراما ، ومائتا ألف نفس من سكانها يهيمون على وجوههم فى الخلاء

مدينة عامرة تصبح أطلالا بالية

هذه هي مدينة سان فرنسسكو بأمريكا التي أصابها زلزال عنيف سنة ١٩٠٦ أودى بآلاف من الأنفس وقضى على آلاف آلاف من الأموال وأحال المدينة - كما ترى - أكواما من الحجر والخشب والحديد

الانسان يأبى الا أن يغلب الطبيعة على أمرها . فما هي الا سنوات حتى عادت المدينة ك
نة شاهقة عامرة بناطحات السحاب كما ترى من صورتها هذه التي تبين الح

... السينما الأمريكية « فلما » يبين مشاهد هذه المأساة
وقد أخذنا منه هاتين الصورتين ، إحداهما تبين جهة فى المدينة كانت عامرة
لكن الزلازل والحرائق لم تبق فيها الا أخشابا متناثرة ، وصخوراً متراكمة

والثانية تبين كيف راح أولئك
الذين كانوا يسكنون فى شواهق
تناطح السماء ، ويرفلون فى الترف
والرفه والغنى ، يفترشون الغبراء فى
العراء ، لا تعصمهم من الليالى
القارسة سوى خيام كخيام البدو ،
ولا يتقون عضة الجوع الا بكسر
من الخبز يتبرع بها المحسنون

أتت النيران على حى الأعمال وأتت على حى الأسواق والتهمت البلدية ودار البريد وجامعة ستانفورد . وإذا كان بعض ناطحات السماء المبنية من الصلب والحديد قد قاوم الزلزال إلى حدما فقد بدأ الآن يتفكك ويتساقط بفعل النار . أما الأبنية المشيدة بالحجارة أو بالخشب أو بالآجر فهى اللقمة السائغة للحريق . وهكذا تهدم مبنى فندق فالانسيا ذو الخمس الطباق بعد أن اخلى لحسن الحظ من ساكنيه . وتهدم فندق كنجسلى وقتل تحته ثمانون . وانهدم ملجأ للايتام فقضى على حياة مائتى طفل كان يؤويهم . وانفجرت مواسير الغاز فى خان كبير فانهار على من فيه واحترق منهم سبعون . وخرت عمارة فى الشارع السابع ذات عشر طبقات فلم ينج من سكانها أحد . وسقط صرح عال فى شارع « ادى » فاحتضن فى سقوطه بيتاً مجاوراً له وقتلا تحتهما مائتى نفس لم يتيسر لهم النجاة . وانهارت دار شركة الاتحاد الغربى للتلغراف فلم يبق من طبقاتها الثمانى عشرة جدار ولا عمود . وانهار بنك التعاون الأهلى ومبنى « يونيون ترست » وكان كل منهما ذا احدى عشرة طبقة ، وتهدمت دار جريدة « فرانسيسكو كول » ودار جريدة « فراسيسكو اجزامنر » وكانت كلتاهما مؤلفة من عشرين طبقة . والتهمت النار فندق «بالاس أوتيل» دا الألف والخمسمائة غرفة وكان من أفخم مبانى العالم من حيث الضخامة والفخامة واسلوب البناء . وكان من بين نزلائه المغنيان كاروزو الايطالى وفان روى الألمانى وقد زف البرق الى الدنيا نبأ نجاتهما من الحريق . أما المسارح فما أبقت عليه منها الزلازل أغارت عليه النيران،وما أبقت عليه النيران والزلازل نسفه رجال المطافىء بالديناميت ، وهكذا عدمت سان فرانسيسكو فيما عدمته من مسارحها الفخمة مسرح كولومبيا الجميل ومسرح الأوبرا الذى كان يعد بحق آية من آيات فن العمارة الحديثة

ولقد عززت الحكومة فرق مطافىء المدينة بفرق المدن القريبة وبثلاث تجريدات من الجيش ، فابدى رجالها بطولة جديرة بالاعجاب . ولكن مادا تستطيع قوى الانسان حيال قوى الطبيعة الثائرة ؟ ! ذهبت جهود أولئك الابطال كما ذهبت تضحياتهم سدى لقلة الماء فى ذلك الاتون الذى لا أول له ولا آخر ، وكانت الريح تندفع من البحر على المدينة شديدة عاتية فتنقل اللهب من الأبنية المستعرة الى الأماكن السليمة، ومن الاحياء المتقدة الى الأحياء البعيدة ، وهكذا امتدت النيران الى حى الأغنياء فوق ربوة « نوب » العالية فكان منظر الحى وقد أقبل المساء منظراً مروعا هائلا مذهلا ترتد عنه الأبصار فزعاً ورهبة . فلقد كانت الرياح تمزق طبقات الدخان الكثيفة السوداء فتلمع من بينها ألسنة قاتمة حمراء ، تتلوى فى الفضاء فتضىء الأرجاء الشاسعة ، وتظهر على ضوئها شظايا الحديد والخشب والحجارة وهي تتناثر وتتطاير

ولم تبلغ الساعة الخامسة بعد الظهر حتى كانت رقعة من أرض المدينة مساحتها ثمانية أميال مربعة بحراً من نار تتلاطم أمواجه المستعرة ويقصف فى الآذان هديره الداوى . وكان أخوف ما تخافه السلطات أن تبلغ النيران من ناحية حى الصينيين الضيق الأزقة المتلاصق البنيان ، والذى يعج

بعشرين الفاً من السكان ، وأن تبلع من الناحية الأحرى حى أصحاب الملايين الذين احتوت قصورهم كنوزاً من الفن لا تقوم بمال ، فلم تكن لتلك السلطات مندوحة عن أن تضحى بأفخم الكنائس والكاتدرائيات ودور الآثار ومخازن التجارة وقنصليات الدول ودواوين الحكومة ، فسلطت عليها الديناميت ينسف منها ما أبقت عليه يد الخراب . فلما اقبل الليل كانت النار على أشدها فتبدت فى الجو هياكل بعض نواطح السماء قصباناً من الصلب ملتوية ملتهبة يتطاير منها الشرر ، وتتساقط كالشهب فى الفضاء

ولو وقف الخطب عند خراب الديار لهان . ولكن هنالك ثلثمائة الف نفس من سكان المدينة فى العراء بلا مأوى ولا لباس ولا عطاء ولا طعام ولا ماء ، لا يعلمون ما حل بأهلهم وبأموالهم ولا ما سوف تنتهى اليه تلك الحال ، فهؤلاء أمهات يولولن مفتقدات أولادهن ، وأولئك أزواج تبكين بعولتهن ، وهنا صبية يتصورون جوعاً وعطشا وينادون أمهاتهم ، وهنالك عجائز أقعدهن برد الليل فجلسن يودعن ديارهن واللحظ ماء والديار ضرام

ولم تكن الجرايات التى وزعتها الحكومة على أولئك التعساء لتكفى ربع عددهم فكانوا يتخطفونها من أيدى الجنود أو يتخاطفونها من بعضهم فتدور المعارك وتنشب المشاجرات ، ويزداد الكرب ويعم البلاء

وإذ كانت الأسوار قد اندكت والحراس قد غادروا أماكنهم خرجت الوحوش الضارية من حديقة الحيوانات وانطلقت فى المدينة هائمة ، ولكن أراد لطف الله أن تحاصرها النيران بين الشوارع الملتهبة فتلتهمها قبل أن تفترس من تصادفه من الناس ، وأفلت المجانين من مستشفى سان جوزيه وبهرتهم أضواء الحريق فاقبلوا عليها وجعلوا يحومون حولها كما يحوم الفراش حول النور ، فاكلت منهم عدداً كبيراً ووفق الجنود الى تكبيل الآخرين واقصائهم الى مكان أمين

وخيم الظلام على المدينة بعد إذ تقطعت أسلاك الكهرباء وأنابيب الغاز فباتت سان فرانسيسكو المترامية الاطراف فى ظلام دامس مخيف . وخرجت عصابات اللصوص من العبيد والصينيين وحثالة الجنسيات الأخرى للسلب والنهب تحت ستار الليل البهيم . فكانوا يقلبون جيوب الموتى وينتزعون من الجثث حليها ونقودها ويتسللون الى الخرائب منقبين عن النفائس والاموال ، وينفذون الى البيوت فى غيبة الشرطة ورجال الحفظ فيسرقون ما تصل اليه أيديهم . ثم تنبهت السلطات الى هذا فاعلنت الحكم العرفى فى المدينة وبثت جنود الجيش فى الأحياء ورصدت القوى المسلحة حول أنقاض المصارف المالية التى تحوى اقبيتها ملايين وملايين من الذهب والفضة والودائع الثمينة وحول خرائب دور الآثار حتى لا تمتد الايدى الأثيمة الى ما فيها من كنوز . فكان الجنود اذا عثروا بلصوص يسرقون يعدمونهم فى الحال رمياً بالرصاص ويعلقون جثثهم على أعمدة المصابيح فى الشوارع عبرة لغيرهم وتحذيراً لمن تحدثهم نفوسهم باغتنام فرصة البلاء العام لاشباع شهواتهم السافلة

وأدركت النيران قبيل منتصف الليل حي العمال حيث الدور متلاصقة والدروب ضيقة والناس يعيشون كما يعيش النمل فى أحجاره ، فلم يطلع الفجر حتى كانت قد أتت على آخره ودفنت تحت أطلاله مئات ومئات من الأرواح

وكأنما أبت الاقدار إلا أن تكون تلك الليلة ملأى بالفواجع . فان السلطات المشرفة على عمليات الاسعاف كانت قد حولت فندقاً كبيراً اسمه فندق التجار الى مستشفى للجرحى ، وقد ظنته بعيداً عن متناول النار . ولكن النار امتدت الى ذلك الحى وهددت الفندق من قرب . فاضطرت السلطات الى اخلائه . فلما أدرك الجرحى الخطر الذى يزحف نحوهم زحفه الحثيث هبوا من مراقدهم وصاروا يتراكضون ويتدافعون ، يحاول كل منهم أن يسبق الآخرين الى النجاة . ويظهر أن الزلازل كانت قد صدعت أركان البناء فلم يحتمل الحركة العنيفة التى قامت فيه فانهارت بعض جدره وسقطت سقوفه على أربعمائة من الجرحى أخرجهم رجال الاسعاف من تحتها جثثاً هامدة وأشلاء مقطعة

وبرغم كل الاحتياطات التى اتخذتها السلطة وبرغم كل التضحيات التى بذلتها لحماية الحى الصيني فان النار بلغته وبدأت تعمل فيه عملها المدمر ، فلم يصبح الصباح حتى كان ذلك الحى العامر بالسكان أكواماً من الانقاض والجثث المحرقة ، وحملت الريح لهيب النار الى حى أصحاب الملايين حيث يسكن كبار أغنياء كاليفورنيا فى قصور بديعة جمعوا فيها نفائس الفن وغالى المقتنيات ، فراح جزء كبير من هذا الحى فريسة للنار قبل أن يتمكن رجال المطافىء من حصرها فى دائرة ضيقة بنسف ما حولها بالديناميت

وطلع نهار يوم الخميس على سان فرانسيسكو وقد عقد الدخان فى سمائها سحباً متكاثفة تتألق بين سوادها المربد ألسنة الجحيم المندلعة فى الجو . وكانت الحرارة المنبعثة من الحريق الهائل تشوى جسوم رجال المطافىء وجنود الجيش ثم تنتشر فى الفضاء حتى تلفح وجوه الواقفين على الروابى المحيطة بالمدينة

وكان دوى الديناميت يمتزج بأجراس عربات الاسعاف وأصوات أبواق الجنود وصفير المطافىء وانفجار المراجل وانهيار الأبنية وقرقعة الأخشاب وصلصلة الحديد وولولة الناس ، فتتكون من كل ذلك جلبة منكرة تصم الآذان وتبكى الأعين وتعم النفوس

وكان نصف المدينة قد ذهب طعاما للنار وما تزال النار على أشدها ، يراها الراؤون وهم على بعد خمسة وثلاثين كيلو مترا منها . عندئذ لم يترفق رجال المطافىء بشىء وانهالوا على شوارع بأسرها ينسفونها بالديناميت والنار تتعقبهم فى سرعة مذهلة فتقضى على الأخضر واليابس ، ولا تبقى ولا تذر

وكان الجوع والظمأ قد بدآ يعملان عملهما فى الناس الذين لم تكفهم المائتا ألف جراية التى أجرتها عليهم الحكومة ، ورأى بعض مستغلى النكبات العامة أن الفرصة سانحة للربح الوفير، فكانوا يعرضون الرغيف للبيع بدولار وعلبة السردين أو اللحم القدد بدولارين . ولكن أين النقود

وأين الهدوء لعقد الصفقات ؟ بل أين المفر لأولئك الطامعين من هؤلاء الجياع ؟ دارت المعارك بالأيدى والأرجل وانتزع الأهالى من التجار سلعهم وبضائعهم بعد أن أوسعوهم ضرباً وتجريحاً ، ثم نشب النزاع بين الأهالى أنفسهم عند اقتسام الغنائم وهي لا تكفى منهم الا القليل ، فكانت معامع حامية ومعارك دامية أسفرت عن بعض القتلى وخرج منها كثيرون مثخنين بالجراح . ولقد تداركت الحكومة الموقف فسيرت قطارات السكك الحديدية من المدن المجاورة محملة بالمؤن والماء . وكانت القطارات السريعة تقف فى جميع المحطات وتلجأ الى المخازن لتخلى الخطوط لقطارات البضاعة التى تحمل الاسعافات وتجرى بسرعة مائة وعشرين كيلو متراً فى الساعة

ولما لم تكف قوى الجيش والبوليس المرابطة فى المدينة لحفظ الأمن وللضرب على أيدى اللصوص والعابثين ، جردت الحكومة قوة أخرى مؤلفة من عشرين ألف جندى أخذتهم من الحاميات القريبة وأرسلتهم الى سان فرانسيسكو ، فتمكنوا بعد كفاح عنيف وبعد اعدام ثلثمائة لص من حفظ النظام واعادة الطمأنينة الى النفوس . واذ فرغوا من هذه المهمة انصرفوا بقية اليوم تحت اشراف المهندسين الى اصلاح أنابيب الماء المخربة فأصلحوا منها عدداً كبيراً يسر لرجال المطافىء استمداد الماء منها لمكافحة الحريق

وعندما وجد الماء سهلت عملية الاطفاء فمدت المطافىء مضخاتها ونصبت سلالمها وأمضت الليل فى حصر النيران وإخمادها . فلما كان صباح يوم الجمعة كانت ثورة النار قد هدأت ، وكانت ثلاثة أرباع المدينة قد دمرت تدميراً شاملا لم يسلم منه شىء

وأخذ رجال الاسعاف فى استخراج ما تيسر استخراجه من الجثث المتراكمة تحت الأنقاض فدفنوا منها اكثر من ألفين فى يوم واحد ، مرجئين استخراج بضعة آلاف أخرى الى أن توافيهم السلطات بالآلات الرافعة وأدوات كشف الأنقاض . أما الجرحى فقد أربى عددهم فى المصحات والمستشفيات على خمسة عشر ألفاً وقد مات اكثر من ثلثهم متأثرين بجراحهم البالغة

وأحصت الحكومة الخسائر المادية احصاء رسمياً فقدرتها بخمسمائة مليون دولار (مائة مليون جنيه) وأعلنت فى ارجاء الولايات المتحدة أن ثلثمائة الف من سكان سان فرانسيسكو أصبحوا بلا مأوى يبيتون فى العراء

عندئذ نهضت أمريكا حكومة وشعبا تضمد ذلك الجرح الدامى فى حنها وتجلت اريحية الامريكيين فى أروع مظاهرها، فكانت مثلا عاليا يضرب للحكومات والشعوب عندما تحيق بها الكوارث وتلم الملمات. فلقد قرر البرلمان فتح اعتماد بمليون دولار لاسعاف المنكوبين وعشرة ملايين لترميم المدينة، ثم انهالت الاكتتابات فتجمع منها فى الأربعة الايام الأولى اثنا عشر مليونا من الدولارات ، ودفعت شركات التأمين مائتى مليون دولار تعويضا عن الأملاك والمقتنيات المؤمن عليها لديها ، وتبرعت مدينة شيكاجو بمليون دولار ، وحذت حذوها بعض المدن الكبرى، وتبرع كل من روكفلر وكارنيجى

وماكاى واتحاد شركات الصلب واتحاد شركات البترول بمائة الف دولار ، وتتابعت التبرعات الفردية من جميع انحاء البلاد فأربت فى نهاية الاسبوع الأول على عشرين مليوناً من الدولارات . ولعل أوقع هذه التبرعات فى النفوس وأولاها بالاعجاب والتقدير مائة الف دولار أرسلها صاحبها الى عمدة سان فرانسيسكو باسم « فاعل خير » . وخمسون الف دولار قدمها المتبرع بها الى عمدة نيويورك باسم « صديق الانسانية »

ولم يكن العالم أقل عطفاً على المدينة المنكوبة من الامريكيين انفسهم . ولقد فتحت قوائم الاكتتابات فى كثير من ممالك أوربا وجمهوريات القارة الامريكية وبدأت التبرعات تتراكم من الافراد والهيئات والشركات . ولكن يظهر أن أهل الولايات المتحدة وحكومتها قد بالغوا فى فهم مبدأ مونرو القائل بأن امريكا للامريكيين مبالغة جعلتهم يعتبرون خراب سان فرانسيسكو مصابا أمريكياً لا يجوز لغير الامريكيين أن يشاركهم فيه ولا أن يساهم فى تخفيف آثاره . فرفضوا جميع التبرعات التى وردت اليهم من الخارج ، وأعادوا شاكرين الى شركة الملاحة الالمانية « هامبورج — امريكا » مائة الف مارك كانت قد اكتتبت بها ، والى زميلتها « نورد ويتشر لويد » مائتين وعشرين الف مارك ، والى حكومة كندا نصف مليون دولار

إزاء ذلك وقفت حركة الاكتتاب الدولى . وكان لهذا الاباء وقعه السىء فى نفس العالم الذى أخذت صحفه تندد بمسلك حكومة واشنطن وتعيب عليها رفضها يد المواساة التى مدتها اليها الانسانية المتألمة ، فكتبت جريدة البرلينر تاجبلات تقول : « . . . واذا كان لحكومة واشنطن مصلحة فى أن تعتزل سياسة العالم فأية مصلحة لها فى أن تعتزل العالم نفسه ؟ وهل نفهم من ذلك أن الحضارة على الطريقة الامريكية تقتضى أن تنقطع ما بين الشعوب من صلات العطف والمودة والانسانية ؟ »

وعندئذ وقف الرئيس روزفلت يبرر موقف حكومته فقال فى لهجة الثرى المحدث : « ان فى وسع الولايات المتحدة أن تداوى جرحها بيدها وأن تواسى بالأموال الامريكية مصائب الأمريكيين. فشكراً للعالم على المساعدة التى أراد أن يسديها الينا ، ولكنا بحمد الله فى غنى عنها. ولن تمضى خمس سنوات حتى تعود سان فرانسيسكو مدينة فخمة شاهقة الأبنية زاهية الأرجاء ، تحي قلاعها أعلام الدول ، وتساهم بنصيب وافر فى تشييد مجد أمريكا وعظمة الامريكيين »

ع . ١٠

الشعور الإنساني
وقابليته للانحياز في مختلف المواقف

بقلم الاستاذ اديب عباسي

هل أنت تعدل في حكمك ؟ كلا . لأن شعورك لا بد أن ينحاز برغمك الى أمر أو شخص دون آخر . وهذه أمثلة شتى وأسباب عدة تثبت وتفسر هذا الانحياز

تقف امام حلبة السباق وتشهد الجياد تتحفز للانطلاق ، والفرسان على صهواتها مشرئبو الأعناق مرهفو الأسماع . وما هو إلا أن تعطى الاشارة حتى ينطلقوا انطلاق السهام عن اكباد القسي . وقد تكون من المراهنين على هذا الجواد أو ذاك ، فينطلق يعدو وراءه شعورك وهواك ، وتحس كأنك تندفع وراء شعورك تستحيث الجواد وتحمسه وتنشطه . وعلة هذا الشعور واضحة والتفسير غير عسير ، فأنت تركض الشعور وتجريه وراء مصلحتك ، ولا غرابة . ولكن غير الواضح وغير اليسير على التفسير والتعليل ألا تكون من المراهنين على أحد الجياد ، ولكنك مع ذلك تراك تنحاز برغمك شطر احد الجياد ، لا لعلة سوى أنك تتوسم فيه السبق واحتمال الفوز . وقد يحقق جوادك المختار هذا الظن ويمضي يخلف الجياد وراءه واحداً واحداً الى أن يصحى على رأس الحلبة وينتهى قبل غيره الى نهاية الأمد . وقد لا يكون جوادك عند حسن ظنك به الذى أسرعت وظننت عندما رأيته يمضي كالقنبلة في أول الشوط ، فلا يلبث أن يبدو عليه الوهن ويعتريه الكلال في أواسط الشوط أو أوله ، فيدانيه ويفوته أقرب الجياد . وهنا لا يستطيع شعورك أن يتلكأ حيث جوادك المتخلف ، فيقفز فجأة وينحاز الى جانب الجواد الجديد . . . وشعورك لا يكتفى من الانحياز والانقلاب بأن يرى جوادك الثانى يفوت وحسب ، بل أنت تستشعر الكثير من الغبطة والارتياح كلما رأيت المسافة بينه وبين منافسيه تزداد ، ونهاية الحلبة تتقلص أمامه وتضيق

وترى فى ساحة اللعب فرقتين تتباريان فى كرة القدم ، فتقف حيالها تزجى الوقت وتدفع

الملال ، ولا نيـة لك ولا عزم على ترجيح احدى الفرقتين فى هواك وشعورك ، فهما تقفان بداءة موقفاً معادلا من شعورك وعطفك ، ولا سبب عندك مهيأ لتمنيك الانتصار لهذه الفرقة أو لتلك ، وتمضى هذا المضى حيناً ، ولا سيما اذا سار اللعب سجالا بين اللاعبين ، لا هو الى هذا الجانب أو الى ذاك . ثم تبدو بوارق النصر والتفوق فى أحد الجانبين ، ويشتد اللعب ويحمى النضال ، فتراك فى غير شعور منك مسوقا الى الانحياز بعطفك شطر الفرقة التى بدت عليها علائم القوة والفوز . وتخرج عن موقف الحياد فى شعورك ذاك الذى كنت لم تزل تقفه قبل رجحان احدى الـكفتين رجوحا واضحا . وقد يستخفك هذا الشعور المحاز الطارىء ويخرجك عن طور الاعتدال والرزانة فتمضى تصرخ مع الصارخين وتصدى مع المصدين للاستجاشة والاستفزاز واظهار الغبطة والاستحسان ، فكأنك موكل بذلك مأجور عليه ، أو كأنك من جماعة الفرقة الذين يهمهم ويغنيهم انتصارها ، وقد ينقلب الوضع وينكفىء الاتجاه وتعود فرقتك المختارة كعهدها الأول الى التعادل مع نظيرها فى اظهار البراعة والـكفاءة . وهنا لا يسع شعورك ، اذا لم يطرأ عليه ما يصرفه صرفا نهائياً الى احدى الفرقتين ، الا أن ينقلب راجعاً ليتكيف حسب الوضع الجديد ويعود الى موقف الحياد الأول أو قريباً منه . وقد لا تنقلب فى شعورك الى حد الحياد وحسب ، بل قد تراك تتخطاه وتنقلب مناصراً للفرقة الأخرى ، ولا سيما اذا طال موقف فرقتك المجتباة عند حد التعادل ، أو اذا رجعت وراء هذا الحد وبدا عليها الوهن والارتباك بدل الذى كنت تؤمل من خروجها فائزة منصورة . وهكذا قد يظل شعورك مترددا بين الفرقتين حتى تنتهى احداهما الى النصر الحاسم

وتقرأ ان فلانا من النـاس فى اوربا أو اميركا بلغ ثراؤه كذا ملايين من الجنيهات أو الدولارات . وفى معظم الأمر لا يثير فيك هذا الخبر شعور الحسد أو الغيرة . فان الاوربى أو الاميركى بعيد عنك ، ولا تثير مظاهر نعمته احساس النقمة والشعور بالحرمان فى نفسك ، وهو ليس منافساً لك ولم يستلبك فرصة عزيزة من فرص النجاح أو يزاحمك فى نصيبك منه . وانما الأرجح أن يثير الخبر فى نفسك ضربا من شعور الغبطة والارتياح . بل لقد تشعر شعورا أقوى من هذا الشعور نفسه لوأن الخبر يزيد فى ثروة الرجل أرقاما أخرى ، كأن هذه الزيادة أضيفت إلى مالك ؟ ! وقد تظل معنيا بصاحبك المثرى الـكبير على قدر ما تسمح لك مهامك وأشغالك ، وما توزع من شعورك . وقد يخونه الجد ويكبو به السعد فتتبخر الملايين وتغيب

الأرقام الهائلة فيغيب الرجل عن وعيك غياب ملايينه تلك . ولا يعيده الى دائرة وعيك الا دورة أخرى من دورات الاقبال والسعد

وتندلع نيران الحرب الأهلية فى بلد من البلدان ، ويكون للفريقين المتحارين بين حظ متعادل من عطفك وشعورك ، ثم مصلحتك أو مصلحة بلدك ليست فى انتصار هذا الفريق أو ذاك . فتقف أول الامر موقفاً متعادلا فى شعورك نحوهما ، ولا سيما اذا ظهرت قوة الفريقين متكافئة ولم تقو الدعاية على سوقك برغمك فى ناحية أحدهما ، ثم لم تكن أسباب الانشقاق باعثاً لاحساس الكراهية والاشمئزاز فى نفسك من أحد الفريقين . بيد أن هذا الشعور المحايد لا يلبث أن يتصعضع وينحرف عن مركز اعتداله ، فتشعر ـ شئت ذلك أم أبيته ـ انك منحاز منساق فى ناحية هذا الفريق أو ذاك ، على مقدار تفوقه ورجحان كفته فى ميدان النضال

وتسمع ان أديباً أو عالماً نال كذا وكذا جوائز وألقابا علمية ، فيستولى عليك شعور صريح بالغبطة، واحساس أكيد بالسرور للخير يصيب العالم أو الاديب ، وتتمنى لو تسمع المزيد من أخبار انتصاره فى ميدان العلم أو الفن . بل لقد يبلغ من غرابة الشعور أن تكره أن ينال الجائزة الواحدة أكثر من فائز واحد ، ولا تشعر بالارتياح كما تشعر به حينما يستأثر بالفوز شخص فذ . والجوائز التى تورع بين أكثر من فائز واحد من الأدباء والعلماء لا تثير فينا الاحساس نفسه الذى يثيره خبر استئثار العالم أو الأديب بالجائزة وحده دون منافسيه .

وقد لا تقف قابلية الشعور للانحياز عند حد العلائق الانسانية ، بل تتعداه الى عالم الجماد والطبيعة . فمنا من يسره سروراً داخلياً ، ولو فى شىء كثير من الخفوت ، لو ان جبل افرست، مثلا ، كان أشد امعانا فى العلو ، ويسره لو أن يضاف الى المسيسبى طول الى طوله والى الامزون عرض الى عرضه ! ومنا من ينتظر راغباً اليوم الذى تتضاعف فيه المدينة تقع فى غير بلاده ويضاف الى أبنيتها الضخمة اضافات جديدة مبالغة ! احساس غريب وضرب من عبث الشعور ، ولكن لا يستطيع انكاره من يحسن الاصغاء الى هجس الشعور وخفايا الحس

هذا والتاريخ فى تقديره الأشخاص يقع فى مثل ما يقع فيه الأفراد العاديون من الانحياز ومبالغة التقدير والعجز عن التجرد والاستقلال فى الحكم . ولا نخطىء اذ نزعم ان الكثير من الصور التاريخية ملونة الى أمد بعيد بما لشعور المؤرخ من قابلية الانحياز . ولو كان يتسنى لنا أن نجرد هؤلاء الابطال من اضافات الانسياق مع الشعور ، لبدت لنا صور الكثير من هؤلاء الابطال فى أطر أضيق وأضواء أخفت وألوان أقل خلابة

وهنا نحب ألا يقع فى وهم القارىء اننـا نقلل من قيمة الفروق الطبيعية بين الأفراد أو ننفيها . ان هذا لم يدر لنا بخلد قط ، انمـا الذى نعنيه ولا ينكره النظر الصحيح ان النجاح أو الفشل يضخم فى شعورنا وفى تقديرنا أيضا مسافة ما بين الناجحين والفاشلين ، فيرينا الفاشلين أدنى مما هم حقا ويرينا الناجحين أعلى ممـا هم فى الواقع ، فننسب اليهم والى كفاياتهم وحدها ما أحرزوه من نجاح ، ويندر أن ندخل عامل « المصادفة » فى حسابنا وتقديرنا

أما العلل التى تثير الشعور الى الانحياز فى مختلف المواقف ، فمنها العام الذى يفسر جميع حوادث انحياز الشعور ، ومنها الخاص الذى يفسر بعضها دون البعض الآخر

أول هذه العلل ـ فى رأينـا ـ ما هو مغروس فى النفوس من حب التركيز والمبالغة فى الصفات الانسانية المستحسنة والعالية ، ثم كرهنا للشيوع والتساوى فيها جميعاً بين الناس . فنحن مفطورون فطرة قوية على ألا نرتاح أو نطمئن إلى رؤية « الكمال » مباحاً لجميع الناس ينالون منه ويصيبون على قدر ما يشتهون ويتمنون، دون سعى مبذول أو استعداد موروث . ولا أعرف له تعليلا الا أن الانسجام المطلق أو القريب من الاطلاق مكروه بطبيعته، غير مستحب فى الطبيعة وفى الحياة . أو ليست خطة النشوء والارتقاء هى أبداً من التمـاثل الى التباين ، ومن البسيط الذي تتيسر عنده المشابهة الى المعقد الذى تتضخم عنده الفروق وتستحيل الوحدة ؟

ان هذا الميل القوى للتركيز وكره الشيوع هو الذى يهيىء للناس عبادة البطولة ، ولولا ذلك لتغلبت على النفس نزعات الأنانية وشهوة الدفاع عن النفس ، ولما تسنى للناس الاعجاب بالبطولة والعبقرية بله عبادتها وتقديسها . ولـكن لا ينسى النـاس من البطل أو القوى ما يذكرهم بصفاتهم المختزلة ، فتراهم يبالغون من ناحية ثانية فى نقد الصفات العادية التى فاتها فيهم التركيز والاربى على مستواها العادى بين جمهور الناس . ومن هنا لا تسلم لاصحاب النبوغ والعبقرية سمعتهم خالصة بريئة من التهريج والتسوىء فى بعض نواحيها . وهكذا ينتقم الناس لأنفسهم المجروحة من البطل والعبقرى ، فى حين لا يضنون عليه بالعبادة والتقديس فى ناحية صفاته المركزة البارزة

ويتعدى حب التركيز والمبالغة الصفات الانسانية الى أوصاف الطبيعة . ومن هنا اعجابنا بصفات المبالغة والتركيز فى الجبل والنهر والبحر والصحراء . ومن هنـا كانت عبادة القدماء للكثير من آيات الطبيعة على اصطلاح بينهم وبين شعورهم ، وليس من رهبة وجزع كما يريد أن يفسره الـكثير من الباحثين فى نشوء الأديان

كذلك من علل انحياز الشعور اننا نكره الوقوف طويلا موقف الشك ، ونحب ان ننتهى حالا الى حالة العلم واليقين . فاذا مضى الحال الواحد معلقاً مستبهماً أمداً طويلا دون أن يفضى الى حالة من الوضوح وتحديد الاتجاه ، وكان يهمنا قليلا أو كثيرا انحسار غموضه وانقطاع تعليقه ، حاولنا بانحياز شعورنا الى هذا الجانب أو ذاك الاحتمال ، أن تنهى أمد الشك ونقصر مداه ولو بطريق الوهم والخيال ، وهذا مضافا الى نزعة التركيز للقوى والكفايات يفسر لنا كثيرا من حوادث انحياز الشعور ، كالانحياز الذى يكون مع رهط من اللاعبين دون الرهط الآخر ، وكالانحياز الى جانب دولة محاربة دون الأخرى

وعلة أخرى ما هو مغروس فى النفوس من حب الغلب وتخطى العقبات . وهى غريزة من أقوى الغرائز الانسانية وأكثرها تلويناً للسلوك والخلق . فكل فرد من الناس له عقباته التى يسعى ويرجو أن يتغلب عليها ، وله كذلك عقباته الأخرى التى هو يائس من ازالتها وتخطيها . ويسرنا دائماً أن ننال من عقباتنا الدائمة هذه وننتقم منها لعزتنا المجروحة ولو بأن نراها مذللة لغيرنا من الناس . وهذا يفسر غبطتنا وانشراحنا عند ما نقرأ أخبار المغامرات الخطرة يقوم بها نفر من المجازفين فى مجاهل الأرض لمراغمة الطبيعة وتذليل شماسها

وبين هذه العلل فى توليد الانحيار فى الشعور ما فطرت عليه النفوس من رغبة فى ادغام ذواتها ادغام شعور بالأشياء والأشخاص . فنحن نرتاح للخطيب الذى يقف متدفقاً كالسيل لأنه يأتينا بالطريف من الأفكار ويضرب على أوتار النفوس ، ولأنه يرينا كيف يتغلب بتدفقه على عقبات الحصر والعى التى كنا نقدرها له كما نقدرها لأنفسنا . وأخيرا نرتاح لأن نجاح الخطيب واندفاعه ينسيانا أنفسنا فنشترك معه فى الشعور ونندغم به الى حد ما ، فنحس غير شاعرين كأن نجاحه نجاحنا وفشله فشلنا . ولا ندرك ذلك جيداً الا حينما تتصدى للخطيب عقبة فكرية أو لفظية ، فيخيل الينا انه صائر الى الحصر والفشل ، فنغمض العيون ونتمنى أن يغيب عنا المشهد المؤلم بأى حال من الأحوال . وتقديرنا آيات الطبيعة متأثر بميلنا الى ادغام ذواتنا بهذه الآيات ، فضلا عن حب التركيز والمبالغة ، فنحن فى مشهد الجبل الأشم أو البحر الخضم نرتاح ونسر لأن هذا البحر أو ذاك الجبل يثير فى نفوسنا معانى التركيز والعظمة ، ثم لأنه يتيح لنا بما يشدهنا عن أنفسنا أن ننسى ذواتنا فندغمها غير شاعرين به ، ولو الى حين يفيق الشعور من غفوته والخيال من سرحته

أديب عباسى

في صحارى مصر

نقد وتحليل بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد لكتابي « صحراء سينا » و « الصحراوات الثلاث » لمؤلفهما جارفس بك حاكم سيناء السابق

لصاحب هذا الكتاب الحديث « الصحراوات الثلاث » كتاب آخر أقدم منه عن صحراء سيناء طبع في اللغة الانجليزية أربع مرات ، آخرها طبعة سبتمبر من السنة الماضية

والذين يعرفون أن المؤلف رجل عسكرى انتقل من الجيش البريطانى الى الخدمة بمصلحة الحدود المصرية ، قلما ينتظرون أن يقرأوا فى كتابه السابق أو فى كتابه اللاحق شيئاً يعنيهم الاطلاع عليه غير الشؤون العسكرية الحربية أو الشؤون الادارية المدنية على أوسع احتمال ، وربما انتظروا منه بعض المعلومات التى تدخل فى نطاق عمله ولا تتجاوز فى أقصى مداها حدود الثكنة والديوان

ولكن صفحتين أو ثلاثاً يقلبها القارىء من هذا الكتاب أو من ذاك كافية لتغيير هذا الظن كله والدخول بالقارىء فى مجال للبحث والاطلاع ليس فيه من المسائل العسكرية أو الادارية الا بمقدار ما تدعو اليه الضرورة ويستطرد اليه الكلام . وما عدا ذلك فهو شتيت منظم من المعلومات الشائقة عن طبيعة الأرض وطبيعة سكانها وتاريخ من أقاموا بها قديماً وطرأوا عليها حديثاً من الشعوب البادية أو الحاضرة ، مع دراسة للآثار وإحصاء دقيق لغارات الجراد وملاحظة للنبات والحيوان ، وخبرة بأخلاق الناس وحقائق الأحاديث المروية والاخبار الشائعة يقل نظيرها فى كتب المتفرغين للكتابة فضلا عن الموظفين من رحال الحرب والادارة . وان المؤلف ليحق له أن يفخر بما عرفه عن صحراوات مصر الثلاث كما يحق له أن يفخر بما أضافه الى تاريخ سيناء من ملاحظاته القيمة واستنباطه الدقيق وفروضه الراجحة ، ولا سيما عند الكلام على بنى اسرائيل ومواطنهم القديمة فى مصر وطريقهم المختلف عليه وهم يهجرونها الى وادى التيه . فلا نعتقد أن فرضاً من الفروض التى خاض فيها المؤرخون الثقات منذ اتجه البحث العلمى الى شبه جزيرة سيناء فى منتصف القرن الماضى الى اليوم هو أحق بالعناية وأوفى بالحقيقة من كلام « الماجور جارفس » فى هذا الموضوع . وخلاصة رأيه أن بنى اسرائيل كانوا قبيلة بدوية تسكن صحراء الاقليم المعروف اليوم باقليم الشرقية وتعيش ، كما كان البدو ولا يزالون يعيشون ، على الألبان واللحوم والمراعى القريبة ،

وإن الظلم الذى حاق بهم ونفروا منه انما هو اضطرارهم الى « الشغل » اليدوى فى تحضير « اللبنات » التى تبنى بها المنازل وتحتاج الى الخلط بالتبن والهشيم مما هم فى حاجة اليه لاطعام الماشية والأنعام ، وانهم آثروا الهجرة على « الشغل » باليد كما يؤثرها كل بدوى يسام هذا السوم الى هذه الأيام ، وان البحر الذى عبروه هو البحيرة المعروفة اليوم باسم بحيرة « بردويل » تحريفاً من اسم بلدوين المشهور فى الحروب الصليبية ، وليس هو البحر الأحمر كما تواتر فى أقوال المفسرين لسفر الخروج . ويرى « الماجور جارفس » أن بنى اسرائيل عبروا قبل ارتفاع المد وطغيانه على الرمال المحصورة بين البحيرة والبحر الأبيض المتوسط ، ثم طغى المد على الجنود المصرية فغرق منها من غرق واستحال العبور بعد ذلك على المركبات الخفاف والثقال فى تلك الرمال . وأن المن هو عسل النبات المعروف بالأثل أو « الطرفاء » وقد كان منتشراً على أرض سيناء فى الزمن القديم ، وان « السلوى » هو طائر « السمان » الذى يعبر البحر ويستلقى على الشاطىء من الاعياء فى مواسم معلومة من السنة على حسب الوصف الذى جاء فى التوراة ، وهو يعزز هذه الفروض جميعا بما رآه من علمه واستنبطه أثناء رحلاته الكثيرة فى شبه الجزيرة ، ويدل على حصافة واعية ونظر سديد يليقان بالعلماء المحققين

أما كتابه الجديد عن « الصحراوات الثلاث » فهو معرض طريف لهذه الملكات الذهنية التى ظهرت فى كتابه عن سيناء ، ولكن جانب الفكاهة والخبرة الانسانية فيه اكبر وأمتع من جانب التمحيص والتاريخ ، وإن كان الذى فيه من تمحيص وتاريخ ليس بالقسط الزهيد

فنى « الصحراوات الثلاث » يتكلم المؤلف عن الجرار التى عثرت بها بعثة الامير كمال الدين فى الصحراء العربية ، ويرجح أنها من بقايا حملة قمبيز على واحة سيوة ، ويصحح رواية هيرودوت الذى يزعم أن عاصفة من الرمال غمرت جيش قمبيز بين الواحات الداخلة وواحة سيوة فاهلكته باسره وعدته نحو أربعين الفاً ، فان العاصفة الرملية لا تهلك هذه الالوف دفعة واحدة ، وإنما يرجح المؤلف انها اضلتهم الطريق فتفرقوا هائمين على وجوههم فى طلب الماء حتى بادوا وهم متفرقون

ويعرض المؤلف لأصول البدو الغربيين واخلاقهم وعيوبهم وامراضهم ومزارعهم فيأتى فى ذلك بما هو غاية التحقيق والملاحظة ، وربما كانت نوادره الفكاهية أدل من كل شىء على خبرته الانسانية بطبائع الناس وحسن تدبيره فى علاج مشاكل البدو على نمط يليق بكبار « المشايخ » المحنكين الذين توارثوا حكم البادية مئات السنين

قال فى الفصل السابع ما خلاصته بعض تصرف : انه كان معه فى الواحات الداخلة طبيب عسر المعاملة شكس الأخلاق ، وانه لفى مكتبه ذات يوم إذ جاءته شكوى اجماعية من هذا الطبيب وقع عليها جميع العمد الذين فى الواحات الداخلة وعددهم أحد عشر !! . . . قال : ولو أن عمدة واحداً أو ثلاثة عمد مجتمعين هم أصحاب الشكوى لخطر لى أن اعالجها بالمراسلة كما نعالج معظم الشكايات ،

ولكن هذا الاجماع خطير يوشك أن ينذر بالشر المستطير . فما وسعنى الا أن أتجشم السفر الطويل الى مكان الواقعة وأن الحظ من أول نظرة عندما دخل العمد الى مكتبى واحداً بعد واحد أنهم حقاً فى غيظ شديد وهياج عظيم ، فان الطبيب الغريب الاطوار قد سره أن يربى فى حديقته أحد عشر ديكا رومياً ويطلق على كل واحد منها اسم عمدة من أولئك العمد الأجلاء ! وأى اهانة اكبر من هذه الاهانة لأناس يهابهم أبناء عشائرهم وتعترف لهم الحكومة بحق الهيبة والرآسة ؟

قال : فغالبت الضحك غلابا عنيفاً لأنى رأيت أولئك الشيوخ المتفحين المهتاجين وهم يصحبون ويلوحون برقابهم وايديهم ، فلم أر فرقاً كبيراً بينهم وبين الديكة الرومية . . . . ولكن ما العمل ؟ الحكاية دقيقة والسكوت عنها مستحيل والعقوبة فيها غير منصوص عليها فى القانون . . . فبدا لى أخيراً أن افضها على وجه يناسبها ،وقلت للمشايخ الغاضبين إننى قدفهمت الآن لمادا اختار الطبيب للديكة هذه الاسماء ! ! . . . انه ولا شك قد أراد فى نيته أن يهدى كل واحد منكم الديك الذى يحمل عنوانه ، نخذوها الآن واحتفلوا بها فى العيد المقبل أحسن احتفال . . . هات الشيخ حسن للشيخ حسن ، وهات الشيخ علوان للشيخ علوان . . . . وهكذا ظفر كل عمدة بديك ولم يأسف على ختام القصة بتلك الخاتمة إلا الطبيب . . . وهو الملوم بما جنى على نفسه ! !

هذه الروح الفكاهية هى المزيج الذى ينضح به كل موضوع من موضوعات الكتاب بلا استثناء ، دراسة علمية أو بحث تاريخى أو نادرة شخصية أو رأى فى الحكومة وسياسة الرعية

وهذه الروح الفكاهية هى المزيج الذى تمتزج به طبيعة الرجل فتساعده أطيب مساعدة على تناول الأمور برحابة الصدر وحسن التصرف وسماحة الفكر التى لا غنى عنها فى سياسة الشعوب عامة وسياسة الشعوب الغريبة خاصة وسياسة القبائل البدوية على الأخص بين جميع الرعايا المحكومة

بل هذه الروح الفكاهية وما تفطن له من المواقف المضحكة هى التى غلبته فجعلته يحكى المضحكات عن نفسه كما يحكيها عن غيره ، وساقته الى أحاديث واعترافات عن الادارة الانجليزية قلما يساق اليها أحد من طبقة الموظفين الانجليز

قال فى الفصل الرابع : « إن كل الصعوبة فى استضافة هنتر باشا بالمنزل أن خادمه الذى كان طاهياً له فى الأصل وكان يلازمه حيث حل أو ارتحل قد ترقى على يديه الى رتبة اليوزباشى واصبح يدعى الكابتن حسن ! . . . فما كان أحدنا ليدرى مادا هو صانع وهو يرى أمامه ضابطا صحيحاً بجلالة قدره يهيىء الحمام أو يحمل حذاء سيده فى الدهليز ، ولقد حير الخدم فوق ما حيرنا ، ما عساهم أن يصنعوه حين يعبرون بالكابتن وهو يكوى ملابس مولاه : هل يمضون فى سبيلهم أو يقفون وقفة التعظيم ويؤدون التحية والتسليم ؟ ! وربما كانت الحيرة اعظم من جانب الكابتن حسن فى هذه الحالة . . . . لأن الانسان لا يستطيع أن يجيب التحية حق الاجابة وفى يده مكواة كهربائية أو فرشاة سوداء ! »

هذه مهزلة لا أذكر أنني قرأت لها نظيراً في وقائع العصر الحاضر إلا تلك التي يروونها ولا ندري مبلغها من الصحة عن السيد القديم وخادمه الضابط الحديث في بعض الامارات البلطيقية التي تعاقبت فيها الثورات وانقلبت فيها الأوضاع فهان السادة وارتفع الاتباع ، واتفق أن خادما ارتقى الى مراتب القيادة وسيده القديم لا يزال في صفوف الجند الصغار ، فاصطلحا على أن يطيع الجندي ضابطه أمام الناس وأن يذكر الضابط لجنديه حق السيادة السابقة في بعض الايام ، فيمثل بين يديه ويحييه ويمسح حذاءه وينصرف بسلام

غير أن التفاوت مع ذلك جد بعيد بين قائد يكافىء خادمه بمناصب الجيش على الاجادة في طهى الطعام وبين ضابط يتخلى عن مزايا منصبه طوعا لشعور الوفاء . . . وانما هو حكم « القافية » لا غيره كما يقول أبناء البلد عندنا هو الذي سخر الماحور « جارفس » الى الافضاء بهذه الحقيقة عن الادارة الانجليزية في ناحية من أولى النواحي أن تصان عن مثل ذلك الابتذال

* * *

وقد ألم المؤلف بقصة المغامر الانجليزي « لورنس » لكثرة ما سأله الناس عنه وعن غزوته العربية ، فقال إنه لم يلق « لورنس » في حياته الا حوالي خمس دقائق ، ولم يشترك قط في الغزوة العربية لاقتصار خدمته على ميدان فلسطين ، بيد أنه وصفه بالرجل العظيم وعزا اليه الفضل الاكبر في نجاح الثورة العربية ، وهو ما نحسبه من مبالغات الشيوع والتواتر ونعده من أساطير العصر الحاضر التي لا يقوم عليها دليل . فان الثابت باجماع الروايات أن الثورة العربية بدأت قبل أن يغامر فيها لورنس مع المغامرين ، وأن الملك فيصلا هو الذي كان يدعو القبائل ويوزع عليها الأموال والغنائم ، وأن لورنس لم يكن يعرف اللغة العربية معرفة قراءة وكتابة ولا كان يجيد لفظها الى الدرجة التي تخدع البدو عن حقيقته الانجليزية كما يزعم بعض المولعين بالغرائب والأعاجيب ، ولم يصنع شيئاً واحداً كان يصعب انجازه بغير وجوده من بداية الثورة الى احتلال دمشق وقيام الحكومة الموقوتة بعد هزيمة الأتراك . فالخرافة في أمره اكبر من الواقع والتحقيق في أحاديثه ومغامراته أقل من الاعراب والشيوع

* * *

قال اللورد حورج لويد يقرظ كتاب الصحراوات الثلاث : « انني لم أقرأ منذ أن ظهر كتاب اللورد ادوارد سسل الموسوم بصفحات من ساعات الفراغ كتاباً اجتمعت فيه المعرفة والحكمة والضحك هذا الاجتماع السعيد »

ونعتقد نحن ان اللورد لويد قد أصاب هذه المرة فيما قال

عباس محمود العقاد

كان الناس قديماً يهاجرون طلباً للرزق أو فراراً من قسوة الطبيعة .
أما الشعب المصرى فهو أول من هاجر بقصد نشر العلم والحضارة ـ
الاسبان والانجليز أكثر الشعوب هجرة وأمريكا أكثر البلاد
اجتذاباً للمهاجرين ـ الاخطار التى تخشاها الحكومات من هجرة الأجانب

هجرة الشعوب

وهل هى من عوامل السلم أو من بواعث الحرب ؟

لم يوفق علماء الاجتماع حتى الآن الى تعيين المكان الذى ظهر فيه الانسان الأول على وجه الأرض . والارجح أنهم لن يوفقوا الى ذلك لأن قرائن كثيرة تدل على أنه ليس فى العالم مكان يصح اعتباره مهد الانسان الأول . فقد ظهر هذا الانسان فى جهات شتى فتناسل فى بيئات مختلفة هى سبب ما نراه الآن من التفاوت بين الاجناس . وبعبارة أخرى ـ أن سواد العلماء يعتقدون أن البشر ليسوا جميعهم أولاد أب واحد وأم واحدة ، بل هم سلالات أروم مختلفة ظهرت فى انحاء شتى وكانت على درجات متفاوتة من النشوء . وليس فى هذا الرأى ما يناقص العقيدة الدينية التى جاءت بها الكتب المنزلة والتى ترجع البشر كلهم الى أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء ، فعلم النشوء يرجع الاروم كلها الى أصل واحد مشترك

الهجرة فى العصور القديمة

كانت الكرة الارضية فى فجر الاجتماع قليلة السكان شحيحة موارد الرزق لأن الانسان لم يكن قد تعلم الزراعة والصناعة ولا عرف كيف يستغل موارد الطعام . وكان يعتمد فى الغالب على صيد الاسماك والطيور وقنص الحيوانات ليقتات بها نيئة أو ناضجة . وفى احوال كثيرة كان يضطر الى النزوح من مكان الى مكان طلباً للقوت أو اتباعا للحيوانات والطيور التى كانت ولا تزال تنزح فى مختلف المناطق تبعاً للاحوال الجوية وطلباً للغذاء

وكان البشر فى أوائل عهد الاجتماع كلما تكاثروا شعروا بنقص موارد الرزق وعجزها عن امدادهم بكفايتهم من الطعام . فكان هذا هو الحافز الأول لهم على الهجرة من مكان الى مكان ، ولكنه لم يكن الحافز الوحيد فان الأحوال الجوية والكوارث الطبيعية كالزلازل والطوفانات والأوبئة والمجاعات كانت هى أيضاً تدفع الجماعات البشرية الى المهاجرة والبحث عن أوطان جديدة. ولم تكن هذه الجماعات تطيل اقامتها الا حيث تضمن اتصال أسباب الرزق واستمرارها

والدلائل متوافرة على أن الهجرة كثرت فى العصر الجليدى . فكان البشر يومئذ يقصدون الى المناطق التى ينحسر عنها الجليد ، وكلما أسوا من احدى المناطق اعتدالا فى الاحوال الجوية شدوا اليهـا الرحال ، ويؤكد علماء الجيولوجيا أن المناطق الحارة والاستوائية ــ حيث تقع اليوم صحراء أفريقيا الكبرى ــ كانت من أخصب بقاع العالم وأزهرها . وقد ظهرت فيها حضارة فطرية لم تكن على شىء من الرقى ، ولذلك درست وعفت آثارها . والدليل على ذلك ما عثر عليه العلماء من أدوات حجرية وعظمية مطمورة في طبقات عميقة من الأرض فى الانحاء التى انتشرت فيها تلك الحضارة، وانك لتجد اليوم فى انحاء كثيرة من العالم مجاهل مهجورة لا يسكنها البشر ، ولكن فى طبقاتها الجيولوجية أدوات حجرية وعظمية مما كان يستعمله الانســان الاول ، وهذا دليل على أن تلك المجاهل كانت موطن جماعات من البشر هلكت بفعل العوامل الجوية والكوارث الطبيعية

ويقول الاستاذ بترسون من علماء الألمان إن الكوارث الطبيعية التى تدفع البشر الى الهجرة تقع مرة كل ألفى سنة أو اقل ، ويستشهد على صحة ذلك بشواهد وقرائن ووقائع تاريخية لا يتسع لها هذا المجال . فقد وقعت كوارث منذ نحو سبعة آلاف سنة دفعت شعوب اوربا الشمالية الى النزوح من بلاد السكندناف ومن سواحل البلطيق الى أواسط اوربا . وتكرر ذلك ثلاث مرات فى فترات تبلغ كل منها نحو الفى سنة أو اقل . على أن الهجرة على نطاق صغير تكررت وما تزال تتكرر فى فترات غير محدودة ، ومن اشهرها هجرة الهكسوس أو الحيثيين الى مصر ، وهجرة العشائر الساميــة الى ما بين النهرين ، وهجرة القوط والمغول من الشرق الى الغرب ، وهجرة الفيكنج من الشمال . والمعروف أن الهكسوس نزحوا الى مصر بقضهم وقضيضهم وانهم هم الذين ادخلوا الخيل الى مصر . ولا شك أن القحط هو الذى دفعهم الى هذه البلاد كما دفع العبرانيين أيضاً اليها فى زمن يوسف الصديق . وفي هذا دليل على صحة ما يذهب اليه علماء الاجتماع من أن الحضارة إنما تقوم وتسقط بكثرة موارد العيش ونضوبها

وقد كان الحصان في مقدمة الحيوانات التى استعان بها الانســان على الهجرة والغزو . فقد استخدمه الاقدمون لحمل الاثقال وجرها . وكان الهكسوس عندما غزوا مصر يستخدمون الخيل لجر مركباتهم الحربية

ويقول اليوت سميث أن اول شعب نزح من بلاده بقصد نشر العلم والحضارة ــ لا طلباً للرزق أو فراراً من العوامل الطبيعية ــ هو الشعب المصرى . وفى الحقيقة أن عدة فنون وصناعات وعقائد دينية وعلمية نشأت في مصر وحملها النوتية المصريون الى أنحاء مختلفة من العالم المعروف يومئذ . وبمرور الزمن وصلت الى ما وراء بحر الظلمات ــ الى العالم الجديد ــ عن طرق ليس هــذا مجال الكلام عليها . ولم يظهر العالم ما اظهره قدماء المصريين من الرغبة فى الهجرة بقصد نشر الحضارة الا بعد ظهور الديانة المسيحية ونشوء البعثات التبشيرية . على أن ظهور هذه البعثات لا يعنى أن

أغراض الهجرة انقلبت من طلب الرزق الى نشر الحضارة . فسيظل طلب الرزق الى ما شاء الله اقوى العوامل التى تدفع الانسان الى الهجرة والنزوح عن الأوطان

الهجرة فى العصور الحديثة

بدأ عصر الهجرة الجديد بظهور الاكتشافات الجغرافية التى اماطت اللثام عن قارات ومجاهل كثيرة تحتوى على موارد طبيعية لا تنضب . وكان المهاجرون فى اول الأمر مدفوعين بحب المجازفة والطمع فى البحث عن مناجم الذهب . ففى اوائل القرن السادس عشر أخذ الناس ينزحون من العالم القديم (أى من آسيا واوربا وافريقيا) الى العالم الحديد (أى امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية) وكان البرتوغاليون والاسبان فى طليعة أولئك المهاجرين وقد انشأوا لهم فى امريكا الجنوبية مستعمرات لا تزال مأهولة الى هذا اليوم عامرة بالسكان . وفى السجلات التاريخية الموثوق بها أن عدد الاسبان الذين نزحوا الى العالم الجديد من اوائل القرن السادس عشر الى اوائل الثلث الأخير منه بلغ مائة الف نفس . اما الانجليز - وهم اكثر شعوب الارض ميلا الى المهاجرة - فلم ينزحوا الى العالم الحديد الا فى اوائل القرن السابع عشر ، وعقبهم الفرنسيون على الاثر . وكانت اول بلاد نزحوا اليها كندا . قيل انه بلغ عددهم في سنة ١٦٦٤ نحو ٢٥٠٠ نفس فلما انتصر عليهم الانجليز وانتزعوا منهم كندا فى سنة ١٧٦٠ كان عددهم فى تلك البلاد يجاوز مائة الف

ولا شك أن الولايات المتحدة هى أعظم البلاد التى احتذبت اليها المهاجرين فى العصور الحديثة . وغنى عن البيان أن هذه البلاد كانت فى أول الامر مستعمرة بريطانية . وكان عدد سكانها فى سنة ١٧٩٠ أربعة ملايين معظمهم من الانجليز . ووصل هذا العدد فى سنة ١٩٢٦ الى مائة وخمسة من الملايين عدا الزنوج والهنود ، ولا يعرف عددهم بوجه التحقيق . ولا شك أن سيل المهاجرة الذى تدفق على تلك البلاد فى خلال القرن الماضى هو سبب الزيادة العظيمة فى السكان ، وهذه المهاجرة السلمية هي اعظم حادث من نوعه فى تاريخ الاجتماع

ولم يكن مجموع عدد المهاجرين الى تلك البلاد منذ نالت استقلالها الى سنة ١٨٢٠ يزيد على ربع مليون ، ولكنه زاد فى خلال القرن الذى عقب ذلك زيادة عظيمة حتى بلغ سبعة وثلاثين مليونا من الانفس منهم اثنان وثلاثون مليوناً من الأوربيين والباقون من شعوب مختلفة . وفى خلال الحرب الاهلية الاميركية ضعف سيل المهاجرة ثم عاد فاشتد، وأخذ الاوربيون والشرقيون يتقاطرون الى تلك البلاد بكثرة أقلقت بال المفكرين من الامريكيين . ولعل أعظم عدد من المهاجرين نزح الى تلك البلاد فى سنة واحدة هو عدد الذين نزحوا في سنة ١٩٠٧ وقد بلغ ما يزيد على المليون وربع المليون من الانفس

وفى الجدول التالى بيان أجناس أولئك المهاجرين ونسبة بعضهم الى بعض فى كل عقد من السنين من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٩١٠ :

الجنسية	١٨٦١-١٨٧٠	١٨٨١-١٨٩٠	١٨٩١-١٩٠٠	١٩٠١-١٩١٠
نمسويون	٠ر٣٣	٦ر٧	١٦ر٠	٢٤ر٤
ايطاليون	٠ر٥١	٥ر٩	١٧ر٧	٢٣ر٣
روس	٠ر١٠	٤ر٠	١٣ر٩	١٨ر٠
انجليز	٤٤ر٩٠	٢٨ر٠	١٧ر٩	٩ر٨
الماں	٣٤ر٠٠	٢٧ر٨	١٤ر٠	٣ر٩
سكندناف	٥ر٤٠	١٢ر٥	١٠ر٠	٥ر٧

وقد كان أكثر المهاجرين حتى سنة ١٨٨٠ من شعوب اوربا الشمالية والغربية ، ولكنهم جاءوا بعد ذلك من اوربا الشرقية والجنوبية . وكان سيل المهاجرة قبل سنة ١٩١٧ طليقا من كل قيد فيما يتعلق بالجنس الابيض ، فكان يؤذن لكل من هب ودب من أفراد هذا الجنس فى دخول الولايات المتحدة الا الذين حظر دخولهم بمقتضى قانون سنة ١٨٨٢ وهو القانون الذى يحرم دخول المجرمين والمعدمين والمرضى المزمنين وضعاف العقول والاجسام . وكان الداعى الى سنه الخوف على مستقبل الشعب الاميركى . وفى سنة ١٩١٧ سن قانون آخر يحرم دخول الاميين (ماعدا الاطفال والصغار) ثم سنت بعد ذلك قوانين أخرى متعددة كان الغرض منها تقييد الهجرة بقيود شديدة

الدول ومشكلة الهجرة

ترى ما هى الاخطار التى تخشاها الحكومات من مهاجرة الاجانب اليها ؟ هى كثيرة اهمها أربعة :

(الاول) منافسة المهاجرين لسكان البلاد التى ينزحون اليها ، ولاسيما اذا كانت مزدحمة بالسكان كما هى الحال فى اكثر بلاد اوربا فقد ازدحمت بأهاليها حتى ضاقت بهم أبواب الرزق . فاذا أبيح للاجانب أن يهاجروا اليها زاد الطين بلة وتفشت البطالة ، وفى ذلك ما فيه من الخطر الاجتماعى

(الثانى) الخوف من أن يكون المهاجرون من الافاقين والمجرمين الذين قد لفظتهم بلادهم ونبذهم أهل وطنهم . أمثال هؤلاء هم عالة على كل قطر ينزلونه وعلى كل شعب يحلون بينه . وليس من المعقول أن تقبلهم أية حكومة على الرحب والسعة فتزداد بهم عوامل الشر ويكثر العنصر الضار فى البلاد التى ينزحون اليها

(الثالث) التجسس وهو من أعظم الأخطار التى تهدد كل قطر من ناحية الأشخاص الذين يهاجرون اليه . وقد تنبهت الحكومات الى هذا الخطر منذ عهد بعيد ولكنها لم تفلح فى تلافيه ، لأن الجواسيس يلجأون الى حيل وأساليب لا تقع تحت حصر ، وهم يستطيعون أن يكتموا هويتهم بكل سهولة . وكثيراً ما تمدهم حكوماتهم بما يحتاجون اليه من معونة مالية وأدبية

(الرابع) على أن أعظم الأخطار التى تهدد البلاد التى يكثر نزوح الاجانب اليها هو امتزاج

هؤلاء بالوطنيين الأصليين بقصد تحويل ميولهم وعواطفهم الى ناحية حكومة البلاد التى نزحوا منها . وهذا هو سبب المشاكل السياسية الناشئة عن مسألة الالزاس واللورين ومسألة سيليزيا ومسألة دانزيج ومسائل البلقان، بل عن معضلات معظم الدول الحاضرة . فقد امتزجت العناصر فى معظم تلك الاقطار وتدخل بعضها فى بعض حتى صار السكان فريقين يختلفان فى ميولهما وعواطفهما وصار يصعب معرفة القلة والكثرة ومن أى العناصر تتألف كل منهما

خذ الالزاس واللورين مثلا ، وقد كانتا ولا تزالان سبب نزاع دائم بين الألمان والفرنسيين ، فان كلا من الفريقين يدعى انهما ملكه وأنه أحق بهما من غريمه . وسيبقى هذا النزاع الى ما شاء الله ما دام شعب الالزاس واللورين مؤلفاً من عنصرين هما العنصر الالمانى والعنصر الفرنسى . ولقد جر هذا الخلاف الى حروب كثيرة ، سببها اختلاط عنصرين مختلفين فى بلاد واحدة

ومن دواعى الأسف أنك اذا أجلت طرفك فى بلاد العالم المختلفة لم تجد بينها بقعة واحدة — مهما صغر شأنها — الا وقد امتزجت فيها الأجناس واختلط الاجنبى بالوطنى بفضل نظام الهجرة. ولعل الولايات المتحدة هى أقرب بلاد العالم الى برج بابل ، ففيها شعوب من جميع أنحاء العالم . وقد ظهر الخطر من هذا المزيج هنالك فى الحرب العظمى الماضية . فقد بذل الاميركيون الذين هم من أصل المانى جهود الجبابرة لمنع الولايات المتحدة من الانضمام الى دول الحلفاء . بل حاولوا ايقاد نار الفتنة واثارة الاضطرابات فى طول البلاد وعرضها لعرقلة جهود الحكومة ومنع معونتها عن الحلفاء . ولولا يقظة الحكومة ويقظة الحلفاء لكان الخطر شديداً

ولكن ليس من الانصاف فى شىء أن نجرد المهاجرة من كل فائدة . فان لها منافع لا تقل عما لها من أضرار ، إذ قد أثبت الاختبار ان البلاد التى تفتح أبوابها للاجانب — اذا كانوا من عنصر طيب — تستفيد من الامتزاج بهم إذ تقتبس منهم ماهو ذو نفع أدبى وما يساعدها على التقدم والرقى . أما البلاد التى توصد أبوابها فى وجه الاجنبى — كما كانت الصين واليابان تفعلان حتى عهد قريب — فتظل كالمياه الآسنة لا تتصل بغيرها من الانهر ولا علاقة بينها وبين البحر

ولا شك أن مشكلة الهجرة ستظل معضلة معقدة ، بل سيزيدها الزمن تعقيداً . لأن أساليب الانتقال الحديثة تقرب المسافات وتختصر الابعاد وتسهل على الناس الانتقال من مكان الى مكان والامتزاج بغيرهم من الشعوب . على ان الدول متيقظة لما قد ينشأ عن نظم الانتقال الحديثة من مساوىء وأخطار . ولذلك تراها تتشدد فيما تصعه من القيود لمنع الذين يريدون المهاجرة اليها

ومن ثمة يتضح لنا سبب رغبة الدول فى اقتناء المستعمرات لينصرف اليها من يزيد من شعوبها . على ان مشكلة اقتناء المستعمرات لا تقل عن مشكلة المهاجرة تعقيداً

نزوة هوى

للروائى الروسى : الـكسندر كوبرين

كانت لجج من الأنوار من ثريات ثلاث محلاة بقطع مدلاة من البلور الموشور تفيض على قاعة التمثيل فى دار الجامعة . وكان المسرح مزدانا بالاعلام والسعف والأفنان المورقة ، وفى الصدر منه معزف كبير متلألىء الصقال مفتوح أعلاه . وكانت القاعة تبدو للعيان مزدحمة كل الازدحام ، ومع ذلك فان الخلق ما برحوا يتدفقون من الأبواب زرافات . وإن المرء ليسدر طرفه وهو ينظر إلى هذه الجموع الحاشدة ، من رءوس صلعاء ، وشعور مسترسلة فرعاء ، والسترات الرسمية السوداء المذيلة ، والبدلات العسكرية ، وأثواب السيدات الزاهية ، ومراوح فاخرة تتحرك فى لطف ووناء فى أكف رقيقة مصونة فى قفازاتها البيضاء ، وحركات مستوفزة ... وابتسامات غزلة خنثة لاهية

وإذا بمغن وسيم ، عليه سيماء الاعتزاز بالنفس ، وإن شئت فقل الخيلاء ، يرقى الى المسرح ويخطو الى مقدمه ، وهو لابس سترة سوداء مذيلة وفى صدره زهرة كبيرة متفتحة . وتبعه العازف المصاحب فى إثره غير ملحوظ كأنه الشبح . وخيم السكون على القاعة . غير أن عدداً من الطلاب المتطرفين المتعطرفين يحملون الشارات على صدور ستراتهم ، وهم لجنة التنظيم كما هو جلى ظاهر ، كانوا فى الغرفة الخارجية المتخذة لايداع المعاطف منهمكين يلغطون فى قلق وصبر نافد . فهم على لهف ينتظرون مقدم هنريت ديكروا المغنية الأولى للاوبرا الباريسية وقد نزلت على المدينة للغناء فى هذا الموسم من الشتاء . ومع أنها لاقت وفد الطلاب لقاء جميلا مأنوس البشاشة وأكدت لهم أنها تعتبر الغناء فى حفلتهم شرفا عظيما لها ، فقد حان الدور الذى كان مقرراً ظهورها فيه ولم تحضر بعد . فهل تراها تخلت عنهم ؟ هذا هو الخاطر القلق المكتوم الذى دار فى أخلاد أعضاء لجنة الاحتفال وهم فى الغرفة الخارجية يكادون من البرد يجمدون . وقد ظلوا يترددون إلى النافذة يلصقون وجوههم الى زجاجها ويحدقون فى ظلمة هذه الليلة الشاتية

وطرقت الأسماع قرقعة عجلة تدرج مقتربة ، والتمع من النافذة مصباحاها الـكبيران فهرولت اللجنة الى الباب يتصادمون ويتدافعون . إنها بعينها « ديكروا » الفريدة . وتضوع منها فى الغرفة المعدة لخلع المعاطف نسيم عبق . وابتسمت للطلاب وأومأت باشارة معنوية الى حنجرتها الملفوفة بفراء السمور الثمين . وهى ترمى باشارتها الى أنها تريد الابانة عن السبب فى تأخرها ، ولـكنها لا تستطيع فتح فمها بالـكلام لشدة الزمهرير بالغرفة وخشيتها الاصابة بالبرد

وكان دور « ديكروا » فات من مدة ، والناس الذين خيبت شوقهم اليها قد قطعوا الرجاء من

انتظارها ، لجاء ظهورها على المسرح مفاجأة غمرتهم ، فانطلقت مئات الحناجر الفتية وضعف عددها من الأكف القوية، بتحيتها تحية طويلة يصم دويها الآذان ، حتى انها ـ وهى التى الفت عبادة الجمهور لها ـ شعرت بلذة مفززة من هذا الاطراء

ووقفت على المسرح ، وانحنت الى الأمام انحناءة خفيفة وتصفحت عيناها السوداوان الضحوكان الصفوف الأولى من المتفرجين . وكانت لابسة ثوبا من الأطلس الحريرى أبيض لامعاً ، وكان الصدار مناطاً الى كتفيها بشريط دقيق ويبدو منه ذراعان بديعتان وينم على صدر مشرئب ناهد وتطول فتحته فيكشف عن نحر باذخ ناصع كانما هو منحوت من رخام حار

وهدأ التصفيق مرات عدة ، ولكنها كانت لا تكاد تدنو من المعرف حتى تتجدد موجة الحماسة فتردها الى صدر المسرح لرد التحية . وفى آخر الأمر أبدت حركة احتجاج ورجاء ، وابتسمت ابتسامة ساحرة وأقبلت على المعزف . وحمت الهتاف والتصفيق شيئا فشيئا ، وشخصت اليها القاعة كلها أنظارها متيمة بها مفتونة . وخيم السكون كأعمق ما يكون ، ولكنه سكون الاصغاء الحى ، وفى وسطه انبعثت طلائع نبرات من لحن شجى من وضع سان ساس

ووقف « الكساى صاميلوف » وهو طالب طب فى السنة الثانية على مقربة من المسرح مستنداً الى عمود من الأعمدة وهو يصغى الى الغناء وقد أطبق جفنيه نصف اطباق . وكان كلفه بالموسيقى عجيباً عميقا يكاد يكون مرضا ، فليس يسمعها باذنه وحدها بل يحسها بكل أعصابه ، وبكل نسيج من أنسجة كيانه . وكان جرس هذا الصوت الجميل ينفذ الى أعماق نفسه ويرتد رجفة حلوة تشيع فى سائر بدنه ، حتى ليخيل اليه من آونة لأخرى أن الصوت يغنى من داخله هو وفى صميم قلبه

وكان ما يشفعون به كل استعادة من التهليل والتصفيق يؤذيه ويعروه منه شبه ألم جسدى . وينظر الى جمهرة السامعين نظرة المرتاع المحتج الراجى

واستهلت ديكروا لحنا آخر جديداً . فعاد الكساى يسبل جفنيه ويستسلم لأمواج هذا الصوت اللالاء . وتمنى فى لهف لو أن هذا الغناء يستمر أبداً

ولقد اضطروها الى ترديد الغناء مرات ومرات ، ولم يسمحوا لها بمزايلة المسرح حتى أشارت الى حنجرتها وابتسمت لهم ابتسامتها الحلوة وهزت رأسها فى احتجاج واعتذار . وأصعد صاميلوف زفرة عميقة متقطعة كانما استيقظ فى الـو واللحظة من حلم جميل تراءى له فى اليقظة

وعند هبوطه الدرج أحس فجأة بمن يلمس كتفه ، فالتفت فرأى بيير طالب الفقه وزميله الأسبق في المدرسة ، وهو نجل مثر مشهور من أصحاب الملايين ، وكان بيير متهللا تغلب عليه نشوة السعادة ، فطوق خصر صاميلوف ، وضمه اليه فى مودة ، وهمس فى أذنه : « انها رضيت . وستكون العربات هنا بعد دقائق معدودات »

فتساءل صاميلوف : « من التى رضيت ؟ »

— هى ... ديكروا ... لقد أوصينا باعداد عشاء فى المطعم الأوربى .. انها رفضت فى بادىء الأمر ... ولكنها بعد قليل لانت ... والعصبة كلها ستكون هناك... ستأتى طبعاً ،أليس كذلك ؟

— أنا ؟ ... كلا . لست على الذهاب حريصا

ولم يكن صامبلوف من زمرة بيير التى تجمع الشباب الذهبى فى الجامعة ، وأعنى بهم أنجال كبار الملاك وأصحاب المصارف والتجار . وبيير يعلم هذا حق العلم ولكنه كان مأخوذاً بهزة من التيه والأريحية بحيث أحب أن يشمل بعطفه كل انسان . فاحتج على رفض صاميلوف :

— أوه ! تعال ، دع هذا اللغو ، لا بد من ذهابك ... ما هى أوجه اعتراضك ؟

فتهانف صاميلوف مرتبكا وقال :

— أنت ترى ... أجل ، أنت تعلم ... إنى

— أوه . لا عليك ! ... ننثى عن التفاصيل فيما بعد ... والآن يارميلى القديم ، أنت معنا...

وفى هذه الأثناء وفدت العربات . . . وكانت الجياد تصهل وتنغض رأسها فتجلجل الأجراس حول أعناقها جلجلة مفرحة . واستقل الطلاب العربات حابلهم ونابلهم وانبعثت أصواتهم فى هواء الليل المصقع صريراً ضابحاً مجهودا . وجلس صاميلوف الى جانب بيير . وكان لا يزال فى غمرة تأثره بالموسيقى ، وذهنه مستغرق فى سبحات من الأحلام محببة ، بينما كانت العربات تتسابق فى الشوارع الخالية المهجورة . وكان عزيف الريح وتوقيع سنابك الخيل على الثلوج . . . وتداعى الطلاب وجلجلة الأجراس المستمرة ـ كل هذه كانت تمتزج فى انسجام بديع . . . وثمة كانت تمر بصاحبنا لحظات لا يعى فيها ، أو ينسى فيها ما يجرى له وأين يمضون به

وعلى مائدة العشاء تحلق الطلاب حول المغنية الحسناء . وظلوا ينحون على يديها لثما ويزجون اليها عبارات ثناء جريئة فى لغة فرنسية رديئة . وكانت وهى بادية النحر فتانة المحاسر أفعل بألبابهم من الشمبانيا . . . وقد التمعت عيونهم بالرغبة أجمل التماع . . . وهى تحاول الاجابة على كلامهم فى نفس واحد . . . وتكركر ضاحكة وقد استلقت برأسها على الأريكة المكسوة بالأطلس .. وتقرع منادميها وخطاب ودها بمروحتها قرعا لطيفاً . . .

وكان صاميلوف غير متعود الشرب . . فكان للقدحين اللذين شربهما سورة فى رأسه . فجلس فى ركن ليحجب عن عينيه نور الثريات الساطع وهو يرمق ديكروا بلحاظ مفتونة . وكان فى نفسه يعجب من تهجم رفاقه واجترائهم على رفع الكلفة الى هذا الحد مع المغنية العظيمة . . . وهو فى الوقت نفسه ممتعض حاسد . . وإن شئت فقل غيران . . .

وصاميلوف ذو حفر بطبعه . وقد زاده استحياء على استحياء نشوؤه فى أسرة دمثة الطباع شديدة الحفاظ . وكان خلانه يسمونه « الهائم » لحيائه . وهو فى الواقع ومن وجوه عدة به سذاجة الاطفال وغرارتهم ، وفيه طهر نادر فى تفكيره وشعوره . .

وتساءلت ديكروا وهي تشير الى ألكسيا : « من هذا السيد هنالك فى الركن ؟ لكأنه خائف منا ، كالفأر . . لعلّ السيد شاعر . . » وصاحت المغنية : « اسمع يا حضرة الشاعر . . تعال ! »

فدنا صاميلوف وهو بادى الارتباك ، ووقف أمام المغنية . . وأحس فورة الدم فى وجنتيه

— يا لله ! ان شاعركم وسيم حقاً ! .

وضحكت ديكروا ، وأردفت : « ما أشبهه بالآنسة المعلمة فى مدرسة عليا . . وايم الحق ! انه ليحمر من الخجل . . ما أجمل ذلك ! »

وتطلعت تستمتع حق الاستمتاع بالنظر الى هذا الماثل أمامها بقامته المعتدلة المشطبة اللدنة . . . وطلعته الواضحة الموردة وقد خط فيها عذار خفيف . . وشعره الذهبى الناعم متهدل على جبينه . .

وعلى فجأة أمسكت المغنية بيده وأجبرته على الجلوس الى جانبها على الأريكة . وقالت بلهجتها الباريسية!

— لماذا كنت راغباً عن الجلوس الى ؟ أنت شديد الكبرياء .. أتنتظر من امرأة أن تفاتحك ؟

فظل ألكساى أبكم . وانبرى أحد الطلاب ولم يكن قد رآه قط فى زمرتهم يقول فى خبث : « سيدتى — ان زميلنا لا يفهم الفرنسية »

فوقعت الكلمة من ألكساى وقع السوط . فالتفت بحدة وحدق فى المتكلم وأجاب باقتضاب ولكن بلهجة فرنسية فصحى ، بالفرنسية التى كانت فى وقت من الاوقات فخر العلية الروس ولما تزل كذلك فى بعض الاسر . . « لا ضرورة مطلقاً يا مسيو لأن تتكلم عنى وعلى الاخص أنى لم أتشرف بمعرفتك . »

فهتفت المغنية : « مرحى ! مرحى » دون أن تفلت يده « وما اسمك يا شاعرى ؟ »

وكان صاميلوف قد هدأت ثائرته ، فعاوده الحياء وعلت وجهه حمرة الخجل وهو يجيب :

— ألكساى — ماذا ؟ ماذا ؟ . . أ

فأعاد صاميلوف الاسم

— أوه ، هو ما يقابل عندنا ألكسيس ، حسناً يا مسيو ألكسيس . وعقابا لك على ابتعادك سيكون عليك أن تصحبنى حتى مسكنى . انى فى حاجة الى نزهة . . والا أصبحت غداً وبى صداع

ووقفت بهما العربة بازاء فندق فاخر فى المرتبة الأولى من الفنادق . وساعدها صاميلوف على النزول وهم بالاستئذان منها . فنظرت اليه وعلى محياها سيماء حنو يسبى القلب ويغوى اللب وقالت له : « ألا ترى مقصورتى الصغيرة ؟ »

فتمتم منفعل الاعصاب : « إنى أ كون . . . سعيداً . . . جداً ، ولكنى أخشى . . . أن الوقت جد متأخر . . . . »

فقالت : « تعال . أريد أن يكون عقابى لك تاما . . . . »

وبينما كانت تبدل ثيابها تطلع حوله الى الغرفة ، فألفاها خلعت على هذا المسكن العادى اناقة

رشيقة خليعة لا تحسنها إلا باريسية . وكان الجو عاطراً بعبير رقيق مما آنسه أول ما آنسه حين جلس الى جنبها فى العربة

وعادت متوشحة فى مفضلة بيضاء فضفاصة مشبوكة بمشابك دهبية . وجلست الى أريكة شرقية منحفضة وهى تلملم ثنايا حلبابها حول قدميها.ودعت ألكساى بحركة آمرة الى الجلوس بجانبها فأطاع :

— اقترب منى . اقترب . . . اقترب اكثر من ذلك . . هكذا ! وبعد فلنتسار قليلا ياممسيو الكساى . أولا ، من أين لك هذا التمكن من اللغة الفرسية ؟ انك تفصح عن نفسك بفصاحة مركيز

فقال صاميلوف إنه كانت له مربية فرنسية منذ نعومة أظفاره ، وأنهم فى أسرته يتكلمون أكثر ما يتكلمون بالفرسية

ثم جعلت تنحى عليه بالسؤال فى إثر السؤال عن أهله ودراساته وأصحابه . . دون أن تدع له الوقت للاجابة على سؤال واحد . وفجأة وفى صوت خفيض رخيم سألته :

— قل لى . . . ألم تحب امرأة قط ؟ . . .

— نعم ... حين كنت فى الرابعة عشرة أحببت ابنة عمى ...

— شرفك ؟ — بشرفى

— ولم تعلق بامرأة قط ... أية علاقة ... ؟

فأدرك المعى . وعبثت أصابعه بهداب غطاء المائدة . وقال همسا : « كلا . أبداً »

— ألا تحبى ؟ قالت ذلك بنفس الهمسة الخافتة ومالت عليه حتى أحس بحرارة وجنتيها . وهتفت به فى احتجاج عابث : « انطر حين تخاطبنك الى وجه من يخاطبك » وأمسكت برأسه بين راحتيها وجعلته ينطر فى عينيها . . . وقد راعته وقدة نطرتها فى أول الامر . . . ثم أشجته . . . وأخيراً أدركت فيه مثل وقدتها ... فمال عليها ... وكانت شفتاها مخضلتين ملتهبتين ...

* * *

— هل مدام ديكروا هنا ؟ — لا

فأعاد الشاب السؤال : هل أنت متأكد ؟ ربما تكون قد عادت فى هذه الاثناء

فقال الحاجب البدين المحشور فى ريه الرسمى، بوجهه المحتقن المنتفخ النعسان وهو يحك ظهره:

— ماذا تعنى ؟ هل أنا متأكد ! إنه شأنى أنا أن اعرف إذا كانت هنا أم لا . ولماذا أنت على حر الجمر اهتماما بها ؟ لقد سعيت الى هنا طول هذين الاسبوعين ملحفاً تعنتنى بالسؤال عنها ... وما دمت أقول لك إنها ليست موجودة . ليست موجودة . فذلك يفض الموضوع ... هى لا تريد رؤيتك ... أفاهم أنت ؟ ... هو ذاك الأمر كله ...

الامر كله ! ! لقد أحس بقلبه يجب وجيباً موجعا . ويحز فيه حنين بغير جدوى ... ويضطرم غيظاً . لماذا صنعت به هذا ؟ ...

(ترجمة ع . ص)

اليابان الحديثة

عند انتهاء مناورات الأسطول اليابانى الأخيرة أقامت بلدية مدينة كوبى حفلة كرمت فيها بحارة الأسطول. وترى البحارة وإلى جانب كل واحد منهم فتاة من فتيات «الجيشا» تخدمه وتداعبه

امبراطورة اليابان ـ والدة الامبراطور الحالي ـ تستعرض تلميذات إحدى مدارس البنات العليا فى كوزيكاف فى جوار طوكيو . وقد بدا فى هذه الحفلة ما اشتهرت به الفتاة اليابانية من الدقة والنظام ، والبراعة الفائقة فى الألعاب الرياضية

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربيـة

لم لا تكون ذكيا ؟

ان الامر يتوقف على ارادتك أنت

قد ينظر العالم البسيكولوجي اليك ، وأنت ذو قوى عقلية متوسطة ، فيدهشه أن يراك متهاونا تسمح لنفسك بأن يتملك منك العجز وعدم القدرة على انجاز الاشياء ، وهما صفتان أنت فى غنى عنهما . نعم انه يدهش إذ يراك تعجز عن اكتساب « الكفايات » التى هى رأس مال عظيم . ولا عذر للمرء ان هو أخفق فى أى عمل بسبب نقص تلك الكفايات

ان تصميم الانسان على أن يتعلم يأتى بالمعجزات . واذا كان العامل المرشد له صحيحاً بلغ غايته بسرعة مدهشة واتقان عظيم . وعليه فاذا قيل لك إنك لا تستطيع اكتساب الذكاء فى منحى معين من مناحى الحياة ، فاعلم أن ذلك كذب . وأن علم النفس يؤكد أن فى استطاعة كل امرىء أن يكتسب الذكاء

ان الرجل ذا الأعمال العظيمة لم يكن عظيما منذ أول أمره ، ولكن كانت فيه قوة كامنة ، وبفضل هذه القوة استطاع أن يكون عظيما . وهذه القوة هى « قابلية التعلم » . وفى الحقيقة أن العظماء لم يصبحوا عظماء إلا لأنهم نظروا الى كل مشكلة من مشاكل الحياة بعين مطمئنة ، واعتبروها تحديا لذكائهم لا ارهاباً وتعجيزاً لهم . وقد استطاعوا التغلب على تلك المشاكل لانهم استطاعوا التغلب قبل ذلك على ما فيهم من خور وضعف . فاذا قيل لك إن فلاناً أقدر منك على حل المشاكل لأنه أغنى منك فى قواه العقلية فان هذا القول يجب أن يكون حافزاً لك لا مثبطا لعزيمتك

ان نجاحك فى أى أمر من الأمور يتوقف على الطريقة التى تعالج بها ذلك الأمر . ومن الناس من يعتقدون أن تكرار شىء من الأشياء يجعل الانسان يتقن ذلك الشىء . وعلم النفس ينقض هذا الاعتقاد ويثبت أن ممارسة الشىء والتمرن عليه لا يؤديان بالضرورة الى اتقان ذلك الشىء . فكثرة تمرننا على الشطرنج أو الجولف أو غير ذلك من الالعاب لا تؤدى بالضرورة الى اتقانها ، بل قد تحول دون تحسين لعبنا أو قد ترسخ فينا الغلط الأصلى الذى كنا نرتكبه أولا ، فنظل نرتكبه ويصعب

علينا الاقلاع عنه . وبعبارة أخرى أننا عندما نمارس أشياء بعينها ونكررها ، قد نمارس ونكرر أغلاطنا فيها ، وبذلك ترسخ فينا هذه الاغلاط

ولعل فى مقدمة العوامل التى تحول دون احرازنا العلم احرازاً تاماً ضعف ارادتنا وعدم توفر قوة العزم فينا على احراز ذلك العلم . وما اكثر الذين اذا عرضت لهم مشكلة أخذوا يشكون ويتذمرون ثم يجيلون أنظارهم بين الساعة والنافذة فيصيعون الوقت سدى بدلا من أن يحصروا أفكارهم ويشمروا عن ساعد العزم لمواجهة تلك المشكلة ، ولو أنهم اعتبروا تلك المشكلة بمنزلة تحد لذكائهم لسهل عليهم إنجازها

وعليه فيجب علينا أن نميز بين الرغبة فى العلم وارادة التعلم . فالرغبة فى التحسين موجودة فى كل اسان . ولكن وحودها لا يكفى لتحقيق ذلك التحسن ، وفى الحقيقة أن الفرق عظيم بين رغبة الانسان فى تحقيق أمر من الأمور ، وبين ارادته أو تصميمه على تحقيق دلك الأمر . فالأولى هى بمنزلة ميل عام تشترك فيه جميع الحواس . وأما الثانية ــ أى الارادة ــ فانها تحفز الانسان على حصر كل قواه وتوجيهها فى طريق معين

ثم إن الرعبة فى التعلم تجعلنا نمارس بعص الاشياء ونعيد عملها أولا وثانياً وثالثاً . ولكننا فى هذه الحالة لا نختلف كثيراً عن آلة صماء تستطيع تكرار الأشياء . أما ارادة التعلم فتجعلنا ندرس جزئيات الأشياء ونحللها لنرى نسبة كل منها الى غيره . مثال ذلك رغبة كل امرىء فى أن يكون ذا صحة جيدة . وهى تختلف عن (ارادة الصحة الجيدة) إذ أن الارادة هى حافز يدفع المرء الى التماس جميع الطرق الموصلة الى تلك الصحة

ان عدد المرات التى يحاول فيها المرء اتقان عمل من الأعمال قلما يؤدى الى اتقانه . وانما الذى يؤدى الى الاتقان هو مقدار ما يبديه من اراده ودكاء فى سبيل دلك الاتقان وما قد يكتشفه من غلطات فى أثناء عمله . وغنى عن البيان أن محاولة المرء أن يتعلم أى شيء من الأشياء انما هى من قبيل التجربة والاختبار لمعرفة أسباب الاخفاق والتقصير والعجز عن بلوغ الغايات . فلا تتوهمن أن الجهود الاولى التى بذلتها فى أى عمل من الاعمال كانت من قبيل التمرين والممارسة . لقد كانت من قبيل التجربة والاختبار وكانت ترمى الى العثور على حل لغز من الالغاز . وجدير بمن يقوم بأية تجربة أو اختبار ألا يخاف من الوقوع فى خطأ ، فتلافى الخطأ ليس بالامر المتعذر ، وكثيراً ما يتعلم المرء من أغلاطه . على أن الخطر الاعظم هو فى تكرار ارتكاب الخطأ فان هذا التكرار حائل دون النجاح . وجدير بالمرء أن يكون تفكيره اكثر من عمله وأن يدرس كل مهمة يقدم عليها درساً تحليلياً . وعليه بعد أن يبدأ مباشرة أى عمل أن يتوقف قليلا ليمتحن سير ذلك العمل ويختبر ما قد يكون فيه من نقص أو خطأ ثم يعيد الكرة عليه ويعاوده الى أن يتمكن من تحقيقه

[خلاصة مقالة عن كتاب بعنوان (مرن عقلك) . بقلم الاستاذ جيمس مرسل]

ما زال للخرافات سلطانها

خرافات غريبة تؤمن بها الشعوب المتحضرة

نحن الآن فى الثلث الأول من القرن العشرين ونمتاز عن أهل القرون السالفة بالعلوم والفنون والحضارة والاختراعات ، ولكننا لا نختلف عنهم فى ايماننا بالخرافات ، فحضارتنا ممتزجة بها وأعمالنا متأثرة بها ، ولا تكاد تخلو أمة من طائفة من العقائد الخرافية التى لا تستند الى شىء من الحقيقة ، ومع ذلك نرى بعض العلماء يحاولون تعليلها وارجاعها الى أساس علمى

سر كيفما شئت وجل حيثما أردت بين المتمدنين والمتوحشين — فى مجاهل بورينو وسيبريا ، أو فى أجمل بلاد الغرب — تجد الطبيعة البشرية هى هى والايمان بالخرافات متأصلا فى النفوس

وغريب أن ترى اليوم فى قلب مدينة نيويورك — مركز النور والحضارة — اناسا يؤمنون بالخرافات ايمان قبائل الادغال والغابات بها . وقد كتب الدكتور كلارك ويسلر مدير متحف التاريخ الطبيعى الاميركى مقالة جاء فيها ما يأتى :

« اننا نتمسك بالسحر والعرافة ونؤمن بهما حتى فى هذا العصر النير كما يؤمن الأولاد بقصص الجن والعفاريت التى تروى لهم . والفرق بيننا وبين المتوحشين فى هذا الاعتبار هو فى نوع التصورات ، فهى عند المتوحشين ضعيفة تافهة ، وعندنا قوية غنية . وقد نشأ الايمان بالسحر فى أول الأمر عند عجز الانسان عن تعليل الكثير مما يشاهده من حوادث الطبيعة وما يقع حوله من المحسوسات بحيث لم تبق له مندوحة عن نسبة عللها الى قوة غير منظورة . وما يصدق على المتوحشين بهذا الاعتبار يصدق على المتمدنين أيضا فانهم يعزون كل ما لا يستطيعون تعليله الى قوة خارقة مجهولة وهذا هو الايمان بالسحر بعينه

ولا أدل على ذلك من أننا نفعل — أو لا نفعل — أشياء لاعتقادنا أن السعد أوالنحس يلم بنا من جرائها . فالاميركى المتمدن مثلا يتشاءم اذا هو استيقظ فى الصباح ونزل عن سريره من غير الجانب الذى اضطجع منه على السرير . ويتشاءم أيضاً اذا فتح مظلة داخل غرفتـه أو مرت من أمامه قطة سوداء ، أو اضطر الى المرور تحت سلم أو عمل عملا مهما فى يوم الجمعة الواقع فى الثالث عشر من الشهر ، أو قدم اليه أحد موسى ، أو مقصا ، أو آلة قاطعة

وبعكس ذلك يتفاءل خيراً بنعل الحصان فيعلقه على باب بيتـه . ويتفاءل كذلك اذا خرج فى الصباح من منزله ولقى حصاناً أبيض يجر مركبة للحمل . ويرشق العريسين الخارجين من صلاة الاكليل بالرز والنعال البالية ، ويفرح اذا مرت ابنته تحت شجرة « يعسوب الضباب » وقبلها شاب تحت أغصانها

والمجال لا يتسع للاسهاب فى إيراد الأمثلة الدالة على رسوخ الايمان بالخرافات فى نفوس الناس . وهذه الخرافات ترسخ فيهم منذ الطفولة ويبقى أثرها الى آخر العمر - لا فرق فى ذلك بين المتمدنين والمتوحشين ، وقد يظهر ذلك الأثر فى أعمال المرء وأقواله ، فيتشاءم أو يتفاءل بحسب العوامل المحيطة به فى الحياة

منذ سنتين أقيم بضواحى بلدة ميامى سباق للاوتوموبيلات كثر فيه المتسابقون . فكنت ترى على اتوموبيل كل متسابق دمية أو تعويذة قد اتخذها استحلابا للحظ . ومن أشهر الطيارين المعروفين فى العالم الكابتن فرنك هوكس الأميركى . وهذا الطيار - كالكثيرين غيره من الطيارين - يؤمن بالخرافات « والسحر الأسود » . وهو على عكس غيره من الناس يتفاءل بالرقم (١٣) وقد نقش هذا الرقم على طيارته مع أن الكثيرين حاولوا أن يجعلوه يعدل عن هذا الرقم . ومما يجدر بالذكر أن للارقام سلطانا كبيراً على عقول الناس يتفاءلون منها أو يتشاءمون ، كل بحسب ما وقع له من الاختبار . ولا يستطاع تعليل ما يعزى الى تلك الأرقام من سلطان الخير أو الشر . فالأرقام ١ و ٣ و ٥ و ٧ و ١٣ و ٧٧ و٩٩ و ١٠٠ وهلم جراً - جميع هذه تنشىء فى النفوس انقباضاً أو انشراحاً أو تفاؤلا أو تشاؤما أو ما الى ذلك من الاحساسات

وقد القى الدكتور بودن رئيس كلية ولاية نيومكسيكو باميركا خطبة فى مجمع تقدم العلوم الاميركى قال فيها : « ان المدارس لم تفلح حتى الآن فى القضاء على العقائد الخرافية وازالتها من الأدهان . وليس ثمة أية علاقة بين مقدار تحصيل الانسان ومدى ما يعتقده من الخرافات . ولكن قد ثبت أن هنالك علاقة محسوسة بين مقدار ما يطالعه الانسان ويكتسبه بعد خروجه من المدرسة من جهة ، ومقدار إيمانه بالخرافات »

وليست العقائد الخرافية جميعها قديمة بل منها ما هو حديث جداً . وإن لبعض الخرافات علاقة بمهنة الانسان أو عمله . فمن ذلك مثلا أن الممثل فى أوربا وأميركا يعتقد اعتقادات كثيرة خرافية . فهو عند عمل التجربة التمهيدية (البروفة) لا ينطق بالعبارة الأخيرة من الرواية . ولا يصفر فى غرفة الثياب . ولا يعيد الرواية لعمل التجربة (البروفة) ادا كان الستار مسدولا . ولا يمثل اذا رأى حبلا ملقى أمامه . ولا يجوز ابتداء تمثيل رواية فى يوم الجمعة لئلا تمنى بالفشل فى يوم السبت ويتشاءم الممثل من ريش طير الطاووس ومن الموسيقى الكنسية

والمقامرون من أشد الناس إيماناً بالخرافات . فكل حركة تقع حولهم تجعلهم يتفاءلون أو يتشاءمون . وكثيراً ما ترى الذى يمنى بالخسارة يغير الكرسى الذى يجلس عليه أو يشعل ثقاب كبريت أو يبدل موضعه أو يفعل أفعالا أخرى يعتقد أنها أجلب لحظه

بل ان للجلادين أنفسهم اعتقادات خاصة بمهنتهم وفى مقدمتها تلك الخرافة المشهورة وهى التفاؤل بقطعة من الحبل الذى استعمل فى شنق مجرم ، والرجوع فى العربة التى نقلت جثة المشنوق

ومن المستحيل حصر جميع الخرافات التى شاعت بين البشر منذ أقدم الأزمنة ، ولكن بينها كثيراً مما هو كثير الشيوع بين الناس

فمن ذلك نعل الحصان وكثيراً ما يعلقها الناس على أبواب بيوتهم . وهى خرافة قديمة لا يعلم منشؤها بالتمام . وخرافة الخرزة الزرقاء للوقاية من العين وهى كثيرة الشيوع بين الشرقيين وتستعملها الأمهات لوقاية أطفالهن من العين . وخرافة قذف السن في وجه الشمس . وخرافة التطبيل عند وقوع الخسوف . وخرافة النظر الى وجه صديق أو حبيب بعد النظر الى الهلال عند أول ظهوره . وخرافة تقبيل أول قطعة من النقود يكتسبها الانسان فى بدء النهار

وغنى عن البيان أن العلم الحقيقى عدو الخرافات و « السحر الأسود » على أن كلا هذين العدوين يسعى الى غرض واحد . فالعلم يحاول استجلاء أسرار الطبيعة وإعلان نواميسها ووضع قواعد لسلوك الناس وتصرفاتهم وأعمالهم . و« السحر الأسود » أو الايمان بالخرافات أو الشعوذة أو الدجل أو سمه ما شئت يسعى لتسخير قوى الطبيعة والتحكم فيها واستجلاء غوامضها

[من مقالة للاستاذ شور ماكر]

اليابانى يستلذ التضحية

لانه وطنه فوق نفسه وقبل أهله

يعتقد الاوربيون بوجه الاجمال أن السرور الذى يشعر به الانسان ببذل حياته فى سبيل وطنه لا يعفيه من الواجبات المفروضة عليه بأزاء أسرته وأهل بيته . والاوربى الذى يقف على شفير الفناء ويرى الموت محدقا به من كل ناحية لا ينسى أولاده وأعزاءه بل يذكرهم فى صلاته الاخيرة ويستودعهم الله . وهو يخجل اذا لم يفعل ذلك . أما اليابانى فعلى خلاف ذلك تماما لانه عندما يكون فى ساحة الحرب فان الفكرة الوحيدة التى تخطر بباله وتملأ كل جوانحه هى أن يقتل عدوه وينتقم منه . أما أفراد أسرته وأهله فلا يخطرون بباله على الاطلاق

وهذا يدلك على وجود فرق عظيم بين الشرقى والغربى فى الاخلاق والطباع . على أن علماء النفس يقولون إن هنالك طائفة من الناس يجمعون بين الخلقين ـ الشرقى والغربى ـ وهم كبار القادة والفاتحين . فهؤلاء الناس لا تقعدهم روابط الاسرة والقرابة عن السعى لتحقيق مطامعهم . والعواطف التى يشعر بها الاب نحو أولاده أو الزوج نحو زوجته أو الاخ نحو أخيه لا تجد الى قلوبهم سبيلا . فالاسكندر والقيصر وفريدريك الاكبر ونبوليون ـ جميع هؤلاء وأمثالهم كانوا

أشخاصاً لا يشعرون بالرابطة التى تربط أفراد الاسرة الواحدة معاً ، ولا يحسون بعاطفة قرابة لان كل أفكارهم وقواهم ومشاعرهم كانت متجهة الى هدف واحد هو تحقيق مطامعهم . فمطامعهم كانت مستولية عليهم وكانوا عبيداً لها أو آلات صماء تسيرها قوة غامضة .

ان الحماسة فى نظر اليابانى هى عاطفة دينية محضة . وكلتا البوذية والشنتوية تعلم اليابانى وجوب احتقار العالم وبذل الحياة فى سبيل الوطن . لذلك تراه مستعداً لأن يضحى بروحه فى سبيل عقيدته هذه . والتضحية فى نظره هى اساس كل لذة وغبطة ، وهى التى توحى اليه بجميع الاعمال الدالة على البسالة والاقدام . الا انها لا تتحقق الا اذا انكر الرجل اهله وذوى قرباه وافراد اسرته وتجاهل ما تربطه بهم من عواطف . والقصة التالية توضح لك ذلك :

زار أحد الاوربين المقيمين بلاد اليابان شيخاً يابانياً فى أيام الحرب الروسية اليابانية . وجرى الحديث بينهما عن الحرب . فقال اليابانى لصديقه بصوت هادىء لا يشف عن هلع ولا عن اضطراب : « لقد قتل ابنى البكر ، وسوف يقفوه أخواه بلا شك » . فحاول الأوربى أن يعزيه وقال له ان ابنيه الباقيين سيعودان اليه سالمين ان شاء الله . فحملق اليه اليابانى قائلا : « ماذا تعنى ؟ ان أولادى ذهبوا الى الحرب كى يموتوا ، وليس لهم حق فى التفكير فى الأهل أو فى العودة الى الوطن »

وفى أثناء تلك الحرب أيضاً أراد قائد الاسطول اليابانى أن يسد ميناء بورت آرثر باغراق بارجة فيه . وطلب سبعة وسبعين متطوعا ليتوجهوا باحدى البوارج الى داخل الميناء وينسفوها فيه . فتقدم اليه ما يزيد على ثلاثة آلاف متطوع ، وكلهم يريد أن يكون له شرف القيام بتلك المهمة ، مع ان انحارها يعنى الموت المحقق . ووقف قائد الاسطول يعرضهم ، بعد ان اختار منهم سبعة وسبعين ، وخاطبهم قائلا :

« انى بارسالى اياكم الى بورت آرثر لتسدوه بنسف هذه البارجة أعلم حق العلم ان الامل بنجاتكم من الموت لا يزيد على واحد فى المليون . وانى اشعر كانى ارسل ابنائى الى الفناء ، ولو كان لى أبناء ما تأخرت لحظة عن إرسالهم ، ولو لم يكن لى سوى ولد وحيد ما بخلت به قط . فاذا فقد أحدكم ذراعه فليعمل بالاخرى ، واذا فقد ذراعيه فليعمل بقدميه ، واذا فقد قدميه فليعمل برأسه . أطيعوا رؤساءكم ونفذوا أوامرهم ولا تفكروا فى حياتكم . انى مرسلكم الى موت محقق وأنا عالم أن كلا منكم مستعد أن يضحى بحياته . فاستسلموا الى السماء بكل هدوء وانصرفوا الى مهمتكم »

هذه هى الروح التى يختلج بها صدر كل ياباني ، روح البذل والتضحية فى سبيل الوطن ، بل روح احتقار الموت فى سبيل الخلود

[خلاصة مقالة نشرت فى جريدة «فو» . بقلم المحرر]

لا فارق بين أجناس البشر

ولكل جنس أقوياؤه وضعفاؤه

يزعم البعض أن بين أجناس البشر فوارق تميز بعضها من بعض فى قواها العقلية . وهـذه الفوارق تدفع بعض الأجناس الى استعباد غيرها أو الاعتداء عليها

والحق أن تلك الفوارق وهمية أكثر منها حقيقية . وليس لأى جنس أن يفتخر على غيره أو يدعى أنه أرقى منه فى قواه العقلية والادبية أو الاجتماعية . فنى كل جنس أفراد يختلفون فى قواهم العقلية ويتدرجون من أحط المستويات الى أعلاها . وما من جنس يمتاز بانجاب كبار العقول فقط ، كما أنه ما من جنس يصح أن يقال فيه إن جميع أفراده هم من مستوى عقلى وضيع . نعم قد يكون لـكل جنس شوائب ومحامد ملازمة له ولـكن العلم لم يثبت ذلك حتى الآن

وعليه فان السياسة التى جرى عليها زعماء النازى بقصد التفرقة بين الأجناس لا تقوم على أساس قويم ، لأنها تفرض أن الشعوب « الآرية » هى جنس قائم برأسه . والحقيقة أن العلم لا يعترف بوجود « جنس فرنسى » أو « جنس المانى » أو ما الى ذلك . إذ ليس الجنس مرادفا لـكلمة لغة أو شعب أو حضارة . فقد تكون لغة العبد الزنجى هى الانكليزية ، وقد تتكلم الشعوب الآرية لغات مختلفة وقد تكون لها حضارات مختلفة . فالجنس يستند الى اعتبارات « تشريحية » وراثية ولا علاقة له بالاعتبارات الطبيعية أو الجغرافية أو الاقليمية أو اللغوية

وقد يتألف الشعب الواحد من أجناس مختلفة . فالشعب الأميركى هو خليط من أجناس شتى لـكل منها نقائص ومحامد . وتطهير الشعب لا يكون باقصاء بعض تلك الأجناس ومحاربتها والسعى للقضاء عليها ، بل بالسعى للقضاء على من لا يصلحون للبقاء والذين لا فائدة للاجتماع منهم ، كائناً ما كان الجنس الذى ينتمون اليه . وهذه هى الغاية التى يسعى بعض العلماء الى تحقيقها بوسيلة التعقيم

والـكفاح القائم بين بعض الشعوب يقوم على أساس واه وهو القول بوجود فوارق بين الأجناس فى القوى العقلية . ويبدو هذا الـكفاح على أحلاه فيما نراه من العلاقات بين البيض والسود أو بين البيض والشعوب الملونة . ولما كان الرجل الابيض قد أخضع الرجل الاسود فى معظم أنحاء العالم ولم يبق أمامه من يخضعه أو يصب عليه جام غضبه ، فقد ولى وجهه شطر أفراده وأخذ يضطهدهم بحجة أنه أرقى عقلا وألزم للاجتماع،وهو يسمى هذا الاضطهاد «حرب الاجناس»

فالجنس هو قسم « فيزيقى » من البشر يمتاز أفراده بمجموعة من الخواص « التشريحية » الوراثية وبالمادة الملونة لشعرهم وبنوع ذلك الشعر والجلد والعينين وبشكل الانف والقوام وبمقاييس

الرأس من حيث ارتفاعه وضخامته وطوله وعرضه ، وبغير ذلك من الخواص التي هي في الغالب وراثية ، ولكن لعوامل البيئة المختلفة تأثيراً محسوساً فيها كعوامل الجو والغذاء والجغرافية وهلم جراً . وعليه فالجنس في نظر العالم الانثروبولوجي هو اعتبار (أو تقسيم) زولوجي . ولم يجد علماء الانثروبولوجيا حتى الآن أية علاقة بين الجنس والقوى العقلية ـ لا باعتبار الافراد ولا باعتبار الجماعات . ومع أن الاجناس قد يختلف بعضها عن بعض في أذواقها وأمزجتها وغير ذلك من الاعتبارات الا أن العلم لم يثبت ذلك حتى الآن ، فلا بد من الانتظار الى أن يثبت

ثم إن الجنس ليس مرادفا للغة أو الحضارة أو القومية . فاللغة عامل اكتسابي ، وفي وسع الزنجي أن يتكلم اللغة الانجليزية غير لغته الاصلية ، وليس ثمة ما يثبت أن هنالك جنساً آريا فان كلمة « آري » هي وصف لطائفة من اللغات التي تتكلمها شعوب متشابهة في حضارتها ودينها وغير ذلك من الاعتبارات

وليس في وسع علماء الانثروبولوجيا حتى الآن أن يرتبوا أجناس البشر بحسب درجة رقيها ، أي بحسب درجة بعدها عن مستوى القرود والحيوانات الأخرى . ففي كل جنس مجموعة من الصفات الأولية الفطرية والصفات الدالة على الرقي ، ومن العبث أن نبحث عن جنس صرف أو صميم فان ذلك لا وجود له في أي جهة من جهات العالم المتمدن . ولعل أنقى الاجناس وأبعدها عن الخلط والمزج هي بقايا شعوب عريقة في الهمجية بعيدة عن معالم الحضارة . أما بقية الشعوب فقد اختلطت وامتزج بعضها ببعض بحيث يتعذر التفريق بينها بمقتضى الاعتبارات الاقليمية أو الحيوية أو اللغوية أو غيرها

ومما يجدر بالذكر أن علم الانثروبولوجيا يستطيع أن يعيد معظم الأجناس البشرية الى الاصل الذي نشأت منه . فالجنس البولينيزي مثلا هو خليط من العنصر الأبيض والعنصر الشبيه بالزنجي والعنصر الشبيه بالمغولي . والجنس النوردي هو على الارجح نتاج عدة سلالات كانت تسكن أوربا في العصر الجليدي وقد امتزج بها فيما بعد سلالات شبيهة بالمغولية وسلالات أخرى كانت تسكن جبال الالب ، وعناصر من اللابلنديين والفنلنديين والسلاف

وليس ثمة أي دليل على أن مزج العناصر أو الأجناس المختلفة يؤثر في توالدها وتناسلها . فتزاوج النوردي والزنجي لا يؤدي الى تقليل النسل أو اضعاف النشاط أو الحيوية . ونتاج التهجين يمتاز بصفات موروثة عن كلا الأب والأم . أما أفراد الجنس الواحد فقد يختلفون في قواهم العقلية والأدبية اختلافا كبيراً . وعلى كل فعلم الوراثة لا يزال في أطواره الأولى ولا بد أن ينجلي في المستقبل عن أسرار كثيرة تزيل الشبهات التي تحوم اليوم حول علم الأجناس

[خلاصة مقالة نشرت في رسالة الاخبار العلمية . بقلم الاستاذ هوتون]

كتاب القدر الالمانى

مستقبل المانيا كما قدره هتلر منذ أعوام

ان الخطوات التى خطتها المانيا فى السنوات الاخيرة ليست الا تنفيذاً لمنهاج دقيق بين هتلر غاياته ، وأوضح وسائله ، فى كتابه « كفاحى » الذى تتخذه المانيا انجيلا سياسياً تدين بآرائه وتهتدى بتعاليمه

عد هذا الكتاب أول ما ظهر حلما أو خيالا ، لا يعقل أن تتحقق أطماعه البعيدة . أما اليوم وقد ظفر منه جزء كبير من دائرة الحلم الى دائرة الواقع ، فلا بد من حمل هذا البرنامج على محمل الجد ، لنكون على بينة مما يجرى فى المانيا من أحداث وما تضمره للايام المقبلة من نيات

لا يؤمن هتلر بقيمة الخلق الفاصل ، بل هو يزدريه بجرأة وصراحة ، إذ يقول : « إن النجاح هو الحكم الوحيد على هـذه الأرض بين ما هو حق وما هو باطل » . فالمصيب بين الناس هو الغالب ولو كان على ضلال ، والمخطىء هو المغلوب ولو أنه على حق وهدى . ولهـذا أدرك هتلر بادىء ذى بدء أن الجماهير لن تتألف حوله مالم يكن ذا قوة وغلبة على من سواه ، فاتخذ هذا السبيل حتى بلغ غايته . وهو لا يتحدث فى كتابه عن العدالة والانسانية وما اليهما من الأخلاق الفاضلة ، الا مستنكراً اتخاذ هذه المبادىء لأنها تؤدى الى الضعف والاستكانة ، منتقصاً جدوى هذه الوسائل فى معترك الكفاح بين الشعوب. ولا عجب فى هذا لان العالم كما يتراءى لهتلر ليس الا أدغالا تأوى اليها قطعان من البشر اسمها الشعوب ، متدافعة متزاحمة فى سبيل المرعى الذى تعده كل شىء مضحية بأفرادها لأنهم لا يحسبون أى شىء !

والفكرة العامة التى يصورها الكتاب تتلخص فى أن المانيا يجب أن تقيم بناءها على خمس دعائم (١) استئصال شأفة اليهود « حثالة البشر خلطاء الدم » (٢) إقامة دكتاتورية لا يشاركها فى الامر برلمان ، ولا تقف تجاهها أية معارضة (٣) تنقية الدم الالمانى الآرى من جميع العناصر الغريبة عنه لأنها أدنى منه (٤) إعادة المرأة الى بيتها وقصر مهمتها على تكوين أسرة وانجاب نسل قوى كثير (٥) وأخيراً إنشاء جيوش وأساطيل ضخمة هائلة

فاذا نفذ هذا المنهاج الداخلى راحت تحقق سياستها الخارجية التى ترمى أولا الى توحيد الجنس الألمانى كله ضمن حدود دولة عظيمة ، ثم الى استعادة المستعمرات المفقودة وإنشاء الامبراطورية من جديد . وهذا يقتضيها أن توثق العرى بينها وبين بريطانيا ، فيتيسر لها أن تلم شتيت جهودها وتركزها جميعاً تجاه شعوب القارة الأوربية . فتقضى على فرنسا ذلك العدو اللدود الذى يخز ظهر

المانيا بأبره المسمومة فى السلم والحرب على السواء ، وتتحيف وتنتقص من أراضى أوستريا والروسيا ودول بحر البلطيق ما يفسح رقعتها لانشاء دولة مترامية فسيحة

فهذه الأمنية التى أعلنها هتلر على الملأ منذ عهد قريب حين قال بلهجة عنيفة مريرة : « ليت المانيا تملك « الأورال » بما فيها من مواد خام وفيرة ، أو « سيبريا » ذات الغابات السخية بالخيرات، أو « أوكرانيا » بسهولها الخصبة بشتى الغلال » ـ هذه الأمنية قد صورها هتلر فى كتابه منذ أمد بعيد إذ قال : « إن روسيا لم تكن إلا شعباً سلافيا عارقا فى الفوصى والجهالة ، مدت اليه المانيا يدها البيضاء فانتشلته من وهدته السحيقة ، ولكنه لم يلبث أن وقع فى قبضة اليهود (أولئك المجرمين الانذال) الذين هدموا وأفسدوا ما بناه الالمان وأصلحوه . فيجب اليوم على المانيا أن تمد يدها مرة أخرى لتستخلص الشعب الروسى المسكين من بين نواجذ اليهود » ! .

* بلغ ما بيع من كتاب « كفاحى » ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ نسخة ، فجمع هتلر من ذلك ثروة طائلة أنفق جزءها الأول فى جهوده السياسية التى أولته ذروة الحكم ، أما الآن فان أرباح الكتاب تستأثر بها الدار التى نشرته وهى ملك خاص لهتلر ، وهى التى تصدر كذلك الجريدة الرسمية للدولة وسائر نشرات الدعاية السياسية

* فى عيد ميلاد هتلر الأخير أهدته « جمعية الريخ لموظفى الحكومة الألمانية » نسخة من كتاب « كفاحى » .. نسخة وزنها ٧٥ رطلا ، كتبها سبعة من الخطاطين ، خلال أحد عشر شهراً ، بحروف كتلك التى كان يكتب بها الانجيل فى العصور الوسطى

وقد نفذت المانيا منهاجها الداخلى فاستعادت قواها الحربية ، وتكاتف الشعب متأهباً لما تأتى به الأيام المقبلة . وها هو الآن يتحين الفرصة السانحة ليقوم بتحقيق أطماعه الخارجية ، فبعد أن كانت سياسته أول الأمر صداً ودفاعاً ، أخذ ينهج اليوم سياسة الكر والهجوم مبتدئاً بهذه الحملة العاتية التى جردها حديثا ضد الروسيا فى خطب زعيمه وأعوانه ، وكلام صحفه وكتابه

ولكن كتاب كفاحى الذى يخيف بآرائه الهائجة وبراجمه الهادمة ، لا تتيسر قراءته كاملا لغير الشعب الألمانى، إذ أنه لم يترجم الى اللغات الأخرى الا فى صورة منقحة،رجاء أن تخف حدته وتخبو ناره . فى الترجمة الانجليزية حذف معظم الفقرات التى تشير الى فرنسا ، كما خفت هـذا الصوت الحاقد الذى يدوى فى سائر أجزاء الكتاب . أما فرنسا التى يفوق الى صدرها أكثر ما فى الكتاب من سهام فقد أبى هتلر أن يأذن بنقله الى لغتها ، وقد نشرت فيها ترجمة بدون اذن فصودرت بناء على احتجاج قدمه ناشر الكتاب الالمانى . هذا الى أنه من المحرم على الصحف الالمانيـة أن تقتبس شيئاً من فقرات هذا الكتاب الذى سطر هتلر على صفحاته ما قدره وقضى به لشعبه ولغيره من الشعوب

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة ريدرر ديجست . بقلم أوتو تولستنس]

المستقبل للسينما الصامتة

في التمثيل المحط بالسينما الناطقة

ان توارى السينما الصامتة مؤقتاً لتفسح فى المجال للسينما الناطقة ليس معناه موت الأولى وانقضاء عهدها ، فقد شرع مديرو شركات السينما ــ بعد أن خمدت فورة الاعجاب بالصور المتحركة الناطقة ــ يدركون أن الصامتة أعم ، لأن لغة الرموز والاشارات يفهمها الجميع ، حالة أن الروايات الناطقة الانجليزية أو الفرنسية أو التي تمثل بلغات أخرى لا يفهمها إلا الذين يفهمون تلك اللغات ، فهى مقصورة عليهم وحدهم ولا يمكن أن تكون عامة . وقد بذل بعض اصحاب الشركات جهوداً لاستنباط وسيلة يمكن بها إلباس كل رواية قالباً انجليزياً أو فرنسياً أو غير ذلك حسب الطلب فلم يوفقوا الى ذلك. وبعبارة أخرى أنهم حاولوا أن يمثلوا كل رواية سينماتوغرافية تمثيلا صامتاً مستقلا بنفسه ، ثم وضع نص الرواية بالانجليزية أو العربية أو الفرنسية أو غيرها على حدة ، بحيث يسهل أخذ أى نص من هذه النصوص حسب الطلب والباسه للرواية الصامتة ، كما يستطيع تاجر الأثواب إلباس التمثال الشمعى (المانكان) كل يوم ثوباً مختلفاً . على أن جميع المساعى التى بذلت فى هــذا السبيل قد ذهبت سدى ، وهذا يحملنا على الظن بأن العالم سيعود الى الاهتمام بالصور المتحركة الصامتة

وعلى كل فان كل رواية دراماتيكية يجب أن تكون عامــة يفهمها جميع الذين يشاهدونها لا الذين يفهمون لغة معينة فقط . وبعبارة أخرى أنها يجب أن تكون « دولية » . ولذلك نعتقد أن السينما بلغت أوج رقيها بالتمثيل الصامت الذى يسمونه البانتوميم

ولسنا نعنى بما تقدم أن اختراع السينما الناطقة كان خطوة الى الوراء ، وإنما نعنى أن هذه السينما لا يمكن أن تحل محل السينما الصامتة ، وكل تقدم فنى أحرزته السينما إنما أحرزته فى خلال ربع القرن الذى كانت فيه الصور المتحركة صامتة . وقد ينكر بعض النقاد هذه الحقيقة بحجة أن العالم متجه الى الاستعاضة عن الحركات والاشارات بالالفاظ ، ولكن هذه الحجة غير وجيهة . واذا سلمنا بها جدلا فليست برهاناً على وجوب التخلى عن البانتوميم أو السينما الصامتة

ان اكثر الناس لا يدركون عظم الفضل الذى كان للسينما الصامتة فى تهذيب شعوب الأرض قاطبة من أقصى حدود العالم القديم الى أبعد حدود العالم الجديد ، وقد كان من نتائج تلك السينما أن الناس الذين كانوا يترددون عليها كانوا يعملون فكرتهم ويجهدون عضلات دماغهم لادراك مغزى المناظر التى تقع عليها أبصارهم . ولذلك كان الممثلون يبــذلون منتهى جهدهم لاتقان حركاتهم

واشاراتهم ليتم بها المعنى المرد . فلما جاءت السينما الناطقة أخذ أولئك الممثلون يقللون من الحركات والاشارات زاعمين أن الجمهور يفهم الأقوال التى ينطقون بها . فانحط إذ ذاك فن التمثيل بعض الشيء ، وكان من نتائج اختراع السينما الناطقة أن أصبحت مقصورة على الذين يفهمون اللغة التى تمثل بها كل رواية

ولا حاجة بنا الى الرجوع الى تاريخ البانتوميم ، وانما نقول إنه قدكان دائما « وسيلة » عامة لايصال المعانى الى أذهان الشاهدين . وقدكان البانتوميم — ولا يزال — وسيلة للتخاطب بين الافراد الذين لا يفهم أحدهم لغة الآخر ، وفى الحقيقة أن البانتوميم لا غنى عنه حتى لابناء اللغة الواحدة ، وللذين يستطيعون التفاهم بالكلام . فان البانتوميم يتمم المعانى المقصودة ويزيدها جلاء . فايماءة بالعين أو اشارة بالحاجب أو أية حركة بعضو من أعضاء الجسم قد تجعل للكلام معنى لا يخطر بالبال . وليس ذلك فقط بل أن البانتوميم لا غنى عنه فى كثير من مواقف السينما الناطقة

وقد يكون هنالك حل وسط لمشكلة السينما بالسينما الصائتة (سونور) وهذا الحل يقوم على الجمع بين بعض المشاهد والاصوات الطبيعية اللازمة ، كملازمة صوت الرعد لمنظر البرق ، وملازمة الخرير للشلالات المتحدرة ، وملازمة الصليل للسيوف التى يلمس بعضها بعضا ، وملازمة الدوى للريح العاصف ، الى غير ذلك من الأصوات التى ليست ألفاظا مأخوذة من لغة معينة بل هى أصوات يفهمها كل انسان . فاذا اقتصرنا على السينما الصائتة كان ذلك أبلغ وأوقع فى النفس

[خلاصة مقالة نشرت بمجلة وندرور . بقلم تشارلى تشابلن]

اسمع نصيحتى يا بنى !

فقد اكسبنى العمر تجارب قيمة

يا بني اسمع نصيحتي ! ضع نصب عينيك في بداية كل يوم ألا ينتهي ذلك اليوم من دون أن تعمل فيه عملا صالحاً

إياك والطعن في الميت ، فالميت لا يستطيع أن يدافع عن نفسه . وان كان قد أساء اليك فلا تذكر له الا حسناته . والتمس له عذراً عن كل مساءة قد يكون ارتكبها فى حقك

أطع القانون ، وإن لم يكن ثمة قانون فأطع ضميرك . وتذكر أن الخطايا الأدبية تنجلى دائماً أوضح من سائر الخطايا ، وان خيانتك لصديقك فى حظيته لا يقل دناءة عن خيانتك له فى زوجته ، فيجب أن يكون لكلتيهما حرمة فى نفسك ، فلا تستبح حرمة إحداهما بحجة أن علاقتها بالرجل

ليست مما تسيغها آداب الاجتماع ، فلست أنت المهيمن على تلك الآداب

ولا تنس أن هنالك فرقاً بين أن يرتكب الرجل هفوة أدبية وبين أن يكون ذا آداب منحطة ، ففى الحالة الأولى يستطيع اصلاح هفوته والتكفير عنها ، وقد يدفعه الزمن والاختبار الى ذلك ، أما اذا كانت آدابه فاسدة فلا يرجى منه نفع على الاطلاق . والعاقل من يحتكم الى عقله لا إلى قلبه ، والمستسلم الى عواطفه نهايته الى الندم لا محالة

واعلم يا بنى أن لابد من التهذيب حتى لأشد الناس ذكاء ، كما أن يد الفخارى لازمة لتكييف الاناء وتشكيله . وأكثر الناس يستطيعون أن يتعلموا شيئاً من الأشياء ، ولكن الرجل الذكى هو وحده الذى يعرف ما يجدر به أن يتعلمه

انى أقدم لك هذه النصائح وأنا لست على قسط عظيم من العلم ومع هذا فلا أشعر بأى نقص أو ضعف . فاذا كان الحظ لم يسعفك بأن تستكمل تعليمك ، بسبب حاجتك الى المال أو انهماكك فى الالعاب أو اضطرارك لكسب الرزق ، فلا يحزنك أن يكون قسطك من العلم قليلا

ولا يزعجنك ميل الآخرين الى السخرية والاستهزاء « على حسابك » فانه لا يميل الى مثل هذا إلا الطفيليون الذين يعيشون عالة على غيرهم ، مجردين من كثير من الصفات اللازمة للرجولة

ولا يهمنك أن الناس لا يعجبون بمن تعجب أنت بهم ، وليكن حكمك على الغير صادراً عن عقيدة واخلاص ، غير متأثر بعقيدة الغير وآرائهم ، فلا تنظر الى العالم من خلال نظارات غيرك . انك اذا فعلت ذلك خنت نفسك وأخضعتها لآراء الآخرين . وما من امرىء فعل ذلك وظل سعيداً هانئاً . وهو اذا تظاهر بأنه يحب شيئاً معيناً لأن غيره يحبه ، كان مخادعاً مرائيا

واعلم انه ما من رجلين في العالم يقدران جمال المرئيات نفس التقدير . فقد ينظران الى أشعة القمر تتلألأ على وجه الماء فلا يدركان ما فيها من جمال بلذة واحدة لأنهما ينظران الى تلك الأشعة من زاويتين مختلفتين ، وعليه فجمال الأشياء لا يمكن أن يؤثر فى الناظرين اليها تأثيراً متعادلا

وإذا غفل بعض الناس عن تقدير جمال أعمالك ولم يدركوا ما تنطوى عليه من مرام بعيدة فلا يهمك ذلك ، بل لا يهمك أن يكثر ناقدوك والعائبون عليك عملك . بل سر فى سبيلك ولا تعبأ بما قد يوجهونه اليك من قوارص الكلام ، وحسبك أن ترضى ضميرك

أما اذا كان هذا الذى ينتقدك على قسط عظيم من العلم والاختبار ، وكان ممن لهم فى نفسك كل حرمة واعتبار ، فلا تحقد عليه لانتقاده إياك ، بل اعرب له عن أسفك لأنك لم تستطع أن تعجبه وتحوز رضاه ، وإن كنت لا تسلم له بانتقاده

وافرض حسن النية فى كل من يحاول الاساءة اليك ، ولا يزعجك ما تراه من أعمال الغير اذا كانت لاترضيك . واذا كنت تعتقد أن كل شىء فى هذا العالم يجب أن يسير حسبما تشتهى أو حسب المنطق فانك تتعب كثيراً [خلاصة مقالة نشرت في مجلة مين أونلى . بقلم الاستاذ سيمور هيكس]

أسرار الدم

يستعين بها العلم الحديث على اكتشاف الجرائم

لا مشاحة فى أن الدم هو من أصدق الأدلة التى يستعان بها على كشف الجرائم . والعلماء الذين يعنون بالبحث عن الجرائم يعرفون قيمة لطخ الدم ويشعرون بالثقة بنتيجة مباحثهم اذا عرضت عليهم نقطة دم . إذ يستطيعون معرفة الشخص الذى نزف منه ذلك الدم بل معرفة دقائق تفصيلية كثيرة عن الجريمة

وأول سؤال يعن للباحث عندما تعرض عليه لطحة دم هو : هل هى لطحة دم أم مادة أخرى ؟ ولا يخفى أن لون اللطحة لا يدل على حقيقتها . إذ ليست « بقع الدم » عادة ذات لون أحمر زاه . بل اللون الأحمر الزاهى هو فى الغالب دليل على أن اللطخــة ليست دماً . فنقطة الدم الجديدة هى عادة حمراء قاتمة . وكلما مر عليها الزمن صارت الى لون بنى الى أن تصبح أخيراً شهباء أو تفقد لونها ، وقد يكون الدم أخضر ذا لون ريتى ، وقد يكون بلا لون على الاطلاق تبعاً لعوامل الحرارة والرطوبة والزمن وهلم جرا . وكثيراً ما يصعب على الرجل العادى أن يميز بين لون الدم ولون القهوة أو الصمغة أو الصدأ أو عصير الفواكه أو ما الى دلك . وهذا دليل على عدم فائدة الاعتماد على اللون اذا أريد فحص الدم

إذاً على أى شىء نعتمد ؟

هنالك وسيلة لا يتطرق اليها الخطأ ، وهى الاستعانة بمركب كيمياوى من مادة « البنزيدين » « وبيروكسيد الايدروجين » فانك اذا وضعت هذا المركب على لطخة تحول لون الهيموجلوبين (وهو المادة الملونة فى الدم) الى أزرق قاتم ، فاذا كانت اللطخة قديمة وجب بلها بمادة كيمياوية أخرى تسمى بيريدين قبل معالجتها بالمركب المشار اليه . وهذه الوسيلة دقيقة جداً لا تخطىء أبداً ولو مر على اللطخة ألوف من السنين ، وقد طبقوها على بعض المومياءات المصرية التى يزيد عمرها على خمسة آلاف سنة ، وكان عليها لطخ دم ناشف ، فأسفرت التجربة عن نجاح تام . وهذا دليل على أن مركب « البنزيدين » لا يخطىء أبداً

وتظهر فائدة هذا المركب على أجلاها اذا كان الدم قد مزج بمادة أخرى بقصد التضليل واضاعة معالم الجريمة ، فقد اتفق للمسيو بايل العالم الفرنسى أنه فحص مرة عوارض سلم خشبى كان بعض اللصوص قد استعملوه فى السطو على منزل وفى قتل أحد ساكنيه ، ولما قبض عليهم اعترفوا بالسطو ولكنهم أنكروا جريمة القتل ، وفحص الاستاذ بايل السلم فحصاً دقيقا فلم يعثر على أى أثر للدم لأن

الوحل الذى كان عالقاً بأحذية اللصوص أزال كل أثر ، إلا أن الاستاذ بايل استعمل طريقة « البنزيدين » فوضع قليلا من هذه المادة على التراب المأخوذ عن عوارض السلم وللحال ظهر اللون الأزرق ظهوراً واضحا شاهداً على جريمة أولئك اللصوص وناطقاً بالحكم عليهم

ومتى ثبت أن اللطخة المشتبه فيها هى لطخة دم تعين على الفاحص أن يتحقق هل هو دم إنسان أم دم حيوان . ومن دواعى الاسف أن مادة البنزيدين تؤثر فى كليهما على السواء ، ولذلك يضطر الفاحص الى سلوك طريق آخر للوصول الى الحقيقة . وفى الواقع أن هنالك عدة طرق للتمييز بين دم الانسان ودم الحيوان ، والمجال لا يتسع لشرح هذه الطرق ، وأهمها الطريقة المعروفة عند علماء الكيمياء « بالاختبار الارنى » ـ نسبة الى الارنب ـ وطريقة فحص شكل الكريات الحمر وقياس حجومها

ومما يجدر بالذكر أن شكل الكريات يختلف باختلاف كل حيوان ، فهى مستديرة فى معظم الحيوانات الأليفة ولها نواة وحجمها أصغر من حجم الكريات البشرية . وهى فى الدجاج والسمك والزحافات بيضوية الشكل وأكبر من الكريات البشرية . واليك حجوم بعض الكريات :

كريات الدم البشرى	جزء واحد من ٣٢٥٠ جزءا من البوصة
كريات دم القرد	» » » ٣٣٨٢ » » »
كريات دم الحصان	» » » ٤٢٤٣ » » »
كريات دم الخنزير	» » » ٤٢٦٨ » » »

على أن مرور الزمن قد يؤثر فى أشكال الكريات وحجومها . وفى هذه الحالة يضطر الفاحص الى سلوك طريق آخر للوصول الى الحقيقة لا يتسع هذا المجال لشرحه . ولا يعدم العلم وسيلة للتمييز بين دم الانسان ودم الحيوان

ولنفرض الآن أن آثار الدم المعروضة على الفاحص المحقق هى آثار دم بشرى وأن ذلك قد ثبت ثبوتاً قاطعا . فهل من وسيلة لمعرفة صاحب الدم ؟

ان العلم قد وفق الى ذلك توفيقاً يكاد يكون تاما. فى سنة ١٩٠٠ أثبت الدكتور لندشتينر أن دم الانسان أربع طوائف تختلف كل منها عن الاخرى اختلافا بيناً ، ولا يمكن أن يتحول الدم من طائفة الى أخرى أبداً ، لا بمرور الزمن ولا بالمرض ولا بتغيير الغذاء فى البيئة ولا بأى عامل آخر . وتسمى هذه الطوائف الأربع بالأربعة الأحرف الأولى من حروف الهجاء . فاذا وجد الفاحص آثار دم على رجل متهم بجريمة قتل لجأ فى الحال الى فحص دم القتيل ودم المتهم والآثار التى على المتهم ومقابلة نتائج الفحص ، ومن المحتمل بالطبع أن يكون دم كلا المتهم والقتيل من طائفة واحدة . فى هذه الحالة يبحث الفاحص تاريخ كل من المتهم والقتيل ليعلم ما قد يكون أصيب به

كل منهما من الأمراض التى تترك أثراً فى الدم ـ كالسكر والزهرى والملاريا والانيميا وغير هذه ، فاذا لم يكن القتيل ولا المتهم قد أصيب بأحد هذه الأمراض لجأ الفاحص الى طريقة علمية جديدة تعرف بطريقة الدكتور زنجما يستر (من أطباء مدينة كونكسبرج) وهى طريقة لم تشع بعد كثيرا ولـكنها من أدق الطرق العلمية وأوفاها بالغرض . فقد أثبت هذا الطبيب أن النور الذى ينبعث من ذرات الدم المتجمد يختلف باختلاف عوامل كثيرة بحيث يمكن تمييز عشرات من نماذج الدم بعضها عن بعض وإن كانت جميعها من طائفة واحدة

وهنالك السبكترسكوب أيضا وهو يساعد مساعدة عظيمة فى الحالات التى يلجأ فيها المجرم الى استعمال الغاز أو السم . فدم الانسان الذى يقتل قتلا اعتياديا يظهر تحت السبكترسكوب بوضع معروف ، بخلاف دم الانسان الذى يقتل بالسم أو بالغاز فانه يبدو تحت السبكترسكوب بوضع آخر يعرفه علماء الـكيمياء . وقد حدث منذ عهد قريب أن وجد البوليس الامريكي سيدة وطفلها ميتين فى غرفة وأنبوب الغاز مفتوحا والقرائن كلها تدل على أن الاثنين ماتا مختنقين بالغاز ، إما خطأ أو انتحاراً . فلما فحص دم المرأة بالسبكترسكوب ثبت أنها لم تكن قد استنشقت الغاز السام ، لأن دمها كان بحالته الطبيعية . ومعنى ذلك أنها ماتت وانقطع تنفسها قبل اطلاق الغاز عليها ، وبعد البحث الدقيق ثبت أنها خنقت على سريرها ثم أطلق عليها أنبوب الغاز لتمويه الحقيقة ، أما الطفل فانه مات اختناقا بالغاز

وكثيراً ما يتخذ المجرمون الاحتياطات الدقيقة لاخفاء معالم جرائمهم ، فبعضهم يخلعون ملابسهم قبل ارتكاب جريمة القتل وبعضهم يحرقون ثيابهم ادا تلوثت بالدماء . ويلتجىء غيرهم الى وسائل أخرى ، ولـكن ما من احتياط ، مهما بلغ من الدقة والحذر ، يعصمهم أو يستطيع خداع الفاحص الـكيمياوى ، بل كثيراً ما يستطيع هذا الفاحص معرفة موقف القاتل بازاء القتيل عند ارتكاب الجريمة وهل كان أحدهما واقفا والآخر جالسا أو مضطجعا أو راكضا ، كل ذلك معلومات ينم بها الدم ولونه وشكل كرياته وهلم جرا . وقد يقع رشاش من الدم على الأرض أو الحائط وهـذا أيضا يساعد على تعيين تفاصيل الجريمة ، فرشاش الدم المتفجر من الشريان الـكبير قد يصل الى بعد ثماني عشرة بوصة حالة أن رشاش الدم المتفجر من شريان صغير لا يندفع بعيداً

وهنالك أسرار أخرى كثيرة ينم بها الدم ويستطيع العالم الـكيمياوى والطبيب الشرعى الماهر أن يظهراها للعيان مما لا يمكن الالمام به فى مثل هذه العجالة

[خلاصة مقالة عن كتاب بعنوان « العلم بازاء الاجرام » . بقلم الاستاذ هنرى روبنسن]

تقدم العلم والعالم

متى سكن الانسان أميركا

تختلف آراء العلماء بشأن التاريخ الذى ظهر فيه الانسان فى القارة الاميركية . وقد كان الرأى الغالب حتى عهد قريب أن تلك القارة كانت خالية من كل أثر بشرى منذ عشرين أو ثلاثين ألف سنة لأن الاحوال الجوية فى تلك القارة كانت تحول دون وجود بشر إذ ذاك . وفى الاجتماع الأخير الذى عقده مجمع تقدم العلوم الاميركى التى الدكتور انتيفز العالم المشهور خطبة تحدى بها أى عالم يستطيع أن يثبت أن الانسان عاش فى أميركا منذ اربعين الف سنة . الا أن الدكتور رينو أحد اساتذة جامعة دنيفر عثر أخيراً على أدوات حجرية تشبه الأدوات التى عثر عليها العلماء فى اوربا وترجع الى العصر الحجرى . ولهذا يعتقد الدكتور رينو ان اميركا كانت مأهولة بالسكان منذ اكثر من مائة الف سنة

تقطير ماء البحر

وفقت معامل الحكومة البريطانية فى تدنجتون الى طريقة جديدة لتقطير ماء البحر وجعله صالحا للشرب بامراره فى أنابيب من الراتينج الصناعى (أى من مادة الفورمالين وحامض التنيك) . فهذه الأنابيب تمتص العناصر القلوية والمعدنية الموجودة فى ذلك الماء . ثم يمر هذا الماء فى أنابيب أخرى مصنوعة من الفورمالين والأنيلين، فتزول منه المواد التى تؤلف منها الحوامض ويصبح بعد ذلك صالحا للشرب

لن ينفد الذهب

كان أصحاب مناجم الذهب فى مختلف انحاء العالم يعتقدون منذ بضع سنوات أن نتاج الذهب قد بلغ أقصاه وأنه لن يمضى وقت قصير حتى يأخذ ذلك النتاج فى الهبوط ، إلا ان الدكتور كنويف استاذ علم الجيولوجيا بجامعة بايل الامريكية يعتقد أن الذهب ما يزال مخزوناً فى بطن الأرض بمقادير عظيمة ، وانه اذا توافرت الوسائل اللازمة ، فلن ينقص ثمن الذهب الممكن استخراجه من المناجم عن مائتى مليون جنيه فى السنة وسيظل كذلك عدة سنوات

سرطان الشفتين

تدل احدث التجارب التى قام بها الاطباء على أن من الممكن شفاء سرطان الشفتين شفاء أكيداً فى اطواره الأولى ، وشفاء ثمانين فى المائة من الاصابات به فى أدواره الوسطى . أما أدواره الأخيرة فلا حيلة للطب فيه . وفى أحد المستشفيات الاميركية المخصصة لمرضى السرطان عولج فى السنة الماضية ٤٢٥ مصابا بسرطان الشفتين بينهم خمس عشرة امرأة فقط ، فشفوا جميعا شفاء تاما لأن اصاباتهم كانت فى طورها الأول . ويلاحظ أن معظم المصابين بهذا الداء من الرجال ، وليس فى هذا غرابة ، لأن معظم حوادث سرطان الشفتين تنشأ عن التدخين « بالبيبة » ، وهو ما يكاد يكون مقصوراً على الرجال

آلام الولادة

آلام الولادة هى من أشد ما تعانيه المرأة فى حياتها الزوجية . وقد حاول الكثيرون من الاطباء تخفيفها باستعمال التحدير ، ولكن الأمر لا يخلو من خطر . ولم يوفق العلم حتى الآن الى اكتشاف المخدر الذى يصلح للمرأة عند الولادة . نعم إن هنالك مخدرات كثيرة ولكن ما من مخدر منها يفى بالغرض من كل وجه ويخلو من كل خطر . على أننا قرأنا فى رسالة الاحبار العلمية التى تصدر فى اميركا أن فريقاً من الأطباء فى جهات مختلفة استعملوا مواد مخدرة مختلفة لمساعدة النساء على الولادة . واسفرت جميع التجارب عن نتائج تدعو الى الارتياح ، وفي مقدمة تلك المواد مزيج من « ستوباربيتال — صوديوم » « وشكوبولامين » وقد جرب فى ١٨٠٠ حادث للولادة فتم الوضع بلا ألم على الاطلاق . ومن المواد التى استعملت أيضاً مزيج من « البارالدیهید » و « سريل الكحول » وقد جرب فى ستمائة حادث ولادة فلم تشعر المرأة بألم أثناء الوضع

على أن الكثيرين من الاطباء وعلماء النفس يستنكرون استعمال التحدير لمساعدة المرأة على الولادة لأن الولادة من أشرف وظائف المرأة واعظمها شأناً ، فاذا ازيلت الآلام المترتبة عليها لم تبق لها قيمة أدبية كبيرة فى نظر المرأة ، بل الأرجح أن ما تشعر به المرأة من عطف وحنو على الطفل الذى تضعه يزول بتاتاً إن هى لم تشعر بألم عند الوضع

الوفيات فى سنة ١٩٣٦

يؤخذ من الاحصاءات التى لدى شركات التأمين على الحياة فى اوربا واميركا أن نسبة الوفيات فى عام ١٩٣٦ هى اكثر منها فى عام ١٩٣٥ . نعم ان الاحصاءات النهائية لم تجمع حتى الآن ، ولكن القرائن تدل على زيادة نسبة طفيفة لا يعرف سببها على وجه التحقيق حتى الآن . والارجح أن معظم الزيادة هى فى حوادث الانتحار والاصابات الفجائية

من الجبابرة الخرافيين

من الخرافات اليونانية المنقولة عن هوميروس انه كان فى كهوف جبال اليونان فى العصور الخالية جبابرة يتحدون الآلهة ويخاصمونها ويفترسون البشر . وكان لكل جبار منهم عين واحدة مستديرة فى أعلى جبهته . ومن ثمة كانوا يسمون « سيكلوس » أى اصحاب العيون المستديرة . وكان علماء الميثولوجيا يعتقدون حتى الآن أن هذه الخرافة يونانية الأصل، الا أن الدكتور فرنكفورت رئيس بعثة الآثار الأميركية التى تقوم بالتنقيب فى العراق، عثر بين خرائب تل الأسمر على تمثال أحد آلهة البابليين القدماء وهو يطعن جباراً من جبابرة « السيكلوس » ذا عين واحدة مستديرة فى أعلى جبهته ، وقد أمسك الاله بلحية الجبار بيده اليسرى وطعنه بالسيف بيده اليمنى . وهذا التمثال يرجع الى نحو ألفى سنة قبل المسيح ، مما يدل على أن اليونان استعاروا خرافة السيكلوبس من البابليين

نعال من كاوتشوك للخيل

كثيراً ما تزلق الخيل فى الشتاء فى أثناء سيرها على الأرض الملساء . ولذلك فكر بعض أنصار الرفق بالحيوان فى انجلترا فى اتخاذ نعال من كاوتشوك بدل النعال الحديدية تقليلا لحوادث الزلق

مستقبل الانسان

في الخطبة التي القاها الاستاذ حوليان هكسلى كبير علماء البيولوجيا الانجليز في مجمع تقدم العلوم البريطاني في سبتمبر الماضي ، أن رقي الانسان في المستقبل سيكون بيده ولن يكون خاضعاً لأية قوة من الخارج . فسيتمكن من ترقية قوى عقله بطريقة الانتخاب الطبيعي ،وسيجيء يوم يقرض فيه جميع ضعاف العقول فلا يتناسل الا الذين يصلحون للنقاء ، وسيرتقي العقل يومئذ بحيث يصبح نقل الافكار (التليباثي) أمراً مألوفاً عند الجميع .ولا يبعد أن يخاطب الناس يومئذ بافكارهم لا بواسطة مادية كالتليفون أو التلغراف أو غيرهم

للوقاية من الانفلونزا

في تقرير رفعه الدكتور توماس فرنسيس من أطباء معهد روكفلر الى اتحاد الصحة العامة الاميركي أن الاطباء قد وفقوا الى صنع لقاح يقي من الانفلونزا وقاية تامة . وقد جربوا هذا اللقاح على نطاق واسع في خلال السنوات الاخيرة فاسفرت التجربة عن نجاح تام

وفي التقرير الذي رفعه الدكتور توماس فرنسيس المذكور أن الطب لم يوفق حتى الآن الى لقاح يقي من الشهقة أو السعال الديكي وقاية تامة

الجرائم في بابل قديماً

يظن البعض أن انواع الجرائم تختلف باختلاف المكان والزمان . وهذا صحيح الى حد ما . إلا أن الطبع البشري هو هو سواء في هذا العصر أو في غيره من العصور . وقد عثر علماء الآثار الذين يعملون في العراق على قطع من الآجر المشوي يؤخذ من الكتابة المسطورة عليها أن جرائم الرشوة وخطف الاطفال والنساء كانت كثيرة الشيوع في بلاد بابل قبل المسيح باكثر من الف وخمسمائة سنة

بيوت كالهرم

تنوي بعض شركات البناء البريطانية تشييد بيوت للسكن في لندن تكون ذات شكل كالهرم بحيث تكون كل غرفة وكل « شقة » معرضة للهواء ولأشعة الشمس . وتعتقد الشركة المذكورة أن شكل المساكن الهرمي يجب تعميمه في كل مكان لأنه اكثر استكمالا للشروط الصحية

الحرباء

الحرباء (ومؤنثه الحرباءة) دويبة تمتاز ببطء حركتها وتغير لونها . وكان العرب يزعمون أن هذه الدويبة تستقبل الشمس دائماً في الصباح وتتلون ألواناً شتى وفق حرارتها ، ولذلك كانوا يضربون بها المثل في التقلب . ولكن العلم ينكر خرافة استقبالها الشمس أو تلونها بحرارتها . وإنما هي تتلون عادة بلون البيئة التي هي فيها ، فتراها خضراء اللون بين أوراق الشجر ، صفراء فاتحة في الرمل ، داكنة في البيئة القاتمة . ويقال إن اللون ينشأ عن الحالة العصبية التي قد يكون عليها هذا الحيوان من فزع أو خلافه . وكان الأقدمون يعتقدون انه يقتات الهواء فقط لأنه يستطيع البقاء بلا طعام مدة طويلة . ولكن هذا الاعتقاد خطأ فان للحرباء لساناً يقذف به خارج فمه كالسهم ويلتقط به الهوام فيتغذى بها ، وهو يستطيع أن يمد لسانه حتى يصبح طول جسمه

المواليد وحكمة الطبيعة

تقول مجلة الاتحاد الطبي الأميركي إن احصاءات المواليد تدل على أن الحمل الذى يتم بين شهرى يوليه وسبتمبر يسفر غالبا عن مولود ذكر . ويؤخذ من المباحث التى قام بها فريق من العلماء الانجليز أن المواليد الذكور فى الأرياف اكثر نسبياً منهم فى المدن، حالة ان المواليد الاناث فى المدن تزيد نسبياً على المواليد منهن فى الأرياف. وتدل الاحصاءات أيضا على انه فى الثورات والانقلابات الاجتماعية الكبيرة تزيد المواليد الذكور على المواليد الاناث . وقد شوهدت هذه الظاهرة الغريبة فى الحرب العظمى الماضية وفى الحروب والثورات التى تلتها بلا استثناء . أما البلاد التى تقف على الحياد فلا تشاهد بها هذه الظاهرة

وهنالك بلاد تكثر فيها المواليد الذكور كثرة تسترعى الانتباه وفى مقدمتها بلاد اليونان ، فان نسبة المواليد الذكور فيها عالية جداً بخلاف اليابان وايطاليا فان الكثرة فيهما للاناث . ويقول الأستاذ رسل العالم البيولوجى المشهور انه ليس ثمة أى دليل على وجود علاقة أكيدة بين عمر الوالدين وجنس المولود . واذا كانت ثمة أية علاقة فهى على الأرجح بين عمر الوالد فقط وجنس المولود ، وعلى كل فان جميع المباحث الطبية والبيولوجية والاحصاءات الموثوق بها تدل على أن المواليد من الذكور اكثر من الاناث ، وحكمة الطبيعة فى ذلك لا تخفى

حاسة السمع

تختلف حاسة السمع باختلاف الاشخاص . فما تسمعه أنت وتحسبه صوتاً عالياً قد يحسبه غيرك منخفضاً. وهذا هو السبب في أنك قلما تجد جمعاً من الناس يتفق أفراده على درجة ارتفاع الصوت الذى يجب أن تكون عليه آلة الراديو أو انخفاضها . وتدل التجارب الكثيرة على أن بعض الناس يستطيعون أن يسمعوا الهمسات بوضوح ، بينما غيرهم ـ ممن ليسوا صما بالمعنى المتعارف ـ لا يسمعون دقات الساعة ولو أنصتوا اليها ملياً ، ويظهر أن من جملة آثار المدنية أنها تضعف حواس الانسان الخمس اضعافا كبيراً جداً، فالانسان المتوحش يرى ويسمع ويشم على وجه اكمل مما يرى الانسان المتمدن أو يسمع أو يشم . والحواس الخمس جميعها أقوى فى الحيوانات العليا منها فى الانسان

القردة فى الأسر

من الطبائع المعروفة عن القردة أنها لا تتوالد فى الاسر أبداً . ولكننا قرأنا فى إحدى المجلات العلمية أن قردة فى حديقة الحيوانات بمدينة آروس بالدنمرك وضعت منذ عهد قريب مولودة أنثى ولكنها تأبى إرضاعها . ولذلك أخذ موظفو تلك الحديقة يرضعونها بوسائل صناعية ويراقبون تأثير ذلك فى نمو المولودة الجديدة

حرارة النجوم

تختلف درجة حرارة بعض النجوم من ثلاثة آلاف الى خمسين الفاً بمقياس سنتجراد . إلا أن الدكتور هتزلر العالم الفلكى الاميركي يقول إنه قد اكتشف نجوما تعتبر بالنسبة الى غيرها باردة جداً إذ لا تزيد درجة حرارتها على الالف بمقياس سنتجراد .

كلاب البحر

كلب البحر ـ ويسمى فى اللغة القريش ـ هو أشرس الحيوانات البحرية وأشدها فتكا بالحيوانات الاخرى وبالانسان أيضاً . وهو يعيش فى البحار المالحة ولا يوجد فى الأنهر . والموجود منه فى البحار الاستوائية أشرس كثيراً من الموجود فى المياه المعتدلة . والصيادون يغامرون بحياتهم فى سبيل صيده طمعاً فى جلده وفى زيت كبده الذى لا يقل نفعاً عن زيت كبد الحوت . وهذا الحيوان أنواع كثيرة يصل طول بعضها الى اثنى عشر متراً

الدببة فى العصور الخالية

كانت الدببة تسكن كهوف أوربا ومغاورها جماعات جماعات منذ نحو خمسين الف سنة أى فى العصر الجليدى الاخير . وفى بعض تلك الكهوف بقايا متحجرة لهياكل تلك الدببة . وقد كانت ذات أحسام هائلة فى الكبر . ولا شك ان قوتها البدنية أيضا كانت هائلة

أكل اللحوم

يعتقد بعض الناس أن اقتصار الانسان على أكل اللحوم فقط دون البقول (الخضراوات) مضر وأنه يسبب داء الاسقربوط . ولكن فريقاً من الاطباء ينكرون ذلك ويقولون إن الاسكيمو لا يأكلون سوى اللحوم وأكثرهم يأكلونها نيئة . وقد قام اثنان من كبار الاطباء السكندناف بتجربة لاختبار تأثير الاقتصار على أكل اللحوم ، فانقطعا عن اكل الخضراوات عاما كاملا لم يذوقا فى خلاله سوى اللحوم ، وفى نهاية العام كانت صحتهما على أحسن ما يرام . ولاشك أن اغتذاءهما بالكبد فى جملة ما كانا يغتذيان به من اللحوم أفادهما وحال دون تأثر صحتهما ، إذ لا يخفى ما فى الكبد من الفيتامين « ج » الذى يمنع الاصابة بمرض الاسقربوط

طرائف

* يقول أحد كبار الاطباء الالمان إن عشر حوادث الجنون فى مختلف أنحاء العالم ناشئة عن مرض الزهرى . وهذا الحكم مبنى على فحص أربعين ألف شخص من المصابين بالامراض العقلية فى أوربا وأميركا

* كثرة الدسم فى الطعام تضر ولا تنفع . فهى تمنع الهضم والنمو وتؤدى الى زيادة سمن الجسم دون أن تزيد قوته . وعليه فليس من الحكمة الافراط فى أكل الأطعمة التى يكثر دهنها ، ولا سيما القشدة (الكريمة)

* فى أخبار الصحف الاميركية أن بعض الزراع الامريكيين فى « نورث داكوتا » تمكنوا من ايجاد صنف من البطيخ خال من البذور خلواً تاماً وهم يرجون أن يتمكنوا من اكثار هذا الصنف بزراعته على نطاق واسع

* كان تطعيم أشجار الفواكه معروفا عند الرومان وكانوا يمارسونه على نطاق واسع . وكثيراً ما كانوا يطعمون أشجار بعض الفواكه ـ ولا سيما العنب ـ لتحسين النوع أو النتاج

* عثر العلماء فى انجلترا فى الصيف الماضى على جمجمة بشرية متحجرة على عمق ٢٤ قدما فى قاع نهر التيمز . والارجح انها جمجمة الانسان السابق لفجر التاريخ

كتب جديدة

الملك هنرى الخامس

مسرحية لشكسبير

ترجمة الاستاذ سامى الجريدينى

نشرتها دار الهلال . صفحاتها ٧٦

خير القصص ما اجتمع فيه جمال الأدب وروعته ، الى حسن العبرة وبلاغها . وهـذا ما نلمسه فى هذه المسرحية التاريخية القيمة

فمن الناحية الفنية لايسع المرء إلا أن يقول : إنها من آثار شكسبير ! . . وإذاً فهى الشعر فى أسمى آياته وأنبلها ، واسلس صوره واجزلها ، وهي الحكمة فى ابلغ معانيها واعمقها ، وفى أدق آرائها وأقواها . وهل ثم من نفذ الى النفس الانسانية كما نفذ شكسبير الى زواياها وخباياها ، فصورها بما اصابت من ذكاء وغفلة ، وما ملكت من حكمة وبلاهة ، وما اضمرت من خير وشر ، وما أتت من عرف ونكر ؟

ومن الناحية الخلقية حسبنا أن نقول إن بطلها هو هنرى الخامس وهو رجل انجليزى ، وإذاً فهو ــ كما يقول المترجم ــ « الرجل الذى يعرف الحياة ، يأخذها كما هى فيلبس لبوسها فى مختلف نواحيها ، ويتمتع بما تقدمه من نقص ومن كمال ، ومن حلو ومن مر ــ رجل يتكيف مع مجارى القدر ، يعبث فى شبابه ويلهو ويسر ، فاذا دعاه داع الى مواطن الواجب والرجولة رأيته ابن بجدتها يجالد الفرسان مرة ، ويداعب الحسان اخرى ، ويعاقر بنت الحان مرات ... »

فاذا أضفت الى هاتين الخصلتين امانة المترجم ودقته ، ورصانة اسلوبه وتدفقه ، استطعت أن تقدر قيمة ما أضيف الى الأدب العربى بنقل هـذه القصة النفيسة . وقد كان من حسن تقديرها أن اهدتها مجلة الهلال الى مشتركيها هذا العام

حى بن يقظان

للاستاذ كامل كيلانى

طبع فى مطبعة المعارف . صفحاته ٨٥

أنشأ الأستاذ كامل كيلانى مكتبة للاطفال ، حافلة بمجموعة كبيرة من القصص المترجمة من اللغات الأجنبية ، فأدى خدمة يلمسها كل أب وأم ، وكل معلم ومرب . ومع أن الاستاذ قد صاغ هذه القصص المترجمة صياغة عربية أصيلة لا تشوبها عجمة ولا تفسدها عامية ، فانه رأى أن من الخير أن يضيف مجموعة من القصص العربية التى يحفل بها أدبنا القديم ، فبدأ اليوم بتقديم قصة « حى بن يقظان » معتزما أن يتبعها بقصص أخرى

وقصة « حى بن يقظان » التى وضعها الفيلسوف الأندلسى ابن طفيـل قصة علمية عميقة ، جلا فيها غوامض العلم العويصة ، وشرح مذاهب الفكر الدقيقة ، وحلل نزعات الانسان المعقدة . فمن عجب أن تختار قصة للاطفـال ! ولـكن الاستاذ كامل كيلانى بما عرف عنه من لباقة وبراعة ، وبما كسب من مران فى تثقيف عقول الأطفال ، استطاع أن يجعل منهـا قصة

ممتعة يقرأها الطفل فرحاً مشغوفا فلا يدعها ولا يملها

وهذه الحلقة الجديدة من سلسلة قصص الأطفال ، تدل على هذا الشوط الطويل الذى قطعه الاستاذ كامل كيلانى بأطفاله . فقد بدأ يقدم لهم قصصاً سهلة مسلية ، ثم تدرج الى تقديم قصص شكسبير وحوليفر ، ثم قصص جعرافية وتاريخية . وهو يقدم لهم اليوم قصة علمية فلسفية ، مشروحة مبسوطة فى أسلوب سلس وصورة واصحة . فرجو لأطفالنا أن ينالوا من استاذهم كثيراً من أمثال هذه القصص التى تفتح منافذ عقولهم ، وتوجههم وجهات منتجة مجدية

قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة

للاستاذ توفيق الطويل

طبع فى دار النشر الحديث . صفحاته ٣١٨

التاريخ عظة وعبرة ، وهذا النضال العنيف الذى نشب بين قرطاجة وروما ، فأودى بالأولى وأبقى على الثانية ، صفحة من صفحات التاريخ ، تفيض بالعبرة البالغة ، وتنطق بالعظة البينة

فهذه مدينة « روما » نشأ فى العراء ، حيث تتعرض لكثير من الشدائد والخطوب ، تارة من البشر وأحرى من الوحوش ، فيشب أهلها وقد ألفوا القوة والخشونة ، واستطابوا العيش فى ظلال المكاره والحروب . وهذه مدينة ـ قرطاجنة ـ تريد أن تحيا فى مأمنها هانئة رافهة ، يستمتع أهلها بالمتع واللذائذ ، ويتقون شدة الكفاح وقسوته قدر مايستطيعون. فاذا ما نشب بين المدينتين كفاح كهذا الذى ألفه البشر بين أفرادهم وجماعاتهم منذ ظهروا على وجه البسيطة ، لم يكن هناك معدى عن أن ينتصر القوى وينهزم الضعيف ، لأن سنة الطبيعة فى إنسانها وحيوانها ، فى نظمها ومبادئها ، فى شعوبها وجماعاتها ، أن الفوز للاقوى وأن البقاء للأصلح

وقد تناول المؤرخون هذا الموضوع الجليل بشتى الدراسات ، فوضعوا فيه من البحوث الدقيقة مالا يكاد يحصى . ولكن قراء العربية ظلوا لا يعرفون عنه الا قليلا لا يغنى ، حتى أتحفهم الاستاذ توفيق الطويل بكتابه هذا الذى يحكى ، فى أسلوب قصصى ، سيرة هذا الكفاح . وقد استطاع المؤلف أن يعرض الموضوع فى صورة شائقة طريفة ، دون أن يجور على حق الأحداث التاريخية التي يتحاماها كتاب ما يسمى « بالقصص التاريخية » . فبدأ يقارن بين نشأة المدينتين وطرق الحياة فيهما ، ثم تتبع أدوار النزاع بينهما معيناً بجلاء الروح المعنوية فى كلا الشعبين ، دون أن ينسى سرد ما ثار بينهما من الحروب فى شيء من الايجاز ، ثم انتهى بفصل قيم حلل فيه هذا الكفاح ورد نتائجه الى بواعثها . ولا شك أن هذا الفصل بما فيه من دقة فى البحث وعمق فى النظر، جدير بأن يسمو بهذه القصة التاريخية الى مصاف البحث الاجتماعى الدقيق

تاريخ ابن الفرات

نشره الدكتور قسطنطين زريق

طبع بالمطبعة الاميركانية ببيروت. صفحاته ٢٤٣

هذا جزء من كتاب « وفيات الاعيان » الذى أرخ فيه ابن الفرات الشرق العربى خلال ثلاثة قرون (٥٠١ ـ ٧٩٩) ، فضم بين دفتيه كثيراً من الحوادث الجليلة والدقيقة ،

ومن تراجم البارزين والمغمورين

وقد رأى الدكتور قسطنطين زريق ، استاذ التاريخ الشرقي بجامعة بيروت الامريكية ، أن ينشر هذا الكتاب مبتدئاً بالجزء الأول من المجلد التاسع الذى يتناول تاريخ الفترة بين سنتى ٧٨٩ ، ٧٩٣ هـ ، وذلك لأنه يعتبر أدق اجزاء الكتاب واوفاها ، فقد تناول ابن الفرات الحوادث التى عاصرها وشاهدها وشارك فيها ، فنهج فى روايتها منهج الشرح والتفصيل والاسهاب . وقد تابع تاريخها يوماً يوما ، وحادثاً حادثا ، مما جعل الكتاب مرجعاً ثبتاً فى كل ما يتعلق بتاريخ الشرق العربى أثناء حقبة من عهد المماليك

أما الأصول التى اعتمد عليها الناشر فعدة نسخ خطية مفرقة فى مكاتب اوربا : فى المكتبة الامبراطورية بفيينا ، والمكتبة الوطنية بباريس ، ومكتبة الفاتيكان ، والمتحف البريطانى . وقد قارن الاستاذ الناشر هذه النسخ بعضها ببعض ، ثم راجعها على غيرها من المؤلفات القديمة والحديثة ، فبعث بهذا سفراً من أجل الاسفار التاريخية ، فى صورة وافية كاملة دقيقة ، إذ تقيد بالأصل وحافظ عليه ، مع التوفيق بينه وبين الكتب الحديثة من حيث التقسيم والتبويب ، حسب الايام والشهور ، أو وفق الاعيان الذين تروى حياتهم . فلعل الدكتور رريق يوفق الى احراج سائر اجراء الكتاب على هذا النمط الدقيق

طلعت حرب

للاساتذة حافظ محمود و مصطفى كامل الفلكى و محمود فتحى عمر

طبع فى مطبعة مصر . صفحاته ١٩٢

كل جيل من الشباب يتمثل العظمة فى فرد من الرجال

وطلعت حرب هو المثل الأعلى الذى اتخذه اليوم شباب مصر ، فكان كثير من جهودهم ومن تفكيرهم متجهاً الى هذه الناحية الاقتصادية التى ارتادها ثم تزعمها طلعت حرب . فمن حق الشباب أن يجد كتابا يدرس حياته الحافلة ويتتبع أدوارها المجيدة ، ومن واجب الكتاب أن يضعوا مثل هذا الكتاب الذى يبين ما أبدى طلعت حرب من آراء سديدة ، وما أنفق من جهود موفقة ، وهذا ما رأى ثلاثة من الشبان النابهين أن يقوموا به فألفوا هذا الكتاب

وقد بدأوا بالحديث عن آراء طلعت حرب الاجتماعية . فذكروا بلاءه الحسن فى حدمة الاسلام والعروبة ، ثم شرحوا رأيه فى تحرير المرأة وموقفه من قاسم أمين . وثنوا بعد هذا بالحديث عن جهاده الوطنى بما قام به من بحوث فى مشروع قناة السويس سنة ١٩١٠ أظهروا فيه ما أوتى الرجل من عبقرية اقتصادية بدت تباشيرها منذ ذلك الوقت . ثم تحدثوا عن هذا الدور المجيد الذى قام فيه بانشاء بنك مصر ، مكافحا روح الضعف والجهالة والتشاؤم ، حتى اقامه بناء شامخاً يرمز للعزة القومية وينير الطريق الى الاستقلال الاقتصادى . وختموا الكتاب بفصلين : أحدهما عن تحليل شخصية الرجل العظيم والثانى عن هذه المدرسة الروحية التى يربي فيها طلعت حرب أبناء الجيل الجديد . ولا شك أن هذا الكتاب بموضوعه وأسلوبه وبحثه من خير ما يقرأه الشباب

الانتداب الفلسطيني

للأستاذ وديع البستانى

طبع بالمطبعة الاميركانية ببيروت . صفحاته ٢٠٨

صدر هذا الكتاب فى الصيف الماضى

وفلسطين فى محنتها تجاهد المعتدى الغاصب لتدفعه عن حقها وحماها ، فصمدت على قلة رجالها وضعف عدتها أمام جيوشه القوية الكبيرة ، فرأت الحكومة البريطانية أن تسالم العرب وتسترضيهم ، زاعمة أن « استحداث صلات أكثر وداً وسلاما مقصد يمكن التوصل اليه ضمن نطاق الانتداب » ، متجاهلة أن العرب أبوا إلا أن يلغى الانتداب وأن تتحرر فلسطين على الوجه الصحيح

وقد قام الاستاذ وديع البستانى ، عضو الوفد العربى الفلسطينى الثالث ، بوضع هذا الكتاب الذى ساق فيه الأدلة البينة والشواهد الدامغة على أن مشكلة فلسطين ليس لها سوى حل واحد ، هو إلغاء الانتداب البريطانى ، ذلك أن الوثيقة التى انتدبت بمقتضاها بريطانيا تخالف عهد جامعة الأمم ، كما أن بريطانيا لم تف بما قطعت من عهود ، ولم تقم بما فرض عليها أداؤه من واجبات

والكتاب مجموعة من الوثائق والتقارير درست فيها مشكلة فلسطين من نواحيها الثلاث العربية واليهودية والبريطانية . وقد وضع نسخة منه بالانجليزية رفعها الى طائفة من السياسيين الانجليز . وإنا لنرجو أن توفق فلسطين الى تحقيق آمالها بفضل ما أريق من دماء أبنائها ، وما بذل من جهود زعمائها ومفكريها

ظلامة فلسطين

للاستاذ حسن صدقى الدجانى

طبع بالمطبعة التجارية بالقدس . صفحاته ١١٢

وهذا كتاب آخر عن فلسطين المظلومة وضعه مؤلفه وهو معتقل أثناء الاضراب العام ، وجعله نداء الى أبناء البلاد العربية جميعاً ، كى يكونوا على بينة من قضية شقيقتهم فلسطين . والحق أنه من خير الشروح والبيانات الخاصة بأدوار تلك القضية منذ كانت فلسطين خاضعة للحكم التركى الى أن وقعت فى قبضة الانتداب البريطانى . ومع أن فصول الكتاب تضطرم غيرة وحماسة فان المؤلف لم يعد مرة عن جادة الحق ، لأنه اعتمد على الوثائق التى لا شبهة فيها ، والأرقام التى لا تكذب ولا تمين

نظرات تاريخية دستورية

للاستاذ حسن صادق

طبع فى لجنة التأليف والترجمة والنشر . صفحاته ١٨٤

ملنا الدستور بعد أن بذلنا فى سبيله أقوى الجهود ، واسترخصنا أغلى التضحيات . ولكن ما زلنا فى حاجة الى « تربية دستورية » تمكننا من أن نستغل هذا الدستور على وجهه الصحيح

وقد أراد الأستاذ حسن صادق بتأليف هذا الكتاب أن يساهم فى هذه « التربية » بأن يعرض للشعب ثلاثة دساتير : الألمانى والنمسوى والتشيكوسلوفاكى . وهى الدساتير التى وضعت بعد الحرب العظمى فضمت أحدث الآراء والنظريات الفقهية ، وتكيفت وفق ظروف تتشابه فى كثير من نواحيها مع الظروف التى نشأ فيها الدستور المصرى . وقد تناولها المؤلف من ثلاث نواح ، فابتدأ بالكلام على الناحية التاريخية من حيث الملابسات التى أحاطت باعدادها ، ثم تحدث عن الناحية السياسية وأوضح الافكار التى أوحت بها الى مشرعيها ، ثم انتهى ببحث الناحية القانونية الفقهية

وقد وفق الأستاذ فى بحثه كما وفق فى اختيار الموضوع ، لأن هذه الدول الثلاث تتفق مع مصر فى أغلب المظاهر . فهى قد عانت

الظلم كما عانته مصر ، وأرادت أن تتحرر كما أرادت مصر ، وقد حققت غرضها كما حققته مصر . فمن الواجب أن يضرب دستورها مثلا لمصر فيما تذرعت به من الحزم والتبصر ورجاحة الفكر

غاية المأمول

في الفعل الواصل وأسرار الموصول

للاستاذ حسن عبد اللطيف عرام

مطبعة رمسيس بالعطارين . صفحاته ٣٠٠

يضم هذا الكتاب ـ كما يقول الاستاذ توفيق رفعت باشا رئيس المجمع اللغوى ـ « بحثات من أسرار الصلات ، أحصها الصلة بين فلسفة النحو في نحو منه ، ووجهة من فقه البلاغة في بلاغة منها »

فهو بحث في دقائق اللغة من ناحيتين : فقهها وبلاغتها ، عرض فيه المؤلف قواعد الصلات بين الالفاظ ، وأسرار تأليف الجمل والعبارات ، مما تمس اليه حاجة من يريد أن يقرأ الأدب العربي ويتذوقه على وجهه الصحيح ، أو يريد أن يكتب ويجمع بين اللفظ والنحو وبين المعنى والبلاغة

ولا ريب أن اولئك الذين يستثقلون دراسة اللغة العربية لسوء المناهج التي سار عليها المؤلفون سيجدون في هذا المؤلف المرتب المنسق ، الوافي الدقيق ، ما يشوقهم الى استجلاء أسرار البيان العربي وتذوق آياته الفصحى . فان المؤلف سار على نهج حديث ، يمهد للقاعدة ويبسطها ويشرحها ، ثم يدعمها بأساسها ودواعيها ، ثم يربط حديثها بقديمها ، فكان بحثه خير بلاء في خدمة اللغة العربية

التلميذ

لبول بورجيه . ترجمة عبد المجيد نافع

طبع في مطبعة حجازى . صفحاته ١٩٦

« التلميذ » قصة اجتماعية أراد فيها بول بورجيه أن يقاوم موجة الالحاد التي طغت على فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر ، فعصفت ريحها بكل خلق فاضل ، فاذا بالناس يجحدون الدين ، ويتنكرون للشرف ، ويهجمون على الفضيلة . الشبان يلتمسون اللذه والمتعة أينما وجدوها ، ولا يتورعون في هذا السبيل عن أن يقارفوا أي شر ونكر ، والآخرون يهدمون النظم القائمة والتقاليد الموروثة ، ليزيلوا كل ما يصدهم عن رغائبهم المنكرة المرذولة

في هذه الغمرة وقف بول بورجيه بقصته « التلميذ » يصد تيار الالحاد ، ويواجه عاصفة الاباحية ، ويدفع عن الشبان أذى هذه الفوضى الفكرية . ولهذا فان نقل هذه القصة الى الادب العربي خدمة تؤدى الى كل شاب يريد أن يخوض معترك الحياة ، وإلى كل فتاة تريد أن تحب للوطن من يخدمونه مخلصين . وقد عنى المترجم باختيار لغة ترضى بلاغة الخاصة ولا تعسر على فهم العامة ، مع شيء من التصرف والحذف في بعض مواضع القصة كي يتفادى ما يصطدم بالشعور الديني ، ويتحاشى ما يتعارض وتقاليدنا القومية ، وظل بعد هذا أمينا على فكرة الكاتب حريصاً على إظهار المبدأ الذى يدعو الى تحقيقه

بين الهلال وقرائه

الراديوم

(بيروت ــ لبنان) اسكندر حورى
ما هو الراديوم الذى نسمع عنه كثيراً فى هذا العصر وما سبب ماله من الشأن ؟
(الهلال) الراديوم هو أحد العناصر الكيمياوية النادرة وقد اكتشفه العالم كورى بمساعدة زوجته ، وهو من المعادن . ويرجع ماله من الشأن الى كون الجواهر الفردة التى يتألف منها هى فى حالة انفجار مستمر فان ألوف الملايين منها تنفجر فى كل ثانية وبعد انفجارها تتحول الى جوهر من غاز الهليوم وجوهر آخر يسمى بيتون . ومع أن الملايين تنفجر فى كل ثانية فان قطعة الراديوم لا تفقد سوى نصف حجمها بعد ألفى سنة بحيث يصح القول بان كل كمية من الراديوم تفقد نصفها بعد ألفى سنة
وللدلالة على قوة الراديوم الهائلة نقول إن القوة التى تنطلق من جواهر « اونس » واحد من هذا العنصر تعادل القوة الناتجة من إحراق عشرة أطنان من الفحم الحجرى

الدخان

(بيروت ــ لبنان) ومنه
ما هو الدخان الذى يتصاعد من بعض المواد عند احتراقها ؟
(الهلال) هذا الدخان هو ذرات صغيرة من الكربون غير مشتعلة . فاذا أشعلت الخشب مثلا انبعثت منه ملايين الذرات من الكربون قبل أن تحترق لأن تيار الهواء يفصل تلك الذرات و يحملها بعيداً

كثافة السيارات

(بغداد ــ العراق) فائز الحسينى
هل السيارات المعروفة تشبه الكرة الأرضية فى تركيبها وكثافتها ؟
(الهلال) ان بعض سيارات النظام الشمسى هى على الأرجح في حالة سائل وبعضها خفيف جداً بالنسبة الى حجمه . والمعروف أن السيار زحل مثلا هو قليل الكثافة بل هو أقل كثافة من الماء ، حالة أن نبتون واورانوس هما أكثف من الماء قليلا

قوة حرارة الشمس

(بغداد ــ العراق) ومنه
ما هو مقدار القوة التى تتلقاها الأرض من الشمس ؟
(الهلال) كل قدم مربعة من الارض معرضة لأشعة الشمس مباشرة تتلقى فى كل دقيقة ألفاً وثمانمائة من وحدات الحرارة المسماة « كالورى » . وتتلقى سطح الكرة الأرضية كله من حرارة الشمس قوة تعادل القوة الناتجة عن إحراق مائة مليون طن من الفحم كل دقيقة

لون الشمس عند الغروب

(الموصل ــ العراق) ح . ن
لماذا تبدو الشمس حمراء عند الغروب ؟
(الهلال) كلما كان الهواء مشبعاً بالغبار كان النور الذى يمر فيه احمر اللون . فاذا نظرت الى نور الشمس من خلال الغبار لاح ذلك النور أحمر . ولا يخفى أن أشعة الشمس فى كلا وقت الشروق ووقت الغروب تجتاز طبقة من الهواء أكثف من الطبقة التى تجتازها فى منتصف النهار . ولذلك تبدو فى ذينك الوقتين حمراء اللون

ظهور الحياة

(الموصل ــ العراق) ومنه
هل ثبت علمياً الزمن الذى ظهرت فيه الحياة على الأرض ؟
(الهلال) لم يثبت ولا نظن أنه سيثبت . وعلى

كل فان الحياة لم تظهر على الأرض الا بعد أن بردت فتحول الحار الذى كان فيها الى ماء . وما زالت تبرد وتتكاثف الى أن تكونت اليابسة والصخور والبحار . ثم ظهرت الحياة أولا نشكل نباتات وما زالت ترتقي وتتنوع حتى ظهرت جميع الانواع الحية المعروفة

ازالة الشعر بالكهربائية

(دمشق ـ الشام) حسن الحارى

هل صحيح أنه يمكن ازالة الشعر بالكهربائية ازالة تامة لا نمو بعدها ؟

(الهلال) نعم ، وذلك باطلاق التيار الكهربائي على جذور الشعر فيميتها كما يمي التيار الكهربائى كل جسم حى اذا مر فيه

لون الأزهار

(دمشق ـ الشام) ومنه

قرأت فى إحدى المجلات العلمية أنه ليس فى العالم زهر أخضر اللون . فهل هذا صحيح ؟ وما وجه الحكمة فيه ؟

(الهلال) لم نر قط فى حياتنا زهرة خضراء ولا نعرف زهرة ذات لون أخضر . وحكمة الطبيعة فى ذلك واضحة ، فان اللون الاخضر هو لون أوراق النباتات ولما كان من خواص الأزهار أنها تجتذب اليها النحل فقد قضت حكمة الطبيعة بجعل لون الزهرة يختلف عن لون أوراق النبات لكى تستطيع النحلة التمييز بينهما

غذاء الدماغ

(سان باولو ـ البرازيل) أحد المشتركين

هل هنالك أنواع خاصة من الغذاء تنفع الدماغ اكثر مما ينفعه غيرها ؟

(الهلال) كان المظنون حتى عهد قريب أن بعض المواد الغذائية كالسمك مثلا تنفع الدماغ اكثر من غيرها بسبب مادة الفوسفور التى فى السمك . ولكن العلم أثبت فساد هذا الزعم فان خلايا الدماغ تستهلك المواد الغذائية جميعها على حد سوى . وأحسن طريقة لتغذية الدماغ هي الحرص على صحة الجسم كله

للزينة أم للوقاية

(سان باولو ـ البرازيل) ومنه

المعروف ان الانسان قبل أن ينتقل من طور الهمجية الى طور الحضارة كان يعيش عارى الجسم . فهل كان لبسه للثياب لاتقاء البرد والحر أم للزينة ؟

(الهلال) الأرجح أنه كان لاتقاء البرد والحر ، اذ لم تكن الزينة لتهمه فى تلك العصور الخالية . والدليل على ذلك ان الانسان استقبل فجر التاريخ وهو لا يزال فى أواخر العصر الجليدى يوم كان البرد قارساً جداً . فكان من الطبيعى أن يكتسى بجلود الحيوانات لتقيه البرد . وبمرور الزمن اعتاد لبس الثياب وأصبح لا يستطيع الاستغناء عنها لأن قوة المقاومة الكامنة فى جسمه ضعفت كثيراً جداً . ولما ارتقى فى سلم المدنية أخذ يتفنن فى لبس الثياب ، وبعد أن كان يستعملها للوقاية من البرد والحر صار يستعملها للزينة أيضاً

العقل والقلب

(عمان ـ شرقى الأردن) أحد القراء

ألا ترون من تنزل الملك ادوارد الثامن عن عرش بريطانيا العظمى ان الانسان أسرع انقياداً الى سلطان القلب منه الى سلطان العقل ؟

(الهلال) لسنا نرى رأيكم . فبعض الناس ضعاف الارادة الى حد أن عواطفهم تتحكم فى أعمالهم وتمنعهم عن الانقياد الى العقل والمنطق . وبعضهم يمتازون بقوة ارادتهم فيلبون نداء العقل ولا يسمحون لأهوائهم وعواطفهم بأن تتحكم فيهم . وقد كان ادوارد الثامن من الفريق الأول فلم يستطع أن يضحى بالمرأة التى أحبها ، مع أن الملايين من الرعايا البريطانيين ضحوا بحياتهم فى الحرب العظمى الماضية من أجل الامبراطورية . وكان يجدر به أن يقتدى بالامبراطور تيطس الرومانى الذى حكم فى القرن الاول بعد المسيح ، فانه أحب فتاة يهودية من سلالة الملك هيرودس واستقدمها الى روما ليتزوجها . ولما أدرك أن الشعب الرومانى ليس راضياً عن هذا الزواج أعاد الفتاة الى أهلها وعدل عن الاقتران بها

الأحوال الجوية

(عمان ــ شرقي الاردن) ومنه

هل تتغير الاحوال الجوية على سطح الكرة الارضية بمرور الزمن أم هل تظل على ما هي عليه ؟ واذا كانت تتغير فما هي العوامل التي تسبب ذلك التغير ؟

(الهلال) تتغير الاحوال الجوية تغيراً مستمراً . والعوامل التي تؤدي الى ذلك كثيرة قد كشف العلم عن بعضها ولا يزال البعض الآخر مجهولا . فقد حسبين ألف سنة مثلا كان البرد شديداً جداً في معظم أصقاع الكرة الارضية حتى كان ذلك العصر يعرف بالعصر الجليدي . ثم زال البرد تدريجياً وحل محله جو معتدل في اكثر الاقاليم . ولا يخفى ان ازدياد المزروعات وانتشار طرق الري وكثرة استعمال الكهرباء وغير هذه العوامل تؤثر في الاحوال الجوية تأثيراً عظيما . كما أن حركة النظام الشمسي بمجموعه وانتقاله من جهة الى جهة في فضاء الكون من العوامل التي يظن الكثيرون أنها تؤثر في الاحوال الجوية بوجه الاجمال

خراب بومباي

(طنطا ــ مصر) طالب تاريخ

متى دمرت مدينة بومباي وما هي الظروف التي دمرت فيها ؟

(الهلال) بومباي مدينة رومانية قديمة واقعة عند سفح بركان بزوف كانت مقصد أغنياء الرومان قديماً وكان لهم فيها قصور وملاه كثيرة . وفي سنة ٧٩ بعد المسيح ثار بركان بزوف وقذف على بومباي سيلا هائلا من الحمم غمر المدينة كلها وأهلك كل نسمة حية فيها . وفي سنة ١٧٤٨ عثر فلاح ايطالي على بضعة تماثيل قديمة بجوار المكان الذي كانت فيه المدينة ، وللحال بدىء بالتنقيب عن آثارها . فأزيلت الأنقاض عن جانب صغير منها فبدت للعيان بقايا قصور فخمة وآثار تدل على الكثير من نظم الاجتماع وأساليب المعيشة عند أهل ذلك العصر . ولا تزال النقوش والتصاوير التي كشف المنقبون عنها جديدة كأنها من صنع أهل هذا العصر

شلمناصر ملك أشور

(طنطا ــ مصر) ومنه

قرأت في أحد كتب التاريخ المدرسية أن شلمناصر ملك أشور حكم من حوالي سنة ١٢٨٠ الى سنة ١٢٦٥ قبل المسيح . ثم قرأت بعد ذلك بقليل في الكتاب عينه أن شلمناصر غزا فلسطين وحارب الفينيقيين في القرن الثامن قبل المسيح . فكيف يوفق بين هذين التاريخين ؟

(الهلال) ليس في الامر غرابة . فقد حكم شلمناصر الاول على أشور في القرن الثالث عشر قبل المسيح . أما الذي غزا فلسطين وحارب الفينيقيين فهو شلمناصر الرابع

تعريب الأعلام القديمة

(طنطا ــ مصر) ومنه

قرأت في كتاب التاريخ المشار اليه أسماء مدن كما كانت تعرف قديماً . وهذه الاسماء القديمة غير معروفة عند اكثرنا ولا يمكننا أن نستدل منها على المسميات الحديثة . نذكر لكم منها « بيبلوس » و « اورنتوس » و « ايميسا » و « تير » فما الغرض من استعمال الاسماء القديمة وما هي الاسماء الحديثة المقابلة للاسماء التي ذكرناها ؟

(الهلال) ذكر الاسماء القديمة أمر طبيعي في الكلام على التاريخ القديم . فليس من المعقول مثلا أن نتكلم على تاريخ مدينة القسطنطينية في عصر الملك قسطنطين ونسميها الآستانة . ولا أن نتكلم على مدينة بطرسبرج في عصر القيصر بيقولا الثاني ونسميها باسمها الحاضر (لينغراد) . أما مدينة « بيبلوس » القديمة فهي جبيل الحاضرة (شمالي صيدا) والمراد « باورنتوس » هو نهر العاصي بسوريا . ومدينة « ايميسا » هي حمص الحاضرة . أما « تير » فهي مدينة صور على سواحل سوريا وقد اشتهرت في أيام الحروب الصليبية

تولستوى

(اللاذقية ـ سوريا) س . ك

متى عاش تولستوى ؟ وهل كان ملحداً ؟ وما هى أهم الروايات التى ألفها ؟

(الهلال) ولد الكونت ليون تولستوى فى ياسنايا ـ بوليانا بروسيا سنة ١٨٢٨ وتوفى فى مدينة استابوفو سنة ١٩١٠ . وهو أعظم روائى اجتماعى أنجبته روسيا . ولم يكن ملحداً وإنما كان شديد التمسك بتعاليم الديانة المسيحية الأولية . وكان فى مبادئه شديد التمسك بالاشتراكية الصحيحة . أما أهم الروايات التى وضعها فهى « الحرب والسلام » ورواية « البعث » ورواية « آنة كارنين » وقد مثلت الأخيرتان بالسينما

وجميع روايات تولستوى تصور نظام الاجتماع الروسى وأخلاق الروس وآدابهم ونظام معيشتهم

صور السماء وسبب تسميتها

(بيروت ـ لبنان) ملحم أسعد

درج علماء الفلك على تسمية مجاميع النجوم بأسماء حيوانات مختلفة . فما سبب ذلك ومن هم أول الذين وضعوا تلك الأسماء ؟

(الهلال) لا نعلم تماما من هم أول الذين وضعوا تلك الأسماء ، ولكنا نعلم أن المصريين جروا على هذه الطريقة وكان عندهم كتاب مصورة لمجاميع النجوم منها صور عقاب وأسد وأفعى وهلم جرا . ودرج الهنود على مثل ذلك فسموا بعض المجاميع باسم النعجة والأورة والكلب وغير هذه الحيوانات . وجرى الصينيون أيضاً على مثل ذلك . واقتبس اليونان معظم الصور التى وضعها الكلدان . وسمى العرب كثيراً من تلك المجاميع بأسماء حيوانات وغيرها ، ومنها الفرقدان والجدي والعائد والعناق والظباء والأسد والدئبان والتنين والرامح (وهو ولد الناقة) والشاء والضباع والغول والحية والحمل وهلم جراً من الأسماء التى يكاد يتعذر حلها . والغريب أنه ليس بين تلك الأسماء والمسميات أية علاقة أو وجه شبه . ولكن الناس فى مختلف العصور درجوا على تعريف مجاميع النجوم بصور الحيوانات

السدم اللولبية

(بيروت ـ لبنان) ومه

ما هى السدم اللولبية التى يرد ذكرها من وقت الى آخر فى الكتب والمجلات التى تبحث فى علم الفلك ؟

(الهلال) الأرجح أن كل سدم منها عالم من الأكوان كعالم المجرة الذى منه شمسنا وسياراتها . ويبلغ عدد السدم اللولبية نحو سبعمائة وخمسين ألفاً أو أكثر . وهى متناهية فى البعد ، فان نور أقربها الينا لا يصل الينا فى أقل من مائة وعشرين ألف سنة . حالة أن نور بعضها يستغرق فى وصوله الينا ثمانمائة ألف سنة مع أن سرعة النور تبلغ ثلثمائة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة . فتأمل فى بعد تلك الأجرام !

زيت الخروع

(حماه ـ سوريا) ن . س

مم يستخرج زيت الخروع ولماذا لا يستطيع الكيمياويون تحسين نوعه تسهيلا لتعاطيه ؟

(الهلال) يستخرج هذا الزيت من شجيرة تسمى نبات الخروع صغيرة الحجم ولكنها قد تنمو فى بعض الجهات فتبلغ ارتفاع شجرة عادية . وهى من شجيرات المناطق الحارة فى آسيا وافريقا واسمها العلمى « ريسينوس كوميونس » وأوراقها عريضة خضراء ضاربة الى الاصفرار . وأزهارها خالية من (التلات) أى الوريقات الصغيرة التى تحيط بالزهرة . ولها بزور شبه حب الفول أو اللوبيا وهى سامة ومع ذلك يستخرج منها زيت الخروع . وهذا الزيت لزج يضرب الى الصفرة أو لا لون له ، يستعمل مسهلا كما يستعمل أيضاً فى صناعة الجلد والصابون وفي (تزييت) عدد الطيارات وآلاتها . أما طعمه فكريه جداً ، ولم يستطع علماء الكيمياء تحسينه حتى الآن وأحسن طريقة لتعاطيه أن يؤخذ فى فنجان بين طبقتين من القهوة أو البيرة أو ما اليهما

مراحل الهلال

عن الجزءين الخامس والسادس من المجلد السابع من الهلال

صدرا فى ديسمبر سنة ١٨٩٨

ديانة سكان جزائر كوك

كل ما نعلمه عن ديانة أهل هذه الجزائر مأخوذ عما كتبه القس جيل فى كتابه عن « خرافات المحيط الجنوبى وأناشيده » بعد أن عاشر أولئك الاقوام أعواماطوالا فى جزيرة مانجيا واختلط بالكهنة واطلع على أسرار ديانتهم . وخلاصة ما قاله ان أهل مانجيا يتصورون الكون كرة مجوفة مثل قشرة جوزة الهند وان ليس فى تلك القشرة الا فتحة واحدة يقيمون هم فيها . وفى قاعدة تلك القشرة نتوء غليظ يستدق حتى ينتهى برأس دقيق هو عندهم الروح أو الشيطان ويسمونه « جذر الوجود كله » وفوق ذلك الرأس روح كبرى يسمونها « الحياة أو النفس » فوقها روح أكبر منها اسمها « الطويله الحياة » . وان هذه الارواح الثلاث تتعاون على حمل الكون . وان فى جوف تلك القشرة روحا انثوية اسمها « أول الاوائل » شديدة الميل الى التناسل اقتطعت ذات يوم من جنبها الايمن قطعة تكون منها الانسان الاول واسمه « فاتيا » وهو عندهم « أبو الآلهة والبشر » . ثم تولد من جنبيها الايمن والايسر أرباب البحور والرياح وغيرهما من الحوادث الطبيعة ، ورب اسمه « توميتو » أى « ملتصق بالوالدين » يعيش فى الارض (الخرساء) وعند أهل بولينيسيا الآن إله اسمه « تو » (مختصر توميتو) يعدونه من أعظم الآلهة

هذا هو أساس خرافاتهم الدينية وقد بنوا على هذا الاساس تفاصيل مطولة لا تقل طولا وأهمية عن خرافات اليونانيين القدماء

قال القس جيل وليس لاهل هذه الجزائر اعتقاد فى إله علوى خلق الكون من العدم ، ولكنهم ألهوا بعض عظمائهم وبعض الاسماك والطيور والزحافات والهوام . والكهنة عندهم رسل الالهة . ويتناقلون من أقاصيصهم مالا يخلو ذكره من فكاهة فيزعمون أن « رونكو » (أحد كهنتهم أو رؤسائهم المؤلهين) من سلالة فاتيا وأنه أعظم آلهة مانجيا يقيم فى الليل أو فى الاظلال وان « موتورو » من أسلاف الآلهة ويلقب « الاله الحى » وله رسم محفوظ فى متحف الآثار لجمعية المبشرين فى لندن

لغة سوريا وفلسطين عند الفتح الاسلامى

كانت لغة سوريا وفلسطين على عهد الفينيقيين فينيقية وما زالت كذلك حتى فتحها الاسرائيليون فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد فأصبحت عبرانية ، فلما كان السبى البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد وحمل اليهود الى بابل فأقاموا فيها جيلا أو جيلين أصبحت لغتهم بعد عودهم من السبى مزيجاً من العبرانية والكلدانية (لغة بابل إذ ذاك) وهى التى كتبوا بها التلمود ويسمونها الآرمية (اصطلاحا) . حتى اذا كان القرن الرابع قبل الميلاد دخلت سوريا فى حوزة الاسكندر الاعظم المكدونى ثم تولاها سلوقوس ومنه الدولة السلوقية ولغتها اليونانية فكانت هى لغة الحكومة والمخاطبات الرسمية ولغة العلم والمدارس وبعض الكنائس. أما عامة الشعب فما زالوا يتكلمون لسان أمهاتهم (الآرامى) . يشبه ذلك ما نشاهده أو نخشى حدوثه فى مصر إن طال الاحتلال الانكليزى قروناً ، فان اللغة الانكليزية تعم الاقسام الرسمية ويتكلمها كل المتعلمين ، وهم يتكلمون أيضاً لغتهم العربية ولكنها تكون قد فسدت وانحطت . وأما العامة فقد يبقون على العربية ممزوجة بألفاظ انكليزية عامية

وفى أواسط القرن الاول قبل الميلاد أصبحت سوريا ايالة رومانية والرومانيون يعلمون ان خير وسيلة لاستتفاء نفوذهم فى مستعمراتهم انما هى تعميم لغتهم وإماتة لغاتها فنشروا اللغة اللاتينية فى كل أوربا فتغلبت على اللغات الاصلية التى كانت شائعة في اسبانيا وشمالى افريقا وغيرها من المستعمرات هناك وأصبحت هى لغة العلم والسياسة والدين ، وأما تلك فلا يتكلم بها الا أهل الحال

واما مستعمراتهم اليونانية فشق عليهم إماتة لغاتها لأن اليونان انما دانوا للرومانيين بحكم القوة ، لكنهم لا زالوا يعتقدون أنهم أرقى منهم علماً ونساً ، فحافظوا على لسانهم كل المحافظة، وخصوصاً لان الفلسفة والعلم والدين والاناجيل والتوراة كتبت بها ، فظل عظماء اليونانيين فى سوريا وفلسطين ومصر محافظين على لسانهم ولم يرفضوا لسان حكامهم فجمعوا بين الاثنين .
وأما الوطنيون الاصليون فقلما كانوا يطالبون تعلم أحد اللسانين لان الحكومة اليونانية لم تكن توليهم المناصب . فقد ذكر ديون كاسيوس أنه مضى على حكم الرومانيين في مصر ٢٣٠ سنة ولم يولوا فى مجلس شيوخهم رجلا وطنياً

وخلاصة القول أن اللغات التى كانت منتشرة فى سوريا وفلسطين عند الفتح الاسلامي ثلاث (١) اللاتينية وهى لغة الحكومة وقل من لم يكن يعرفها من الشعب ولو معرفة ضعيفة .أما رجال العلم والسياسة فكانوا يتعلمونها جيداً (٢) اليونانية وقد حفظها العلم والدين وكان اليونانيون بالاجمال يتكلمونها مع اللاتينية (٣) اللغة الآرامية بعد تنوعها بتوالى الزمن وكانت هى لغة عامة الشعب وهم اليهود ، والغالب أنهم كانوا يتعلمون أيضاً اللاتينية لما لا يرون منه بداً فى معاملاتهم

القوى الكامنة

ان القوى الطبيعية تكون كامنة في المادة فيظهرها الضغط أو المقاومة فنستخدمها فى قضاء حاجاتنا ولولا ذلك لظلت تلك القوى مختفية لا تنفعنا شيئاً

وذلك شأننا أيضاً فى المقاومة الادبية، فان الانسان قد يكون مفطوراً على الذكاء وحدة الذهن أو الهمة والاقدام فاذا لم يلاق مقاومة وضغطاً ظلت تلك القوى كامنة فيه فيخيل لك أنه بليد خامل حتى تعترضه عقبات تقف فى سبيله فيحتك بها فتبدو مواهبه فينبغ ويأتى بأعمال عجيبة . ولقد ترى أشد الناس تأثيراً فى ترقية شؤون المجتمع الانسانى أكثرهم تعرضاً للضغط والمقاومة . ولنا من تراجم مشاهير الناس وتواريخ الأمم والجماعات أقرب شاهد . ويتضح ذلك بالاكثر فى المذاهب الدينية فان الاضطهاد الذى قاساه زعماء الاديان ونصراؤها قد كان أكبر منشط لهم وأقوى دافع على المواظبة والسعى فى نشر مبادئهم . على حين أنهم لو تركوا وشأنهم ما نالوا معشار ما نالوه من الفوز . يكفيك ما تعلمه عن الاضطهاد الذى قاساه رسل المسيح فى أثناء تبشيرهم فقد لاقوا أشد أنواع العذاب ومات معظمهم قتلا

فوائد

* كثيراً ما يتساءل الناس عما دعا الانسان الى اتخاذ بعض الاصابع للبس الخواتم دون سواها. والجواب على ذلك أنها عادة مصرية قديمة يقال فى أصلها إن المصريين القدماء كانوا يعتقدون بعرق في بنصر اليد اليسرى متصل بالقلب فألبسوها الذهب اكراماً

* كثيرا ما نسمع بالقتل شنقاً أو خنقاً أو حرقا أو نحو ذلك ، ولكنا لم نسمع بالقتل سلقاً حتى أجرته حكومة الفرس سنة ١٨٩٠ عقابا لرجل اختلس حاصلات المملكة ،فوضعوه فى حلة كبيرة فيها ماء بارد وأوقدوا النار تحتها فما زالت تحمى حتى غلت ونضج اللحم ففرقوا العظام تذكاراً وعبرة

* بلغ وزن دماغ البرنس بسمارك بالحساب المدقق ٦٥⅘ أوقية وهو وزن لم يبلغه دماغ من أدمغة الرجال العظام قبله . ويليه فى الثقل دماغ كوفيه العالم الفرنسى الطبيعى المتوفى سنة ١٨٣٢ فان وزنه ٦٤¼أوقية . ثم دماغ اللورد بايرون الشاعر الانكليزى ووزنه ٦٣¾ ثم كانت الفيلسوف البروسيانى ووزن دماغه ٥٨ أوقية . ويليه شيلر الشاعر الألمانى ووزن دماغه ٥٧½ . ثم دانتى الشاعر الايطالى ووزن دماغه ٥٠ أوقية . ومعدل وزن أدمغة الأذكياء فى أوربا أقل من ٤٩ أوقية

الجزء التاسع ـ السنة ٤٥

اول يوليو سنة ١٩٣٧ – ٢١ ربيع ثان سنة ١٣٥٦

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL -- Cairo, Egypt

(July 1937)

SUBSCRIPTION RATES Egypt and Sudan P.T. 85 — Syria, Palestine, Transjordania and Irak P T 100 — Other countries P T. 130 or £ 1-7-0 or $ 6.50.

زواج دوق وندسور

. . استقر أخيراً دوق وندسور الى جانب حبيبته التى آثرها على العرش والتاج ، وآوى الى عشها الهادىء الوادع حيث يرجو أن يحظى بما افتقده فى حياة القصور من الرضا والسعادة . . وهذه صورته الى جانب عروسه « دوقة وندسور » عقب حفلة زواجهما التى أقيمت فى الثانى ء ر من ا اضى حيث يقيمان فى ريف فرنسا

ساسة العالم
هل أفلحوا فى توجيه سياسته

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

« .. إن توجيه العالم لا يعقل ولا يوافق البداهة مادام الساسة يرتكزون على أمة أمة ، ولا يرتكزون على العالم أجمع .. »

الجواب الوجيز كلا !

والسبب الوجيز أن العالم أكبر من أن يقبض على زمامه رجل وان عظم ، أو دولة وان عظمت ، وكل من استطاع شيئا من التوجيه فانما يظهر أثره بعد أعوام ان لم نقل بعد أجيال

والساسة من حيث القدرة على التوجيه ينقسمون إلى فريقين : فريق الساسة الديمقراطيين أصحاب السلطة المحدودة بالقوانين والنظم النيابية ، وفريق الساسة المطلقين على اختلاف أنواعهم من فاشيين وشيوعيين وعسكريين

فالساسة الديمقراطيون يدينون بالحد من سلطان الحكومة ومنعها أن تتعرض لأعمال الناس فى التجارة والمرافق الاقتصادية على التخصيص ، ذهابا مع الرأى القديم الذى زكاه فى فرنسا دعاة ثورتها العظمى ، وزكاه فى انجلترا أصحاب المصانع والشركات الحديثة الذين استولوا على زمام الحكومة وهزموا المحافظين من أصحاب الضياع الواسعة القائلين بفرض الرسوم على الواردات الخارجية لترويج غلاتهم ورفع أسعارها فى داخل البلاد . فخبطت سياسة المحافظين الراغبين فى تدخل الحكومة واشرافها على المرافق الداخلية وأخذها بسياسة التوجيه والتصريف وانتصر الأحرار ـ أصحاب المصانع ـ الراغبون فى اطلاق الحرية وترك التجارة « حرة » فى رعاية قانون العرض والطلب يتولاها بالرواج أو الكساد كما يشاء .

ولما كانت سياسة العالم فى العصر الحاضر لا تنفصل عن مسائله الاقتصادية الكبرى ، فليس من الميسور للوزراء الديمقراطيين أن يقبضوا على نواصى الأمور ، ويفرضوا على شعوبهم

خطط التوجيه الواسع البعيد ، سواء قدروا عليه أوعجزوا عنه

أما الحكام المطلقون فقد يلوح للنظر بادىء الأمر أنهم أقدر على التوجيه . وأقمن بتصريف السياسة العالمية على النحو الذى يروقهم . وذلك فى الحقيقة وهم بعيد

إذ الحقيقة ان هؤلاء الحكام المطلقون ينساقون أمام الحوادث ولا يسوقونها ، ويكونون على حد المثل العربى كراكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه منهم أهيب

فحكام ايطاليا مثلا قد اضطروا اصطرارا إلى الحضوع لحكم « الامتداد أو الانفجار » (Expansion or Explosion) فأقدموا على فتح الحبشة تسكيناً للمطامع التى أثاروها فى نفوس الشبان واصطناعاً للرواج الموقوت الذى ينشأ من انفاق المال على التسليح والتموين . ثم وجدوا أن هذه المغامرة صدمتهم بالدولة البريطانية ، وانهم لا مناص لهم من مخاصمتها والتأهب لحربها ، وانهم اذا حاربوها فلا بد لهم من شواطىء على المحيط الأطلسى يلجأون اليها فى حالة الحصار المحتومة بعد نشوب الحرب بينهم وبين الدولة ، فأقدموا على المغامرة الثانية التى يحاولون بها السيطرة على البلاد الاسبانية والجزر القريبة منها ، وستقودهم هذه الحركة من مغامرة إلى مغامرة وهم مستسلمون للتيار الجارف حتى ينتهى بهم إلى قراره

وكذلك الحال فى المانيا الحاضرة . فقد أفضى بها النظام المطلق إلى مشروع السنوات الأربع ،وهو المشروع الذى يجعلها «معسكراً حربياً» مستعداً للحصار وامتناع التصدير والتوريد إلى زمن طويل . فالآن يتلقى الألمان الأوامر حينا بعد حين بما يأكلونه وما يصومون عنه ، ويقال لهم مثلا ان أكل اللحوم من الأرانب والسمك مباح لانها موفورة ، وان الماشية قليلة فى البلاد فلا يحسن الأكل منها بل يحسن الاكثار من زرع الطماطس لانه مولد كاف للحرارة ! ويقال لهم ان استعمال السلال فى حمل المشتريات أولى من لفها فى الورق لحاجة الأمة إلى مادته الأولية . وقس على ذلك توجيه الأفراد فى الطعام واللباس والمنام والرياضة وكل ما يعالجه الانسان من شؤون العيش كأنه جندى فى معسكر محصور ، وتلك حال لا يستقيم معها شأن الفرد ولا شأن الأمة ولا شأن العالم ، ولا بد من عواقبها التى لا فكاك منها لمستبد ولا خاضع لاستبداد

أما الروسيا — وهى اكبر الامم التى تجرى فيها الحكومة على سياسة التوجيه ، فدستورها الجديد حبر على ورق ، والحرية فيها معدومة ، يدل على نصيب الروسيين منها تلك المجازر التى يسمونها المحاكمات ويقصون فيها بين آونة وأخرى بالموت على خصوم ستالين ورفاقه ، وقد

خرج الزعماء هناك من توجيه إلى توجيه، ومن مشروع إلى مشروع ،والعمال الذين يقال ان الثورة الروسية انما قامت لانصافهم وترقيه معيشتهم لايزالون يكدحون و ينصبون و يعيشون فى الضنك ولا يظفرون إلا بالقليل البخس من الأجور . فبعد السياسة الاقتصادية الجديدة التى أسسها لنين، قام مشروع السنوات الخمس الأول ، ثم قام مشروع السنوات الخمس الثانى ، والبلاد الروسية باعتراف زعمائها ليست كما يراد لها ، والعالم بأسره على غير ما يودون

ولعل التوجيه الذى يتولاه روزفلت رئيس الجمهورية فى الولايات المتحدة الامريكية هو أبر السياسات بالأمم وأدناها إلى الخير والاحسان ، وخلاصته تكثير المال فى الايدى لزيادة الشراء وزيادة الانتاج وارضاء العمال ورجال المال على السواء ، مع وقوفه موقف الحيدة والانصاف بين جميع الطبقات . ولكن هذا الرجل النبيل أشبه بمن يتناول فى يديه منفاخاً عظيما ينفخ به الهواء فى شراع الحركة الاقتصادية لتجرى السفينة مجراها إلى المرفأ الامين ، فالى متى يصمد المنفاخ العظيم فى يديه ؟ ومتى تهب الريح الطبيعية سهلة رخاء على ذلك الشراع ؟ تلك خبيئة من خبايا الغيب يكشف عنها المستقبل القريب

وسواء صمد المنفاخ فى يدي روزفلت إلى زمن طويل أو تغلبت عليه المكايد والعقبات التى تحدق به من الآن فالتوجيه الامريكى بمعزل عن توجيه السياسة العالمية ، وما يصنعه روزفلت لاتقاء الزوابع فى ولاياته المتحدة لن يعصمها من الزوابع العالميـة اذا حان أوانها ودارت مواسمها على غير ما يرسم من خطة ونقيض ما يرجو من أمنية

***

فزعماء الشعوب اليوم بين رجل لا يعنى «بالتوجيه» لمصلحة بلاده أو لمصلحة العالم بأسره ، أو رجل يعنى بالتوجيه ويخطىء أسبابه وغاياته ، أو رجل يصيب فى توجيهاته وتنعكس عليه الاغراض والغايات لاتساع الدنيا وتعدد نواحيها وتناقض أهوائها وخضوعها فى الحوادث الكبرى للقوانين السرمدية التى لا تفلح فى دفاعها مشيئة ولا يجدى فى ضبطها حسبان وتقدير

ولا شك ان الجهود الانسانية واجبة ولو تفاقمت حولها الموانع وأحاطت بها دواعى التثبيط ، لان العمل من صفات الحياة والسكون من صفات الموت ، بل لأننا لا نستطيع أن نسكن بلا عمل نافع أو غير نافع. إذ كانت ضرورة العمل قانونا سرمدياً لا تقل عن ضرورة القوانين السرمدية التى تحيط بنا وتحبط أعمالنا فى كثير من الأحيان

فلا ينبغي ان نكف عن العمل بتة ولا أن نيأس من النتيجة المحجوبة ، لاننا نجهلها أو نعلمها

ولا نصل اليها . كلا ! ذلك لا ينبغي ولا يستطاع . وانما علينا أن نسأل : متى يفيد التوجيه فى سياسة العالم أكبر ما في وسعه أن يفيد ؟

وجواب ذلك ان «توجيه» العالم لا يعقل ولا يوافق البداهة ما دام الساسة يرتكزون على أمة أمة ولا يرتكزون على العالم أجمع

فالوزير فى كل بلد من بلاد الدنيا انما يستقر فى كرسيه بارادة ذلك البلد لا بارادة الدنيا مجتمعة أو مفترقة ، فليس فى مقدوره ان يغصب أمته ليرضى أمم العالم إذا فرضنا انها ترضى عنه حين يخدم مصالحها مجتمعات ، ونقول «إذا فرضنا» لان الواقع انه كثيراً ما يغضب كل دولة على حدة إذا لاحظ فى سياسته مصالح جميع الدول . فان هـذه المصالح العامة من طبيعتها ان تكون بعيدة الآثار مؤجلة المنافع ، وفى طبيعة الناس ان يفضلوا القريب على البعيد والتعجيل على التأجيل

هب وزيراً فرنسياً وثقت به أمته فأجلسته على مقاعد الحكم ووكلت اليه توجيه السياسة الفرنسية ، ورأى هو ان معارضة التسليح فى بلاده وفى البلاد الأخرى اجدى على الدول كلها مع تمادى الزمن وانتظار المستقبل البعيد ، فالذين يستطيعون اسقاطه من أهل بلده ومن ساسة الدول المعارضة لآرائه لا يعنيهم الأمر ولا يحجمون عن محاربته وتصعيب البقاء عليه ، والذين يعنيهم الأمر هم صورة مبهمة لم ينكشف عنها حجاب الغيب ولن تسفر وتنجلي وتملك الامر والنهى إلا بعد فوات الفرصة ونسيان الخلاف

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كيف نقسر الساسة على خدمة العالم وما رأينا قط سائساً واحداً أصابه العقاب على سيئاته واخطائه التى ينساق اليها عمواً أو بتدبير وتقدير ؟

لا أمل فى نجاح التوجيه إلا اذا افتقر كل سائس من ساسة الامم الى تأييد العالم كما يفتقر ــ بل أكثر مما يفتقر الى تأييد بلاده

ولا أمل فى نجاح التوجيه إلا اذا تسنى لبنى الانسان احصاء التبعات العالمية وعقاب من يستحقون العقاب عليها

اما قبل ذلك فكيف ينجح الساسة فى توجيه احوال العالم كله وليس هناك عالم مسموع الرأى ، وليس هناك اتجاه ولا موجهون ؟ !

عباس محمود العقاد

الادب الانشائى يستدعى استعداداً قويا ومزاجا ملائما ــ كل شىء يصلح موضوعا لمقالة أدبية ــ بماذا يفترق كاتب عن كاتب؟ ــ لكل أديب ناحية يجيد فيها وناحية يقصر عنها ــ خير الكتاب من يقصر نفسه على الناحية التى توافق استعداده

كتابة المقالات

بقلم الاستاذ احمد أمين

هناك أنواع من المقالات يصح أن نسميها مقالات علمية بالمعنى الواسع ، فتشمل المقالات الاجتماعية كما تشمل بحث مسألة أدبية بحثاً علميا ، وهذا النوع سهل على الكاتب متى تيسرت له أدوات البحث من كتب ومراجع ونحوها ، وتوفر له حسن الاستعداد من معرفة بمناهج البحث وأساليبه ، فكل وقت صالح لكتابة مثل هذه المقالات وإعدادها ما لم يكن الكاتب فى حالة استثنائية من مرض ونحوه

وهناك نوع من المقالات هى المقالات الادبية بالمعنى الخاص ، وأعنى بها الادبية أدباً انشائياً صرفا لا أدب بحث ودرس ــ وهذه أصعب من الاولى ، من حيث أنها تتطلب ــ فوق حسن الاستعداد ــ « المزاج الملائم » ، فليس الكاتب فى كل وقت صالحا لها ، بل لا بد أن يكون مزاجه ملائما للموضوع الذى يريد أن يكتب فيه ، فان كان الموضوع فكهيا مرحا فلا بد أن يكون مزاج الكاتب كذلك فكهيا مرحا ، وإن كان الموضوع عابسا حزينا فلا بد أن يكون مزاج الكاتب من هذا القبيل ، ولذلك قد يمر على الكاتب الاديب أوقات وخلع ضرسه أهون عليه من كتابة مقالة ، واذا هو حاول ذلك فكأنما يمتح من بئر ، أو ينحت فى صخر ، ذلك لان هذه المقالة الادبية لابد أن تنبع من عاطفة فياضة ، وشعور قوى ، فاذا لم يتوفر هذا عند الكاتب خرجت المقالة فاترة باردة ، لا يشعر منها القارىء بروح ، ولا يحس منها حرارة وقوة . ولا يكفى ــ عند الكاتب ــ وجود العاطفة القوية ، بل لابد أن تكون هذه العاطفة من جنس الموضوع الذى يريد معالجته ، فويل له إن أراد رثاء وقلبه ضاحك مرح ، أو أراد فكاهة وقلبه بائس حزين . ومن أجل هذا يحاول الكتاب أن يؤقلموا نفوسهم للموضوع أولا ، فيستلهموا كتابا أو قصيدة أو منظراً طبيعيا أو نحو ذلك من الوسائل الصناعية ــ إن عدموا الوسائل الطبيعية ــ حتى تهيج مشاعرهم من جنس الموضوع ، ثم يأخذوا فى الكتابة فتتدفق معانيهم ، وتعزز أفكارهم ومشاعرهم

وشأنهم فى ذلك شأن كل فنان من موسيقى ومصور ومثال ، فهؤلاء لا يحسنون الاخراج ــ وخاصة اذا أرادوا الانشاء ــ إلا فى ساعات خاصة ، هى ساعات هياج مشاعرهم من جنس موضوعهم ،

أما البحث فى لم تهتاج المشاعر فى بعض الأوقات ، ولم لا تهتاج فى بعضها ، وما الوسائل لذلك ، فبحث بسيكولوجى لا يعنينا هنا وان كان الباحثون فيه الى الآن لم يحيطوا بدقائقه وتفصيلاته وأسبابه

* * *

أما موضوع « المقالات الأدبية » فكل شىء فى الحياة صالح لان يكون موضوعا ، من الذرة الحقيرة الى الشمس الكبيرة ، ومن الرذيلة الى الفضيلة ، ومن كوخ الفلاح الى قصر الملك ، ومن الماضى الى الحاضر الى المستقبل ، ومن أقبح قبيح الى أجمل جميل ، ومن الحياة الى الموت ، ومن الزهرة الناضرة الى الزهرة الذابلة ، ومن كل شىء الى كل شىء

والكاتب الفنى من استطاع أن يجد من كل شىء موضوعا يجيد فيه ويستخرج اعجاب القارىء ، ومن استطاع أن يجد من كل شىء نواة يؤلف حولها مايصلح لها حتى يخرج موضوعه منسقا تنسيقا يبهر السامع والقارىء ، وهو فى تأليفه قد يضم الشىء الى ألفه وقد يضمه الى نقيضه ، وقد يصل به الكلام فى الذرة الى الكلام فى الشمس ، وقد يصل به الكلام فى النملة الى الكلام فى الله ، ولكن القارىء لا يشعر بمفارقات ولا يشعر بهوة بين أجزاء الكلام ، ويسير مع الكاتب كأنه فى حلم لذيذ أو قصة محبوكة

والفرق بين كاتب وكاتب فى شيئين : التلقى والاذاعة ، فالفرق فى التلقى هو أن الكاتب قد يكون دقيق الحس ، يسمع حفيف الاشجار ودبيب النمال ، ويرى دقيق الاشياء فى الظلماء ، ويرى قلوب الناس فى أعينهم ، ودخائلهم فى صفحات وجوههم ، وقد يرى بأذنه ويسمع بعينه ، وقد يرى مالا يرى الناس ، ويسمع مالا يسمع الناس ، وقد يدرك الجمال بكل شىء فيه ، ويدرك القبح بكل شىء فيه ، حتى كأنه قد منح من الحواس ما لم يمنحه الناس ، وكأن حواسه ليست خمسا وانما هى خمسون أو خمسمائة أو ما شئت — على حين أن أخاه الكاتب الآخر لم يمنح هذا القدر من الحس ، ولم يبلغ هذا المبلغ من الذوق ، قد فاق المألوف من الناس ولكن الى حد ، وتسامى ولكن بمقدار

ويفضل الكاتب الكاتب أيضا فى التلقى من ناحية أن كاتباً قد تتعدد مناحى ادراكه تعدداً متشعباً ، فالطبيعة توحى اليه بأسرارها ، والمجتمع يملى عليه بواطنه ، والحياة كلها لا تضن عليه بخباياها ، والملح والفكاهات تدخر له أحسن ما لديها . والجد لا يضن عليه بخير ما عنده ، فهو مستودع الأسرار ، وملتقى البحار والأنهار ، ومن يأمنه كل على سره ، ويفضى اليه كل بما يضن به على غيره — على حين أن أخاه الكاتب قد يصل الى بعض الاسرار ، ويدرك بعض الاتجاهات ويعجز عن ادراك البعض ، قد يجيد فهم الطبيعة ولا يفهم للمجتمع سراً ، وقد يجيد فهم الجد ولا يفهم للدعابة معنى ، ذكى فى أمر وغبى فى آخر ، منير فى جانب مظلم فى جانب

وأما اختلاف الكتاب فى « الاذاعة » فعلى هذا النحو أيضا ، منهم من يجيدها الى أقصى حد ، وصوته صاف جميل يأخذ بالألباب ، ويستخرج منك العجب والاعجاب ، وهو فى كل ما يغنى معجب

مطرب ، سواء أحزن أو أسر ، وأضحك أو أبكى ، وسواء غنى على العود أو الكمان أو البيان ، وسواء غنى عالياً أو واطئاً ، — ومنهم من يجيد نوعا دون نوع : هو فى أحد الانواع ممدوح الصنيع حميد الأثر ، وفى الآخر معيب مستهجن ، يحسن العود ولا يحسن الكمان ، يبى فى ناحية ويقوض فى أخرى ، يواتيه الطبع فى باب ، فيأتى بالعجب العجاب ، ولا يواتيه فى آخر فمهما اصطنع وتكلف فلا يأتى الا بما تستك منه الأسماع

***

ومن اختلاف الكتاب فى التلقى والاداعة يختلفون فى « القيمة » ، ومع هذا فقد يختلفون فى التلقى والاداعة معا ويتحدون فى القيمة ، كالمغنيين يختلفان فى «الصوت» الذى يغنيانه ، وفى الآلات التى يوقعان عليها ، ولكن لا تستطيع أن تميز احدهما عن الآخر

فهذا كاتب يجيد فى ناحية من النواحى ، وذاك يجيد فى ناحية أخرى ، وهما فى درجة الاجادة سواء — هذا كاتب يعنى كل العناية بشكل المقالة ومظهرها ، فتخرج من يده مرتدية بالملاحة ، موسومة بالظرف ، لها بهاء موفق ، ورونق معجب ، قد قيست كل جملة منها بالمسطرة حتى تكون وفق قرينتها ، ان كان فى أحد أذنيها قرط كان فى الأذن الاخرى قرط مثله ، يوافقه فى الحجم والشكل والطول ، وإن كحلت إحدى عينيها فلا بد أن تكحل الاخرى على نمط الاولى فى دقة وضبط ، حتى تبرز كأنها دمية عاج ، ثم هى بعد خفيفة المعنى ، فاترة الروح ، تشغل الافكار بالنظر الى شكلها عن النظر الى روحها — وهذا كاتب آخر لا يعنى فى مقالته بزى ، ولا براعة شكل ، فتخرج نظيفة فى غير جمال ، لا يقف عليها الطرف ولا تأخذ بالأبصار ، ولكنها عميقة المعنى ، رائعة الفكر ، جميلة الروح ، هي كالغانية تستغنى بحسن ذاتها عن التجمل بالزينة ، حسنها كما قال أبو الطيب — حسن غير مجلوب ، وجمالها غير مصنوع

ومع الاختلاف بين هذا وذاك فلكل جماله ولكل قيمته الأدبية ، هذا يرضى الخاصة وذاك يرضى العامة ، ولا بد فى الحياة الادبية من النغمتين معاً

***

وليس يشترط فى اجادة الكاتب أن يطرق موضوعا جديداً لم يسبق اليه . بل كل موضوع صالح لأن يكتب فيه ولو تداولته أقلام الكتاب من قبل ، فمن مبدأ خلق الانسان وهو يحب ، ومن مبدأ خلق الادب والحب موضوع للادب . ومع هذا لم تنفد مادته ، ولا يزال الشعر والنثر والغناء والتصوير تستقى من منابعه ، وتكرر أناشيده ، ولكن لا يعد الكاتب فى الموضوع المعاد مجيداً الا اذا أتى بجديد ، غاية الأمر أنه لا يشترط جدة الفكر بل يكفى فى ذلك جدة العرض ، وأكثر الادب من هذا القبيل أفكار مألوفة وآراء معروفة ولكن الاديب يستطيع أن يصوغها صياغة جديدة حتى يخيل للقارىء من جودة الصياغة أنها جديدة الفكرة ، بل ان الكاتب اذا

كثرت آراؤه الجديدة خرج عن أن يعد أديباً شعبياً أو أديب أمة وصار أديباً للخاصة ، لا يقوم الا فى أوساط قليلة . فالوردة الجميلة تعجب الناظر ولو سبق للحديقة أن أنبتت من قبل أمثالها و « الدور » يغنيه المغنى الحديث يطرب ولو سبقه أحد بغنائه

وكل ما يطلب من الفنان أن يجيد العرض ، وأن يكون عرضه ملائما لشخصيته . أنظر فى ذلك الى الروايات الجيدة ، تجد معانيها فى أغلب الأحيان معروفة ينطق بها العامة والخاصة ، وتجرى على ألسنة الجهلاء والعلماء ، ومع ذلك استطاع الأديب الفنان أن يجعل منها رواية رائعة ، أو قصة بديعة ، أو مقالة شائقة ، وليس له فى ذلك إلا الصياغة وحسن العرض ، قد أخذ الفكرة التى يراها كل الناس ولكنه عرف كيف يلعب بها ويجيد اللعب ، ويقلبها على وجوهها المختلفة ، ويلبسها لباساً جديداً ، قد أسبغ على الفكرة من عواطفه وشعوره ما جعلها جذابة أخاذة ، وهذا هو الجديد فى الموضوع ، فان لكل أديب نفسه وعواطفه وأسلوبه وشخصيته فاذا مزج الفكرة بذلك كله كان فى الناتج جدة . وفى الموضوع طرافة ، كحروف الهجاء ، كل الناس ينطقون بها ولكن اختلفت مناطقهم وأصواتهم وحناجرهم فكانت كأن كل انسان ينطق بها نطقا جديداً ، وكأن الحروف لم تخلق بشكلها الخاص إلا له ، والقطعة من الذهب انما يتفاوت الصائغون بالمهارة فى صياغتها ، والذهب هو الذهب فى أيديهم جميعا

* * *

وأخيراً ، خير الكتاب من استطاع أن يفهم نفسه ويعرف استعداداته ، فى أى النواحى هو يجيد ، وفى أيها يضعف ، ومتى يرقى ومتى يسف ، قد جرب نفسه أولا فى ضروب الادب المختلفة من قصة وشعر وكتابة اجتماعية وكتابة أدبية ونقد وانشاء ، وقلب نفسه على وجوهها المختلفة ، ولاحظ ذلك فى دقة وعمق ، وعالج مواضع الضعف منها ، ثم استقر بعد السياحة الطويلة الشاقة الى شىء اطمأن اليه ، وهو أن ملكاته واستعداداته يوافقها شىء ولا يوافقها آخر ، وتنبغ فى مواضع وتقصر فى أخرى

فان هو آنس من نفسه ذلك اكتفى بما منحه القدر ، وعى فقط نوع الاناشيد التى يحسنها ، وطلب السمو فى النواحى التى تواتيه فيها ملكاته ، وإلا اضاع نفسه من كثرة ما يحاول فيما يعجز عنه ويقصر فيه ، فالفلاسفة الى الآن لم يعثروا على الاكسير الذى يجعل الفضة ذهبا أو الحديد فضة خير لنا أن نبذل جهدنا فى اظهار الفضة بخير مظاهرها من أن نحاول — مع الفشل الدائم — أن نقلبها ذهبا

أحمد أمين

رجالنا

احمد ماهر..!

بقلم الأستاذ فكرى أباظه

رئيسى !..

هو رئيسى اليوم فى مجلس النواب . وقد أتهم سلفاً « بالمجلسة » و « مسح الجوخ » عند ما أتعرض لتحليل شخصيته . ولكنى أبادر فأرجو من القراء أن يستبعدوا هذا الشك . فاني حين أكتب فى « الهلال » أكتب للتاريخ . ثم ليعلموا بعد ذلك أن « الدستور » يحمينى من « احمد ماهر » فلست أحتاج اليه غاضباً أو راضياً . .

كما أننى وطنت نفسى فى حرفتى الحرة التى احترفتها فى حياتى الحرة أن لايقع «رزق» تحت تأثير أى مخلوق . فأنا محام ، وصحفى ، ونائب ، ومذيع فى الراديو ، وكلها مصادر رزق حرة ليست فى دائرة الضغط الحكومى ، فاطمئنوا الى نزاهة المباحث التى تقرءونها فى هذا الموضوع

ثقافته . .

ليست لدى معلومات كافية عن أدوار تعليمه الأولى . ولكني أعلم أنه كان أستاذاً بارزاً من أساتذة مدرسة التجارة . وأنا دائماً سيء الظن باستعداد اخواننا المدرسين لحياة الجلبة والضوضاء ، وكانت تلك هى نظريتى واعتقادى دائماً حتى أفلت « احمد ماهر » و « مكرم عبيد » من سجن « الاستاذية والتعليم » الىميدان السياسة فكان لهما الشأنالمعروف وحينئذ غيرت نظريتى واعتقادى وعلمت أن الاستعداد الدفين قد يختبيء زمناً طويلا تحت أكوام الوظيفة وتلالها ، ثم يتجلى حين « تنزاح » تلك الأكوام والتلال . .

ولا بد أن « احمد ماهر » قد تثقف جيداً . أعنى لابد أن « تأسيسه العلمى » الأول كان متينا مدعماً . فلست أعلم أنه فى حياته الحالية لديه الوقت الكافى للاطلاع والقراءة العلمية . إذن من أين تأتى ذلك الاطلاع الواسع والالمام المحبوك بفنون الاقتصاد والسياسة والفقه فى آن واحد ؟ عندى حل لهذه المعضلة وهو ما أشرت اليه من أنه لابد أن « تأسيسه العلمى » الأول كان متينا مدعما . ومتى كان الأساس التعليمى الأول قويا فابن ما شئت من القصور والحصون والقلاع على الأساس المدعم المتين . .

ثم لا تنس أن «احمد ماهر» يحظى بنعمة ربانية هائلة قد تصل الى مرتبة الالهام . تلك النعمة الربانيـة الهائلة هى ذكاؤه السليقى المتوقد المشتعل اللماح السريع الخاطر ، وقد أصعه فى الصف الأول من أذكياء هـذه البلاد بل قد يتصدر القائمة اذا استطعنا أن نعد للاذكياء قائمة . .

هذا الذكاء يمتاز بالتحريج . وكم من الأذكيـاء يفهمون ويدركون ولكن لا يتحركون ولا يخرجون ولا ينتجون. وكم من العلماء الأفذاذ يحصلون ويدرسون ويستزيدون من الفنون ولكن تظل قرائحهم خامدة وتظل رءوسهم بمثابة «مخازن» لا تورد ، ولا تصرف ، ولا تتخلص من البضاعة المتراكمة . . .

« احمد ماهر » اذن تكفيه كمية من التعليمى الأول . وبذكائه النادر وقريحته المتوقدة وبتجاربه وذوقه السليم استطاع أن يكون منتجا أكثر من غيره ، ومبتكراً أكثر من غيره . .

واستطاع أن يكون اليوم شخصية من أبرز شخصيات البلد فى عالم السياسة وعالم المال . . .

تناقض !

والافذاذ النوابع كثيراً ما تتناقض صفاتهم . وتستطيع بكل اطمئنان وهدوء للتحليل أن تقول إن « أحمد ماهر » فى بعض أدوار حيـاته يعتبر من أفذاذ الصامتين كاتمى الأسرار ، ومن أقطاب الأحاجى والألغاز والطلاسم !!!

ثم فى الوقت نفسه تستطيع أن تقول بكل اطمئنان وهدوء للتحليل إن «أحمد ماهر» فى بعض أدوار حياته يعتبر من أفذاذ «المفصفصين» المدفعين فى الوضوح والافصاح ، ومن أقطاب الصراحة المطلقة التى لا تتقيد بتحفظات ولا اعتبارات ولا ملابسات ولا رسميات !..

ناحيتان متصادمتان عدوتان فى شخصية هـذا الرجل : ناحية مظلمة كل الظلام ! وناحيـة مضيئة كل الضياء ! . . ناحية مستورة كل الستر ! وناحية مكشوفة كل الانكشاف !.. ناحية غير مقروءة ! وناحية مقروءة ! . . .

فاذا سلمت بهذا فاعلم إذن أن «أحمد ماهر» من الآدميين المعروفين فى عالم الفن السيكولوجى بأنهم من ذوى « الشخصيات المزدوجة » !...

مزاجه ..

و « أحمد ماهر » من ذوى المزاج . والعباقرة العالميون لم تتمحض عنهم المعاهد والمدارس والجامعات ودوائر الحكم والادارات والفنون ، وانما تمخضت عنهم « دوائر المزاج » . ولو كنتم قرأتم تحليلي فى الهلال سنة ١٩٢٧ لشخصية العبقرى « سعد زغلول » ، لعلمتم أنى أرجعت الفضل فى عبقرياته الى « دوائر مزاجه » الليلية لا النهارية . والى تجاربه وامتزاجاته فى حياة السهر والسحر !..

والنوابغ خريجو دوائر «المزاج الخاص» يمتازون عن غيرهم من شعوب هذه الدوائر بأنهم فى النهار شىء ، وفى الليل شىء ! والمدرسة الليلية عندى هى التى خرجت للعالم العباقرة والنوابغ والأفذاذ ... فى مدارس الليل تجارب لاتتوافر مطلقا فى مدارس النهار ، ولم يشتهر سياسى عالمى فى كل أدوار التاريخ إلا وكان «الليل» في تاريخ حياته هو المعلم والمهذب والمدرب الكامل المعدات...

ونظرة واحدة فى صفحات تاريخ أبطال المال ، والسياسة ، والفن ، تكفيكم لاثبات صحة ما أقول . فما اشتهر مصطفى كمال ، ونابليون ، وهتلر ، وموسوليني ، وروزفلت ، وركفلر . ويوليوس قيصر ، وغيرهم حديثاً وقديماً ، إلا وارتكزت شهرتهم على أنهم كانوا « ذوى مزاج » ، وان اختلف المزاج وتنوع ... إلا وارتكزت شهرتهم على أنهم كانوا ذوى تجارب ، والتجارب وافرة المحصول فى الليل ، فقيرة المحصول فى النهار . . .

أعصابه ..

ابن حلال ...

ولم أعرف تماماً تاريخ والده المرحوم ولم أدرسه . ولكنى أعلم أن « أحمد ماهر » يشترك مع أخيه « على ماهر » فى عنصر الأعصاب الملتهبة ، المتدفقة ، النارية ، المتأججة ...

أعصاب غير لينة وغير هادئة . فلا بد لها من دائرة واسعة تفرج فيها عن عناء سجنها الجسمى والبدنى . ولا بد لها من مبادىء للثورة ، والضجة ، والنضال ، والمفاجآت . وكما ظل أخوه « على ماهر » زمناً طويلا مصدراً للثورات الادارية والسياسية فى حكمه . ومصدراً للمفاجآت فى حركاته ، ومصدراً للاندفاع القوى فى ابتكاراته . فكذلك «أحمد ماهر» يلعب الدور نفسه فى وظائفه الحرة ، وفي مناصبه الكبرى ، وفى « روله » السياسى الطويل ...

فاذا أدهشكم فى تاريخ « الكفاح الوفدى » نزعاته الجريئة المستهينة بالخطر ، واذا أدهشكم اليوم ابتكاره « الدستورى » النظامى الذى كالسيف فى مضائه وحسمه ، واذا أدهشتكم تصريحاته العديدة المثيرة للأعاصير والزوابع ، واذا أدهشتكم مفاجآته فى مجلس النواب ، فلا تدهشوا . . . هى «أعصابه» الحادة القوية التى تتمتع «باستقلال تام» ولا تخضع لأى اعتبار . والتى تعمل بوحى طبيعتها وبحافز سليقتها والتى لا تتقيد إلا بارادتها على قدر الامكان . وذوو الذكاء وذوو الأعصاب

مندفعون لان كل شيء حاهز للاندفاع : قوة الحكم على الاشياء جاهرة ، وقوة الحركة العصبية جاهزة ، فلا تملك أية قوة تقليدية ، أو عرفية ، أن تحبس هذين العاملين الطبيعيين عن الانطلاق

والمبتكرون المجددون الثائرون على التقاليد الحامدة الميتة العتيقة البالية لا يبالون بالمواريث السخيفة . بل يكوّنون الاعتقاد بسرعة البرق ويعلنونه بسرعة البرق . . . ولا ننزه « الاندفاع » عن الأخطار كما يجب ألا نحرمه من أنه مفيد . والظروف وحدها هى التى تحكم على وجه الفائدة أو وجه الضرر . . .

والعريب فى أمر بطلنا هذا انه أثبت صلاحيته كل الصلاحية للزعامة الدستورية الديمقراطية . ولكنى قلت قبلا انه « شخصية مزدوجة » مما رأيتم أنه يصلح ـ أيضا ـ كل الصلاحية للزعامة الدكتاتورية الأوتوقراطية ! ! !

هو حاسم وسريع البت ومبتكر . وتلك صفات أبرزته كزعيم من زعماء الشورى والدستور والديمقراطية . ولكنها ـ أيضا ـ صفات الدكتاتورين ! . . .

أنا واقع فى حيرة . فتفضلوا وشاركونى فى هذه الحيرة ...

مرتب ! . .

وهو رجل مرتب ومنظم . يعد لجلساته كل عدته فلا يحتاج فى المفاجآت واللحظات الحرجة الى تردد أو تفكير طويل . هو حاضر لكل مفاجأة لانه درس واجبه قبل الانغمار فيه ...

ويساعده ذكاؤه كل المساعدة فى السرعة والبت العاجل اطلب اليه مرة أن يسرع فى اعداد تقارير الميزانية لمجلس النواب ، وذلك عمل ضخم عنيف فأحتجز نفسه من الساعة الثامنة صباحاً الى الساعة التاسعة ليلا فى غرفته بمجلس النواب وخرج ومعه كل تقارير الميزانية معدة للطبع والتوزيع ...

وكان عمل السجين محل دهشة الجميع . ثم زادت دهشتهم لما عرض التقرير على المجلس فكان من أبرعها وأروعها وأدقها وأحكمها ...

خطيب من نوع خاص

هو خطيب من نوع خاص . . له طريقته وله أسلوبه الخاص . .

ليس من زعماء البلاغة ، وليس من زعماء اللغة العربية الفوارة المهلهلة المثيرة ، ولكنه بلغ الذروة والقمة « بمنطق » لا يجارى . وطريقة « عرضه » منقطعة النظير . وله ميزته فى اختيار الألفاظ الحاسمة والجمل المقنعة ، وهى بلاغة لها جمالها وجلالها وتأثيرها العميق . .

وأبدع ما فى أسلوب خطبه هو انه لا يتكلف ! ولا يحاول أن يخفي مواطن الضعف فى قضيته بل يبرزها عليلة كحقيقتها ، ثم يثنى عليها «بالمنطق» فيقويها ويسرد الأعذار والظروف فيستميل سامعيه باعترافاته ، لا بمغالطاته . .

قلبه الحنون . .

واليكم دليلا آخر على أنه متناقض فى كثير من الصفات . ذلك الجرىء الشجاع المندفع المستهين بالعواقب « ضعيف القلب جداً » أمام حبات القلوب . .

حبه لأسرته وذريته حب فيه من الحنو ، والضعف ، والاشفاق ، ما يدهش له علماء من « الآباء والاولاد » ! . . تلك العاطفة الابوية الفياضة التى تسيل عطفا وغراما وهياما لا تماشى عاطفة النضال والكفاح والانغمار فى الاخطار . .

وعبثا تحاولون أن توفقوا بين الصفات المتناقضة فى ذوى الشخصيات المزدوجة

هل له برنامج ؟

لا شك أن « أحمد ماهر » من عهد رياسته لمجلس النواب الى اليوم استهدف لعجب أصدقائه واخوانه . ويظن البعض منهم أن « احمد ماهر » قد رسم لنفسه ولمستقبله برنامجا معينا . وانه لا يحدث أحداثه عفواً ، وإنما تعمداً . . وانه يسير على خطة محوكة الاطراف رسمها لنفسه المستقبلة

وقد يبدو أنه ليس من حقى أن انغمر فى هذا البحث . وانه كان من الواجب أن يظل فى دائرة اختصاصه . ولكنى لا أعبأ بذلك الاعتراض البروتوكولى فأنا محلل فنان فى علم الشخصيات وواجبى يقضى على بأن أبدى رأيى فى الموضوع . . وخلاصة رأيى حرف واحد : لا ! . .

هو لا ينفذ برنامجا ولا يعلن خطة . وانما هو اليوم لا يقيد رأيه ولا اعتقاده ويرى أن الظروف الجديدة تستدعى تقليداً حراً جديداً ليس إلا . .

وذوو الاعصاب الملتهبة لا يضعون خططا ولا برامجا . وانما ينفذون بسرعة وبدون تردد وحى الطبيعة . وقد يكون التنفيذ فى مظاهره وشكلياته قاسيا بعض القسوة ، أو جامحا بعض الجموح ، أو غريبا على أوهام الذين لم يتعودوه ، ولكنه لا ينم عن خطة مكتومة ، أو برنامجاً غير معروف . .

الى هنا أود أن أنتهى . وبرفع النظر عن « خصومتى الحزبية » التى لا تزال قائمة بيني وبين من حللت شخصيته ، فانى أود أن يظل فى مستقبله كما هو فى حاضره . وأتحفظ فأقول إن حكمى الذى قرأتموه هو حكم أكثره عن الحاضر ، وأقله عن الماضى ، أما المستقبل فنى علم علام الغيوب !

فكرى اباظه

المحامى

كانت مصر حارسة المدنية

فى عصور السيادة والمجد

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

« لم يكن ذلك التقدير الاجماعى المؤثر الذى وجهته الدول الى مصر من منبر جمعية الامم ، مجاملة ودية فقط ، ولكنه يقوم على حقائق التاريخ الخالدة »

فى الجلسة التاريخية التى عقدتها جمعية الأمم فى السادس والعشرين من شهر مايو بقبول مصر الفتية فى سلك الدول المستقلة ، وجه ممثلو الدول الكبرى والصغرى الى مصر آيات باهرات من الثناء والتقدير ، فنوهوا بماضيها المجيد وحضارتها الأثيلة وفضلها على المدنية منذ العصور الغابرة . واذا كانت مصر قد حظيت من قبل بمثل هذه الاشادة بمكانتها العريقة وماضيها المؤثل فى بعض المباحث التاريخية العربية الجليلة ، فانها لم تحظ من قبل بمثل هذا التقدير الاجماعى المؤثر من أعظم منابر السياسة الدولية ، وقد كانت السياسة الدولية تنكر عليها من قبل أبسط حقوق الأمم

فمصر تحظى بهذه الاشادة الدولية العظيمة لأول مرة فى تاريخها ، ومن حق مصر أن تسجل على الغرب اعترافه وتقديره ، وأن تفخر بهذا التقدير وتعتز ، وأن ترتد الى ماضيها لتتبين أسباب هذا التقدير فترى أنه لم يكن مجاملة سياسية من دول صديقة فحسب ، ولكنه يقوم فى الواقع على حقائق التاريخ الخالدة . واذا كانت العقلية الغربية ترتد فى هذا التقدير دائما إلى عصور مصر الغابرة ، فانه يفوتها دائما ان ترتد الى عصور أحدث وأقرب الينا أدت مصر فيها خدمات جليلة للتاريخ ، وكانت حارسة المدنية بوجه عام وحامية الحضارة الاسلامية بوجه خاص ، وكانت درعا للشرق والغرب معا ضد ثورات وانفجارات عظيمة ، كادت غير مرة أن تكتسح المجتمع المتمدن كله ، وأن تهدم صروح المدنية جميعا

كانت الحروب الصليبية أولى هذه الثورات العالمية الخطيرة التى قامت مصر بأكبر عبء فى ردها وسحقها ، وكانت مصر وقت انفجار هذه العاصفة المروعة سيدة الأراضى المقدسة التى كان استردادها ذريعة ظاهرة لتقاطر سيل الحملات الصليبية الى المشرق ، بيد أن الحملات الصليبية التى قامت باسم الدين وتحريض الكنيسة ، لم تلبث ان استحالت الى حملات مخربة ناهبة تقصد الى تحقيق الثمار والمغانم الدنيوية ، واستخلاص ثروات المشرق العظيمة التى كان مجتمع الفرسان والسادة فى الغرب يرمقها بعين الجشع ، وكانت الحروب الصليبية من أعظم وأخطر مواطن النضال بين

الشرق والغرب والاسلام والنصرانية ، وكانت بالنسبة للاسلام معركة حياة أو موت ، وكانت مصر بموقعها الجغرافى وسيادتها على فلسطين والشام أعظم ميدان لهذه الحروب البربرية التى استطالت احداثها ومعاركها زهاء قرنين . ومنذ أواخر القرن السابع من الهجرة (١٠٩٠ - ١٢٨٠ م) تخوض مصر هذا النضال المضطرم ، لادفاعا عن نفسها وكيانها فقط ، بل ودفاعا عن الاسلام والمدنية الاسلامية أيضا ، ولم يفت فى عزمها أنها هزمت فى المعارك الأولى ، وقامت فى أرضها بفلسطين مملكة لاتينية نصرانية ، بل استأنفت النضال واستطاعت فى عهد صلاح الدين أن تسحق المملكة اللاتينية وأن تسترد بيت المقدس ومعظم فلسطين ، وأن تهزم الصليبيين فى عدة مواقع حاسمة ، واستطاعت بعد ذلك أن ترد الغزاة الصليبيين غير مرة عن ثغورها وأراضيها وأن توقع بهم هزيمة المنصورة الساحقة (١٢٥٠ م) وأن تسترد معظم قلاعهم فى الشام (١٢٧١ م) وأن ترد بذلك خطرهم نهائيا عن مصر والشام والمشرق بوجه عام . ولقد كانت مصر تقوم فى الحروب الصليبية فوق دورها القومى ، بدور انسانى جليل ، فقد استطاعت برد الخطر الصليبى أن تحمى الاسلام والمدنية الاسلامية ، وعاونت فى الوقت نفسه بتحطيمها للفروسية الفرنجية على انقاذ المدنية البيزنطية والمدنية الغربية بوجه عام من عواقب هذه الفورات المخربة التى كادت تكتسح فى طريقها كل العوامل والقوى الانسانية والعمرانية سواء فى الغرب أو الشرق

وفى منتصف القرن السابع الهجرى دعيت مصر لمواجهة خطر داهم آخر هو الخطر المغولى . فى سنة ٦٥٨ هـ (١٢٥٨ م) انقض هولاكو بجيوشه كالسيل على بغداد وسحق الدولة العباسية وقتل المستعصم آخر خلفائها ، ثم انساب هذا السيل نحو الغرب بسرعة مدهشة ولم يمض عامان حتى افتتح المغول بلاد الشام ، وزحفوا جنوبا نحو فلسطين ، ولم تكن غزوات المغول فتوحات منظمة تختفى فيها دول مغلوبة وتقوم دول ظافرة ، ولكنها كانت وابلا من السفك والتخريب المطبق يحمل فى طريقه كل شىء

وكانت مصر ترقب هذا الخطر الداهم فى جزع ولكنها كانت تستعد لمواجهته ورده بكل ما ملكت من عزم وقوة . فلما بعث هولاكو رسله الى سلطان مصر ، وهو يومئذ الملك المظفر قطز يطلب اليه الخضوع والتسليم ، أجاب المظفر باعدام الرسل وتعليق رءوسهم على باب زويلة ، وفى الحال سارت جيوش مصر للقاء المغول فردتهم عن أسوار غزة واشتبكت معهم فى معركة عظيمة حاسمة فى عين جالوت على مقربة من بيسان (سبتمبر سنة ١٢٦٠) ، وفى عين جالوت أحرزت مصر نصراً باهراً واستطاعت أن ترد الغزاة البرابرة على أعقابهم ، وأن تستخلص الشام منهم وأن تقف هذا السيل المخرب فى طريقه . وكان يوما عظيما لا فى تاريخ مصر وحدها ، ولكن فى تاريخ المدنية كلها . ذلك لأن السيل المغولى كان ينذر باقتحام المشرق الى المغرب ، وتقويض أسس الاسلام والمدنية الاسلامية . ولو اجتاح المغول مصر لاجتاحوا المغرب والاندلس وربما اوربا ، ولانهارت صروح

المدنية كلها من شرقية وغربية ، ولكن مصر استطاعت فى عين حالوت أن تنقذ الاسلام والمدنية كلها ، ولم تكن موقعة عين حالوت أقل خطراً من موقعة شالون التى هزم فيها « الهون » على يد القوط والرومان (سنة ٤٥١ م) بعد أن احتاحوا أوربا كلها ، والتى تنوه التواريخ الغربية بفضلها فى انقاذ المدنية الرومانية

وفى أواخر القرن الثامن احتاح التتار الأمم الاسلامية من سمرقنـد الى الشام ، وانقض تيمورلنك فى جموعه الجرارة على الشام فاستولى على حلب فى مناظر مروعة من السفك (سنة ١٤٠٠ م) ثم احترق الشام جنوبا الى دمشق ، وهرع سلطان مصر الناصر فرج الى ملاقاته على رأس جيوشه ، واشتبك جنود مصر مع الفاتح فى عدة معارك غير حاسمة . ولم يكن الخطر التترى أقل روعة من الخطر المغولى ، وكانت له نفس النتائج المخربة فى جميع الممالك الاسلامية التى حل بها ، ولو لم يشغل تيمورلنك بشئونه الداخلية أولا ، ثم بصراعه مع الترك العثمانيين ثانياً ، لـكان الخطر على مصر والمدنية الاسلامية أشد وأعظم ، ومع أن مصر لم تقم فى هذا الموقف بدور حاسم ، فانه لا ريب أن قوة مصر ، ووقوفها فى وجه الغزاة ، واستعدادها لردهم ، كانت عاملا قوى الأثر فى صرف الغزاة وفى تبديد هذا الخطر الداهم

وأخذت مصر ترقب بعد ذلك خطراً جديداً ينذر بالاسباب نحو حدودها الشمالية أى نحو الشام . ذلك هو خطر الترك العثمانيين الذين سحقوا الدولة الشرقية واستولوا على القسطنطينية آخر معاقلها ، ودفعوا فتوحاتهم جنوبا حتى حدود مصر الشمالية وأخذوا يتحرشون بها من وقت الى آخر . وكانت مصر يومئذ تجوز دور انحلالها بعد عصور طويلة من القوة والرخاء والمجد ، فلما انفجر بركان الخطر وانقضت الدولة العثمانية الفتية على مصر ، سقطت مصر صريعة فى نفس الميدان الذى لبث عصوراً مسرحا لظفرها وانتصاراتها . وكان استيلاء الترك على مصر كارثة على العـالم العربى والاسلامى كله . فقد كانت مصر آخر معقل للاسلام وحضارته ولو استطاعت مصر أن تقف سيل الغزاة الترك فى « مرج دابق » لما حلت كل هذه المحن بالعالم الاسلامى ، ولما لبث الاسلام يرسف عصوراً فى ظلمات العهد التركى ، ولما انحدرت المدنية الاسلامية الى هذا الدور من الانحلال

والخلاصة أن مصر قامت بمهمتها الانسانية الجليلة عصوراً مديدة ، ولم تكن من منشئى المدنية ومن حراسها فى تاريخها الغابر فقط ، بل كانت من عمدها وحراسها طوال العصور الوسطى ، وقد حملت قسطها من رعاية المدنية وحمايتها فى أزمات ومواقف داهمة

فاذا كانت الدول التى كانت تنكر عليها بالأمس حقوقها وأهليتها لأن تتبوأ مقامها بين الدول المستقلة ، قد رأت أن تسدى اليها عقود الثناء والتقدير من منبر جامعة الأمم ، واذا كانت قد رأت أن تشيد بتاريخها المؤثل وحضارتها القديمة الباهرة ، فانما هو صوت الحقيقة الخالدة يدوى بعد أن أخمدته عصور من المحن والتحامل والنسيان

محمد عبد الله عنان

ضيوف مصر

زار مصر فى الأيام الأخيرة عظمة السلطان خليفة بن حارب سلطان زنجبار ، وفريق من زعماء السودان يتقدمهم السيد محمد عثمان الميرغني ، وذلك في أثناء عودتهم الى بلادهم بعد حضور حفلة تتويج جلالة الملك جورج السادس . وقد احتفلت مصر أجمل احتفال بضيوفها ، فاستضافتهم الحكومة ، واحتفى بهم الزعماء ، وأظهر لهم الشعب أصدق دلائل الود والتكريم

عظمة السلطان خليفة بن حارب
سلطان زنجبار

إحدى الحفلات الباهرة التي أقيمت احتفاء بالضيوف السودانيين ، وقد جلس في الوسط صاحب السمو الامير عمر طوسون وإلى جانبه السيد محمد عثمان الميرغني

جون روكفلر

توفى فى شهر مايو الماضى أغنى رجل فى العصر الحديث ــ وهو جون روكفلر ملك البترول ــ عن ثمانية وتسعين عاما ، وعن ثروة تبلغ زهاء ٥٠٠ مليون جنيه . وقد كانت حياة هــذا الرجل قصة ممتعة من الصبر والكفاح والتوفيق ، فانه بدأ حياته فقيراً محروماً ، ولــكنه فكر وجد وثابر ، حتى أصاب أكبر ثروة يذكرها التاريخ . وكان روكفلر نموذجا يحتذى فى الدقة والقصد والنظام ، وهى العوامل التى قام عليه صرح نجاحه وثرائه ، كما كان مثالا عاليــاً فى السخاء والاحسان ، فتبرع بملايين الجنيهات لشتى المنشآت العلمية والخيرية فى مختلف أنحاء العالم

حملة تركية على مصر بقيادة الخديو السابق

ذكريات تاريخية للأستاذ احمد شفيق باشا

هذه صفحة مطوية من تاريخ مصر ينشرها اليوم المؤرخ المحقق الاستاذ احمد شفيق باشا ، فى الحلقة الاخيرة من سلسلة ذكرياته ، وهى تبين كيف حاول الخديو عباس حلمى استرداد عرشه بحملة جردتها الحكومة العثمانية على مصر

فى ٨ يناير سنة ١٩١٥ قابلت البرنس ابراهيم حلمى ، فسألنى عما اذا كان الخديو عباس يقبل العودة للاستانة ، ومنها يذهب لمرافقة الجيش العثمانى بصفته سردارا له ، لأن الأتراك فهموا الآن ضروره ذلك بعد الانقلاب الذى حصل فى مصر . وتبذل الآن مساع من محمد عزت باشا زوج فائقة هانم بواسطة جاويد بك لذلك . فقلت : « ما أظن الخديو يرضى بأن يرأس الحملة ، والأحسن ترك هذه المساعى لتصنع الحكومة ماتراه صواباً ،خصوصاً وقد فهمت أن الصدر غير راض بذلك . وأن الأصوب تعيين قائم مقام خديو لمرافقة الحملة خوفاً من أن تطلب الحكومة العثمانية من الخديو تعيين جمال باشا القائد العام قائمقام لسموه » وطلب منى البرنس ان أقابله بعد غد ليتكلم معى مرة أخرى ، بعد أن يروى الفكر فيما دار بيننا من الكلام

وفى يوم ١٠ يناير قابلته وأطلعته على صورة الارادة الخديوية بتعيينه قائمقام خديو ليرافق الحملة نائباً عن سموه ، فوافق عليها ، ثم قال لى : انه فكر فيما قلته له فى المقابلة الأولى وانه يجب التعجيل بصدور هذه الارادة . وأما ما يحتمل من انتقام الانجليز منه فى أملاكه بمصر فهو أمر لا يهمه . ثم قال : «ولو انى كنت أشرت عليك بسفر سمو الخديو مع الحملة ، إلا انى الآن بعدما عرفته من الحوادث الماضية ، وبعد ماسمعت من ثلاثة أشخاص أن فى النية القضاء على حياته ، لا أرضى له بأن يلقى بنفسه الى التهلكة »

ثم تحدثت مع سموه فى ضرورة استصدار ارادة شاهانية بتحديد مهمة الحملة على مصر الى ما كانت عليه قبل الاحتلال ، مع احترام الفرمانات ، فقال: « ان الاتراك لايعملون عملا بطيبة خاطر، ومن اللازم أن يتكلم الخديو مع الألمان ليجبروهم على اصدار هذه الارادة » ثم ضرب مثلا لذلك اجبار الالمان اياهم على التصريح للخديو بالسفر من الآستانة الى فينا

وفى اليوم نفسه قابلت الصدر ، وتحدث معى ساعة كاملة ، ومما قاله لى : «ان الحكومة التركية مهتمة بالحملة على مصر ، وكادت المعدات اللازمة لاجتياز القنال تتم ، وعما قريب سيعود الخديو لبلاده معززاً مكرما »

ثم سألنى عن رأيى فى قبول البرنس حسين كامل للسلطنة ، فأجبت بأنه لا بأس من ذلك للمحافظة على الأريكة الخديوية فى عائلة محمد على ،وربما هددوه فى حالة عدم قبوله بضم مصر لانجلترا أو تولية غريب عن العائلة كما سمعت أن «أغا خان» الهندى كان مرشحا لهذا المنصب . فقال : « إن هذا حطأ ولا يمكن اجراء هذا العمل من حانب انجلترا ، والروسيا نفسها حتى الآن لم توافق على الحماية » ثم قال : « والحقيقة هى أن البرنس مدين ، وقبل هذا المنصب لسداد ديونه فقط »

وفى يوم ١٥ مه قابلت سفير المانيا ومكثت عنده ثلاثة أرباع الساعة ، أبلغته فى أثنائها تحية الجناب العالى ، وأخبرته بكل معلوماتى عن الحالة السياسية ، وبارتياح الخديو لوجوده فى فينا واتصاله بسفيرى المانيا والدولة وناظر خارجية النمسا ، وما دار من الحديث بينه وبين امبراطور النمسا . ثم تفاهمت معه بصفة شخصية فى ضرورة اصدار ارادة شاهانية يصرح فيها بأن الحملة السائرة الى مصر انما تذهب لارجاع السلطة الخديوية دون المساس بالامتيازات التى نالتها مصر من قبل ، وما ينتجه هذا التصريح من الطمأنينة ومن انجاح الحملة فى مهمتها ومساعدة المصريين لها فوافقنى السفير قائلا : « نعم إن هذا ضرورى ، وأعضاء الحزب الوطنى بجنيف يلحون فى ذلك ، وقد تحدثت مع الصدر فى هذا الموضوع ، ونحن متفقون عليه » ثم طلب منى مقابلة الصدر والالحاح عليه فى دلك ، فقلت له : « لا ، أعفنى من هذه المهمة لأن الاتراك لايحبون التدخل فى شئون حكومتهم وربما قالوا : « ما لهذا الدى يريد أن يعطينا درسا ؟ ! » قال السفير : « اذا كان الأمر كذلك فقل للصدر انى كلفتك دلك » فقبلت . ثم أفهمته أن الانجليز يخدعون المصريين ويقولون لهم : « هانحن أولاء قد جعلنا مصر سلطنة وسنعطيكم الحرية والدستور ، أما الأتراك اذا دخلوا مصر ، فانهم ينهبونها ويسلبونها ويهتكون أعراضها ، فاذا صدرت الارادة برجوع الحالة الى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ وبرحوع خديويهم المحبوب لبلاده ، فانهم لا يعبأون بخداع الانجليز » .

وبعد هذا سألنى السفير عما ادا كان الشعب المصرى يثور على الانجليز ؟ فأجبته بأن دلك محتمل اذا نجح الاتراك فى عبور القنال ، لأنه فى هذه الحالة يضمن الثائرون النتيجة ويأمنون الانتقام منهم ، أما الآن فلا يجرءون على دلك

وفى يوم ١٦ يناير ذهبت ومعى حلال الدين باشا وعارف باشا الى منزل الصدر فى استامبول فوجدنا البرس ابراهيم حلمى ، فقلت له : « ان سفير المانيا تحادث معى فى ضرورة صدور ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة على مصر ، وطلب منى ان ادكر لفخامتكم بذلك » وما كدت انتهى من هذه الجملة حتى قال لى بحدة : « مالى أراكم تستعجلون هذا الطلب يا مصريون ؟ فمنذ شهرين

وأنتم تلحون علينا » قلت : « ان هذا فى صالح الحملة حتى يطمئن الاهالى فى مصر » فقال : « بل فى صالحكم أنتم ! » ثم قال : « هذه الارادة ستصدر فى حينها » فتحدث عارف باشا وجلال الدين باشا فى وجوب اصدارها فقلت : « مادام فخامته قد وعد بأنها ستصدر فى الوقت المناسب ، فنحن نكتفى بهذا الوعد ، وذلك لأسجل عليه ما قال » وحرجنا

وفى يوم ٢٤ منه قابلت سفير المانيا فأخبرته بأنني أبلغت الصدر تكليفه لى فيما يختص بأمر الحملة فوجدت منه امتعاضاً ، وكنت أتوقع ذلك كما أخبرته ـ أعنى السفير ـ فضحك وقال : « انما أجابك بأن الارادة ستصدر لا محالة فى وقتها المناسب » قلت : « والآن أنسب وقت ، لأن الجيش على حدود القناة » وعرضت عليه صورة مشروع للارادة الشاهانية أعددته بناء على طلبه فى المقابلة السابقة وهو :

أولا : نظرا لكون انجلترا منعت الجناب الخديو من الرجوع الى مصر بدون حق فمهمة الجيش ارجاع سموه لعرشه ، وثانيا : مهمة الجيش أيضا اخراج الانجليز من مصر واعادتها الى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ ، وثالثا : تعلن الحكومة العثمانية انها لا تبتغى من زحف جيشها ضم مصر لولاياتها ولا احتلال البلاد ، بل احترام الفرمانات التى خولتها استقلالها الداخلى . وبعد الاطلاع عليها أعادها الى قائلا : « ابقها لوقتها ، وسأقابل الصدر واطلب منه الاسراع فى اصدار الارادة » . وأخيراً أخبرته أن أمر الخديو بتعيين البرنس ابراهيم باشا حلمى لمرافقة الحملة قد أرسلت صورته للجناب العالى لتوقيعه

وفى أول فبراير وصلت الى أوامر من فينا بالبريد ،من بينها حجز الف جنيه من المبلغ الموحود بالخزانة لنفقات سفر البرنس ابراهيم حلمى ، وانه أرسلت لجلال الدين باشا صورتان موقع عليهما من الارادة الخديوية ، احداهما للبرنس بانتدابه والأخرى للصدارة لاخبارها بهذا الانتداب

ثم تقرر أن يذهب البرنس ابراهيم حلمى للصدر لجس نبصه فيقول له : « ان الجناب الخديو لما علم بقرب وصول الجيش للقنال أرسل الارادة بتعيينى مندوبا من قبله ، فهل يرى الصدر مانعاً من ذلك ؟ » ويرى كيف يكون رده !

وفى اليوم التالى تقابلنا فأخبرنا أن الصدر لايرى مانعاً ، ولكنه يلاحظ أن هذا العمل قد فات أوانه ، لأنه كان يحب قبل حدوث الانقلاب حينما كان للخديو قائمقام فى مصر ، فكان يجوز له عزله واقامة البرنس مقامه . أما الآن فانه يوجد فى مصر سلطان مناظر له ، فالواجب أن يسير بنفسه مع الحملة ، فاجابه البرنس بأن الخديو كان قد عزم على مرافقة الحملة وأرسل رحاله ومعداته ولكن الحكومه التركية أرجعتهم ثانية ، فقال الصدر : « نعم حصل هذا لأن الوقت لم يكن قد حان . أما فى هذه المرة فسيطلب الحديو للسفر فى الوقت المناسب » ولما سأله البرنس عما اذا كان سيشار الى ذلك فى ارادة شاهانية تصدر من السلطان ؟ قال : « نحن لا نقبل شروطا مطلقا ،

ونحن لا نرجو الخديو ، وفقط عند ما يحين الوقت نكلف سفيرنا فى فينا بأن يطلب منه الحضور للاستانة للحاق بالحملة ، فان قبل كان بها ، وإلا فيعرف صالحه ونعرف صالحنا ! أما اذا كان يعتقد بأنه سيركب وابوراً من تريسته ويذهب لمصر كما حصل عند تعيينه فهذا لن يكون »

وأخيرا صدرت الارادة الشاهانية ، ونصت فقط على تحديد مهمة الحملة بارجاع حالة مصر لما كانت عليه قبل الاحتلال ، والاحتفاظ بالامتيازات التى خولتها اياها الفرمانات العثمانية

وفى يوم ٥ فبراير علمت من البرنس ابراهيم حلمى أن الصدر قال فى معرض الكلام عن مصر . « اذا لاقدر الله لم ندخل مصر ، فاننا نطلب فى مؤتمر الصلح ارجاعها الى ما كانت عليه ، بما فى ذلك عزل البرنس حسين ، أما اذا دخلنا فاننا سنشنقه أمام ضوئه بنفجه ، ولكن طلعت بك ناظر الداخلية يرى أن هذا المكان ليس به مارة كثيرون ويستحسن شنقه على الجسر » ! !

احمد شفيق

ليلة وصباح

للاستاذ فخرى أبو السعود

بدا صبح على الدنيا منير ... زهت فيه الشواطىء والبحور

فما فى الشط أو فى الأفق الا ... سنىّ أو ندىّ أو نضير

تنفس كل فج من همود ... وعاوده مع الصبح الحبور

كأن الطير والأشجار هبت ... تناجى : قد أتى صبح طرير

وهبت نسمة ، فى صفحتيها ... تمازجت الطراوة والعبير

ولاح اليم فى عظم ورحب ... وديعاً مثلما سكن الغدير

وقر كأن كفاً مهدته ... ولان كأن ملمسه حرير

وشف فبان للرائي حصاه ... وراق كأنه عذب نمير

واهدى موجه الشطان فوجا ... ففوجا ، خافتاً منه الخرير

نكر على صخور الشط هيناً ... رفيقا ، ثم تثنيه الصخور

اذا ردت مغيراً راجعتها فلول منـه عائدة تغير
اذا طافت به الامواج زرقا بأكناف الصخور لها صرير
ثناها الصخر بيضاً ناصعات كما افترت عن الدرر الثغور
وفوق اليم حول الأفق غيم عليه منه قد شقت ستور
فلست تخاله غيما ولكن غشاء قد تجسم فيه نور
كأن اليم لم تك امس تدوى بضجته السواحل والبرور
يثور على الشطوط كما تأبى على أقيـاده لبث اسير
ينقض في الشواطىء لبدتيه كما يتوثب الاسد الهصور
تشب براثن الأمواج منه تُليح الى الفرائس أو تشير
يكر على صخور الشط شداً ولبس ينى حواليها يمور
فتغرق فيـه آناً ثم تطفو نرائبهـــا عليه والنحور
يحور على جوانبها رغاء تساقط أو رشاشاً يستطير
وفى آذيه للـــــريح دفع وفى أجوازه منها صفير
لها فى حينما انطلقت صياح يصيح الويل فيه والثبور
وفوق عبابه غيم كثيف يلوح وراءه قمر حسير
كليل الضوء تحسبه مروعا لهول اليم أفزعه نذير
تحف به نجوم واجمات روان مثله لليم صور
كأن بها حذاراً أن تهاوى و يدرك أفقها الموج الجسور
مضى ذاك الهياج فلا وثاب تضج له الشطوط ولا زئير
و ولى والدجى فزع الأواذى وسكن روعها الصبح المنير

فخرى أبو السعود

الطريقة المثلى للامتحان

كيف تعين مستوى التلميذ العقلى

وكيف تبين درجة تحصيله للعلوم

يختلف مستوى القوى العقلية بين الناس باختلاف الأفراد . ومرجع هذا الاختلاف الى أسباب كثيرة أهمها ــ على ما يقول الخبيرون بشؤون التعليم ــ ثلاثة ، وهى : الوراثة ، والغدد ، والبيئة ، وهذه الأسباب تعلل ما نراه من اختلاف الميل والمشارب بين طلبة العلم ، فمنهم من يميل الى علوم الأدب والاجتماع ، ومنهم من يجنح الى الرياضيات والعلوم الطبيعية ، ومنهم من يفضل عليها الفلسفة أو غيرها من العلوم . ولم يستحل العلماء حتى الآن سر اختلاف هذه الميول ، والأرجح أنه ناشىء عن اختلاف افرازات الغدد الباطنية المعروفة بالعدد الصم ، وأنتى شى على ما يقول العلماء سبب اختلاف الصفات والطباع والأخلاق . فاذا وجدت طالب علم يجنح الى الفلسفة وهو ضعيف فى الرياضيات ، أو يميل الى الشعر وهو ضعيف فى العلوم المالية ، أو يحب الفنون الجميلة ويكره الكيمياء فليس فى ذلك ما يدعو الى الدهشة ، لأن الانسان مسير فى ميوله لا مخير ، وهو عبد لما تفرزه غدده الباطنية ، وإن كان لا يشعر بتلك الافرازات

وقد تستطيع أن تجعل من الغدد والوراثة عاملا واحداً ، وأن تتتبع تأثير هــذا العامل فى تكييف القوى العقلية . ففى مقدمة ما يرثه الانسان عن والديه مواد تفرزها الغدد الصم فى داخل جسمه وتنشىء فيه طباعا وأخلاقاً مختلفة : فهى التى تجعله شجاعا أو جبانا ، كريماً أو بخيــلا ، ذكياً أو بليداً . نعم انه ليس من المحتوم أن يرث كل فرد من والديه الافرازات نفسها ، ولـكنه يرثها فى الغالب أو يرث معظمها . ولذلك ترى الذين ينبغون فى الموسيقى مثلا يخلفون أولاداً يميلون الى الموسيقى . والذين يمتازون بالميل الى الرياضة يمتاز أولادهم بذلك الميل . نعم ان لهذه القواعد شواذ كثيرة ولـكن الشواذ ــ كما يقول الأوربيون ــ كثيراً ما تكون برهانا على صحة القاعدة

وعامل البيئة أيضا يؤثر في توجيه ميل التلميــذ . فالطفل الذى يعيش فى بيئة تسودها الفنون الجميلة ينشأ وفيه ميل الى هذه الفنون . والذى يعيش بين قوم منصرفين الى الشؤون التجــارية ، ينشأ وفيه ميل الى الانصراف اليها هو أيضاً . وهذا الميــل يتولد فيه وهو لا يكاد يحس به ، ثم يقوى ويشتد الى أن يتغلب على كل ميل آخر سواه

توجيه التلاميذ وطرائقه

وهذا ما يشجع القائمين بشؤون التعليم على السعى الى توجيه ميول التلاميذ الى مناح مختلفة. وكون التلميذ غير ميال ـ بحكم الوراثة ـ الى فرع معين من العلوم والفنون لا يثبط عزيمتهم ولا يصرفهم عن السعى الى توجيه ميله الى ذلك الفرع لتمكينه منه وتخريجه فيه ، إذ هم يعلمون ما للبيئة من الأثر فى تنشئة الميول وتوجيهها . نعم قد يعجزون عن إيصال ذلك التلميذ الى درجة النبوغ فى علم من العلوم ، ولكنهم لا يعجزون عن إيصاله الى مستوى يدعو الى الرضا . وبعبارة أخرى ـ انك قد تعجز عن جعل التلميذ شاعراً اذا لم يكن فيه ميل غريزى الى الشعر ، ولكنك لا تعجز عن تعليمه فنون الشعر وما يتصل بعلم العروض . بل لقد تستطيع أن تعلمه النظم فيصبح ناظما ولو لم يصبح شاعراً

ثم ان المستوى الذى يبلغه التلميذ يختلف باختلاف أساليب التعليم التى يسير عليها . وهذه الأساليب تختلف باختلاف استعداد الشعوب وميولها وأذواقها . فقدماء اليونان مثلا كانوا يتبعون طريقة السؤال والجواب . أى ان الانسان كان اذا أراد ترسيخ حقيقة علمية أو فلسفية فى ذهن التلميذ ألقى عليه طائفة من الأسئلة ينتقل من الواحد منها الى الآخر الى أن يصل بالتلميذ الى الحقيقة المراد ترسيخها فى الذهن . وتعرف هذه بطريقة السؤال والجواب « الديالوج » أو بالاسلوب الحوارى ، وعليه جرى سقراط وأفلاطون وارسطوطاليس

وهنالك أيضاً طريقة تعليمية أخرى وهى طريقة إلقاء الخطب ـ ويسمونها فى مصر « المحاضرات » مع أن للمحاضرة فى اللغة مدلولا آخر ـ ومع أن هذه الطريقة شائعة في معظم المدارس الجامعة فى العالم ، فلا يمكن الاستغناء بها عن الكتب المدرسية . أما الطريقة القديمة ونعنى بها تحفيظ التلميذ الدرس عن ظهر القلب ـ وهى على الأرجح أقدم طرق التعليم المعروفة ـ فلا تزال منتشرة فى كثير من مدارس العالم ، مع ما لها من الحسنات والسيآت ، وأفضل ما تكون في القواعد والمعادلات الرياضية والأوليات وما اليها

وهنالك أساليب أخرى لا يتسع المجال للكلام عليها ، وأكثرها معروف منذ أقدم الازمنة . ومما يجدر بالذكر أن هذه الاساليب لم يطرأ عليها بمرور الزمن الا تغيير طفيف ، مع أن هذه التغييرات التى طرأت على العلوم نفسها وعلى مناهج التعليم عظيمة جداً

نظام العلامات العددية

على أن المستحدث فى أسلوب التعليم هو نظام العلامات العددية التى يراد بها تعيين مستوى التلميذ العقلى وتبيان درجة تحصيله . وأغلب المدارس الاميركية تجرى فى هذا الشأن على نظام

الارقام العشرية ، فالتلميذ الذى يصل الى درجة الكمال فى تحصيله يمنح الرقم « ١٠ » أو « ١٠٠ » فاذا كان مبلغ تحصيله أقل منح رقما يناسب درجة ذلك التحصيل — ٩ ونصف أو ٩ أو ٨ وهلم جرا. ولكى يجتاز التلميذ الامتحان يجب أن يحصل على الرقم ٥ أو ٦ (أو ٥٠ أو ٦٠) أى أنه يجب أن يكون ملما بخمسين أو ستين فى المائة من الدرس المفروض

على أن هذا النظام العشرى غير معروف فى مصر ، وانما يحل محله نظام عددى آخر يرمز الى درجة التحصيل فى كل علم من العلوم بأرقام تختلف عن أرقام التحصيل فى غيره من العلوم . فهو يرمز مثلا الى درجة الكمال فى آداب اللغة مثلا بالرقم « ٣٠ » وإلى درجة الكمال فى الرياضيات بالرقم « ٤٠ » وإلى درجة الكمال فى العلوم الطبيعية بالرقم « ٥٠ » . وقس على ذلك ما جرى مجراه . ولا يعتبر التلميذ ناجحا في دروسه الا اذا بلغ مجموع الارقام التى يحصل عليها حداً معينا . فاذا قصر عن ذلك الحد عد (ساقطا)

أما سبب التفرقة بين الارقام التى ترمز الى درجات الكمال فى مختلف العلوم فهو زعمهم أن قيم هذه العلوم تختلف باختلاف ما يعلقه عليها الناس من الشأن . فعلوم اللغة مثلا هى فى نظرهم أهم من علم الرسم . وعلم الحساب أهم من علم الجغرافيا أو الجيولوجيا . على أن هذه التفرقة لا تقوم على المنطق ، وفى الامكان الاستغناء عنها بنظام الارقام العشرية الذى سبقت الاشارة اليه

وهنالك مدارس لا تستعمل الأساليب العددية بل تعدل عنها الى اعلان نتيجة تحصيل التلميذ ببيان يشرح حالة التلميذ ودرجة تحصيله فى مختلف العلوم مع ذكر أوجه ضعفه والاشارة عليه بما يجب عليه من بذل الجهد فى جهات معينة . ومثل هذه الطريقة مجدية بلا شك ، وقد تكون أوفى بالغرض لو جمع بينها وبين الاسلوب العددى على أن يقدم الى التلميذ بيان مسهب كل أسبوع مثلا ليتمكن من تكملة أوجه النقص وتقوية مواقع الضعف

وفى بعض أقطار أوربا يجرون على نظام آخر لتعيين درجة التحصيل وتبيان حالة التلميذ وهل هو يستحق أن يجاز أم لا . وهـذا النظام قوامه الألوان . وأغلب المدارس تستعمل ثلاثة منها وهى الأبيض والأحمر والأسود . فالأول يرمز الى اتقان التحصيل والوصول الى درجة الكمال أو ما يدانيه ، والثانى يرمز الى التوسط فى التحصيل ، والثالث يرمز الى الاخفاق

عيوب هذا النظام وكيف نصلح

ولا حاجة الى شرح النظم الأخرى التى تستعملها سائر المدارس للرمز الى درجة تحصيل التلميذ وانما نقول انه ما من نظام منها يفى بالغرض الذى وضع من أجله أو يخلو من العيوب . فنظام الأرقام أو العلامات العددية مثلا هو تقديرى محض ، ويختلف باختلاف نفسية الاستاذ . ومعنى ذلك أن الاستاذ قد يمنح أحد تلاميذه الرقم « ٣٥ » فى علم من العلوم حالة أن أستاذاً آخر يرى أن ذلك

التلميذ يستحق الرقم « ٤٠ » فالمسألة إذن مسألة تقدير لا غير . أضف الى دلك ان علاقة التلميذ باستاذه ودرجة حظوته لديه قد تزيدان دلك الرقم أو تنقصانه . ومن الاساتذة من يتساهلون فى تقدير أغلاط التلاميذ ومنهم من يتشددون . ولـكل منهم فى تصحيح أجوبة الطلبة مذهب خاص. وفى هذا ما فيه من عدم القسط فى تبيان مرتبة التلميذ ومستوى تحصيله

ولنظام العلامات العددية فوق ذلك مساءة أخرى وهى أنها تربى فى نفوس التلاميذ روح الحسد والتباعض . فالتلميذ الذى يرى رفيقه مقدماً عليه فى نظر أساتذته قد يكرهه وينقم عليه لانه يعتقد أن ما ينسب اليه من تفوق أو سبق انما هو تقديرى محض أو أنه يقوم على شىء من المحاباة . وفى الحقيقة انه من اللغو القول بأن التفرقة بين تلميذين بالعلامات العددية قد تشحذ همة الضعيف منهما وتستفز حماسته للتشبه برفيقه . فان الاختبار يثبت لنا أن التلميذ الخامل قلما يصبح ذكياً مهما بذل من الجهد والنشاط . وسبب دلك على ما نعتقد راجع الى نشاط العدد الصم وكيفية افرازها كما تقدم . وأنت تعلم أن الانسان لا سلطان له على عدده

ورب معترض يقول : انك أنكرت نظام العلامات العددية ولم تقترح أى نظام يمكن احلاله محله . وليس هذا فى شىء من الانصاف

فالجواب عن دلك أن النظام العددى انما يصلح اذا أزيلت منه العيوب اللاصقه به . وإزالة هذه العيوب غير مستحيلة . فالاستاد الذى يمتحن تلميذا فى علم الـكيمياء ــ مثلا ــ يجب أن لا يحاسب ذلك التلميذ عن الاغلاط النحوية التى يرتكبها . والذى يمتحن تلميذاً في علوم اللغـة يجب أن لا يحاسبه عما قد يرتكبه من الاغلاط الحسابية أو الجيولوجية . وقس على دلك ما جرى مجراه . وبعبارة أخرى ان الاستاذ الذى يمنح تلميذه علامة عددية معينة يجب أن ينظر الى موضوع العلم الذى يتلقاه دلك التلميذ وأن يصرف النظر عن الاغلاط التى قد يرتكبها فى غير دلك العلم

ويجب وضع قاعدة عامة يكون بموجبها تقدير كل أستاد لعمل التلميذ مماثلا لتقدير أى أستاد آخر . أضف الى ذلك أنه يجب توحيد حد النجاح وحد التقصير فى جميع المدارس . فبعض المدارس تجعل حد النجاح « ٥٠ » فى المائة من رقم الـكمال ، فاذا نال التلميذ رقما دون دلك عد مقصراً وبعض المدارس الاخرى تجعل ذلك الحد « ٦٠ » فى المـائة . بل ان بعضها تجعل دلك الحد يختلف باختلاف العلوم التى يتلقاها التلميذ . فهو مثلا « ٥٠ » فى المائة فى اللغة و « ٦٠ » فى المائة فى الرياضيات وهلم جرا . وفى مثل هـذا النظام من أسباب الفوضى ما فيه . وعلاجه توحيد الحـدين ــ الأدنى والأقصى ــ لجميع العلوم وعدم التفرقة بينها

ان هذا النظام حديث العهد فلم يكن معروفا منذ أكثر من قرن ونصف قرن . واذا ترك على حالته الحاضرة لم يؤمن معه الظلم لانه أسلوب ميكانيكى للدلالة على حالة معنوية ، أى على مدى تحصيل الطالب . فاما اصلاحه واما العدول عنه

كانت النفس البشرية محور الادب الى عهد قريب ـ الحرب الكبرى وجرائرها لفتت الادباء الى العالم السياسى والاقتصادى ـ بدأ الادب بدعاية سياسية اقتصادية لمصلحة الانسانية كلها ـ ثم انقلب الى الدعاية الحربية والقومية ـ المذاهب التى يعتنقها الادباء المعاصرون فى أوربا

أدباء أوربا فى معترك السياسة

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

كان معظم أدباء أوربا حتى مطلع هذا القرن أبعد الناس عن الاهتمام بالشؤون السياسية . وكان عمل الأديب ينحصر فى دراسة العواطف البشرية ورسم وتحليل مختلف الميول والأهواء وتصوير مظاهر الطبيعة ومحاولة تجميل هـذه المظاهر واضفاء حلة من الخيال والشعر على حقائق الحياة . وكان الأدباء يعيشون بمعزل عن العالم الاقتصادى والسياسى ، ويستخفون بالنظم الاقتصادية والسياسية، ويترفعون عن الاهتمام بأحكام المادة ، ويعتبرون السياسة حرفة الغدر والنفاق ، وينظرون الى الأدب كرسالة مقدسة حملتهم الطبيعة إياها لرفع مستوى الحياة النفسية عند الشعوب والاتجاه بها نحو الرقى الوجدانى والسمو المعنوى أى نحو الحضارة الصحيحة والمدنية الكاملة

والواقع أن الأديب الأوربى فى ذلك العهد كان يؤمن أعمق الايمان وأصدقه ، أن النظم الاجتماعية والسياسية لا يمكن أن تؤدى مهما ارتقت ومهما تبدلت إلى رقى الانسان ، وأن هذا الرقى لايمكن أن تم إلا متى تهذبت النفس البشرية على مر الزمن بواسطة الآداب والفنون ، التى تلطف من حدة الغريزة ، وتكسر من شرة النزوات البهيمية ، وتصقل العواطف والاحساسات ، وتحل بين الناس قانون التعاطف والتراحم والشفقة والمحبة محل قانون المصلحة المجردة والصراع اليومى فى سبيل الحياة

ولقد حدث فى القرن الثامن عشر فى فرنسا ان اهتم جان جاك روسو وديدرو وغيرهما بالشؤون السياسية فمهدوا للثورة الفرنسية . ولكن لم تكد نار هذه الثورة تخمد ولم تكد تستقر الحياة العامة فى القرن التاسع عشر حتى عاد كل أديب الى محرابه وانصرف لخدمة الادب وحده وانقطع لعبادة الفن والجمال موليا ظهره الى مشاكل السياسة والاقتصاد

وكانت طلائع النهضة الصناعية قد لاحت فى الأفق الاوربي وظهرت إذ ذاك الآلات واتسع نطاق المصانع وبدأت الشؤون الاقتصادية تشغل عقول بعض كبار المفكرين ولا سيما أولئك الذين اعتنقوا

المبادىء الاشتراكية واتجهوا نحو نصرة الطبقة العاملة

وحتى هذ الوقت كان الادباء ما يزالون سابحين فى برج أحلامهم الذهبى يخدمون الفن للفن ، وينشئون المذاهب الادبية الجديدة ، ويبشرون بحب الجمال ، ويرصد أقدرهم وأذكاهم صفوة جهوده على تحليل النفس البشرية والكشف عن أطوارها الغريبة ، واماطة اللثام عن أدق وأخفى ميولها ونزعاتها ، تأدية لواجب الادب الاول والاخير وهو دراسة طبيعة الانسان

ومما يدل أبلغ الدلالة على صحة ما تقدم وعلى أن معظم أدباء أوربا فى دلك العهد كانوا يعيشون بمعزل عن العالم الاقتصادى والسياسى ، أن الناقد الفرنسى الكبير هنرى بيدو يقرر فى رسالته عن (الحركة الأدبية فى أوربا فى القرن التاسع عشر) أن ثلاثة أرباع أدباء أوربا فى دلك القرن لم يطالعوا كتابا واحداً فى شؤون السياسة أو شؤون الاقتصاد

* * *

وجاء القرن الحاضر فألفى أولئك الأدباء على حالهم من الزهد والاعتكاف والوحدة المتكبرة المتأملة . ثم نشبت الحرب الكبرى فبوغتوا بها وأخذوا على غرة وتلفتوا واذا بهم حيال عالم جن جنونه وأطلقت فيه شر الغرائز من عقالها ، عالم يزعم أنه قد ارتقى وتحضر ، وأنه قطع شوطا بعيداً فى ميدان الاختراعات والعلوم ، ثم هو بعد دلك يسمح بمثل تلك الحرب الهائلة ويقدم على مذبحها نفوس الملايين من زهرة شباب أوربا

بهت الأدباء واستولى عليهم ضرب من الخيبة المرة الممزوجة بالحنق والاستنكار ، وشعروا أن جهودهم الأدبية ذهبت أدراج الرياح وان النفس البشرية باقية على حالها وان الحرب كشفت عن جوهر الانسان وردته فى لحظة الى حياة الغابة وإلى أحكام الفطرة المتوحشة الأولى

وعندئذ أدرك الأدباء أن النظم الاقتصادية والسياسية القائمة هى التى كانت السبب فى تلك الحرب أدركوا أن الصراع الاستعمارى والرغبة فى فتح أسواق جديدة والتنافس على المواد الخام والتزاحم على ترويج البضائع والنضال المستمر بين كبار أصحاب رؤوس الأموال ، كل دلك هو أصل النزاع وهو السبب الرئيسى لتلك المجزرة التى لم يعرف لها التاريخ مثيلا

ولما وضعت الحرب أوزارها شاهد الأدباء أزمات جديدة نشأت عنها وانحدرت منها :

شاهدوا ماليات الدول تتزعزع ، والعمال العاطلين يموتون فى الطرقات بؤساً وجوعا والاخلاق تفسد والعادات تتطور وتتجه نحو الاباحية المردولة ، والوصوليين الذين ربحوا الثروات الطائلة من تجارة الحرب ينفقون عن سعة ويحيون حياة الرفاهية والسعد على أشلاء الضحايا المساكين !

هذه الظواهر الفظيعة غيرت عقلية معظم الأدباء وبدلت نظراتهم الى الحياة وإلى الفن الأدبى وإلى غاية الادب ورسالته فى المجتمع

لم يتمردوا على الحضارة الصناعية العلمية بل تمردوا على النظم الاقتصادية والسياسية التى تطبق على هذه الحضارة تطبيقا فاسداً شائنا أفضى الى تلك النتائج الهائلة

وإذ ذاك أحس أدباء أوربا أن من واجبهم التخلى عن برج أحلامهم الذهبى والهبوط الى معترك السياسة والاقتصاد لاصلاح الحياة العامة واقامتها على دعائم الانسانية والعدل

وكان أن ظهر فى الميدان (رومان رولان) و (ستيفان زفايج) و (برتراند راسل) و (هنرى باربوس) و (هنريخ مان) وغيرهم . وطفق هؤلاء الادباء يبشرون بمبادىء انسانية ونظريات حرة وتعاليم اشتراكية تناهض الاستعمار والمستعمرين وتدافع عن الطبقة العاملة وتناصر عصبة الامم وتطلب اشراف الحكومات على صناعة السلاح وتنادى بوجوب تعديل معاهدة فرساى اقراراً للسكينة وحفظاً للنظام فى اوربا

ولكن ساسة الدول المنتصرة اعرضوا عن هذه النظريات واحتفظوا بالحالة التى أوجدتها الحرب وضيقوا الخناق على المانيا وامعنوا فى اذلالها . وكان أن استفحل أمر العطلة بين العمال وفشت الفوضى الاجتماعية والاقتصادية فى ايطاليا عقب الحرب ، وانتشرت بين الطبقات العاملة الآراء والمبادىء الاشتراكية المتطرفة ، فظهر الفاشيزم فى ايطاليا كرد فعل لهذه الآراء والمبادىء ، وظهر الفاشيزم بعد ذلك فى المانيا كرد فعل آخر لما أسفرت عنه معاهدة فرساى من رغبة فى خنق الشعب الالمانى

وهكذا تطور الفكر فى أوربا من دعايات انسانية كان يقوم بها الادباء ، الى دعايات حربية واستعمارية جديدة قام بها الفاشيزم فى ايطاليا وفى المانيا

وإذ ذاك شعر فريق من الادباء أن التاريخ سيعيد نفسه ، وأن الاستعمار قد عاد الى الوجود على يد الفاشيزم ، وان الطبقة العاملة بعد أن حررتها الحرب سترجع الى سابق ذلها وعبوديتها على يد الفاشيزم أيضا ، فدعا هذا الفريق الى الاشتراكية المطلقة فى قوة وحماسة وحرارة أغرت الجماهير والهبت عواطفها ودفعت بها الى مختلف اعمال التمرد والثورة والاضراب

ولكن هذه الحركة لم ترض فريقا آخر من الادباء الارستقراطيين محبى السلطة ودعاة القوة وأنصار التوسع والاستعمار ، كما انها لم ترض فريقاً ثالثا من المعتدلين المعجبين بالنظم البرلمانية والمؤيدين للحكم الديمقراطى . فكان من نتيجة هذا كله أن انقسم الادباء طوائف وشيعا : الاولى تنادى بالاشتراكية المطلقة والثانية تبشر بالفاشيزم والثالثة تعتدل وتتوسط وتدعو للديمقراطية

***

والغريب أن معظم أدباء أوربا بعد ان كانوا يضعون رسالتهم الادبية فوق كل شىء ويعتقدون أن الآداب والفنون هى التى يمكن أن ترقى بالافراد والجماعات ، أصبحوا يؤمنون أصدق الايمان

أن النظم الاقتصادية والسياسية الصالحة هي وحدها التي تستطيع تأدية هذا الغرض ، وأن الآداب والفنون يجب أن تتحول عن مجراها القديم وتخرج من عزلتها السابقة وتكف عن الاهتمام بالانسان ونفسه وعواطفه كفرد مستقل لتهتم بالانسان الكلى أى بالمجتمع وقوانينه وخير نظام يصلح له

هذه هي الظاهرة الجديدة فى الفكر الاوربى اليوم ، وهي ممثلة فى الكتاب الاشتراكيين أمثال (أندريه جيد) و(اندريهماليرو) و (جان ريتشارد بلوك) و (برنارد شو) و(مدلتون مارى) وفى الكتاب الفاشيستين أمثال (هنرى ماسيس) و (جاك دى لاكرتيل) و (دريو لاروشيل) وفى الكتاب الديمقراطيين أمثال (بول فاليرى) و (الدوس هكسلى) و (جول رومان) واضرابهم

وعليه فهناك ثلاثة مذاهب سياسية واقتصادية تتنازع اليوم قلوب أدباء أوربا وعقولهم . فلمن تكون الغلبة وأيها سيكتب له النصر ؟ هذا ماقد يكشف عنه المستقبل القريب

ابراهيم المصرى

فضل القبح !

لاندريه موروا

لقبح الطلعة ودمامة الملامح مزايا معنوية مشهودة الآثار . فالرجل الذى نالت الطبيعة من وجهه وقوامه ، فنثرت الصعاب والاشواك فى طريقه الى الحب ، وأبت عليه أن يشبع هذه العاطفة الآسرة فى يسر وسهولة ، يشعر فى قرار نفسه أنه مكره على أن يستغل - الى أقصى غاية — ما بقى له من المواهب والمزايا . .

والقبح اذا اقترن بالقوة والسطوة ،أفاد من أصابه فائدة مزدوجة ، فأولا — لا يشعر ضده من هم على حظ من الجمال بشيء من الحسد والغيرة ، ولا برغبة فى منافسته وعلته ، فيتركون له الطريق خالياً ممهداً وثانياً — لا يستطيعون أن يتجاهلوه أو يتناسوه ، بل يظل ماثلا فى أذهانهم أبداً . إذ أن ملامحه الشاذة النابية أثبت فى الذاكرة من ملامح سواه المألوفة العادية . .

أول قطار فى مصر

بقلم الاستاذ محمد أمين حسونة

من المآثر التى تفخر بها مصر أنها أول دولة فى أفريقية ، بل فى الشرق كله ، استخدمت القطار . وهذه قصة أول خط حديدى مد فى أرض مصر

بعد ان فرغ الانجليز من مد الخط الحديدى بين ليفربول ومنشستر ـ وهو أول خط حديدى فى العالم ـ اتجهت نيتهم الى اجراء التجربة فى مصر . ويظهر أن المهندس جالواى مهندس محمد على ، كان متصلا بمديرى شركة سكة حديد « ليفربول ـ منشستر » فكلفوه أن يعرض على والى مصر فكرة انشاء طريق حديدى بين عين شمس والسويس بدلا من الطريق البرى « الاوفرلاندروت » الذى كان توماس واجهورن قد اقترحه *

وحصل جالواى على تصريح من الوالى بمسح الطريق الصحراوى الى السويس واختبار طبيعة الأرض ودرجة تحملها . وهناك وثائق ثلاث الأولى مؤرخة فى ٢٢ مايو سنة ١٨٣٤ وهى عبارة عن مذكرة بعث بها جالواى وفيها يقترح اما ادارة هـذا الخط بقاطرات بخارية أو بعربات تسير عليه وتجرها الدواب . ووثيقة ثانية رد بها محمد على على هذا الاقتراح طالبا تقديم التصميمات التى يستلزمها كل من المشروعين . وكانت تكاليف المشروع حسبما وضعه جالواى ، وهو انشاء خط حديدى مفرد طوله ٨٠ ميلا من القبة الى السويس ، تبلغ زهاء ثلثمائة ألف جنيه انجليزى . وفعلا أعطيت « مناقصة » بذلك لبيت جالواى فى لندن

وسافر جالواى الى انجلترا مزوداً بتعليمات من الوالى للاشراف على احضار الأدوات ، والبحث عن مساهمين يمدون المشروع بالمـال ، ومفاوضة الحـكومة الانجليزية فى الترخيص لها باستعمال هذا الطريق نظير احتساب ٦ بنسات عن كل ميل للبضائع الانجليزية المنقولة الى الهند

ولـكن فرنسا خشيت أن يعرقل هـذا المشروع نيتها المبيتة على حفر قناة تصل البحر الابيض بالبحر الأحمر ، فأوعزت الى قنصلها بالقاهرة أن يعرقل المشروع ، وأن يذكر للباشا أن مرور البضائع من أوربا الى الشرق عن طريق مصر ستكون نتيجته أن يصبح الفائدة التجارية والسـياسية فى يد انجلترا . ومن ناحية أخرى فان منح انجلترا الحق فى انشاء طرق حديدية فى مصر معناه الحصول فى المستقبل على امتيازات أشد خطورة ، كالسماح بمرور الجيوش الأجنبية المتجهة الى الهند فضلا عن أن

---

* راجع هلال يناير سنة ١٩٣٧

المؤسسات التى ستصحب المشروع وتنفيذه كمحطات البضائع والعنابر والورش ومخازن الفحم ستكون مؤسسات انجليزية

وكانت الأدوات التى طلبها محمد على من انجلترا قد وصلت الى ميناء الاسكندرية وظلت متروكة على الشاطىء مدة خمسة عشر عاما الى أن علاها الصدأ . وقد استعمل جزء منها فى انشاء خط يصل عماجر الدخيلة بميناء المكس ، وفى انشاء ترام بخارى بالاسكندرية ، والبعض منها استعمل فى نقل الأدوات والأحجار التى كانت تنقل من القاهرة لبناء القناطر الخيرية

على أن هذه الحرب الخفية التى قامت بين انجلترا وفرنسا للسيطرة على المواصلات في مصر واتخاذها حلقة تصل الغرب بالشرق لم تثن همة محمد على ، فكان ينتهز كل فرصة لتحقيق الحلم الذى يداعب فكره . فى سبتمبر عام ١٨٤٣ بعث شقيق جالواى مرة أخرى الى انجلترا للحصول على مدد لان المشروع كان صعب التنفيذ من دون موافقة مصلحة البريد الانجليزى

وكان موت محمد على فابراهيم فرصة طيبة لانجلترا التى لم تتوان عن توطيد علائقها بالوالى الجديد . فان « مستر والم » قنصل انجلترا بالقاهره انتهز فرصة فتور وقع بين عباس الأول والباب العالى فتقدم يعرض خدمات دولته لازالة سوء التفاهم الواقع بينهما مشترطا أنه اذا ما نجحت انجلترا فى حمل الباب العالى على تغيير سياسته نحو الوالى فانه يصرح بانشاء سكة حديدية على نفقة الحكومة المصرية

بيد ان عباس الأول كان يخشى سطوة فرنسا ، فأراد أن يعجم عودها أولا ، وأرسل المهندس «موجيل بك» الى باريس لاستطلاع رأى حكومتها عن نوع المساعدة التى يمكن أن تتقدم بها فى حالة انشاء خطوط حديدية بمصر . ولما رأى أن فرنسا تهتم فى الواقع بمشروع حفر القناة أكثر من اهتمامها بمشروع الخط الحديدى انقاد لمشيئة انجلترا وآثر الالتجاء اليها كى تتولى بمعرفتها القيام بالمشروع

وكانت المباحثات بين عباس باشا وبين مستر والم تجرى سراً فى الليل بناحية « درب البيضة » على طريق السويس

* * *

ولا بد من الاشارة الى شخصية قوية لعبت دوراً هاماً فى تنفيذ المشروع ، تلك هى شخصية عبد الله الانجليزى مترجم القنصلية

كان عبد الله أغا أو الحاج عبد الله الانجليزى شخصاً فضوليا عجيبا ، اسمه الحقيقى ريتشارد . وكان جنديا فى الجيش الانجليزى . ولكن لسبب ما اعتنق الاسلام وتوجه الى الحجاز فى موسم الحج وتعلم العربية . ثم وفد على مصر وشغل وظيفة أمين مخزن بشركة « الترانسيت » بشبرا ، ثم وظيفة مترجم بالقنصلية الانجليزية . ولما كان عباس الأول لا يحيط بلغة أجنبية ما ، كان لا بد لعبد الله

اغا أن يشهد المحادثات التى تجرى بين الوالى والقنصل . وانتهز فرصة هذه المحادثات فكان يتودد الى الباشا ، وأفضى اليه مرة بأنه اذا مازال الفتور بين السلطان وبين سموه فان الحكومة المصرية تعينه مديراً عاما لمصلحة السكة الحديدية . وضحك عباس باشا ثم وعده باجابة طلبه . وتم الأمر فمنح عبد الله أغا هبة مالية قدرها ألفا جنيه ، وأنعم عليه برتبة « الميرالاى » ، ووهبه عباس باشا قصراً فخما بالحلمية . وعين فيما بعد مديراً عاما لمصلحة السكة الحديدية بمرتب شهرى قدره ثمانون جنيها . وظل يشغل هذه الوظيفة من ١٨ أغسطس سنة ١٨٥٣ الى سبتمبر عام ١٨٥٤ ثم نقل منها الى وظيفة مدير عام مصلحة المرور

* * *

ولما تقدمت المحادثات بين قنصل انجلترا وعباس باشا وفد روبرت ستيفنسن — وهو نجل جورج ستيفنسن مخترع السكك الحديدية — الى مصر بقصد النزهة والسياحة ظاهراً ، وبقصد تقديم مشورته الى الوالى فى الواقع

وبعد مباحثات قليلة وافق عباس الأول على وجهة نظر المهندس ستيفنسن بشأن انشاء سكة حديد مصرية تبدأ من الاسكندرية الى القاهرة ومنها الى السويس . وفى أول سبتمبر سنة ١٨٥١ سافر نوبار باشا الى لندن حاملا معه العقود الرسمية لوضعها فى صيغها النهائية وللاشراف على شراء وشحن العدد والأدوات اللازمة لانشاء الخط

وعقد اتفاق بين كل من استيفان بك وكيل خارجية مصر والمهندس بورثويك نائب روبرت ستيفنسن نص فيه على أن ستيفنسن يقوم بانشاء خط حديدى ما بين القاهرة والسويس نظير مبلغ ستة وخمسين ألف جنيه انجليزى . على أن يقدم ستيفنسن على نفقاته الخاصة العدد الكافى من المهندسين والمساحين والرسامين وسائر المعلمات والأدوات والعربات اللازمة لانشاء الخط ، وتقوم الحكومة المصرية من ناحيتها بتقديم العمال وتتحمل مسؤولية تشييد الكبارى والسدود بالكيفية التى تكون فيها ملائمة للخط الحديدى المذكور

وصدر الأمر بتعيين روبرت ستيفنسن فى منصب كبير مهندسى السكة الحديدية المصرية وأخذ بمساعدة المهندسين الذين استقدمهم من انجلترا فى وضع خطة العمل . وفى فبراير سنة ١٨٥٢ وقف ستيفنسن ومعه طائفة من المهندسين ، تحيط به جموع العمال والفلاحين وضرب بيده المعول الأول فابتدأ العمل فى الحال . وما أتى شهر اريل سنة ١٨٥٣ حتى كان الخط من الاسكندرية الى بلدة كفر العيس — قبالة كفر الزيات — قد انتهى ، ومنها الى طنطا فنها فالقاهرة

محمد أمين حسونة

« .. لا يقدح فى العمل الفنى أنه صادر عن الغريزة الجنسية ، بل موضوع القدح ألا يقلها الفنان الى الصفة الفنية بحيث تصبح موضوعاً نظرياً لا صلة له بطبيعة العمل .. »

الفنون وأثرها فى الأخلاق

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

للفنون اليوم بسطة وانتشار ، ودولة عريضة متأثلة الجذور بعيدة الآثار . ولا غرو فقد تولى تدبير شئونها وتوفير أسباب نجاحها وتعميم الاقبال عليها الدهاقين من رجال الأعمال والعواهل من أرباب المال

فما من عاصمة من العواصم تجتاز ساحتها إلا وتلقى نفسك أمام دار للأوبرا فخمة رائعة ، ولا تخلو مدينة كبيرة من متحف ومعهد للتمثيل والموسيقى ومكاتب تزدحم وراء زجاجها الروايات والقصص ومجموعات الشعر مطردة كالأمواج متجددة . ثم من آونة لأخرى تفتح بها معارض الصور والدمى أبوابها تستقبل أفواج الرجال والنساء من هواتها . فاذا خيم المساء طلعت عليك شوارعها الكبرى مرصعة بدور الصور المتحركة تتألق كاللآلىء باعلاناتها المنورة ، وهنا وهناك المراقص والملاهى منها البرزة الفاخرة والمنزوية المتواضعة . والى هؤلاء جميعا يصدر فى اليوم الواحد على توالى الايام عدة صحف ومجلات ليس منها واحدة لا تفرد لهذه المظاهر الفنية من القصص والتمثيل والصور المتحركة والملاهى أبواباً كاملة يحررها متخصصون للنقد الأدبى

وناهيك بما تجده الفنون من الحكومات فى البلاد المتحضرة من التشجيع وأى تشجيع . وان الاعانات المالية المبذولة للمتاحف والمسارح والمعارض ومعاهد الموسيقى وما اليها تعد بمئات الألوف من الجنيهات كل عام

أما الجهود المسخرة فى خدمة هذه الآلهة الجميلة فلا يحيط بها الوصف. ومهما غالى الناظر المتفرج فى تقديرها فانها من وراء كل تقدير

على أنه بحسب المرء أن يتاح له مرة حضور احدى الروايات فى دور تحضيرها ، لتتمثل لذهنه فكرة مقربة عن حقيقة عدد القائمين باخراجها ، وليتبين أن هؤلاء الترائين المتخايلين فى ثياب التمثيل على المسرح هم فى الواقع الأقلون عدداً ، وليسوا على الدوام ، الاكثر عملا ، وان وراء الستار مئات

من الفنانين والعمال لولا جهودهم المتصلة بالليل والنهار مدى شهور طوال لما كانت هذه الرواية التى يشهدها النظار على خشبة المسرح تحت ساطع الأنوار

فهنالك واضعو مناظر الرواية والرسامون ، ثم الميكانيكيون والمهندسون لادارة الآلات والدواليب والأجهزة الخاصة بتغيير المشاهد على تعددها وتراكبها فى سرعة كما تتقلب على الحالم الاحلام ، وتدبير الاضاءة بما يتفق والوقت المطلوب ويحدث الأثر النفسى المنشود ، وكذلك مبتكرو الأزياء والخياطون والخياطات من كل مفتن ومفتنة فى ضروب اللباس والهندام ، والمزينون والمواشط من كل بارع وبارعة لا تخفى عليهم خافية من أسرار التطرية والتجميل ، فضلا عن ذوى الاختصاص فى الشكر والتصرف فى مشابه الوجه واخراج الشخصيات . ولكل مسرح مديره الفنى وأعوانه ، فاذا كانت الرواية من النوع الغنائى زاد عليهم مؤلف الموسيقى ، وأستاذ الرقص ، وحلقة الراقصين والراقصات ، كأنها عبقر وهم فيها الجن والجنيات ، يأتون من عجائب الحركات والسكنات ما يفوق طاقة الاجساد الترابية ويشبه أن يكون أشباحاً من مارج النار فى تمايلها وتثنيها ، ثم رئيس الموسيقيين ، والموسيقيون من عازفين على الآلات الوترية ونافخين فى الأبواق النحاسية وناقرى الدفوف وقارعى الطبول والمنشدين والمنشدات شتى العقائر ، وهو يلوح بعصاه السحرية فتجرى معها الأصوات منقادة فى تصعيد وتصويب واجتماع وافتراق ، محكومة مضبوطة أيما حكم وضبط كأنها موسيقى الأفلاك . فلا تعدو نغمة من الأنغام مقامها المقدور قيد شعرة . وما قيد شعرة عند رئيسهم بالأمر الهين ، فانه اذا شذت نغمة ولو فى تجربة من التجارب انزعج وطار طائره كأن العوالم نفسها قد اختل توازنها . وهم لهذا لايقدمون على عرض رواية من الروايات من أى نوع كانت إلا بعد عشرات التجارب يعاد فيها الموقف الواحد مرات . ولهم فى ذلك صبر أيوب ليس له نفاد . فهذه المرة لأن المقطع الأول من العبارة فى ادائه بعض التقصير ، ومرة أخرى لانه مع الاجادة جاء غير متسق مع ما بعده ، وثالثة ورابعة وعاشرة الى عشرات لان الاشارة من هذا أو ذاك غير معبرة ، أو ان الحركة بدرت متقدمة أو متأخرة ، أو غير ذلك . ثم لا يكفى أن يتحقق الكمال لكل فرد بل يجب أن يكون من هذه الكمالات المتفرقة وحدة مندمجة منسجمة

وليس الشأن هنا شأن ما يبذل من الجهود العظيمة فى سبيل الفنون فحسب ، بل انها نفوس الناس تذهب كما تذهب فى حرب ضروس بالمئات والألوف ضحايا عزيزة . فمئات الألوف من الناس على حد تعبير تولستوى يفنون حياتهم منذ الطفولة على تعلم السرعة فى الدوران بأرجلهم ليكونوا راقصين ، أو السرعة فى نقر الأوتار ولمس الدساتين ليكونوا موسيقيين ، أو التخطيط بالألوان وتمثيل ما هم مبصرون ليكونوا رسامين ، أو قلب كل عبارة بطنا لظهر وتجنيس كل كلمة وتقفية كل سطر ليكونوا شعراء ناظمين . فاذا بهذه النفوس الكريمة الناشطة منصرفة عن سائر مظاهر الوجود ونواحى حده ، واذا بأصحابها الفنانين قد استوحشوا فيما عدا هذا الذى تخصصوا له ،

وأصبحوا ولا حياة لهم خارج السرعة فى تحريك أرجلهم أو ألسنهم أو أصابعهم

أمام هذا كله لا نكون من الفضوليين اذا ما وقفنا هنيهة متسائلين : فى أى سبيل هذه الجهود العظيمة والضحايا العزيزة ؟

يقول تولستوى بصراحته الخشنة وصوته الجهير : إنها لوجه الشيطان جميعا !

فالروايات والأقاصيص والأشعار تنقل على السواء شعور العشق الحسى فى شتى ألوانه وأشكاله، وليس هذا العشق عند الروائيين بالموضوع المستحب الأثير فحسب، بل هو الموضوع الوحيد المنكرر، فالأدب الحديث على وجه العموم ليس الا تعابير شهوانية ، وبعضه وصف مفصل مستفيض واف عن العلائق الجنسية بين رجل ونساء عديدات أو بين امرأة وأكثر من رجل . فهو أدب وليد الشهوة ومولد للشهوات . وأما التمثيل فلا يكون تمثيلا ، ولا تكون الأوبرات حقاً أوبرات الا اذا ظهرت النساء فيها — بعذر وبغير عذر وبمناسبة وغير مناسبة — نصف عاريات مكشوفات الصدور محسورات السيقان . وكذلك التماثيل ومعظم اللوحات والتصاوير لا تمثل الا المرأة العارية فى مختلف الأوضاع المثيرة المستهوية . فالفن الذى يفيض به مجتمعنا ، سواء فى ذلك صادقه وكاذبه ، منصرف الا القليل النادر الى وصف العشق الحسى وتمثيله وتصويره ، وبالجملة الى اذكائه على كل وجه وبشتى الأساليب . ونحن حين نبدر مظاهره وبدائعه حولنا يخيل الينا أن هذا الفن بأنواعه لست له من غاية الا الترويج للرذيلة ونشرها أبعد وأوسع انتشار مستطاع

فأى عجب تلقاء هذا اذا ارتفعت كل حين وآخر من جانب دعاة الأخلاق صيحة السخط وكلمة اللعنة على الفن وأصحاب الفن وعلى اليوم الذى افتتنت به الدنيا بهذا الابن النغل للحضارة الذى أسموه الفن . وأى عجب اذا رأيناهم وقد حاروا — على كره أو غير قصد — بدعة من بدعه أو جرى بمجالسهم الموقرة ذكره حوقلوا وأرجعوا وتعوذوا ، أو سمعناهم يتنادون باسم الاخلاق بمحاربته ويطالبون ذوى الأمر بابطاله ويحضون الناس على مجانبته والانصراف عنه

الا اننا نعتذر دون المضى طويلا مع هذه الغيرة الحماسية ونحب أن نؤثر عليها فى هذا المقام وغيره نظرة البحث المجرد خالصة من التأثر والتعصب ، فاحصة ثاقبة باردة ، لنعرف — قبل أن نقضى قضاءنا فى الفن — الى وظيفته في الحياة وعلاقته بالأخلاق

فالفن يجلو لنا الحياة حلوة فيها متعة ، وهذه المتعة نجدها فى المؤنس الجميل كما نجدها فى الرائع الجليل . ثم انه إدراك مباشر عن طريق الخيال أو تعبير بالغ عن جوانح الانفعال أو مناجاة روحية متطلعة نحو الكمال . كذلك هو مهرب للنفس من ارادة الحياة أو هو تقرير لهـذه الارادة . ولقد يكون فن الفنان واحداً من هذه ، أو يكونها كافة بأقدار متفاوتة

فالعلاقة صميمة بين الفن والحياة . ولم تعرف الحياة جماعة مهما تكن حالهم من الجهالة الأولى وقلة حظهم من الرقي الا وعندهم فن . وان مكتشفات علماء الآثار من رسوم الانسان الأول

ونقوشه على ألواح العظام وجدران الكهوف لترجع بتاريخ الفن الى ما قبل التاريخ المعروف
ذلك شأن الفن من الحياة أجملنا الاشارة اليه إذ ليس هنا محل تفصيله

وأما من حيث العلاقة بين الفن والأخلاق ، فما نحسب بينهما علاقة . وذلك أن الأخلاق تدخل في سلوكنا العملي ، والفن موضوعه نظرى . وأنت لا تكون فاضلا حتى تصطنع الفضيلة في أعمالك ولكنك فان حين تتأمل الزهرة وحين تنقل هذا التأمل صوتا أو رسماً ، فعالمك هنا عالم النظر ونشاطك لا يخرج عن هذا الأفق . وإذن يكون للفن أحكامه والاخلاق أحكامها . ولا يصح أن يؤخذ هذا بتلك . وقد ذهب أوسكار وايلد الى أنه ليس ثمة كتاب خلقي وكتاب مناف للخلق ، وإنما كتاب أحسن الكاتب صوغه أو أساءه

على أننا نحب أن نكون أكثر شجاعة ، فندافع عن الفن من ناحية الغريزة الجنسية نفسها . فان قوام الحياة وهمها الاكبر بقاء النوع عن طريق الفرد . أى انها قائمة على عاملين أولهما حفظ الذات وسبيله طلب القوت والدفاع عن النفس ، وثانيهما سلامة النوع ودوامه وسبيله المخالطة والتكاثر . وهذا العامل الأخير أقوى الاثنين ، ولن تبرح الحياة مضحية بالفرد من أجل صالح النوع . وهذا الشعور الجماعى مصدر الفنون وينبوعها القوى الجياش

فلماذا إذن نكلف الفنون ضد طباعها ونحرمها الانتساب الى أصلها . أليس بقاء النوع مرهونا بغريزة الحس ؟ وماذا في هذه الغريزة وهى أم الحياة ، ولا يستطيع أخلاقى أن ينكر أنها منبت الحب والايثار والرعاية الأبوية للأبناء وعن هؤلاء تتولد سائر الفضائل الاجتماعية

فلنقرر هنا أنه لا يقدح فى العمل الفنى أنه صادر عن الغريزة الحسية ، بل موضع القدح ألا ينقلها الفنان الى الصفة الفنية بحيث تصبح موضوعا نظريا لا صلة له بطبيعة العمل . وأوضح مثال على هذا تماثيل اليونان الأقدمين حيث ترى آلهتهم وأبطالهم نساء ورجالا عرايا إلا من ورقة كرم تستر عوراتهم ، ومع هذا فانك لا تنكر منهم هذا التجرد ، بل لا تتصورهم قط على غير هذه الحال. فى حين يمثل بعض الفنانين الجسد العارى فلا تملك إلا أن تتمثله كاسياً ثم نضا عنه ثيابه ، فاذا بك تخجل وتضطرب . ونحن بازاء هذا المنظر الأخير لا نشهد فنا وانما نشهد عملا ، فلا جرم تجرى عليه أحكامنا الخلقية . ولو أن الفنان نجح فى تحويله الى أفقه النظرى ، لما كان للاخلاق به شأن ولخرج من اختصاصها ، وكان الحكم فيه للذوق الفنى وحده

ثم لا ينسى الأخلاقيون أن الفنون بالنسبة لغرائزنا المكبوتة أشبه بصمام السلامة تنفس عنها فتخف وطأتها ويؤمن خطرها علينا وعلى الآخرين . بل ان الكثيرين ممن يشبعون شهواتهم هذا الشبع الفنى يجدون فيه الغناء ويلهون به عما سواه حتى ليزهد بعضهم بالفعل كأزهد الزاهدين ويعيشوا فى عالم الواقع عيش القديسين ـ فالفنون بآثارها القريبة أو البعيدة فى خدمة الأخلاق وان أغضبت الأخلاقيين

عبد الرحمن صدقى

ماهى الحضارة

للعلامة الفرنسى شارل ريشيه

Qu'est-ce que la civilisation par Charles Richet

شارل ريشيه من أشهر علماء فرنسا المعاصرين وأقدرهم على معالجة المشاكل الاجتماعية والفلسفية وتبسيطها، بحيث يسهل على القارىء فهمها والاحاطة بمختلف وجوهها . وقد تناول فى هذا الكتاب بحث العوامل التى تنشىء الأمة المتحضرة ، وألقى ضوءاً ساطعاً على المقومات الرئيسية لكل حضارة صالحة للاستمرار والبقاء

الحضارة والعلم

الحضارة فى عرف شارل ريشيه هى مجموع الآراء والعادات الناشئة عن الجهود التى تبذلها الأمة فى ميادين العلوم والفنون والصناعات والدين . فالذى يميز الأمة المتحضرة عن الأمة التى لا تزال فى طور الهمجية والتوحش هو ما يأتى :

العامل الأول هو العلم

فالشعب الذى استطاع علماؤه الكشف عن متعدد أسرار الطبيعة ، والذى تمكن بعد جهاد طويل من معرفة حركة الأرض مثلا ودوران الافلاك وأسباب الأمراض وما إلى ذلك من نواميس الكون ، هو شعب تفوق على سواه وقطع شوطا بعيداً فى ميدان الحضارة

ومن شروط التحضر الرئيسية ألا يكون العلم وقفا على طبقة دون طبقة ، وألا تنحصر المعارف فى دائرة رجال العلم وحدهم ، بل تنحدر منهم الى سواد الأمة بحيث يصبح الأفراد جميعا وقد جاوزوا الطور البدائى الغريزى أقرب إلى فهم أسرار الطبيعة وأقدر على معالجتها واتقاء أخطارها

ولقد كان العلماء فى القرنين السابع عشر والثامن عشر يحرصون كل الحرص على أسرار مكتشفاتهم . وكان البعض منهم يخشى المجاهرة بها لئلا تصطدم نتائجها بالتقاليد البالية أو العرف الاجتماعى السائد أو العقائد الدينية العامة . أما اليوم فوجود الصحف والجمعيات العلمية والمؤتمرات، ساعد على نشر العلوم واذاعة أنباء المكتشفات وترويجها بين عامة الشعب

فهذا التبدل الملحوظ هو تقدم مطرد فى سبيل تعميم روح الحضارة أى فى سبيل توكيد الغرض المقصود منها

والواقع أن شيوع كلمات «بارومتر» و «ترمومتر» و «ميكروب» و «أوكسجين» وغيرها ، وانتشار هذه المصطلحات العلمية بين تلاميذ المدارس ، يدل أبلغ الدلالة على تمكن سلطان العلم من الأغلبيات الساحقة ، وعلى أن هذه الأغلبيات قد بدأت تفهم الظواهر الطبيعية عن طريق العقل لا عن طريق الخيال والتصور كما كانت الحال في العصور الأولى

وهذا المظهر هو أحلى مظاهر الحضاره وأروع غاية من غاياتها اذا ما قورن بمظهر الحياة ومظهر العقل عند قبائل الاسكيمو والهوتنتوت

وعليه فنحن قد تحضرنا وهؤلاء ما يزالون سابحين في خيالات الفطرة الجامحة العمياء

ولكن الصحف والجمعيات العلمية والمؤتمرات لا تكفي لنشر العلم بين سواد الشعب وتحقيق غاية الحضاره . ولابد من تنظيم التعليم الالزامي العام تمهيداً لنشر المكتشفات العلمية والارتقاء بعقلية الشعب ودفعا به في طريق البحث والاستقصاء والمعرفة

وإذن فالحضارة من الناحية العقلية تتألف من عنصرين وهما : نشر المعارف بين سواد الشعب ، وتقدم هذه المعارف واتساع نطاقها على أيدي علماء أفذاذ تسهل لهم الحكومات سبيل البحث والاستكشاف

الحضاره والتقدم المادى

والعامل الثاني الذي يميز الأمة المتحضرة هو التقدم المادى ، أى اخضاع المادة لارادة الانسان ورغباته واحتياجاته فكلما تحرر الفرد من سلطان الأشياء ، وكلما استطاع تسخير المادة لمصلحته ، اقترب من الانسان المتحضر . والحقيقة أن تضييق المسافات التى تفصل بين الناس وتقصير مدة الزمن التى تستخدم لاجتياز تلك المسافات ، من أكبر الجهود الدالة على التحضر ، لأن الغرض منها هو التفوق على الفضاء والوقت والزمن ، وتسهيل المواصلات لانعاش التجارة والصناعة ، أى لتوكيد التقدم المادى

فاستخدام البخار وانشاء السكك الحديديه بدل وجه العالم وضاعف شعور الناس بمعنى الحضارة وقيمتها وكذلك اختراع المطبعة والطيارة والتلغراف الكهربائى واللاسلكى ، كل هذه الجهود ساعدت على التقدم المادى العام وساهمت فى نشر الرخاء والمسرات وأذاعت مختلف العلوم والفنون ووحدت بين أجزاء العالم وحققت الغرض المقصود من الحضاره وهو نفع الجميع وتسخير الطبيعة لمصلحة الجميع ووضع العلم تحت تصرف الجميع

فكلما انصرفت جهودنا نحو هذا الغرض واستطعنا أن نضيف قوة عملية جديدة إلى هذه القوى العملية الرائعة ، اشتد ايماننا بمقدرتنا البشرية وعززنا فى نفوسنا كرامتنا الانسانية وازددنا حضارة وتقدما ودفعنا بعجلة التطور إلى الامام

ولا شك فى أن اختراع الآلات والسعى المطرد لتحسينها من أبلغ الدلائل على التحضر أيضا .

لان الآلة تخفف عن الانسان عبء العمل ، وتنتج فى يوم واحد بواسطة رجلين ما كان يعجز عن انتاجه فيما مضى عشرة رجال مجتمعين . وهكذا تخفض الآلة قيمة المصنوعات وساعات العمل وتتيح للعمال فرص الراحة والتثقف والاستمتاع بالحياة

وما يسرى على اختراع الآلات يسرى على المكتشفات والعلوم الطبية أيضا ، فهى تكافح المرض والألم والموت ، وترمى إلى الغاية نفسها أى إلى مضاعفة الاستمتاع بالحياة ومضاعفة القدرة على العمل والتثقف والسعادة

وعليه فالعلوم الطبية والطبيعية والكيمائيه ، تخضع العالم المادى لسلطاننا وتساعد كل المساعدة على تحضرنا بدليل اننا ننتفع بكل شىء عن طريقها فى حين أن الرجل المتوحش الذى يجهلها يعيش فى عالم مغلق محدود لا يعرف أن قطعة أحجار سوداء يمكن أن تنتج حرارة وقوة ، وأن هناك أسمدة تزيد فى محصول الأرض ، وأساليب وطرائق لصنع الألوان والعطور والعقاقير ومختلف المناهج والمتع ، وأن هناك معجزات أخرى سوف تتمخض عنها حضارة الغد

الحضارة والاخلاق

والعامل الثالث الذى يميز الأمة المتحضرة هو العادات والاخلاق . إذ أية فائدة من الحضارة المادية بالغة ما بلغت من الرقى ان هى لم تقترن بعادات حميدة وأخلاق سامية وأمثلة روحية عليا أية فائدة من الحضارة المادية إذا كان الفرد لا يعرف حق المعرفة ما هو واجبه الاجتماعى وواجبه السياسى وواجبه العائلى ، وما هى مسؤولياته حيال وطنه وحكومته وأسرته والانسانية جمعاء؟

الواقع ان العادات والاخلاق أبلغ فى الدلالة على التحضر من الرقى العلمى والتقدم المادى . وقد عرف التاريخ شعوبا سرعان ما انحطت حضارتها بانحطاط أخلاقها وسرعان ما تقلصت جهودها العلمية والفنية بتقلص عناصر المتانة والصرامة والجد فى أخلاقها

وما نفع استغلال قوى الطبيعه والتغلب على المادة والقضاء على وفيات الأطفال وتنظيم سرعة المواصلات وتنشيط التجارة والصناعة وانتاج عباقرة فى الآداب والعلوم والفنون ، ما نفع كل هذا إذا ازدادت نسبة الاجرام ، واستفحل شر الدعارة ، وانحطت الاخلاق السياسية ، وفشت روح الوصولية ، وقضى على عناصر الاستقامة والنزاهة والتضحية فى الحياة العامة ؟ لا شك ان رقى الأمة المادى لن يقيها فى هذه الحال خطر السير شيئاً فشيئا نحو الانحطاط والعدم

ويرى شارل ريشيه ان من مستلزمات الحضارة الصحيحة أن يقترن التقدم المادى بالتقدم الخلقى ويسايره جنباً الى جنب وإلا أصبحت الأمة كالشخص الكسيح لا ينهض إلا ليقع

الحضارة والحرية

والعامل الرابع الذى يميز الأمة المتحضرة هو الحرية ، حرية النظم السياسية التى تسمح

بازدهار العلوم والفنون والفكر البشرى نفسه . والتى تخول الفرد سلطة الحكم على الاعمال العامة ومناقشتها ومحاولة اصلاحها والاشتراك فى بحثها وتوجيهها مع قادة الرأى ورجال الدولة . فلا وجود للحضارة بدون هـذه الحرية . ولا معنى للحضارة مع الاستبداد . ومن المحال انشاء حضارة بلا قانون عادل يسيطر على الجميع ويحترمه الجميع ويساوى بين الجميع سواء فى ذلك الحاكم أو المحكوم

ولـكن من طبيعة القانون أن يكون صارماً قاسياً شديد الوطأة ، ولذلك لا تتحقق الحضارة المثـلى فى أمة من الأمم إلا إذا لازمت القوانين عواطف التضامن والتسامح والمحبـة والرأفة ، وتغلغلت فى قلب كل فرد وجعلته يستغنى جهد الطاقة عن الاحتـكام إلى القضاء والالتجاء إلى القانون طلبا للانصاف والعدل . وهذا التطور لا يمكن أن يتم إلا بعد جهاد طويل شاق تشترك فيه الآداب والفنون فتهذب المشاعر وتلطف الأهواء وتقرب بين الأفئدة والعقول

الحضارة والفن

والعامل الخامس الذى يميز الأمة المتحضرة هو الفن . ولـكن بعض الناس يعتقدون ان الفنون من كماليات الحياة ، وأن لا حاجة بالفرد الى حب الفن وفهمه وتذوقه كى يكون انسانا متحضراً . وتذهب فئة كبيرة الى أن الفن ليس من مقومات الحضارة الأولى وأن الحضارة نفسها قد تسمو وتزدهر بلا فنون رفيعة كما هى الحال اليوم فى أمريكا مثلا

والواقع أن أصحاب هذا الرأى يغالطون مغالطة واضحة وينكرون الحقائق الأبدية التى يقوم التاريخ شاهداً عليها

ويرى شارل ريشيه أن لا حضارة بالمعنى الصحيح إلا متى اقترنت بالثقافة

فأمريكا مثلا بلاد متحضرة من الوجهة المادية ، أى من حيث التنظيم الصناعى والاقتصادى ، ولـكنها ما تزال متأخرة من الوجهة المعنوية ، أى من حيث الرقى الفكرى والوجدانى وانتاج الطرائف الخالدة فى الآداب والفنون . وفى أمريكا مصانع عظيمة وناطحات سحب رائعة وأنظمة اجتماعية واقتصادية تعود بالرخاء المادى على أغلبية الشعب ، ولـكن ليس فيها حركات أدبية وفنية متغلغلة فى مجموع الأمة ، وليس فيها طائفة من كبار الفنانين والأدباء تنتج أعمالا فـكرية ممتازة وتستطيع أن تؤثر بواسطتها فى عقلية الأمة نفسها وفى اتجاهها المعنوى بحيث يتعادل الرقى الاقتصادى مع الرقى الفكرى والاحساسى لتكتمل عناصر الحضارة

ومما لا يقبل الريب أن أمريكا أخرجت نفراً من كبار الأدباء وبعض كبار الفنانين ، ولـكن هذا النفر استطاع الظهور بمحض مجهوده الشخصى ، وعلى الرغم من ارادة سواد الشعب الذى يؤثر الاستمتاع بالرخاء المادى والعمل فى سبيل هذا الرخاء على الاستمتاع بالآداب والفنون

ان ذلك النفر من الفنانين والأدباء لم يكن فى مقدوره تبديل عقلية الشعب وحمله على حب

الفنون والآداب حباً صادقا عميقا واعتبارها من ضرورات الحياة ، لعظم سيطرة الفكرة المادية على ذلك الشعب الفتى المولع بالشؤون العملية فحسب . واذن فى وسعنا أن نقول إن فى أمريكا شروعا فى انشاء حضارة ما تزال تنقصها الثقافة ، وان فيها ضروبا منوعة من الرقى المادى ولكن ليس فيها تلك الشعلة الفنية والأدبية التى ترفع مستوى الشعب وتسمو بنفوس أفراده وترقى بأرواحهم وتصقل ميولهم ومشاعرهم وتوازن فى عقولهم بين مطالب المادة ومطالب الروح

فهذا التوازن المنشود هو دليل الحضارة الصحيحة وهو نتيجة ازدهار الثقافة بمختلف فروعها ولا سيما الفن . والحقيقة أن هناك فارقاً كبيراً بين الرجل الامريكى المتوسط والرجل الأوربى المتوسط . فالأول ينظر الى شتى مولدات الذهن البشرى نظرة مصلحة ويحاول اخضاعها جميعا لحكم المصلحة أى للنفع المباشر المحسوس . أما الثانى فمع تشبثه بمصلحته ودفاعه عنها وتعلقه الشديد بها ، فانه يميل الى تثقيف عقله ونفسه بالفنون والآداب تثقيفا نزيها لا يعود عليه بأية فائدة عملية بل يعود على جوهر نفسه بفائدة معنوية مجردة ولذة روحية تجد نهايتها فى نفسها

وقد يتبرم الأمريكى مثلا بقضاء جزء من وقته لمشاهدة معرض صور فنية ، ويعتقد أن هذا وقت ضائع ، وأن معرض الصور يتطلب اليه أن ينعم النظر ويفكر ويفهم ويتذوق ، فى حين أن فى استطاعته أن يستخدم هذا المجهود الفكرى فى عمل يستدر منه المال ، أو يستخدم ذلك الوقت فى الذهاب الى قاعات الرقص أو دور السينما حيث يتسلى ويلهو وينسى عناء النهار ويعود مجدد النشاط لاستئناف عمله المادى من أجل المادة أيضا

هذا مايدور فى خلد الأمريكى المتوسط ، وهذا ما يفكر فيه أغلب الأحيان . أما الأوربى المتوسط فيعجب بالفن ويسحره الأدب الرفيع ويحاول أن يفهم ويتذوق هذا وذاك ولا يجد أية غضاضة فى إرهاق نفسه بالتفكير فى عمل فنى وهو يعلم علم اليقين أن مجهوده لن يعود عليه بأية فائدة مادية

هذه الظاهرة الملحوظة فى معظم الأوربيين هى الدليل البالغ على أن فى أوربا حضارة قديمة عريقة فى العناصر الثقافية تمتاز عن حضارة أمريكا بهذه الثقافة نفسها وتأصلها فى نفوس شعوبها واعتياد هذه الشعوب حب الظواهر الفكرية لذاتها لا لغرض معين

يتضح مما تقدم أن مثل الحضارة الأعلى هو ضبط النسبة بين الرقى المادى والرقى الروحي كي يحيا الشعب بالعقل والقلب لا بالجسم فقط . كما يتضح أن توجيه الشعب نحو المعنويات لا يمكن أن يتحقق الا من طريق الفن ، وأن الفن عنصر رئيسي من عناصر التحضر ، وان الاهتمام به وتشجيعه وترويج الدعوة له وحث الجماهير على حبه وتذوقه من أهم الأغراض التى يجب أن يسعى المصلحون لتحقيقها اذا شاءوا التقدم الصحيح بأمة ناهضة وإبلاغ هذه الأمة شأواً بعيدا فى ميدان الحضارة !

ا . م .

كثرة تناسل الفلاح

هل فقره علة ازدياد أولاده ؟

بقلم الاستاذ احمد خيرى سعيد

من المسلم به أن المواليد يزيد عددهم حيث الفقر مدقع والجهل منشور الرواق ، بينما ينقص عددهم حيثما شاع الغنى واليسر وارتفع مستوى الثقافة .

وسأضرب صفحاً عن التعليل الاقتصادي ، والاجتماعي ، والطبي ، لتلك الظاهرة التي لا جدال في أنها مطردة في كل بيئة انسانية ، اتسع نطاقها أم ضاق . وسأقصر البحث على التعليل السيكولوجي لزيادة السكان ونقصهم في مصر بوجه خاص

الانسان في جميع أدوار حياته ومراحل تقدمه ، من فجر التاريخ الى أن يطوى الفناء صحيفة الوجود ، تسيطر عليه غريزتان : غريزة المحافظة على الذات ، وغريزة المحافظة على النوع . وسعيه في حياته يرمى الى اشباع هاتين الغريزتين — اشباع الأولى بالأطعمة والثانية بالتناسل

وليس من الطبيعي أن يتساوى الناس جميعاً من حيث ارضاء هاتين الغريزتين ، لأسباب عديدة ، منها الكفاية العقلية والنشاط والحركة والوراثة والتربية والثقافة والظروف . وينقسم الناس الى طبقات ثلاث : طبقة المترفين ، وهم أهل الغنى ، والسلطان . وطبقة أنصاف المترفين ، وهم الأوساط الذين يقفون في منتصف المدى بين الغنى والفقر . وطبقة المحرومين وهم الذين يعيشون على الكفاف . وهذه الطبقات يمكن ترتيبها من حيث القدرة على التناسل ، أو الخصب الجنسي ، الى :

أولا — عقيمة ، وهي المترفة

ثانياً — شبه عقيمة ، أو نصف ولود ، وهي المتوسطة

ثالثاً — ولود ، وهي الفقيرة المحرومة

فالطبقة المترفة تتأنق في المأكل والملبس وتنسق المعيشة ، وتقطع سحابة العمر في طلب اللذات ومعاقرة المتع . وجدير بالملاحظة أن هذه المتع واللذات ليست حسية كلها ، يعنى أنها تتصل بغريزة حفظ النوع اتصالا واهيا . لأن الترف يذكى الأنانية ويجعل الانسان يحب نفسه — وقد يعبدها — ولا يفكر فيمن عداه ، حتى ولا فيمن يخلفه . وسبب ذلك أن الترف يفتح له الغنى أبوابا يلج منها الى ميادين تشغل البال وتستأثر باللب وتستنفد القوى ، فتخمد جذوة الغريزة الجنسية ، أو تذبل

وتفسير ذلك ـ بعبارة أوضح ـ أن لدى الأغنياء ما ينفسون به عن أنفسهم ضغط الغريزة الحسية ـ غريزة حفظ النوع ـ ويسدون الجوع التناسلي . . . عندهم المسارح والسيما ، عندهم الموسيقى وروائع الفن ، عندهم الصحف والمجلات والقصص ، عندهم المجالس الخاصة ، عندهم الرياضة البدنية وغير البدنية ـ بالاختصار عندهم من كل ما ذكرنا حظ وافر مما تنصرف اليه القوى التي تتجه في الأصل الى تحريك الغرائز الحسية وتنشيطها ، فلا عجب اذا قل نسلهم فأصبح نزراً ، أو لاشىء فلم ينجبوا البنين والبنات

وما نقوله عن الطبقة المترفة الغنية ، ينطبق على الطبقة المتوسطة بدرجة أقل ، تتفاوت بنسبة مكاسبهم وجملة ايراداتهم وما يهيئه لهم دخلهم من متع ولذات ينفسون بهـا ضغط الغرائز الحسية . يضاف الى ذلك شعورهم بالمسئولية نحو بنيهم الذين يطمحون الى تربيتهم وتسليحهم في معركة الحياة بثمن باهظ ، ومن هنا لم يصابوا بالعقم الكلى ، بل رزقوا أفلاذ الأكباد ، لكنهم لم يرزقوا كثرة البنين والبنات التي منيت بها طبقة الفقراء . ذلك لان حرمان أولئك التعسين من كل ما أسلفنا ، قد أدى الى انصراف قواهم كلها الى إلهاب غرائزهم الحسية . فأنت ترى أن المترف ينفق قواه فيما يمتعه هو ويكفل ارضاء رغباته ، بينما الفقير ينفق قواه فيما يحفظ النوع ويكفل استمراره ـ الغنى قواه تنصرف الى ذاته هو ، والفقير تنصرف قواه الى خلفته ـ الى النوع

هـذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى يشعر الفقراء ، خصوصا في مصر ، بأخطار تهددهم بالانقراض ، كالأمراض المتوطنة التي تنسفهم نسفاً ، ونقص الغذاء الذى يكاد يكون مجاعة سرمدية ، والجهل المردى . وهذه الأخطار من شأنها أن تزيد في قدرتهم على التناسل ، شأنهم في ذلك شأن الأحياء كافة . فقد ثبت بالتجربة والمشـاهدة أن نباتات وحيوانات تكاثرت كثرة فائقة غير معتادة ، عند ما أحاطت بها أخطار تهددها بالانقراض

احمد خيرى سعيد
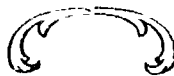
الرجل القوى إذا أحب

قصة غرام الشاعر دانونزيو

بقلم الاستاذ نظمى خليل

أمضى جبرائيل دانونزيو ـ شاعر ايطاليا العظيم ـ صدر حياته حائراً بين الحانة والدير، مهاً بين الخطيئة والتوبة، سائراً وراء الشيطان يوما، ومبتهلا إلى الله يوما آخر . . . فكان يفلت من ذراعى المرأة ليعود إلى كرسى الاعتراف يتوب ويطهر، حتى إذا ما أحس بثقل الندم يهبط كاهله انطلق الى المرأة ثانية ليسى بين ذراعيها آلام الندم وأثقال الخطيئة، ثم لا يلبث أن يصدف عن تلك اللذائذ فيكتب الى رئيس الدير ليهيء له صومعة يقضى فيها بقيـة حياته عابداً زاهـداً، ويتأهب لاستقبال حياته الجديدة الشاقة بأن يمضى الليل كله فى حمأة اللهو والمتعة . . ! وبينما رئيس الدير قد فتح ذراعيه لاستقبال التائب النادم، يكون دانونزيو قد نسى خطيئته الاولى واستلقى بين ذراعى امرأة أخرى ! . .

وفى « كتابه السرى » تقرأ قصـة حياته الحافلة فتعجب كيف كان يعيش فى مونمارتر بين الخمر والميسر والنساء، حتى اذا ضاق بهذه الحياة الصاخبة اللاهية، فر الى شاطىء البحر حيث يجلس الى راهب يتلو كتابا عن المسيح فى تبتل وخشوع ....

ولكنه مع هذا التلميذ الوفى « لنيتشه » يثور على الاخلاق اللينة والعواطف الرقيقة التى تعوق الانسان عن أن يرقى من ضعفه ونقصه الى « السوبرمان » القوى الكامل . فاعجب لشاعر يحيا للحب وبالحب، دون أن يذرف عبرة واحدة من أجل انسان سواه ! . .

وهو بعد هذا كله الجندى المغامر والبطل المجاهـد، الذى قام جزء كبير من صرح ايطاليا الحديثة على منكبيه، فقد وقف الى جانب موسولينى يبشر بالفاشستية ويدعو اليها، كما قاد الكتائب أيام الحرب الى ساحات النصر المؤزر ... ثم ارتضى لنفسه بعد هذا أن يعتزل العالم الذى كان يحيا فى صميمه، الى هذا المسكن النائى فى قمة الجبل حيث يقضى بقية حياته فى أمن وهدوء ...

***

ما كان فى وسع دانونزيو الذى يجرع كؤوس الخطايا حتى ثمالتها، أن يدرك شيئا من هذا الطهر الذى يتمثله كثير من الفنانين فى المرأة، بل هو لا يراها إلا جسما تتمثل فيه الغريزة الآسرة التى تطغى على العقل فتفقده سلطانه وتمضى أحكامه . فاذا ما وقف أمام المرأة الجميلة أعاد ذكر عمر الخيام وبيرون وبودلير ممن كانت تصيح بهم عواطفهم هاتفة : « وتلك الساعة التى أنت فيها » ...

فلا عجب ان كانت عقيدته فى الحب أو شعاره فى الحياة ، ما يتمثل فى عبارته هذه : « إن من يعود إلى حبه القديم كمن يشعل لفائف التبغ المحترقة » . . . فما كان همه من المرأة إلا أن يروى ظمأه ويشبع جوعه ، ثم يلقى بها فى عرض الطريق متأففاً نافراً . فقد أحب فى العشرين من عمره احدى الفتيات النبيلات هى « ماريا هاردون » وفر بها فاضطر والداها أن يزوجاها به . ومع هذا فان الشاعر لم يكن يضمر الحب للفتاة وانما كان يطمع فى مجد أسرتها ، فطالما سخط على القدر الذى خلقه من طينة الفلاحين ولم يخلقه من طينة النبلاء . حتى لقد قال مرة : انه يود لو يستبدل ذهنه الجبار بلقب متواضع ..!

ولكن قلبه لم يستطع أن يستكين الى أليف واحد ، فسرعان ما شال عن عشه هـذا وراح يضرب بجناحيه فى الفضاء حتىحط أخيراً فى أحضان المرأة الجديدة ، وعبثاً حاولت زوجه أن تعيده اليها ببكائها وتوسلاتها فأرسل اليها يعتذر عن لقائها ، فانحبس الدمع من عينى المسكينة وانحنت على عتبة بيته فى خشوع ، ووضعت عليها باقة الورد كما لو كانت واقفة أمام المحراب ...

وكانت صاحبته الجديدة « ماريا حرافيا » زوجا لأحد النبلاء وأما لفتاتين ، ولكنها كانت ضيقة بحياة ذلك الزوج فوجدت في صحبة الشاعر تفريجا لذلك الضيق . فقضت معه تسع سنوات عرف فيها الشاعر هدوء الحياة الزوجية ونعيمها . وقد أحب الشاعر ابنتها « زيناتا » حباً أبوياً عميقا ، فهى التى سهرت عليه الشهور الستة التى قضاها فى ظلام حالك راكد بعد فقده احدى عينيه فى الحرب الكبرى . وأخيراً حدث ما لا بد منه .. فقد تركها الشاعر ليلقى بنفسه فى أحضان امرأة أخرى هى الممثلة العظيمة « إلينورا دورى »

* * *

قالت هذه المرأة وهى على فراش الموت : « انسوه أنى قد غفرت له » . ولكن هل أساء اليها دانونزيو اساءة تستحق الغفران ؟ مانحسب هذا اذا نظرنا اليه على حقيقته ، أى على أنه تلميذ لنيتشه يزدرى المرأة ويستخف بالحب . والواقع أنه كان لزاما على الممثلة العظيمة أن تفهم جيداً رأى الشاعر فى « لفائف التبغ المحترقة » ، ولكنها لم ترد أن ينتهى دورها الذى مثلته على مرسح دانونزيو كما انتهت أدوار سواها من النساء ، وبقيت متشبثة به مصرة على حبها له ، رغم انصرافه عنها إلى بطلة جديدة . . فبعد ما سافرت الى أمريكا لتمثل مسرحياته كانت تكتب له كل يوم خطابا طويلا كله حب وهوى وغرام . وفى يوم عيد ميلاده بعثت اليه باثنتى عشرة رسالة برقية ، واحدة كل ساعة . أما هو فلم يفكر فى قراءة هذه الرسائل والبرقيات بل كان يلقى بها فى النار حالما يتناولها . وقد كان الشاعر إذ ذاك فى ثورة نفسية عنيفة ، بعد ان ضنت عليه حكومته بمبلغ من المال يدفع به دينه ويبقى على خيوله وكلابه التى تنازعها الدائنون . فهجر وطنه الى فرنسا محنقا مغيظا ، وقد عزم على ألا يعود ثانية الى تلك البلاد التى عقته وكفرت به

وكانت هذه الممثلة كصاحبها الشاعر لا تكاد تسكن الى قلب حتى تنصرف عنه ، وكانت امرأة فاتنة تجيد اصطياد القلوب ، فكانت تعرف الثرى المترف فتحوم حوله وسرعان ما توقعه فى شباكها. ولكنها لم تكن تطمئن الى هؤلاء الأثرياء كثيراً بل كانت كالنحلة المتنقلة ترتشف من جميع الأزهار فهى إذاً لم تتعرف على دانسيو إلا بعد أن اكتملت خبرة ونضجا ، فقد كانت فى الأربعين بينما هو لم يكن قد جاوز السابعة والثلاثين

وقد قيل ان الشاعر لم يستغل فنها ومالها فحسب ، بل استغل روحها أيضا . فقد شرحها فى ساعات نشوتها وذهولها فى صحائف قصته العظيمة «النار» ذات الأوصاف الحسية العربية ، حتى ان «شومان» مدير مسرحها لم يكد يقرأ تلك القصة حتى اندفع اليها فى ثورة واضطراب يقول : «لقد فضح دانونزيو سرك . ما من أحد يقرأ هذا الكتاب إلا ويبين شخصيتك» . ولكن المرأة ذات اليدين الجميلتين والصوت الموسيقى العذب لم تكترث لهذا الأمر بل أجابت فى هدوء « انى أعرف هذه القصة — لقدسمحت له أن ينشرها — فانى امرأة فى الأربعين ولكنى أحب » .وكثرت الاشاعات حول استغلال الشاعر لتلك الممثلة ماليا ، ولكن ألا يحق « للسوبرمان » أن يستغل النساء كما يستغل الرجال العاديين تمشياً مع قانون التطور ونزولا على رغبة الفردية القوية ؟ !

ومهما يكن من أمر فانه إذا كان الشاعر قد استغل دوزى فى بعض النواحى فقد استغلته هى أيضاً فى نواح شتى . فقد خلدت فى أبطال قصصه التى مثلتها ، وخلدت فى شخص بطلة قصته العظيمة « النار » . وحسبها أن الشاعر بالرغم من كبريائه وقوة شخصيته قد وهبها قلبه فترة من الزمن فصحبها معه الى مصر وشربا معاً كؤوس الحب دهاقا ، حتى إنها لم تفتأ تتحدث عن تلك الأيام السعيدة فى كثير من التفاخر لقدرتها على اصطياد ذلك الشاعر من بين صاحباته الكثيرات غير أنها كانت تخشى دائما أن تمتد اليه يد أخرى فتنتزعه منها

وقد انتهى هذا الحب الى مصيره المحتوم ، فسرعان ما برزت « مارشيسا » فى الميدان فى شخصية المرأة القوية المهاجمة . فلما رأت الممثلة العظيمة خطر تلك المرأة المنازلة ثارت وهددت ، ثم توددت واستعطفت ، ولكنها فشلت فى الحالتين ، فقد كان ذلك النسر الذى طار من وكرها قد وقع فى حبائل تلك المرأة ذات الرأس الجميل والشعر الفاحم الاثيث . فعادت الى فلورنس حيث اشترت لها « فيلا » جميلة وسط حديقة غناء ، وأقامت هناك تراوض قلبها المفجوع على نسيان حبها الضائع ولكنها لم تستطع . فلما جاء الى ميلان بعد ذلك ببضع سنوات ليلقى خطابا سياسياً ، كتبت اليه ترجو مقابلته فى أحد الفنادق ثم انتظرته هناك عدة ساعات ولكنه لم يأت . وقد لقيته اللقاء الاخير قبيل رحلتها الى أمريكا حيث قضى الموت على أحزانها المريرة وذكرياتها المؤلمة

نظمى خليل

الأدبُ المكشوفُ

ليس المقصود به نشر التبذل وترويج الاباحيـة ، بل الـكشف

عن ميول الانسان الدفينة لغاية نبيلة هي خدمة الحقيقة والانسانية

من الظواهر الملحوظة في عصور التحول والانتقال ، أن تختلط القيم الادبية والاجتماعية في أذهان الجماهير وتتبدل أوضاعها وتتخذ أشكالا وصوراً لا تمت الى حقيقتها الأصلية بأى سبب

وهذا ما يقع في مصر الآن بالنسبة لعدة مذاهب أدبية أجنبية ، ومنها مذهب الأدب المـكشوف فأغلبية الجمهور عندنا ـ نظراً لاجتيازها مرحلة الانتقال الحاضرة ـ تعتقد أن المقصود بالأدب المـكشوف ، هو أدب التبذل والتهتك وتصوير المحرمات الحسية والميول المنحرفة المخزية ، وان كل من يعالج هذا الادب انما يرمى الى نشر الاباحية المموهة ، وان من واجب الحـكومات والمصلحين وقادة الرأى العام محاربة هـذا الادب وأصحابه حرصاً على أخلاق الأمة من أن يصيبها الضعف والانحطاط

وليس شك في أن من حق الادب الصحيح على الادباء المصريين المثقفين ألا يقفوا سكوتاً حيال خلط كهذا ، وألا يسمحوا ـ وهم الذين يبذلون جهود الجبابرة في تعديل القيم الادبية وتقويمها ـ بأن تظهر في الجو الفكرى في مصر خرافة مرعبة تحمل اسم الأدب المـكشوف وهى في الواقع ليست من حقيقة هذا الادب في شيء

والغريب أن الادب المـكشوف اسم غير معروف في أوربا حيث ابتدع هـذا الادب . اسم ابتكرناه نحن وخلعنا عليه ثوبا صارخاً مما جعل المحافظين التقليديين يرون فيه الشيء الـكثير من معنى التحدى

وما نسميه نحن أدباً مكشوفاً يسميه الغربيون « ناتوراليزم » أو « رياليـزم » أى رسم الطبيعة كما هى

أما أدب التهتك والتبذل فلا يعتبر هناك أدبا بل يطلق عليه اسم « بورنوجرافى » للتفريق بينه وبين الادب الصحيح

و «الناتوراليزم» أو ما يسمى عندنا بالادب المـكشوف ، مذهب يعترف بحرية الـكاتب في أن يقول كل شيء ويرسم كل شيء وينقد كل شيء في حدود أدب القول ما دام حسن النية رائده ، وتصوير الحقيقة البريئة غرضه الاول والاخير

وهـذا المذهب يبيح للقصصي بصفة خاصة أن يصور أخفى الغرائز البشرية ويحدثنا عن أطوارها وتقلباتها وتفاعلها وما يتولد عنها من أعراض تصطبغ بها الشخصية الانسانية فى فترة من فترات حياتها . وإذن فالمقصود بهذا الادب ليس ترويج الاباحية المقوتة ولا نشر التبذل والتهتك ، بل دراسة الانسان والـكشف عن ميوله الدفينة ونزعاته الغريبة التى تسيطر تمام السيطرة على معظم اتجاهات عقله وقلبه

وقد يكون بعض هذه النزعات والميول مما لا يقره العرف الاجتماعى القائم ، ولـكن الأديب متى كان نزيها فى تصوير هذه النزعات ، نبيل الوحي فى رسم تلك الميول ، عف القول ، مهذب العبارة ، ينشد الحقيقة لخدمة الفكر وخدمة المجتمع ، وجب أن نبرئه من تهمة الافساد الخلقى ، وأن ندرك أن هذه الحرية فى التعبير عن النزعات والميول الغريبة هى أكبر حافز من حوافز التطور الفكرى والاجتماعى

ومن الميسور جداً أن نفرق بين الاديب الصحيح الذى يرسم الاعراض النفسية الغريبة ليهتدى الى حقيقة الانسان ، وبين الأديب الزائف الذى يروج للتهتك ويتاجر بالشهوات ويعمل على هدم الاخلاق

ومن مميزات الاول أنه لايبالغ فى وصف تلك الاعراض الجسمية والنفسية الغريبة ، ولا يخلع عليها حللا خيالية رائعة تستهوى القارىء وتفسده ، ولا يلتذ رسم الدقائق والتفاصيل الجنسية بل يعالجها فى أدب جم وحيدة تامة ، ويقررها تقريراً هادئاً لايؤثر فى أعصاب القارىء ولا تشوبه النية السيئة الخبيثة التى تخرج بالحقيقة عن محيط الأدب وتهوى بها الى درك التبذل

أما الثانى فعلى النقيض يغلو فى وصف الدقائق والتفاصيل وينثر عليها من الوان خياله المريض ما يضاعفها تأثيرا وفتنة ، ولا يلتمس خدمة الحقيقة بل اثارة الشهوة بحيث يشعر كل من يقرأه بالنية الخبيثة المبيتة تنفث سمها الصاعق بين السطور

ونحن لا نعرف أديباً أوربياً جديراً بهذا الاسم أخذ بمذهب الادب المـكشوف واتبع أصوله التى أشرنا اليها وكان من مروجى الاباحية أو من الذين اعتبرت كتبهم خطراً على الاخلاق

وإذن فمن الظلم بل من الجهل أن نقرن بين الادب الواقعى البرىء وبين هيستريا الشهوات التى ينشرها فى الجمهور طلاب الربح على حساب الادب وحســاب الاخلاق . كما ان من الحماقة والجهل ألا نعترف للاديب ــ فى حدود حسن النية وأدب القول ــ بحريته المطلقة فى رسم أية صورة وفى معالجة أى موضوع

وما دام الأديب مخلصا فى رسالته مقدراً نبل فنه محباً للحقيقة المجردة النقية ، فله أن يكتب ما يشاء ويستخدم أى المذاهب شاء فى حرية مطلقة تامة . وذلك لأن حرية الأديب هى أساس فنه وهى الينبوع الذى يستمد منه القوة لنقد الاخلاق والعادات واصلاح الفرد والمجتمع

معرض باريس

يقوم الآن فى باريس معرض هائل عظيم ، حفل بما عرضته فيه فرنسا وكثير من دول العالم من مختلف المتكرات العلمية والفنية ، والمتحات الصناعية والزراعية ، فكان صورة محملة لكل ما ابتكرته قريحة الانسان فى شتى ميادين الانتاج . وقد أرسلت مصر الى معرض باريس نماذج من منتجاتها الصاعية والرراعية ، ومبتكراتها فى النحت والتصوير ، ودلك لاظهار العالم على ما بلغته مصر من الرقى والمدنية . وقد حصص لهذه المعروضات قسم خاص مثل حياة مصر الناهضة أجمل تمثيل

الفن المصرى

حاب من الصور والتماثيل التى عرضت لبعض الفانين المصريين ، تتوسطها صورة رائعة للرسام ناجى اسمها « دموع ازيس أو فيضان النيل » . وترى كدلك جانبا من المصنوعات المصرية الجميلة المعروضة

مدخل القسم المصرى

صورة مدخل القسم المصرى يتوسطه تمثال أبى الهول ، وتزينه نقوش شتى لمناظر الحياة الريفية فى مصر

قصر المخترعات

أقيم بمعرض باريس قسم خاص أطلق عليه اسم « قصر المخترعات » وعرضت به نماذج من جميع ما أنتجته قرائح العلماء خلال السنوات الأخيرة فى شتى نواحى العلم، وبه كذلك كثير من الأجهزة والأدوات التى كان يستخدمها كبار العلماء فى تجاربهم . فهو قصة عامة لتاريخ العلم والاختراع فى العصر الحديث
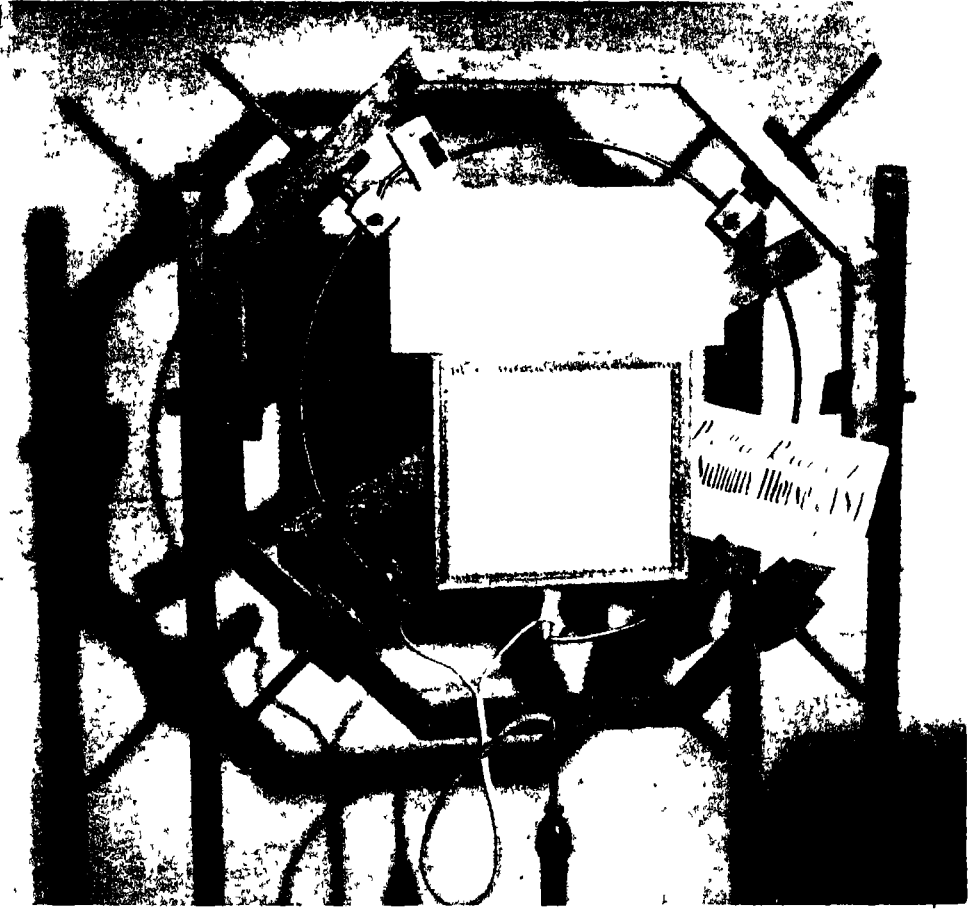
أول جهاز لاسلكى

صورة لأول جهاز أمكن بواسطته التقاط الأصوات اللاسلكية
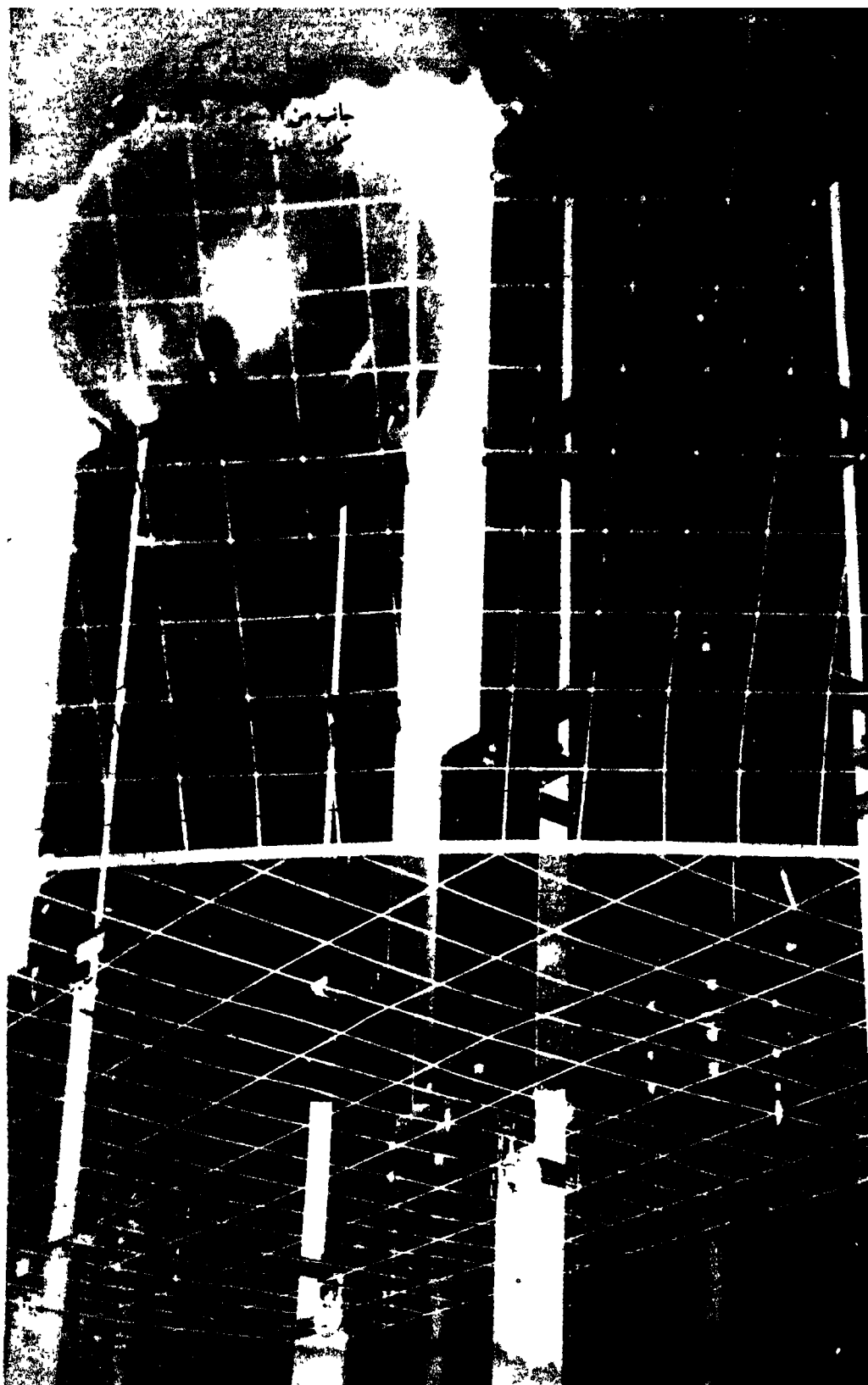
مملكة الاقزام

أنشىء بالمعرض قسم خاص باللهو والمتعة أطلق عليه « حديقة الملاهى » . ومن أجمل ما فى هذه الحديقة « مملكة الاقزام » وهى عبارة عن قرية لا يسكنها سوى الاقزام من الرجال والنساء ، ولهذا جعلت مساكنها ومنشآتها جميعاً منخفضة ضيقة لتلائم أهلها

عمده المملكة

صوره عمدة مملكة الاقزام يحمل فى عنقه وشاح الرئاسة

الأقزام يلعبون البلياردو

اثنان من الاقزام يلعبان البلياردو فى أحد أندية مملكتهم

دار البريد

صورة لدار البريد فى مملكة الاقزام . وقد وضع صندوق الرسائل قريباً من الارض حتى لا يعسر على أهل المملكة الوصول اليه . ونرى فى الصورة اثنين من رجال المملكة وإلى جانبهما رجل من الذ‍ين يبدو بالنسبة اليهما مارداً عملاقاً

حيوانات المملكة

لا يألف أهل المملكة الحيوانات الضخمة الكبيرة ، ولا يأنسون الا الى الحيوانات الضئيله ، ولهذا فقد استغنوا عن الخيول باستخدام البغال القصيرة القوائم

الفن الزنجى

لكل جماعة انسانية حظها من الفن الجميل . فلن تعدم القبائل التى تضرب فى الغابات أو تهيم فى الصحارى ، « فنانين » يغنون ويرقصون ، ويقصون وينظمون ، بل ويرسمون وينحتون! وترى على هذه الصفحات طائفة من النقوش والتماثيل التى ابتكرها بعض الفنانين الزنوج فى القبائل التى وصل اليها بصيص من نور المدنية عن طريق الرحالة والمكتشفين ، وهى تمثل قصصا دينية متفرقة كما تتخيلها قرائحهم الفجة الناشئة

جان دارك

تمثال القديسة «جان دارك» ممسكة بالخنجر والعلم وقد صحح المثال ملامحها دلالة على جمالها الذي يتمثله في الملامح المفرطحة

التصوير عند الزنوج

تمثل هـذه الصورة مشهداً من مشاهد الكتاب المقدس ، حين وفد بعض الرعاة على العذراء يوم ولد المسيح ، وركعوا الى جانبها وراحوا يدعون الله ويبتهلون

تمثال السيدة العذراء تحمل
المسيح في يسراها والصليب في
يمناها. وقد أراد الفنان الروسي
أن يظهر في العذراء آيات الحسن

نبيّ في جمهورية الشياطين

بقلم الاستاذ حسن الشريف

هـذا مشهد من مشاهد الثورة الفرنسية يصور « عقلية الجماعة » تصويراً بارعاً ، فيبين كيف ان الفكرة التي ينكرها كل فرد مهما قل حظه من العقل والذكاء ، تلقى اجماعاً على تحبيذها وتمجيدها من جمهرة الناس ، وكيف ينقلب الجمهور من التمجيد والاكبار الى الازدراء والاستنكار ، من دون أي مبرر سوى أن منطق الجمهور لا يخضع لأحكام العقل وأقيسة التفكير

في اليوم الثاني من شهر سبتمبر سنة ١٧٩٢ اجتمع ناخبو اقليم « باديكاليه » لينتخبوا خمسة نواب يمثلونهم في المجلس الوطني الذي عرف في عهد الثورة الفرنسية الكبرى باسم : La Convention Nationale»

وفي انتظار انعقاد لجنة الانتخاب وابتداء عملية التصويت ، لم يجد المجتمعون مايقطعون به الوقت إلا الخطابة والاستماع الى الخطباء .

واذ كانت الثورة وقتئذ على أشدها ، والرءوس تعلى حقداً على الاستبداد والمستبدين ، والقلوب تخفق طربا لذكر الحرية وشهدائها ورسلها ، فقد ارتأى أحد المتكلمين أن يجعل موضوع خطبته سيرة رجل انجليزي اسمه « توماس باين » Thomas Paine

ولا شك أن جمهرة المستمعين لم تكن تعلم عن توماس باين شيئا ، كما أن سيرة هذا التوماس باين لم تكن لتهم أحداً منهم في شيء ، لذلك أعرضوا عن الخطيب وحاولوا بشتى الوسائل أن يصرفوه عن هذا الحديث ، ولكن صاحبهم كان ثرثاراً من الذين اذا فتحت ميازيب أفواههم لا تقلع حتى ينضب معين الكلام ، فاسترسل في حديثه غير آبه لمقاطعة المقاطعين ولا لاعراض المعرضين

ولو شاء القوم أن يستمعوا الى خطيبهم لفهموا أن الرجل الذي يتحدث عنه انما هو فيلسوف انجليزي كان معاصرا لهم ، وقد استولت عليه منذ الصغر أوهام وخيالات جعلته يرتجل من نفسه رسولا يدعو الى الحرية والمساواة والاخاء ، وان آراء مفكري القرن الثامن عشر قد تمكنت من عقله حتى نصب نفسه نبيا من أنبياء الديمقراطية المتطرفة فصار يبشر بالغاء الفواصل بين طبقات الشعب الواحد وبالتالي بين طبقات الانسانية جمعاء حتى لا يبقى في الدنيا غني وفقير ولا سيد ومسود . ولعلموا أيضا أن هذا الفيلسوف الفج لم يكتف بانجلترا ميداناً لرسالته ، فارتحل الى أمريكا ليؤذن فيها بمذهبه ، وليدعو أهلها الى اعتناق مبادئه ، وأنه لقي من الامريكيين ترحيبا لابأس به ، واقبالا شجعه على التمادي والاسترسال ، فنشر في عام واحد كتابين سمى أحدهما «حقوق الانسان» وسمى الآخر

« مطق البشر » واعتبرها دستوراً للهيئة الاجتماعية لو قبلته وطبقت أحكامه لوفرت على نفسها كل الآلام والشرور التى أنتجتها التقاليد المتعة والنظم القائمة

ولقد أفاض الخطيب فى الاشادة بمناقب الفيلسوف فذكر انه رسول من رسل الحرية لاقى فى سبيل دعوته ما لاقاه السالفون من الرسل . فلقد اضطهدته حكومة الملك جورج الثالث أيما اضطهاد وصادف من حماقة الجماهير ما صادفه دعاة الاصلاح من قبل ،فسجن وعذب واستهدف مراراً للموت ومراراً لأحكام الاعدام . واستطرد الخطيب فى حماسة واندفاع فقال ان الشعب الانجليزى المعروف بالبلادة والتمسك بالقديم لم يعرف للرجل قيمته ولم يقدره قدره بل أنزل به شتى صنوف الاهانة والتحقير حتى لقد كانت الجماهير تضربه فى الميادين كلما لقيته وتجره من ساقيه فى الأوحال

وخرج الخطيب المتدفق من كل ذلك الى أن لا كرامة لنبى فى وطنه ، وان ما أصاب توماس باين مقدر من قديم الأزل على الهداة والرسل والمصلحين ، وأن العقلية البشرية الجامدة لا تقلع عن قديمها الذى ألفته الا مضطرة بحكم الظروف أو مكرهة على تقبل الجديد ، وان الوقت قد حان لاطراح المبادىء العتيقة والمذاهب البالية وللاخذ بالتعاليم السليمة التى يبشر بها ويبشر بها توماس باين

بيد أن جمهور الحاضرين كان فى شغل عن الخطيب الثرثار والبى المجهول بما هو أهم وأجدى . ولقد كان عليهم أن يمحصوا مشكلة أثارتها الحكومة الثورية بلا مبرر ولا سبب ، وهى اعتزامها نقل مقر الادارة من مدينة آراس الى مدينة آير وجعل هذه عاصمة لاقليم باديكاليه . فلما تألفت لجنة الانتخاب وأخذت تباشر عملها كان النقاش دائراً حول هذا الموضوع الخطير ، بينما كان الخطيب مسترسلا فى بلاغته يصبها وابلا على تلك الآذان التى لا تريد أن تصغى اليه

جرت عملية الانتخاب لاختيار النائب الأول من الخمسة الذين سيمثلون الاقليم ففاز روبسبيير بأربعمائة واثنى عشر صوتا من سبعمائة وأربعة وثمانين ونجح . وكذلك نجح بعده كارنو ثم دوكيسواه . فلما جاء دور جوفروا المرشح للكرسى الرابع حمل عليه خصومه حملة عنيفة صرفت عنه أصوات الناخبين ففاز عليه مزاحمه المدعو لوباه . ولكن جوفروا لم يرض بالهزيمة بل تحدى خصومه مرة أخرى مرشحاً نفسه للكرسى الخامس الذى لم يزاحمه فيه سوى مرشح نكرة مشكوك فى نجاحه . وإذ خشى خصوم جوفروا أن يفوز على هذا المزاحم الضعيف ، أخذوا يبحثون عن مرشح قوى يضعونه أمامه فى الكفة الأخرى من الميزان . فلما أعياهم البحث ولم يهتدوا ، وقف أحدهم واقترح ترشيح مستر توماس باين الذى حدثهم عنه منذ لحظة ذلك الخطيب الثرثار

وهنا تعوزنى كل فلسفة الدكتور جوستاف لوبون فى تحليل طبائع الجماعات ، وآراؤه فى العدوى الفكرية وسرعة انتشارها بين الجماهير ، ونظرياته فى الفرق بين عقلية الفرد منفرداً وعقليته مجتمعا ، وشروحه المسهبة لتلك الطوارىء المفاجئة التى تطرأ على تفكير الجماعات فى الساعات الحرجة فتوجه تفكيرها وحركاتها فور اللحظة توجيهاً غير متوقع وغير معقول . نعم يعوزنى هنا

كل ذلك لأفسر هذا الأثر المدهش الذى أحدثه ذلك الاقتراح العجيب فى عقول الحاضرين ، ولأعلل به تحزب اكثرية الناخبين ذلك التحزب المفاجيء لرجل كانوا منذ هنيهة يجهلون اسمه ووجوده وما يزالون يجهلون منه كل شيء جملة وتفصيلا . فما أن عرض المقترح اقتراحه حتى هب لمعاضدته الكثيرون ، واندفع بعضهم يؤيد « رسول الحرية العامل على إسعاد بنى الانسان ، الكميل بانارة الطريق أمام العاملين ، الزعيم بارشاد الفرنسيين الى الخلاص من ربقة الاستبداد والمستبدين »

وكان أخذ ورد وجدال ونقاش ، وتأييد من هنا وتسفيه من هناك . وما دام دستور الثورة لم يحتط لمثل هذا الشذوذ فليس ثم ما يحول دون انتخاب أجنبي ليمثل فريقا من الفرنسيين . ثم دارت عملية التصويت مرتين فلم يفز أحد المرشحين بأغلبية ، ثم دارت مرة ثالثة فاذا مستر توماس باين ينتخب بأربعمائة وثمانية عشر صوتا أى بأغلبية تفوق ستة أصوات تلك التى انتخب بها الزعيم الاكبر روبسبيير . أى نعم ! انتخب توماس باين الانجليزى نائبا عن شعب فرنسا فى المجلس الوطنى . ولمن يشاء أن يقول فى هذا الانتخاب العجيب ما يشاء ، فليس ذلك بمانع أن هذا الانتخاب كان وليد ارادة الأمة التى هى مصدر جميع السلطات

ولكن اذا كان الانتخاب قد تم على خير أو على هذا النوع من الخير ، فقد بقيت أمام القوم صعوبة لم يعرفوا كيف يذللونها وهى الطريقة التى يبلغون بها النائب الجديد نبأ فوزه ويدعونه الى المجيء لمباشرة مهمته النيابية . فأى عنوان يكتبون اليه وهم لا يعرفون له عنوانا ، وإلى أى مدينة يوجهون الرسالة وهم لا يعرفون له مقراً ؟

تشاوروا فأشار بعضهم بالكتابة الى الفيلسوف الفرنساوى كوندورسيه الذى كان مقيما بلوندرة إذ ذاك ، وبتكليفه حمل النبأ الى النائب المختار . وقال البعض الآخر : بل نوجه الرسالة الى لوندرة حاملة اسم الرجل على غلافها ولا بد من أن تنتهي اليه لأن اسمه هناك أشهر من أن يجهله سعاة البريد

وقد كان . ووصلت الرسالة الى توماس باين فى الوقت المناسب ، فلم يدهشه خبر انتخابه نائباً عن قوم لا يعرفونه ولا يعرفهم ، وفى بلد لم تطأ قدماه أرضه ، بل لم ير فى ذلك الا عملا معقولا من شعب عاقل أراد أن يكون له من هداية نبي الديمقراطية نصيب

ولبى الرجل متململا دعوة ناخبيه الذين التمسوا نيابته عنهم كما يلبى الطبيب الكبير فى منتصف الليل دعوة مريض محتضر التجأ الى علمه وخبرته . وفى اليوم التالى كان فى ميناء دوفر ينتظر قيام السفينة التى تقله الى فرنسا ، وتقل اليها معه كنوز فلسفته وحكمته وديمقراطيته . ولكن الشعب الانجليزى الذى لا تساعده عقليته على فهم هذا النوع من الديمقراطية ، ولا على تقدير عظماء الرجال ورسل الحرية ، لم ير فى انتخاب الفرنساويين مستر باين الا سخفاً جديراً بالسخرية ، ولم ير فى مستر باين نفسه الا دجالا قمينا بالتأديب

والانجليز كما هو معلوم ، قوم يؤثرون العمل المنتج على الكلام الأجوف . لذلك لم يقصروا

اعلان رأيهم فى الفيلسوف السافر على الماداة بسقوطه ولا على الهتاف بموته ، بل احتشدت جموع منهم على افريز الميناء وأوسعوه لكماً بالأيدى وصفعاً بالأكف وركلا بالأرجل ورجماً بالحجارة ، ثم حملوه فى غيبوبته وقذفوا به الى السفينة مرضوض العظام مهلهل الثياب مشيعاً باللعنات

أفاق الفيلسوف من غيبوبته والسفينة تدنو من شواطىء فرنسا ، فحمد الله على خلاصه من أيدى مواطنيه تلك الرصوص والحروح ، وأخذ يسرح الطرف فى الأفق فيشاهد حصون مدينة كاليه وأبراجها وميناءها ، وجعل يرتب فى ذهنه برنامج أعمال الاصلاح التى سوف يقوم بها فى هذا البلد المضياف الكريم . ولكن ما ان اقتربت السفينة من المرسى حتى رأى الفيلسوف افريز الميناء يموج بطوائف كثيفة من الناس تلوح بقبعاتها ومناديلها وعصيها ، وسمع دوى مدافع يتصعد من البر مصحوبا بهتافات صاخبة ونداءات عالية

ماذا ؟ أهو شعب كاليه الساخط على مقدمه قد جاء ليستقبله بمثل ما ودعه به مواطنوه ؟ واذا صح ان لا كرامة لنبى فى وطنه فهل يعدم الانبياء الكرامة فى كل المواطن ؟ وبعد فيم كان انتحاؤهم إياه وهم يعدون له هذا الاستقبال المهين ؟ انها لحيبة ما بعدها خيبة ، والخير كل الخير فى أن يلزم السفينة لا يبرحها حتى تقلع به الى أمريكا بلاد الحرية الحقة والديمقراطية الصحيحة حيث يعرف الناس أقدار الرجال وكرامة الانبياء

ولكن قلقه لم يلبث طويلا حتى زال . فلقد رست السفينة على الشاطىء وتبين الهتافات والنداءات فاذا فيها معانى الحفاوة به والاشادة بذكره ، وإذا القوم قد احتشدوا ليستقبلوه أحسن استقبال وليحيوه خير تحية . ولم يكد يضع قدمه على الافريز حتى أحاط به القوم من كل صوب وجعلوا يعانقونه ويلثمون يديه ويلمسون بأيديهم على ثيابه الممزقة ، وتحمست احدى النساء فانقضت عليه وقبلته على خديه ثم رشقت فى قبعته الريشة المثلثة الألوان رمز الثورة والجمهورية . وحمله الناس على أكتافهم وهم يتخاطفونه وساروا به فى مظاهرة صاخبة ، بينما كان الجنود يؤدون له التحية العسكرية والمدافع تطلق بارودها تكريما لمقدمه السعيد . إلى أن بلغوا به دار المحافظة حيث اجتمعت هيئة المجلس البلدى لاستقباله الاستقبال الرسمى الواجب . ثم انتقلوا به إلى مقر الجمعية الشعبية فأجلسوه تحت تمثال ميرابو ليستمع إلى خطب الترحيب التى ألقاها الزعماء المحليون والتى لم يفهم منها كلمة . فلما أمسى المساء ذهبوا به الى النزل الذى يقضى فيه الليل وظلوا طوال السهرة محيطين بالنزل هاتفين صائحين . وبكر القوم فى الغد لتوديعه ساعة يستقل العربة إلى باريس ، وكانت مظاهر التوديع أفخم وأعظم من مظاهر الاستقبال . وهكذا طاب توماس باين نفسا وأيقن أن الجحود شيمة خاصة بمواطنيه الانجليز ، أما الدنيا فبخير ما دامت فيها شعوب تعشق الحق والحرية وترعى حرمة الرسل والانبياء

وفى الحادى والعشرين من شهر سبتمبر ذهب النائب الجليل توماس باين إلى قصر التويلرى

مقر المجلس الوطني ليقتعد كرسيه فيه ، فاستقبله الاعضاء استقبالا كريما ، ونهض أحدهم فقدمه إلى الزملاء بخطبة رقيقة عدد فيها مآثره على الحرية وأياديه على المبادىء الديمقراطية وأشاد بآرائه ومؤلفاته أحسن إشادة وأكد لممثلي الشعب أن فرنسا سوف تجني من نصائح النائب الجديد وارشاداته الخير العميم . ولبث النواب ينتظرون في شوق ولهفة أن يقف الفيلسوف العظيم ليخطبهم فيهديهم بآرائه السديدة إلى وسائل حل المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أنهكت قوى البلاد وكادت توردها موارد التلف ، وكانوا يتوقعون أن يسمعوا من آياته البينات ما ينير أمامهم السبيل ويوضح لهم الصراط المستقيم . ولكن الفيلسوف لم يحقق شيئا من هذه الآمال ، بل التزم صمتاً وقوراً حير القوم وأدهشهم ، واكتفى بأن يوزع عليهم ابتسامات متكلفة وبأن يهز أيدي بعضهم مصافحاً ويربت على أكتاف الآخرين محيياً وشاكراً . وعندئذ فقط أدرك أعضاء المجلس الوطني أن زميلهم الانجليزي لا يتكلم الفرنسية ولا يفهمها . . .

***

لا شك أن مركز الرجل كان حرجا في وسط هذا المجلس الذي لم تكن لأعضائه صناعة غير الكلام . ولا شك أيضا أن ناحبي اقليم باديكاليه قد ندموا لاختيارهم نائبا لا يجيد غير الصمت ، أو أسفوا لحالة هذا النائب الفحم الذي لا عيب فيه إلا أنه لا يستطيع إبانة رأيه ولا الافصاح عما في نفسه

ومهما يكن من الأمر فان توماس باين - بغض النظر عن عقليته الخيالية - كان رجلا خيراً فطرته حسن الظن بالناس إلى حد السذاجة . ولقد كان ، لجهله اللغة الفرنسية . ينظر الى مايجرى حوله في المجلس ويرى الخطباء يتعاقبون على المنبر ويقضون فوقه الساعات الطوال وهم يهدرون ويزمجرون حتى تجف حلوقهم وتجحظ عيونهم ، فيخيل اليه أن خطورة المسائل المعروضة هي التي تستوجب هذا العنف والنضال ولا يدور بخلده قط أنها جعجعة فارغة وثرثرة ليس تحتها طائل ، فكان يصفق مع المصفقين ويبتسم مع المتبسمين

واذا كان الرجل قد راض نفسه على السكون فلم يلق الخطب ولم يشترك في المناقشات ، واذا كان قد تعلم بالفرنسية كلمة «لا» و «نعم» يصوت باحداهما في وقار عند ما يؤخذ رأيه في الأمور العادية مستنيراً في ذلك بتصويت الأكثرين ، فقد أبت الأقدار إلا أن تخرجه من صمته المريح وإلا أن تدخله مع زملائه في نضال عنيف حول موضوع خطير

ذلك أن محاكمة الملك لويس السادس عشر كانت قد انتهت ، وحان وقت أخذ الرأي في العقوبة التي توقع عليه . ولقد استشار توماس باين ضميره فأوحى اليه أن عقوبة الاعدام شيء لامبرر له ، وأن الحكمة تقضي بالاعتدال في كل شيء وفي كل زمان حتى في أزمنة الثورة التي لا مجال فيها للعقل والتعقل . فلما نودي ليبدي رأيه وقف وألقى بالفرنسية كلمات كان قد حفظها عن ظهر قلب

قال فيها إنه يفتى بنفى الملك الى أمريكا نفيـا مؤبداً ، وباكراه الملـكة مارى أنطوانيت على احتراف نسيج الأقمشة ، وبالاستيلاء على الأمير الصغير ولى العهد لتربيته تربية مدنية تجعل منه فى المستقبل القريب رجلا جمهوريا صالحاً . ولما كان لكل عضو أن يشفع فتواه ببيان يشرحها فيه فقد عهد الى أحد الزملاء فى القاء الترجمة الفرنسية للبيان الذى وضعه ليفصل فيه للاعضاء كل الاسباب التى حدت به الى سلوك طريق الاعتدال والأخذ بالظروف المخففة والأسباب الموجبة للتسامح والرحمة

ووقف الزميل ليلقى ترجمة البيان ولـكنه لم يكد يمضى فيها حتى قاطعته أكثرية المجلس بعاصفة من الصخب والصجيج والهياج . ماذا : أتوماس باين ، رسول الحرية ، صديق الديمقراطية ، عدو الاستبداد وحكم الفرد ، هو صاحب هذا الـكلام ؟ أيصمت توماس باين كل ذلك الصمت الطويل حتى اذا ما انفرجت شفتاه انفرجتا عن هذا الـكفر المبين ؟ أيظل طول حياته يبشر بدولة العدل والمساواة وينتصر للشعوب على الحكومات ويحارب الطغيان والاستبداد ، حتى اذا حان وقت تطبيق هذه المبادىء السامية تطبيقا عملياً تنكر لها وانحرف عنها وضن على الحرية والأحرار برأس لويس السادس عشر كبير الطغاة وامام المستبدين ؟ لا . . لا . . ان فى الترجمة لتحريفا بل ان المترجم ليزور القول على توماس باين . وقفز النائب توريو الى المنبر وضرب خشبته بقبضة يده وصاح : « أيها المواطنون ، لا تصدقوا أن هذا الـكلام يصدر عن توماس باين » وأعقبه النائب ماراه الهائل فأكد فى عبارة قوية حازمة أن الترجمة مزورة وطلب اجراء تحقيق فى الموضوع ومطابقة الترجمة على الأصـل بواسطة خبير متمكن من اللغتين

وبينما كان المترجم يقسم للاعضـاء جهد أيمانه أنه لا يجيئهم بشىء من عنده وانما ينقل اليهم بالفرنسية فى أمانة وصدق ما دونه زميله بالانجليزية ، كان توماس باين يتفرس فى الوجوه ويراقب الحركات لعله يتبين علة النقاش وسبب كل هذا الضجيج . ولقد ظن أول الأمر أن القوم معجبون برأيه متحمسون له ، فبدت على محياه علامات الرضاء والارتياح ، ولـكن تجهم الاسارير وحدة الجدال لم يشجعاه على الاسترسال فى هذا الظن ، فأخذ القلق يساوره . ولعله لم يأسف فى حياته على شىء أسفه فى هذه اللحظة لجهله اللغة الفرنسية هذا الجهل الذى يحول دون تفهمه ما يقال ودون اشتراكه فى النقاش. عجب الرجل كل العجب من أن دعوة الى التسامح والاعتدال تثير هذه الحدة فى الجدل وتحدث كل ذلك الاضطراب . ولـكنه تريث حتى يستبين حقيقة الحال . فلما انتهى المترجم من القاء البيان هبت فى المجلس عاصفة ثانية لم تبق فى نفس الرجل شكا فى انها عاصفة احتجاج ونفور واستنكار . ثم انقطع الشك باليقين عند ما أبصر وجوه جيرانه تعبس فى وجهه وتتولى عنه فى اعراض مهين

عندئذ أدرك الفيلسوف أن الثورات لاعقل لها وان الحـكمة فى أثناء الثورات هى الجنون بعينه ، وان الجماعات فى أزمنة الفتنة لا تتعقل ولا تتدبر ، وانما تتبع عمياء أعلى الصائحين صوتا وأكثر

القادة صحباً وشعودة ودجلا ، وأن الحكيم اذا أبى إلا أن ينغمس فى حمأة الثورة كان أوجب واجباته أن يعرف كيف يعوى مع الذئاب اذا عوت وكيف يغنى مع المجانين اذا غنوا

ومن ذلك اليوم اشتدت وطأة الخيبة على نفس الفيلسوف ، وانهار صرح أوهامه فى حكمة الشعوب ، فاستولى عليه حزن مرير لايحس مثله إلا المتفائل الذى تصدمه الحقائق على غرة منه فتخيب ظنونه فى الحياة وتعكس آماله فى الناس . ومذ عركته هذه التجربة القاسية وامتحنته الأيام بتلك المحنة المضنية ، تبدى للناس مهموم النفس مقطب الجبين وقد فارقته ابتسامته التى كانت تغنيه عن الكلام فى كثير من الحالات ، ولازمت وجهه كآبة دائمة جعلت أساريره لاتنم إلا على انقباض دائم وهم مقيم

تغير رأى الاخوان فى رسول الحرية وبدا لهم هذا الرسول شخصاً مريباً لايستحق الاجلال والتبجيل ، وتكشفت منه امامهم حقائق لم تلفت نظرهم من قبل ، أو لعلها لفتته ولكن ثقتهم بالرجل جعلتهم لايلقون اليها بالا ولا يستنتجون منها شيئاً خطيراً . ذلك بأن الدجاجلة من زعماء الثورة الفرنسية الذين كانوا يعلقون على الظواهر أهمية لا يعلقون مثلها على الحقائق ، قد جعلوا من العلامات المميزة للثوار المخلصين رثاثة الملبس وسوء الهندام وشعوثة الشعر ، فكانوا يتبارون فى ذلك تقربا من الطبقات الفقيرة فى الشعب وامعانا فى الشعوذة واستغلال سذاجة الجماهير . ولقد كانوا يتوقعون أن يروا توماس باين كما ألفوا أن يروا الزعيم « ماراه » رجلا معصوب الرأس بعصبة قذرة حمراء وسراويل طويلة متهدلة وحذاء مثقوب النعل ممزق الجوانب . فلشدما كانت دهشتهم عندما أبصروه وهو ينزل من السفينة فى زى أنيق منتظم يعلو رأسه فراء من الشعر المصطنع الجميل ويكسو ساقيه جوربان من الحرير الناعم . ولكنهم كانوا مأخوذين بشهرته كبطل من أبطال الحرية ونبى من أنبياء الجمهورية والمبادىء الجديدة فلم يشاءوا أن يروا فى ذلك الهندام المنسق ماينقص من قيمة الرجل ولا من قيمة رسالته ، فاغتفروا له هذا الضعف كما اغتفروه من قبل لصاحبهم روبسبير . أما الآن وقد بانت لأعينهم حقيقته وظهر لهم أنه من أهل الرجعة وأنصار الطغاة حتى ليشفق على الملك أن يقطع رأسه ، فلم يبق مجال لحسن الظن ولا للتسامح ، بل لم يبق إلا أن زيه مظهر لخبيئة نفسه ودليل على خبث طويته وان حاول أن يستر ذلك بطلاء من تعشق الحرية واعتناق المبادىء الجمهورية القويمة . نعم ان روبسبير يلبس لباس الاشراف ولكن أعماله كلها تنبىء بأنه دعامة من دعائم الثورة وحصن من حصونها المنيعة . أما هذا الأفاق الذى لم يخلع زى الاشراف الملاعين ثم لا يزال يرى آراءهم ويحاول تخليص عنق الملك من سكين المقصلة ، فدجال خدعهم بدعواه التى وضح زيفها كما يتضح الصبح للمبصرين

وثم مسألة أخرى غير مسألة الزى والهندام : فلقد لاحظ القوم أن صاحبهم لم يتحمس ولا مرة واحدة لخطبة من تلك الخطب التى كان الزعماء الثوريون يلقونها من فوق المنبر فتلهب النفوس

وتثير العقول وتحرك الحناجر بالهتاف والأكف بالتصفيق ، ولم يريدوا أن يرجعوا هذه الظاهرة المقلقة الى سببها الطبيعى وهو جهل الرجل لغة الخطباء وعدم فهمه مايثير حماستهم وما يقولون ، وانما تلمسوا لها الاسباب فى فتور وطنيته وفى تعلقه بالرجعة والرجعيين حتى لاتطاوعه يداه على التصفيق لكلام ستنكره وحتى لاتسعفه حنجرته بالهتاف لرأى لايستسيغه

إذن فالرجل منافق كذاب . و ياويل من يعتقد الثوريون أنه منافق كذاب !

ولو وقفت الشبهات عند هذه القرائن لهان خطبها . ولكن هناك قرائن أخرى أمعن فى الدلالة على أن الرجل ضالع مع الرجعيين منغمس فى الرجعة الى أم رأسه . ذلك بأنه توسط مرة لدى السلطات الثورية فى انقاذ رجل كان قد اعتدى عليه بالضرب فى الطريق العام ورأت الحكومة فى هذا الاعتداء اهانة لكرامة ممثلى الشعب فأرادت أن تحكم على المعتدى بالاعدام وكاد الحكم ينفذ فيه لولا وساطة توماس باين . ولقد شفع مرة أخرى لجاسوس انجليزى كان يتجسس عليه ويوافى حكومة لوندره بأعماله واقواله فأنقذه أيضا بشفاعته من الاعدام . واذا كان رجال المجلس الوطنى قد رأوا فى هذه الشفاعة وتلك الوساطة حين أقدم عليهما توماس باين شيئاً من نبل النفس وسماحة الخلق ، فقد أصبحوا الآن ـ وقد تفتحت عيونهم على حقيقة الرجل يرون فيهما نزعة خبيثة تجنح بصاحبها الى تضليل العدالة بغية حماية الخونة والمجرمين . فلما أضاف الوطنيون هذه القرائن البليغة الى قلة تحمس الرجل لخطبهم فى المجلس والى الزى الذى يأبى أن يخلعه والى محاولته انقاذ حياة الملك الطاغية ، تبدى لهم توماس باين على حقيقته وأدرك رجال المجلس كما أدرك ناخبو اقليم باديكاليه انهم ابتلوا بدخيل خطر يحسن الخلاص منه بأسرع وسيلة

واذا كان الفيلسوف قد بقيت له بعد كل ذلك بقية من احترام أو من ثقة فى نفوس زملائه ، فقد زالت هذه البقية حين نظر المجلس الوطنى قضية حزب الجيروندة وأبى المتطرفون تحت ضغط روبسبير وماراه وسانجوست الا أن يحكموا على الزعماء الجيروندين بالاعدام جزاء ارتكابهم جريمة الاعتدال . فلقد كان توماس باين يرى ويعتقد أن الاعتدال صفة ممدوحة يجب أن يتصف بها الحكام والسياسيون ، ولا يعقل كيف يصورها بعضهم جريمة يحكم على مرتكبها بالاعدام . فلما آنس من أكثرية المجلس اتجاهها الى العنف واصرارها على قتل شرذمة الجيرونديين وهى زهرة المجلس وخلاصة النابهين من أعضائه ، استنكر سياسة الاكثرية وأخذ الشك يساوره فى نزاهتها بل فى نزاهة الثورة والجمهورية نفسها ، وبدأ يسائل نفسه فى قلق وحيرة : علام هذه الثورة كلها ما دامت نتيجتها الخروج من طغيان الفرد للدخول فى طغيان الجماعة ؟

وجاءت بعد قضية الجيروندة قضية دانتون وكمى ديمولان وأصحابهما ، ورأى توماس باين أن الثورة وقد بدأت تأكل أولادها ، صارت الآن كالنار يأكل بعضها بعضاً ان لم تجد ما تأكله . فعافت نفسه هذه الحال وتقززت طبيعته من تلك الشرور والآثام ولم يستطع الصبر على رؤيتها وهى تقع

بين سمعه وبصره كل يوم ، فكف عن كتابة البيانات التى كان يدفعها الى من يترجمها ويتلوها على المنبر إذ لم يعد يجد بين الزملاء من يقدم على هذه المغامرة الخطرة . ثم أخذ يقاطع المجلس ولا يحضر من جلساته الا القليل مباعداً بين الجلسات التى يحضرها ما أمكنه المباعدة

وكان قد استأجر لسكنه داراً خلوية فى حى سان دينيس أنشأ حولها حديقة متواضعة وجعل جزءاً منها مراحا للحنازير وتقفيصة للدواجن . فلما رأى أنه لا يجنى من الذهاب الى المجلس الا الغصص المريرة وأن نفور القوم منه يتزايد بمرور الزمن ، لزم داره يفلح الحديقة ويعنى بتربية خنازيره وأرانبه وطيوره تاركا وحوش الثورة يلعون فى الدم وينطقون تعاليم الحرية على ذلك النحو الشنيع . ولكن أليست هذه جريمة أخرى ؟! رجل من الشعب يمثل الطبقة الدنيا ومفروض أن يكون قدوة للفقراء فى تحمل الفقر أو الاعراض عن نعيم الحياة وها هو ذا يسكن كالنبلاء داراً مستقلة ذات حديقة ومراح وتقفيصة ! فهل بعد ذلك ارستقراطية وهل قامت الثورة إلا للقضاء على الارستقراطية ؟ وما دام الرجل ارستقراطياً إلى هذا الحد الفاضح ففيم تشدقه بكلمات الحرية والاخاء والمساواة وتغنيه بالمبادىء الحديثة والنظم الجديدة إلا أن يكون منافقا يبغى أمراً أو خائنا يضمر للجمهورية شراً ؟ وفى أصبوحة يوم من الايام صحا الفيلسوف من نومه فاذا بيته مطوق برجال الشرطة ، واذا الجنود يأخذونه من سريره إلى سجن لوكسمبورج

وكانت نفس الرجل قد تقززت من كل شىء فلم يرد أن يسأل عن سبب اعتقاله موقنا أن لا جريمة له إلا جريمة الاعتدال . وقبع فى السجن ينتظر أن يبت القوم فى مصيره بما يشاءون . وإذ كانت المحاكم الانجليزية فى تلك الاثناء قد حاكمته غيابيا وحكمت عليه بالسجن متهمة إياه بالتطرف فى اثارة الخواطر على الحكومة وتحريض الجماهير على قلب الأنظمة المرعية ، فقد جلس الفيلسوف يتأمل فى حالته العرسة ويعجب من جنون بنى الانسان الذين يسجنونه فى انجلترا لجريمة التطرف ويسجنونه فى فرنسا لجريمة الاعتدال !

***

ولبث فى السجن عشرة أشهر ثم أخلى سبيله بعد سقوط روبسبيير وانتهاء عهد الارهاب . وما دام القوم لم يشاءوا أن يفضوا اليه بأسباب اعتقاله ، فهو لم يشأ أن يسألهم عن أسباب تسريحه . وخرج من السجن راضيا بهذه النتيجة الطيبة وهى أن رأسه ما يزال قائما بين كتفيه وأنه يستطيع بهذا الرأس أن يواصل تفكيره في وسائل اسعاد الانسانية ، ولكن من طريق غير طريق الثورة المحفوف بالمخاطر والأهوال

وارتحل توماس باين إلى أمريكا حاملا من فرنسا أسوأ الذكريات . وكان اذا سئل عما فعلته ثورة الديمقراطية بفرنسا يجيب فى حزن عميق : « لقد صيرتها الثورة جمهورية شياطين لامقام فيها لرجل شريف »

حسن الشريف

بقلم الاستاذ رمسيس جبراوى

هده حلاصة كتاب وصعه رحل قصى سنوات مريضاً فى مستشفيات الامراض العقلية وقد وصف فيه المعاملة الشاذة القاسية التى لقيها فى هده المستشفيات ، فأحدث به ثورة علمية هائلة اشترك فيها العلماء والحامعات ، وانعقدت لها الجمعيات والمؤتمرات

كثيراً ما ألف المجانين كتباً يعنى بها الهواة ، ولكن الغريب ان يخلد منها كتاب واحد يعاد طبع الملايين منه سنويا مدة خمس وعشرين سنة ، ويترجم الى اللغات كافة (ما عدا العربية للأسف) ثم هو لا يزال كتاب اليوم له جدته وجاذبيته وسحره

ولست أعنى المجنون فى الاصطلاح العلمى ، فان علم النفس يكاد يجعل الجنون هو القاعدة ، والسلامة منه هى الاستثناء النادر الذى ان جاز اليوم نسبته الى شخص ما فالى أجل معين . وانما رجل القصة مجنون بالمعنى الذى يفهمه كل الناس ، فهو نزيل مستشفيات المجانين ومعترف فوق ذلك بحثه فى كتابه الذى يكاد يكون أروع ما فيه أنه اعتراف صريح مفصل . ثم يكفى أن تسمع العالم وليم جيمس وهو يقول عن ذلك الاعتراف : « انه يلوح للقارىء العادى خيالا ، ولكنه حقيقة واقعة » لكي تعرف قيمة الكتاب

هذا المجنون هو كليفورد ويتنجهام بيرز . ولد سنة ١٨٨٠ ونشأ كما ينشأ أولاد الامريكان ، اذا استثنينا شدة خجل بالغة ، مع احساس أدق وفكر أعمق وميل الى الوحدة والتفكير الرزين . وكان دائم العناية بمن حوله ، محملا نفسه مسئوليتهم ، دائب التفكير فى مصالحهم ، فوق ما تسمح به حداثة سنه ، وضعف حيلته وقلة خبرته . رأى ذات يوم عملة نقشت عليها آية من الانجيل فحطمها . أليست هى معدة لاستعمال أى مراب وغاش ومنافق ؟ !

وكان لشدة خجله قليل الكلام ، مدركا عيبه ، محاولا تلافيه . ولذلك كانت جمله ملاحظات وآراء فى قالب فكاهى يدق فهم مرماها على أكثر سامعيها . فقد لاحظ يوماً كثرة الجالسين حول مائدة العائلة ، وأدرك أن والده يتجنب البذخ فى الطعام مسايرة لميزانيته . فقال : « وددت لو قل عديدنا ، ويحسن الطعام » فكانت ملاحظة أكبر من عمره بكثير ، إذ هى خلاصة نظرية « مالتوس » فى تحديد النسل

والتحق بجامعة « ييل » إحدى جامعتى أمريكا الرئيستين ، وكانت له إذ ذاك ثلاثة مقاصد : أن يشترك فى تحرير مجلة الجامعة ، ثم يرأس التحرير ـ وهى خدمة مأجورة ـ ثم يتخرج فى أقصر وقت

وولع بالتنس فكان لاعباً متوسطا ، وحدث ان دخل مباريات الجامعة السنوية وانتهى الى الشوط النهائى واجتمع الاساتذة والمدعوون والطلبة يشاهدون ، وكان خصمه قويا متمكنا ، وكانت جماعة من الطالبات تميل الى دلك الخصم ، فاذا ما قابلن صاحبنا فى الطريق بادلنه التحية على طريقة لفت الوجوه الى الناحية المضادة . وكان حسنا من هؤلاء الطالبات أن يصفقن لكل ضربة حسنة من خصمه ، وكان حسنا ألا يصفقن لأية ضربة حسنة من صاحبنا ، ولكن الذى لم يكن حسنا أنهن كن يصفرن استهزاء لكل ضربة منه اذا خابت . عندئذ غلى فيه مرجل الغضب ، فلعب ولعب حتى لم ينتزع البطولة فحسب ، بل محا خصمه محواً ، وأخرس هؤلاء الفتيات

ثم أصيب أخوه الأكبر بالصرع فجأة . فكان يقضى أوقات فراغه بجوار أخيه وينصرف الى أفكاره التى تركزت رويداً رويداً فى فكرة واحدة : إذا كان أخوه وهو فى تمام قوته جسما وعقلا ، قد أصيب بالصرع ، فما الذى يمنعه وهو الأضعف منه . والأقل استعداداً ، أن تكون النازلة به أشد . وازداد إمعانا فى التفكير وقل كلامه ثم تلعثم لسانه . ثم امتنع عن الكلام اطلاقا ، فى حصص معينة

ونال الاجازة فى موعدها وتحققت أغراضه الثلاثة ، والتحق بعمل طيب فى الحى التجارى بنيويورك ، ثم مات أخوه فأيقن هو الآخر بقرب الآخرة ، وخيل اليه آلاف المرات أن نوبة الصرع آتية ، وتمكن الهاجس منه فما يدرى أصرع فعلا أم هو سيصرع ، حتى اسودت الدنيا فى عينيه وخال العالم ينظر اليه شزراً كمريض لاخير فيه . واشتدت عليه العلة فلزم الفراش ، وأقبلوا يمرضونه وهو صامت يائس يفكر فى جدوى الانتحار من عذاب دلك الموت المؤلم البطىء . وتعددت فى فكره طرق الانتحار فاستيقظ ذات يوم مبكراً ورأى أنه فى عطلة من الرقيب فقفز من الفراش وفتح النافذة وألقى نظره على الأرض الصلبة تحته على عمق ثلاثين قدماً ، ثم أقفل النافذة متحنباً احداث صوت . وما كاد يستلقى على السرير حتى دخلت قريبة له ـ ربما بذلك الدافع الخفى الذى تلهمه المحبة ـ وحدثته فى ريبة من أمره ، فاضطر الى محاولة طمأنتها بكلام اختلقه لأول مرة . إذ أى ضير فى الكذب وماذا تهم مبادىء الشرف والصدق وقد فقدت الحياة كل ما لها من قيمة ؟

وجاء الصباح ، فما كان أكثره اشراقا فى أعين الناس ، وأظلمه فى عينيه الساهمتين . وكان يحاول خداع مراقبيه فينطق كلمة بين آونة وأخرى ، ويوهمهم أنه يقرأ فى الجريدة وهو لا يرى فيها حرفاً ، حتى أتوا له بالطعام وانصرفوا ماعدا والدته فأكل ، وعرضت عليه فاكهة أخرى فأجاب بالايجاب . وخرجت أمه فقفز من النافذة الى الموت المحتم ، ولكنه تشبث بيديه فى النافذة ، ثم لف فى الهواء ودار حتى هوى على قدميه وجنبه ، فتهشمت عظام قدميه وذراعه وكتفه ، وكان من توزيع

ضغط السقوط ان خف الوقع هونا ما ، فلم ينكسر رأسه ، ولا سلسلته الفقرية ، ونقله الاسعاف وعقله يضطرب ، أليس الانتحار جريمة ؟ أليس هو مجرما ؟ فهو الآن مقبوض عليه ، مساق الى المحاكمة ! وخال من حوله كلهم من رجال البوليس ، وخال الاتهامات تنهال عليه يمنة ويسرة ، وخال زملاءه والانسانية جمعاء تتنصل منه ، وهذا العذاب الذى يحسه ليس إلا إحدى درجات التعذيب التى قرأ عنها فى وصف محاكم التفتيش ، لنزع الاعتراف من المجرم . وغلت درجة الحمى وزاد لغوه ، وهو محصور بين قوالب الجبس بينما تنخر ظهره وعظامه آلاف المسامير الدقيقة ، فتمحو البقية الباقيــة من عقله الهارب . وزاره والده فعاد عقله هنيهة ، وحاول أن يصفى مع والده حسابه ويودعه بكلمة ، فنطق بمنتهى الصعوبة والألم : « لقد كنت لى أبا طيباً » وأجاب الوالد وقد أطرق : « لقد اجتهدت دائما أن أكونه ! »

وعاد صاحبنا الى سكوت لا نهاية له ، وانقضى الزمن والحوادث تمر سراعا يراها رؤية الحلم . واختلط الحابل بالنابل ونال المرض كل حواسه فما عاد يميز بين اختلاف الصوت أو الشكل أو المذاق أو اللمس ، وبكل ما حوله من أدوات التعذيب ، وكل مأكل ومشرب حيلة لحمله على الاعتراف ، وكل الاطباء والممرضين والخدم من رجال البوليس . ولكم خال جثث الموتى المشوهة راقدة بجواره ، وأنواع الجن تلعب حواليه ، واتسعت دائرة الاتهام فشملت كل أهل بيته ، فكلهم فى اعتقاده سجان وكل من زاره منهم بوليس ماهر فى التنكر . ولماذا التكلم اذا كانت الكلمة قد تودى بالجميع ، ولماذا الأكل وقد امتزج بدماء الضحايا ولحمهم ، ولماذا الشرب ، ولماذا الدواء ، ولماذا العمل ؟ ؟

ثم تحسنت صحته نوعا ما ونقل الى مستشفى الامراض العقلية ملقى على ظهره محصورة رجلاه فى قوالب الجبس . وهناك كان يطلب اليه أن يتناول الشيء فيتردد فيكره عليه بالقوة ولا وسيلة لديه للمقاومة سوى ذراع ضعيفة ، وعين متحدثة فى صمت . ووصفوه بالعنيد ، وكيف يكون عنيداً من فقد ملكة الحكم على الاشياء . ومقدرة التمييز والادراك ؟

وقد مر به الطبيب يوما فسأله عن حاله فلم يجبــه المسكين بغير نظرة تعمد فيهــا أن يظهر احتقاره لذلك الذى يدعى الطب وهو من رجال البوليس . فلمعت عين الدكتور ببريق الغضب ، وجذب المريض فى عنف وألقاه على الارض بعيداً ، جسداً مشلولا مقيداً بالجبس ، مهشم العظام ملف الاعصاب معدوم العقل والحيلة . وقال شامتاً :

والآن ألا تجيب ؟

وهنا يقول المؤلف « ولو أنى قد تأخرت عليه أكثر مما يجب ، إلا أنى أبعث اليه الآن باجابتى : كتابى هذا ! »

وبعد لأى تقدمت صحته . وألزم أن يلمس الأرض بقدميه ، فآلمه هذا كل الايلام ، إذ كان كلتاه اذا لامستا الأرض وكأنما لامستا جمراً ملتهباً ، وتطير نفسه شعاعا ويجف الدم فى عروقه

وينصح العرق مدراراً ، وتحور قواه فى شبه اعماء . ولم يفهم دلك إلا على انه امعان فى التعذيب لحمله على الاعتراف ، ولـكن مدير المستشفى أمر بعد بضعة أسابيع بمع كل معاونة له فى محاولة السير ، فلولا رأفة الممرض به ومخالفته لأمر رئيسه لبلغ العداب منتهاه

وكان من حطة هذا المدير أن يطرد المريض اذا عجز أهله عن الدفع وقد علم المؤلف أن ربحه بلغ ثمانية وتسعين ألف دولار فى سنة واحدة وانه مات تاركا مليونا ونصف مليون

ولما رقت حال عائلة مريضنا نقلوه آسفين الى مستشفى للمرضى الميئوس منهم ، الى مقبرة الأحياء على حدود العالم الآخر

ولـكن الحال تغيرت ، وقد بدأ يلمس كم يحوه أهله وصحبه بالعطف والحب . وكان لهـذا الشعور ولحضوره الصلاة فى الـكنيسة الملحقة ، أحسن الأثر فى نفسه ، برغم أنه كان واثقا بأن زائريه ليسوا من أقاربه وأصدقائه وإن شابهوهم ، وأحسنوا اظهار عواطف الود ، خصوصا دلك الذى يتظاهر بأنه أخ ويكثر من زيارته والتلطف معه

وأخيراً امحت مخاوفه وأوهامه ، وتمت المعجزة وشفى المريض !

ولـكن لم يكن سهلا عليه أن يتكلم وقد تعطلت عضلات اللسان سنتين . ثم تركزت أفكاره فى اتجاه واحد ، فتكلم فكأنه لم يخرس أبداً

والعقل البشرى ليس سهل التركيب . بل هو معقد الى حد لا يسمح للبندول أن يتحرك من أقصى اليسار الا الى أقصى اليمين : من هوان الصعة الى زهو الغرور ، من سكوت الخمول الى صخب الهيجان ، من الاحساس بضعف المرض ، الى الشعور بمنتهى القوة . وهكذا مرت به أيام وليال وهو دائم الحركة والـكلام لا يفتر ولا يهن ، وقد فهم أن الله وهبه العقل فى هده الظروف ليؤدى رسالة سامية ، فهو مبعوث العناية الالهية فى دلك الوسط المملوء فى اعتقاده جهلا وظلما وقسوة

وأشهرها حربا عوانا ، على كل قانون وذى سلطة فى المستشفى . وكان يدرك أنه لـكى يصلح يجب أن يعرف الصغيرة والـكبيرة مما حواليه ، وكان يرى كيف يعامل الجدد الذين ينقلونهم الى العنبر الرابع ، عنبر الهائجين ، لذلك قرر دخول دلك العنبر

ومر به الطبيب ذات مرة ، وطلب اليه أمراً ما ، ولـكنه رفض فى صلف وتكلف . وتسلمه صاحبنا بلسانه ونكاته ، فأنذره قائلا : « اذا لم تخرس فسأنقلك الى العنبر الرابع »

فأجاب : « افعل ما بدا لك ، ولـكن اعلم أننى لن أخرس ! »

وهكذا نقل الى العنبر الرابع حيث عدا فيه السيد الآمر الناهى لمصلحته حينا ولمصلحة زملائه أحيانا

ودخل العنبر مريض جديد ، كان يدمن الشراب ، فاحتال أهله حتى أدخلوه المستشفى سجينا بين قوم أقل ما يقال فيهم أنهم مجانين ، وعرف صاحبنا دلك فشمله بحمايته ، وأبى أن يخرج الى النزهة الا معه

واعترضهما ممرض ذات مرة وجذب زميله بقوة ، فما كان من صاحبنا الا أن لكم الممرض فى عينه اليسرى . أو حواليها لكمة قوية ، لخنقه الممرض بيده ، وفجأة هجم الزميل وقبض على عنق الممرض وكاد يخنقه . وكان من المحتمل أن يموت من ذلك لولا دخول المدير فى الوقت المناسب وهو زميل من « ييل » تخرج قبل صاحبنا بقليل ، فسمع منه القصة ثم قال : « لم يكن يجدر بأحد رجال ييل أن يتصرف كرجل الشارع ! » فأجاب : « اذا كان الدفاع عن حقوق ضعيف يستلزم أن اكون رجل شارع ، فانى أفضل دائما ان اكونه ! » . واضطروا بعد ذلك الى ترقية صاحبنا الى عنبر خاص حتى لا يتدخل فى شئون الآخرين

وعندئذ انصرف الى الكتابة والرسم ، وبدهى أنه كان يعتقد أن الفارق بينه وبين أعظم الكتاب أو أشهر الرسامين ، هو فارق زمنى لا أقل ولا أكثر . هم له سلف صالح وهو لهم خلف ممتاز ! ولهذا كان يحرص على منتجات قريحته ، ولا يكف عن ابدائها فى كل وقت ، وكل ماسة ـ فلما حرموه من أدوات الكتابة ، كان يكسر زجاج النوافذ ، ويخفى قطعاً يسطر بها على الجدران خواطره الفذة ، حتى تضايق يوما فنقش على باب محبسه : « بارك الله منزلنا ، فان هو الا جحيم ! »

وأمر يوما أن يتناول دواء كريها ، لم ير منه فائدة ، فرفض ، وفى الحال جاءه الطبيب المعهود فى رهط من الممرضين والخدم ، وبيده خراطيم المطاط لوضعها فى خياشيمه وحلقومه ، فسألهم : « لم كل هذا ؟ » قال : «لاعطائك الدواء الذى رفضته » قال : « ولكن هاتوه أشربه» . فأجاب الطبيب فى شماتة وتحد : « هيهات فقد أضعت الفرصة الذهبية » . . وأمر فهجم عليه الجمع وأحدثوا به من الاصابات والآلام ما كان لهم خير ثأر وانتقام

وكان الخدم يفهمون أن واجباتهم هى ـ على سبيل الحصر ـ تقديم الغذاء للمرضى ثلاث مرات كل يوم ، فان طلب مريض غير هذا فهى قحة تستحق التأديب .. ! وعطش صاحبنا بعد العشاء ، فانتظر رجوع هؤلاء من حفلة رقص داخلية مع الممرضات ، فلما سمعهم بعد منتصف الليل ، صاح يطلب الماء ، فأمروه بالسكوت ، فصاح قارعا الباب بشدة ، فعادوا محنقين ليؤدبوه ودفعوا الباب وأخذ يقاومهم ، فما دخلوا عليه حتى أعطوه درساً قاسياً لم يحه من إتمامه الا تصنعه الاغماء ، ثم تركوه ليموت كما يشاء هو ، أو يشاء له القدر . . . ولم ينم حتى سجل تلك الوقائع بدقة ، على جدار محبسه

ومر الطبيب صباحا فى حاشيته ، فناداه صاحبنا : « أريد أن أقص عليك حلما مزعجا ، لعله من قبيل تلك « الهلوسة » التى انتابتني فى أوائل مرضى ، فاذا كان الأمر كذلك ، فالعجب أنه لأول مرة يترك كل هذه الآثار المادية » وكشف للدكتور عن اصاباته ، وهز رأسه ، ثم مضى دون أن ينطق . وكان يذهب أخوه لزيارته فيرجعه الطبيب بحجة أن الزيارة ضارة ، وشكى أخيراً

لأخيه ، فنقله الى مستشفى حكومي ، أرحب بقعة وإن لم يكن أدق نظاما ولا اكثر رعاية لمرضاه ، ووضعوه فى العنبر الثالث . فأخذ يطالب بما يظنه من حقه ، منددا بهم مهددا اياهم وكان سلاحه لسانه ، وسلاح المستشفى نقله الى العنبر الرابع ، عنبر الهائجين الذين يرون القتل أمرا طبيعيا لا غرابة فيه

وأخيرا تحسنت صحته ، وسمح له بالخروج مع رقيب للنزهة وشراء الكتب . فانتهز الفرصة ، وبعث الى حاكم الولاية خطابا مطولا يكاد يبلغ حجم كتاب ، وصف فيه بعض ما لاقاه وشاهده فى المستشفيات ، فى لغة سهلة ، خالية من التكلف ، صادقة التعبير . ثم حار فى إرساله ، فألقاه حلسة فى المكتبة التى كان يتردد عليها ، وكتب على الغلاف هذا الرجاء :

« سيدى موظف البريد

« ليست هذه الرسالة مختومة ، ولكنها برغم دلك عظيمة الأهمية ، شأنها فى ذلك شأن جميع ما أحرره . وقد وضعت عليها طابعين بسنتيمين . فادا لم يكن هدا كافيا ، فستقلد الحاكم جميلا بأن ترسلها اليه مغرمة بالباقى . وادا شئت أن تعرف من أنا ، فسل سعادته » ثم كتب هدا الطلب :

« كل من يجد هذه الرسالة ، وقد لصقت عليها الطوابع ، وعنونت للمرسل اليه ، عليه أن يلقيها فى صندوق البريد ، إذ هى فى حمى الحكومة مذ لصقت عليها طوابع البريد » !.. ثم هذا التحذير : « كل مخالفة لقانون الدولة الذى يحرم على أى كان عدا المرسل اليه أن يطلع على الخطاب ، تعرض المخالف للزج به فى سجن الحكومة » وقد وصل دلك الخطاب الطريف للحاكم وقرأه ، فكان له فى المستشفيات أثر طيب سريعا ، وأضحى موظفو المستشفى يحسبون لقلمه ولسانه حسابا

وزاد تمتعه بحرية الكلام والكتابة والخروج ، وزار منزله كثيرا ، ومكث فيه مرة ثلاثة أيام وكان يرجع الى المستشفى راضيا ، مسطرا الحرية النهائية بملء الثقة حتى استعادها ، بعد ثلاث سنوات فى المستشفيات ومرض دام ثمانى سنوات تقريبا . وكان أقاربه وأصدقاؤه يزورونه فى منزله فيتحدثون فى كل شىء الا فى ماضيه كمريض . فكانوا يتحاشونه حشية جرح احساسه . أما هو فكان يصر على أن يتحدث عنه كحدث عارض ، فات بقصه وقضيضه ، فلم يبق منه الا دلك الضمير الذى لن يستريح حتى يقدم العون لزملاء الأمس ليرفع عن كاهلهم يد الظلم والقسوة ومغبة الجهل والخشونة

ثم تقدم الى البنك الذى كان يعمل فيه سابقا طالبا العودة اليه ، وكان مديره واسع الفكر سليم التقدير ، فرأى أن فى اصرار محدثه على التمتع بأفضل المزايا ضمانا لشدة احتفاظه بصالح البنك . فقال له : « يا صديقى ، عند ما يمرض أحد موظفى البنك ، فانى لا أعبأ بأى مستشفى دخل . وسواء لدى الحميات والأمراض العقلية . ولذلك فان فى وسعك ، عند ما تشعر بحاجة الى الراحة ، أن تنالها فى أى جهة أو مستشفى أردت . على أن ترجع بمجرد ان ترى نفسك قادرا على العمل » . وكان عمله

كوكيل أعمال يتيح له السفر الى الأقاصى والتسلى برؤية العجائب ، كسائح ثرى له فسحة من الوقت لاشباع مزاجه الخاص . ولكنه كثيراً ما كان يفكر فى هؤلاء الزملاء الذين تركهم وراءه ، وأهمه أمرهم

ثم تفرغ للقراءة وكان من جملة ما قرأ « البؤساء » لفيكتور هوجو ، فملك عليه عواطفه ، وفكر فى أن يكتب هو الآخر كتابا ، يدافع فيه عن مرضى العقل ، كما دافع هوجو عن البؤساء . وشغل ذلك الموضوع عقله ، فما عاد يفكر فى غيره ، وخاطب فى شأنه الكثيرين من المفكرين ، أخصهم مدير جامعة « ييل » الذى أصغى اليه ثم أشار عليه بالتريث ، ولكنه لم يستطع اليه سبيلا ، وكان طول أيامه مشغولا بالحديث فى تكوين جمعية وبالبحث فى تأليف الكتاب ونشره

وأشار عليه أخوه بأن يحضر اليه فى مكتبه للتحدث فى هذا الموضوع فى سعة من الوقت ، وذهب فى الموعد المحدد ، وما ان جلس حتى أقفل رجل أمرد فى شكل مريب ، فما قدمه اليه أخوه حتى فهم الحقيقة . وبطيبة خاطر مدهشة ، توجه من جديد للمستشفى ، مقتنعاً بأن فى ذلك راحة لخاطره ولخواطر أقاربه والأصدقاء . وكم كان يلتذ بأن يكتب لصحبه رسائل على ورق مطبوع باسم فندق كبير يقول فيها : « ان أحوالا خاصة تضطرنى للتغيب مدة لا أستطيع اليوم تحديدها ، وآمل ألا تطول ، فالى اللقاء القريب ! » وكم كان طريفا أن يدخل محلا تجاريا ، والمرض المراقب فى الخارج ، فيتناقش فى صفقة هائلة للبنك الذى يعمل فيه ، ثم يعقدها بنجاح مدهش ويقفل راجعا لمستشفاه !

ثم خرج من المستشفى سليم الرأى ماضى العزيمة ، فنشر كتابه هذا الذى مررنا به فى هذه العجالة ، وقال فيه ما قاله عالم مشهور : « ان أفيد شىء للمجنون ، هو الصديق ، فحيث توجد المحبة يكون الشفاء » وكان من أثر ذلك الكتاب ، ان تكونت جمعيات الصحة العقلية فى ولايته ثم فى أمريكا ثم فى مختلف الدول . وعقدت المؤتمرات الدولية لهذه الجمعيات واشترك فيها أعظم علماء النفس فى العالم وتراكمت عليه الدرجات العلمية ، وألقاب الشرف ، والأوسمة الرفيعة من كثير من الدول والجامعات

رمسيس جبراوى

المحامى

جين هارلو

الممثلة السينمائية الساحرة التي توفيت في الشهر الماضي وما زالت في صدر حياتها . وقد كانت جين هارلو على حظ عظيم من البراعة في التمثيل كما انها كانت وافرة النصيب من الفتنة والجمال ، ولهذا كان يرجى لها مستقبل باهر لو أن الموت أمهلها قليلا . .

نقد وتحليل

تأليف برترام توماس

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

صاحب هذا الكتاب برترام توماس هو أحد الانجليز الثلاثة الذين اشتهروا فى القضية العربية وعرفوا بلاد العرب وأبناءها بالعشرة الطويلة والدراسة القريبة ، والآخران هما لورنس صاحب الملك فيصل وفيلبى صاحب الملك ابن سعود . ولم يقتصر صاحب كتاب « العرب » على بلاط واحد ولا على جهة واحدة من جهات البلاد العربية . فقد عمل حينا فى العراق ، وعمل حينا آخر فى شرق الأردن وتقلد رآسة الوزارة لسلطان مسقط وعمان ، وقضى في الاقاليم المختلفة أربع عشرة سنة خرج منها بمحصول قيم من معرفة التاريخ وفهم الاخلاق ومراس الشعوب

ومما لاريب فيه أن رجال الانجليز الذين يعيشون فى الاقطار الشرقية لهم غرض سياسى يتحرونه لأنفسهم أو يتحراه لهم القائمون على السياسة البريطانية ، ولكن من الخطأ ان يظن فى هؤلاء الرجال أنهم عاملون سياسيون وكفى ، أو انهم يصلحون للمقاصد الحكومية ولا يصلحون لشىء غيرها ، فان الحقيقة أنهم لايوجدون فى مكان إلا بذلوا قصارى الجهد فى استطلاع كل مايتسنى لهم أن يستطلعوه من مباحث الأصول والآثار وحقائق الأجناس والمجتمعات فى حاضرها وغابرها وما يقابلها من أحوال الأمم المشابهة لها ، بحيث يستفيد التاريخ الانسانى كله والعلم الانسانى كله ويستفيد أبناء البلاد أنفسهم من نتائج ما كشفوه ودلوا عليه

وصاحب هـذا الكتاب أسبق الانجليز الى الرحلات الجنوبية فى شبه الجزيرة العربية ، ولرحلاته فضل يعتمد عليه المحققون فى تصحيح الآراء عن ماضى بلاد العرب وعن مكان القبائل العربية من السلالات البشرية ، وله كتاب قبل هذا عن الربع الخالى معدود من أحسن المراجع فى بابه فضلا عن طلاوته وامتاع أسلوبه

أما كتاب « العرب » الذى بين أيدينا الآن فقد دعاه الى تأليفه أنه ندب لالقاء محاضرات عن العرب فى معهد لويل بمدينة بوسطون ، فاحوجته هـذه المحاضرات الى المراجعة والاستحضار

والمضاهاة بين المصادر والأخبار مما يصلح لتأليف كتاب شامل فى موضوعه ، فكانت المحاضرات سبباً لظهور الكتاب ، وان لم تكن نصوصه هى بعينها نصوص المحاضرات

وقد تناول فيه الكلام عن العرب الأقدمين وعن نهضتهم الاولى وعن حضارتهم ومجدهم وعن أيام ضعفهم وركودهم وعن نهضتهم الحديثة ومشكلاتهم الحاضرة وآمالهم فى بعث الدولة العربية وتجديد الحضارة القومية ، متخللا هذه الفصول بوصف الاسلام والنبى عليه السلام واجمال ما تعلمه المسلمون الأولون وعلموه الأمم فى المشرق والمغرب ، بعبارة يغلب عليها الانصاف بل يغلب عليها التشيع فى بعض الأحيان

فرأيه فى النبى العربى أحسن الآراء التى يقول بها رجل لا يدين بالاسلام ، وشهادته للمناقب العربية شهادة الرجل الذى يحرص على اذاعة الأحدوثة الطيبة وينبو عن المبالغة فى المآخذ والهنات

قال : « ليس فى العالم أمة تفوق العرب فى الكرم المطبوع . فانهم ليعطون باليدين ويعطون عطاء القلب المنعم بأريحية العطاء ، لايشحون ولا يحسبون حساب المثوبة المنظورة ، وانما يجودون عفو السليقة المطبوعة على هذه الخصال . وقد هزنى الاعجاب عشرين مرة لامرة واحدة أو مرات قليلة بما شهدت من الدلائل الصغيرة العارضة التى تشف عما جبل عليه رفقائى البدو من السجايا الانسانية . فقد كنت بعد ساعات العطش والركوب المضنى أخف ومعى واحد أو اثنان منهم الى عين ماء طال بنا ارتقابها لنسبق الى ورودها ، فكان السابقون معى يرقبوننى وعلى وجوههم أمارات الرضى والاغتباط إذ أنا مقبل على الماء اطفىء غلتى فى شوق ولهفة . بيد أن واحدا منهم لايبيح نفسه قطرة من الماء يبل بها شفتيه قبل أن يصل رفاقه المتخلفون ، ولعلهم لايصلون إلا بعد ساعة طويلة ليشربوا معا مجتمعين . ولاحظت مرة ان أحدهم قد ادخر كسرة خبز أعطيته اياها ليقاسمها رفيقه . وندر جدا أن عبرنا بخيمة كائنة ما كانت من الضعة والشظف دون أن يعدو الينا صاحبها ملحا علينا فى مقاسمته قعب اللبن والتمرات التى عنده وربما كان فى أشد الحاجة اليها . وانك لغريب ما رآك من قبل ولن يراك بعد ارتحالك ، ولكنه على هذا يؤثرك على نفسه ويعطيك ماهو فى أمس الحاجة اليه » .وقال فى موضع آخر إنه كان آمنا على حياته مع انه كان يحمل المال الكثير ويعلم رفاقه ما يحمل ولا يخشون وتراً ولا عقابا من أحد لو سفكوا دمه وسلبوه ماله

وهكذا تقرأ الثناء بعد الثناء فى غير تحفظ ولا صناعة كتلك التى تلمحها كثيراً فى كتابات المادحين للقبائل البدوية حتى الأصدقاء منهم والعشراء

أما رأيه فى فضل الحضارة العربية على العرب والعالم المتمدن فهو رأى ينضح بهذا السخاء وحب الثناء ولا يخالف المشهور المأثور من أقوال العلماء ، وهو يلاحظ أن الاسلام لم يكن حفيا بالموسيقى لما يقترن بها من اللهو والمجانة ، ولكنه يرى أن المسلمين كانوا أصحاب الفضل الأول فى تعليم الأوربيين ضبط الآلات على حساب النسب الرياضية بعد أن كانوا يضبطونها بالمرانة والسماع ،

وان فلسفة ابن رشد كان لها أثر فى تطور المذاهب المسيحية فوق الأثر المعروف لها فى تطور العلم والتفكير ، وان شعر الأندلسيين كان له أثر فى الشعر الفرنسى ومن ثم فى معظم الاشعار الأوربية

وقد بحث المؤلف فى أصول العرب القديمة فجاء فيها بأقوال قد يؤكدها المستقبل بالتأييد وقد يعرض لها التمحيص ببعض الشك أو التعديل ، ولكنها بلا جدال هى أحدث الأقوال وأوفرها صحة عند المقارنة بينها وبين سائر الآراء التى يذهب اليها الباحثون فى أصول الأجناس

فهو يرجح رأى العلامة الكبير « ارثر كيث » الذى درس جماجم العرب المحدثين وهياكلهم وقابل بينها وبين بقايا العصور الدابرة منذ آلاف السنين ، وخلاصة هذا الرأى ان الأجناس الحامية كانت فيما قبل التاريخ تسكن نطاقا من الارض يمتد من افريقيا الى بلاد الملايا فى آسيا الشرقية ، ثم غلب عليهم الشماليون فى الهند وفى شبه الجزيرة العربية ، وان هؤلاء الشماليين قد أغراهم بالوفود الى شبه الجزيرة خصبها وغزارة مائها وطيب مناخها يومذاك بالقياس الى الاقطار الشمالية التى كانت تغمرها الثلوج وتقل فيها خيرات الطبيعة ، والأرجح أن الشماليين الوافدين كانوا ممن يعيشون على الصيد ولا يحسنون الزرع ولا الرعاية

وتدل المقارنة بين الجماجم والملامح على اشتراك ثلاثة عناصر في تكوين القبائل الموسومة باسم القبائل العربية ، فهناك الجنس الاسود الآتى من الجنوب ، والجنس المستدير الرأس الشبيه بالارمنى الآتى من الشمال ، والجنس الضيق الجماجم الآتى من شواطىء البحر الابيض ، وهى تتميز وتتضح الفوارق بينها الى اليوم

ولعل في هذا الاستقصاء الموغل فى القدم درسا لمن يرسمون الحواجز الحاسمة بين أجناس البشر ويكادون يقسمونها بالأذرع والأشبار كما تقسم مساحات الارض ومسافات الاحجام

وفى الكتاب عدا تحقيقاته التاريخية ومراجعه القديمة معلومات حديثة يحتاج اليها من يعنيه شأن العرب فى حياتهم الحاضرة كما يحتاج اليها من يعنيه شأنهم فى حياتهم التاريخية

فمن معلوماته مثلا أن النسبة المئوية لزيادة اليهود فى فلسطين تساوى أربعة أضعاف النسبة المئوية لزيادة العرب المسلمين والمسيحيين بين سنتى ١٩٢٢ و١٩٣١ ولكن عدد العرب الزائدين يكاد يساوى ضعف العدد الزائد من اليهود ، لأنهم كانوا ستمائة وثلاثة وسبعين الفا فأصبحوا ثمانمائة وواحداً وستين الفا . أما اليهود فكانوا أربعة وثمانين الفا فأصبحوا مائة وخمسة وسبعين الفا ، فلولا الحيوية العربية التى تسابق مدد الهجرة اليهودية لما استطاع العرب أن يصمدوا لذلك التيار بعد سنوات ، لأن العرب قد زادوا بالولادة ولم يطرأ عليهم مهاجرون من خارج فلسطين

وفى وسعك أن تقول ان هذا الكتاب يجمع شتات مكتبة وافية لمن يهمه الوقوف على أحوال العرب القدماء والمعاصرين ولا يواتيه الوقت على ملاحقة الاخبار ومتابعة أطراف البحث فى شتى نواحيه

عباس محمود العقاد

مسالك التجارة وأساليبها في العصور القديمة والوسطى

صورة عامة لنشأة التجارة وتطورها ــ النظام التجاري عند الفينيقيين ــ عناية الرومان بالتجارة البرية والبحرية ــ ارتقاء الحالة التجارية في عهد الدولة البيزنطية ــ المدن الايطالية القديمة وأثرها في رواج تجارة الشرق والغرب

كانت التجارة فى أول عهد الحضارة تقوم على المقايضة والمعاوضة أى على تبادل السلع . ولا نعلم كيف نشأت المقايضة ولا السلع التى تبادلها البشر فى أول عهدهم . والأرجح أنها كانت حيوانات الصيد لا غلة الأرض ، لان الانسان أكل تلك الحيوانات قبل أن أكل غلة الأرض . فكانت قوام غذائه ومعاشه قبل أن تصبح الحبوب ــ كالقمح والشعير والذرة والعدس وغيرها ــ من لوازم معيشته

وليس الغرض من هذا البحث بيان السلع التى تاجر بها الانسان فى أول عهد حضارته ، بل بيان الطرق العالمية التى سلكتها قوافل البر وسفن البحر عند نقلها تلك السلع ، والأساليب التى كانت تتحد فى الحياة التجارية حينذاك . وفى الحقيقة أن رواج التجارة يتوقف على عدة عوامل وفى مقدمتها وسائل النقل وطرقه ــ من حيث اتجاهها وطولها وتوافر عوامل الأمن فيها . ومنها أيضا شدة الحاجة الى السلع المعروضة ، وما هى عليه من رخص أو غلاء ، وطرق توفية أثمانها ، وما يدفع عنها من مكوس وغير ذلك من العوامل التى تؤثر فى رواجها

فى العصور القديمة

كان طول طرق النقل وامتدادها فى العصور القديمة فى مقدمة الصعاب التى تواجه التجار . وكان معظم تلك الطرق يمتد في وسط الصحارى أو على محاذاتها لان حراسة القوافل فى مثل تلك الطرق أسهل من حراستها فى الجهات الأخرى . وكانت القوافل تسير محتاطة لما قد يفاجئها من الطوارىء أو لمن قد يفاجئها من اللصوص . ولذلك كانت تقيم فى الصحارى واحات تنثرها على محاذاة طرق سيرها وتجعلها مستودعات للماء والزاد والبضائع

على هذا الوجه نشأت التجارة بين مختلف الشعوب التى كانت تسكن قديما على ضفاف دجلة والفرات وفى وادى النيل . وازدهرت تلك التجارة لان القوافل كانت تسير بين مختلف الأقطار جيئة وذهابا تحمل الألوف من قناطير السلع . وكان نقل تلك السلع يقتضى النفقات الباهظة ، ولذلك

لم يكن بد من غلائها . وفى مقدمة تلك السلع الأفاويه والطيوب والعقاقير والاصباغ والمنسوجات الدقيقة من حريرية وخلافها وأدوات الزينة المعدنية وما الى ذلك من السلع الكمالية والضرورية . وقد ظلت القوافل أهم وسائل النقل مدة طويلة . ولكنها فقدت بعض ما كان لها من الشأن بتقدم فن الملاحة وحلول الطرق المائية محل الطرق البرية . ولعل أول الذين استعانوا بالبحار على ترويج التجارة أهل فينيقية . فقد كانوا ينقلون البضائع من متاجرهم القائمة على سواحل سوريا الى قبرس ورودس وغيرها من جزائر البحر الابيض المتوسط . ثم وسعوا نطاق تجارتهم الى غربى ذلك البحر وجاوزوا أعمدة هرقل (أى بوغاز جبل طارق) الى بحر الظلمات . وفى الحقيقة ان مدينتى صور وصيدا كانتا أعظم متاجر العالم فى العصور الماضية . وأهاليهما هم الذين أسسوا المستعمرات التجارية على سواحل البحر الابيض المتوسط . وفى مقدمة تلك المستعمرات مدينة قرطاجة على سواحل أفريقيا الشمالية ، وقد اشتهرت أسواقها بالسلع الزجاجية والمعدنية والفضية والنحاسية وبالمنسوجات على اختلاف أنواعها . ولا شك فى أن الفينيقيين أول من زاول صناعة السفن وحذق سلك البحار . وقد أثبتوا أن طول طرق التجارة البحرية من عوامل الكسب لا من عوامل الخسارة

والمعروف عن الفينيقيين أيضا أن التجارة عندهم كانت تقوم على أساس المقايضة . فلم يكونوا يستعملون النقود المسكوكة لايفاء أثمان السلع التى يشترونها أو لاستيفاء أثمان السلع التى يبيعونها . ولم يشع استعمال تلك النقود الا فى أيام اليونان الذين خلفوا الفينيقيين فى ميادين التجارة . وفى الحقيقة أن مدينة أثينا اشتهرت بسك النقود الفضية وكثرة تداولها . وقد عم استعمالها لأن الحكومة ضمنت قيمتها وأعلنت أنها لن تأذن فى غشها . وفى مقدمة السلع التى كانت أثينا ترسلها الى مختلف المدن التين والزيتون والزيت والعسل والآنية الفخارية والمعدنية وقليل من المنسوجات . وكانت السفن اليونانية تجوب بحر اليونان والبحر الأسود وتنثر السلع على مختلف الموانىء الواقعة فى طريقها . وكانت مدينة بيريه اكبر مستودع للسلع يومئذ ولم يكن لتجار سوريا وآسيا الصغرى غنى عن ذلك المستودع فى تجارتهم مع اليونان وبلاد المغرب . ولما غزا الاسكندر الشرق انفتحت أمام اليونان طرق المتاجرة مع آسيا ، وكانت من أطول طرق التجارة العالمية فى ذلك العصر . ومثلها طرق التجارة التى كانت تمتد من مدينتى انطاكية والاسكندرية فقد كانت طويلة حافلة بالكسب

طرق الرومان التجارية

لم تكن روما فى أول عهد نشأتها تعنى بالتجارة لأن أهلها كانوا فى الأصل يشتغلون بالزراعة . وقد ظلوا يزاولونها مدة طويلة بعد إنشاء العاصمة ، إلا أن توالى الحروب التى انتهت بسقوط قرطاجة فى سنة ١٤٦ ق . م . أثبت للرومان عظم فائدة التجارة ، ولا سيما بعد حلول سيادتهم

محل سيادة اليونان . ولما ارتقى أغسطوس قيصر العرش وجه همه باديء ذى بدء الى القضاء على الفتن والثورات الداخلية . وما كاد الامر يستتب له حتى أخذ يفكر فى ضمان أسباب الرخاء للامبراطورية ، وقد أدرك بثاقب بصيرته أن التجارة فى مقدمة العوامل على ذلك الرخاء . وكان اليونان قبلا قد رسموا طرق التجارة مع مختلف أنحاء العالم فى ذلك العصر . فرأى أغسطوس أن تظل تلك الطرق كما هى . وعليه أصبحت مدينة انطاكية أهم مستودع تجارى فى ذلك الزمن . فكانت القوافل تخرج منها الى جميع أنحاء الشرق ، وتأتى اليها من جميع المدن التجارية . ومن ثغرها (سلوقية) كانت ترسل البضائع الى جميع موانىء البحر الابيض المتوسط ، وفى مقدمة تلك البضائع الأفاويه والطيوب والعقاقير والمنسوجات الحريرية وغيرها من الكماليات التى كان الاغنياء يتهافتون على شرائها . أما الاسكندرية فكانت تمتاز بطابع خاص . فقد كانت السلع الكماليه الغالية ترد عليها من بلاد العرب والهند عن طريق البحر الأحمر . فكانت السفن تجىء موسقة شتى السلع وتفرغ شحنها فى ميناء الاسكندرية لتنقل من هنالك الى مختلف الجهات. وأدرك أغسطوس قيصر ما للتجارة عن طريق البحر الأحمر من الشأن فسعى لتطهير البحر من اللصوص (القرصان) العرب والحبشان وشرع فى ترميم الترع التى كانت تصلح للملاحة . وقيل ان أحد ربابنة السفن الرومانية ـ واسمه هيبالوس ـ كان أول من رصد الرياح الموسمية فى منتصف القرن الأول للميلاد . وأفضى رصده لها الى تأمين طرق الملاحة الى الهند ، وصارت السفن التجارية تستغنى عن الالتجاء الى موانىء سواحل العرب عند هبوب تلك الرياح . والتاريخ حافل بوصف ازدهار التجارة عن طريق البحر الأحمر فى القرنين الأول والثانى من التاريخ المسيحى . وقد ذكر المؤرخ بلينوس أن تهافت الرومان على شراء السلع الكمالية الشرقية كان عظيما الى حد انه استنزف معظم ما كان فى البلاد من نقود فضية . ومما يؤيد قوله هذا ما عثر عليه المؤرخون من النقود الرومانية التى ضربت فى عهد الأباطرة الأولين فى أنحاء الهند الجنوبية

وقد كان للتجارة مع مدينة الاسكندرية وجه آخر . ذلك أن سكان مدينة روما والمدن التى حواليها كانوا فى ازدياد مستمر . فكانت حاجتهم الى القمح أيضا في ازدياد . وفى بعض المصادر التاريخية أنه كان لامبراطور روما أراض زراعية فى مصر تنتج نحو أربعين مليون كيلة كانت ترسل كلها الى روما بطريق البحر . وكان القانون الذى سنه أغسطوس قيصر يفرض أشد أنواع العقاب على من يتعرض للسفن التى تنقل ذلك القمح أو يتسبب فى تأخيرها . وكانت تلك السفن تفرغ شحنها فى ميناء « أوستيا » الذى أصلحه الامبراطور كلوديوس وحسنه . ولما ارتقى الامبراطور تراجانوس العرش نظم الملاحة التجارية وأنشأ مستودعات للحبوب . ولم يكن بد من فرض الرقابة الحكومية على تلك الملاحة لأن التجارة كانت ذات شأن حيوى للامبراطورية الرومانية . ولم يكن ثمة تبادل تجارى بين مصر وروما بالمعنى الصحيح ، لأن روما لم تكن تنتج سلعاً أو مصنوعات حتى

فى أشد أيام ازدهارها . والمعروف أنها قلما كانت تدفع أثمان السلع التى تستوردها من الخارج . ولكنها كانت تشرف على التجارة بين مختلف أنحاء الامبراطورية وتعنى بتأمين تلك الطرق . ومع ذلك فان لصوص البحر كانوا يهاجمون السفن التى تمخر عبابه بلا حراسة . ولم تكن تلك السفن — حتى المخفورة — تستطيع القيام بالاسفار فى الشتاء خيفة الزوابع . وكانت تقطع المسافة بين روما والاسكندرية — عند اعتدال الأحوال الجوية — فى ثمانية أيام أو تسعة . أما فى الاحوال الجوية غير المعتدلة فكانت السفرة تستغرق عدة أسابيع . وفى الاصحاح السابع والعشرين من سفر الاعمال وصف سفرة من هذا القبيل . وعلى كل فان التجار كانوا يفضلون ارسال بضائعهم الى شرق البحر الابيض المتوسط . وكان معظمهم يهوداً أو يونانيين أو سوريين . وكانت أرباحهم من تجارتهم مع الغرب عظيمة جداً ، لأن الأخطار التى كانت تهدد السفن فى البحار — سواء أكانت من ناحية اللصوص أم من ناحية الاحوال الجوية — كانت أعظم من الاخطار التى تهدد القوافل

فى عصر بيزنطة

ولما اجتاح الغزاة الامبراطوريه الرومانية ودكوا عرشها أصيبت التجارة بصدمة خطيرة حتى كادت تنحصر فى شرق البحر الأبيض المتوسط . وكان الفرس قد أحرقوا مدينة انطاكية فى سنة ٥٤٠ مسيحية . ومع ان أهلها عادوا ورمموها ، إلا أن العرب استولوا عليها فى سنة ٦٤١ . ومنذ ذلك الحين أصبحت القسطنطينية (التى لم تسقط فى يد الاتراك إلا فى المائة الخامسة عشرة) أهم مركز للتجارة فى العالم . فكانت البضائع ترسل منها الى جميع أنحاء آسيا وأوربا وتصل اليها من تلك الانحاء . وظلت محتفظة بمركزها التجارى الى الحروب الصليبية . واشتهرت مصانعها بما كانت تخرجه من السلع والمصنوعات الدقيقة من منسوجات وأدوات معدنية وعاجية وفخارية وخلافها . وكانت تقايض بتلك السلع والمصنوعات ما كانت تحتاج اليه من قمح وشعير وشمع وملح وسمك وصوف ومعدن خام وهلم جرا . وكانت «البيزانت» — وهى قطعة من النقود الذهبية المسكوكة فى القسطنطينية — مقبولة عند جميع تجار العالم فى ذلك العصر كالجنيه الاسترلينى فى هذا العصر . وكانت أساليب المعاملات المالية (أى أساليب البنوك) من عقد قروض واصدار سفاتج وغيرها معروفة عند التجار . وأغرب من ذلك أن نظام التأمين الخاص بالسفن التجارية كان معروفا يومئذ، وقد أعان على تنمية التجارة وتوسيع نطاقها . وفي أيام الامبراطور يوستنيانوس (سنة ٥٢٨ الى سنة ٥٦٥ ميلادية) بدىء بفرض المكوس على «الصادرات» و «الواردات» وفى أيامه أيضا أنشىء أول احتكار ، فان الحكومة احتكرت صناعة الحرير لتستطيع الاستغناء بها عن المصنوعات الحريرية الشرقية التى كان الفرس متحكمين فيها . وفى أيامه أيضا أقيمت فى القسطنطينية وتسالونيكى الأسواق أو المعارض التجارية التى كانت تجتذب التجار من جميع الانحاء . وكان الأجانب منهم يمنحون

امتيازات خاصة وتتاح لهم الاقامة بأماكن معينة . وكان لتجار جنوى والبندقية مقام خاص، ولذلك كانوا يعفون من بعض القيود التى كانت تفرض على غيرهم من التجار - وهى قيود خاصة بمدة الاقامة وبأساليب المعاملة . ولما سقطت القسطنطينية فى يد الاتراك أصيبت التجارة اصابة شديدة كادت تقضى عليها لولا أن قيضت لها الأقدار الخلاص - بل الازدهار - على يد المدن الايطالية

جنوى والبندقية

ظهرت فى ايطاليا على أثر سقوط الاستانة عدة مدن زهت فيها التجارة وازدهرت . وكانت قد تخرجت فى أساليبها على أيدى التجار البيزنطيين . وفى مقدمة تلك المدن جنوى والبندقية ، والثانية منهما قائمة على مجموعة بحيرات وقنوات مائية فى رأس الادرياتيك . ونظراً الى مناعة موقعها اتخذها الكثيرون من الرومان ملجأ عندما اجتاح الغزاة « البرابرة » حدود الامبراطورية . وفى الحقيقة ان موقعها الجغرافى جعلها أفضل مستودع تجارى فى العالم في ذلك العصر ، وأحسن محط لتجارة الشرق والغرب . فكان التجار الجرمان يتصلون بالبندقية عن طريق ممر « برينر » وكانت القوافل التجارية تخرج منها وتسير في وادى نهر « بو » ثم في مضيق سان جوتار الى مدن الرين وهولندا وكذلك كانت تسير عن طريق « استيريا » وعلى محاذاة « الساف » الى المدن القائمة على نهر الطونة وفى حوضه . على أن أهالى البندقية كانوا يفضلون الطرق البحرية للتجارة . وقد سعوا الى تأمين الطريق البحرى الى شرق البحر الأبيض المتوسط بالاستيلاء على السواحل والجزائر المتاخمة لها . واستعانوا بالصليبيين على تحقيق هـذه الفكرة . ولما طلب الصليبيون فى الحملة الرابعة من أهل البندقية أن ينقلوهم الى مصر التى كانت أول أهدافهم طلب منهم البنادقة خمسة وثمانين ألف مارك ونصيبا من الغنائم . وإذ لم يستطع الصليبيون انجاز هذه الشروط عرضوا على البنادقة أن يستولوا لهم على ميناء « زارا » على سواحل الادرياتيك ، وكان هؤلاء يعللون النفس بتلك الغنيمة . ومع أن الحملة الصليبية تحولت بعدئذ الى الاستيلاء على القسطنطينية فى سنة ١٢٠٢ فان البنادقة استفادوا من تطور الحوادث ونالوا مكاسب عظيمة . وظلوا يهتمون بتنمية طرق التجارة وتوسيع نطاقها عاما فعاما . وكانوا يتولون توزيع السلع التى تأتى بها القوافل من الشرق - ولا سيما ما كان يأتى عن طريق القسطنطينية - ويرسلونها الى أوربا الغربية وإلى القسم الغربى من سواحل البحر الأبيض المتوسط حتى بوغاز جبل طارق وحتى الجزائر البريطانية . وأهم تلك البضائع الأفاويه والأصباغ والزنجبيل ومختلف العقاقير والطيوب ، وكانت السفن الذاهبة تعود موسقة بضائع أخرى من جزائر بريطانيا ومن البلاد الواقعة فى غرب البحر الأبيض المتوسط

فى أعالى الصعيد

من وراء الشادوف

للاستاذ محمد طاهر الجبلاوى

ذلك الصوت الذى أسمعه   يقرع الافق الى باب السماء
هاتفا فى الحقل ، ما أروعه   فى غصون الصمت والارض الخلاء

* * *

مبهم اللفظ ، شجى فى الاذن   ضارب كالسهم فى جوف الفضاء
لست أدرى أى قلب مرتهن   خلف هذا الصوت : أخاذ النداء

* * *

هو ذا الفلاح عارى المنكبين   تحت وهج الشمس يلقى بالدلاء
أين منه مطربات الشدو أين   وهو بين الخلق مفقود العزاء

* * *

نغمة بل صرخة يرسلها   بين آلات شقاء ، لا طرب ! !
هى نفس حرة يبذلها   فى حياة من هموم ونصب

* * *

ليت شعرى أى شجو وحنين   فى صدى إنشاده هذا الرجل !!
أى وجد فى طواياه كمين   ومعان يزدهى فيها الامل ! !

* * *

مائح يمتح من جوف الثرى   قطرات الماء للزرع المحيل
أي نبع منه يسقى يا ترى   قلبه الفياض باللحن الجميل !!

* * *

أيها الحب الذى راض الحياة   أنت سر حل فى هذا الجنان
أينما سرت سمعت صداه   لحنك العذب على كل لسان ! !

محمد طاهر الجبلاوى

الرهبان

للقصصي الروسي

انطون تشيكوف

كل ما يجرى اليوم صباحا ومساء ، كان يجرى فى أثناء القرن الخامس عشر : فكانت الشمس فى بدء النهار تشرق من مستقرها ، وفى نهايته تأوى الى مضجعها ، وإذا ما أشرق الصباح ومس ضوءه الندى ، صحت الدنيا مرحة منتشية ، وتبدت الحياة بهيجة مستبشرة ، حتى يقبل الليل ويتبدل الدنيا الصاخبة الضاحكة دنيا هادئة واجمة ظلماء . وكانت السماء تغيم من آن لآخر بسحائب قاتمة كثيفة ، أو تدوى برعود قاصفة هائجة ، أو تقذف ببعض شهبها الى الخلاء . أو كان يقبل أحد الرهبان الى الدير راكضا لاهثا لينبىء اخوانه عن ذلك النمر الضارى الذى رآه يتربص بهم عن كثب. هذا كل ما كان يجرى حينذاك ، فكانت الأيام تتوالى على نسق واحد ، تتبعها الليالى متشابهة متماثلة

أما رهبان الدير فكانوا يمضون سحابة النهار وزلفا من الليل فى العمل والصلاة ، بينما ينصرف رئيسهم الكاهن الى عزف الناى ونظم الأغانى وتأليف الموسيقى . وكان الرجل على ملكة فذة وهبة نادرة ، فقد مهر وأفتن فى عزف الناى حتى إن الرهبان المعمرين الذين ضعف سمعهم لطول ما أنصتوا ، كانوا لا يملكون حبس دموعهم المنهمرة كلما مس آذانهم صوت الناى المنبعث من صومعة الكاهن . أما إن تحدث فما كان فى وسع أحد يصغى اليه الا أن يفتر ثغره عن بسمة بهيجة ، أو أن تذرف عينه عبرة سخينة ، حتى ولو كان موضوع حديثه تافها مألوفا . ذلك ان نبرات صوته كانت تنبعث من قرارة نفسه حيث تنبعث أنغام الناى ، فتنفذ كلماته الى صميم الروح حيث تنفذ الموسيقى الشجية الحنون . وسواء أكان الكاهن يتميز غيظا وحنقا ، أم يضطرب فرحا وطربا ، وسواء أكان يتحدث عما يمحأ ويروع ، أم عما يستخف ويزدهى ، فثمة شعور عنيف دافق كان يملكه ويسيطر عليه ، فاذا بعينيه الموقدتين تسمحان شئونهما ، واذا بوجهه المشرق تتجهم أساريره ، وإذا بصوته الوادع اللين يدوى كالرعد القاصف .. فيحس الرهبان أن الكاهن قد امتلك أرواحهم وصرف وجهتها الى حيث يشاء . وفى هذه الفترات الرائعة المهيبة لم يكن هناك ما يصد تيار قوته الدافق ، ولو أنه أمر الرهبان المعمرين أن يلقوا بأنفسهم فى اليم ، لنهضوا اليه سراعا خفافا ، طوع أمر رئيسهم ووفق ارادته

وهكذا كان غناؤه الآسر ، وصوته النافذ ، وأشعاره التى يرتلها صلاة وابتهالا ، نبعا يستقى الرهبان من فيضه مرحهم ورضاهم . على أن هذه الحياة الراضية الهانئة لم تخل من فترات تراءت لهم فى أثنائها الاشجار الظليلة عارية ، والأزهار الناضرة ذاوية ، والربيع البهيج خريفا كئيبا ، وتمثل لهم خرير الماء صخبا وقصفا ، وتغريد العصافير نعيقا وعواء . ومع هذا فانهم فى غضون هذه الفترات التى كانت تصد أنفسهم وتثقل أرواحهم بهمومها ، كانوا لا يجدون بداً من سماع أناشيد الكاهن وأحاديثه ، إذ لا صبر لأرواحهم على افتقاده ، الا كصبر الأجسام على افتقاد الخبز والماء . .

ومرت عشرون سنة على هذه الوتيرة ، فلم يشذ فيها يوم واحد على نسق سائر الأيام . ولم يشهد أهل الدير فى عرض هذا الخلاء سوى الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة ، إذ كان أقرب بيت الى الدير يبعد بمسيرة أيام وسط الصحارى والقفار ، حيث لا يعامر الا أولئك الذين لا يقيمون للحياة وزنا ، لأنهم أنكروها وازدروها وودوا الخلاص منها ، فهجروها الى هذا الدير كما يهجرها الموتى الى القبور . .

لهذا دهش الرهبان دهشة بالغة حين فوجئوا ذات ليلة برجل غريب يطرق أبوابهم . وقد وفد عليهم هذا الرجل من تلك المدينة النائية التى لا يسكنها الا أولئك الذين يحبون الحياة حباجما ، فيجترحون فى سبيلها شتى الخطايا والآثام ، ويستبيحون مختلف المعاصى والذنوب . وقبل أن ينبس الرجل بكلمة دعاء أو صلاة ، وقبل أن يلتمس من الكاهن أن يباركه كما جرت العادة ، طلب اليهم أن يأتوه بطعام وخمر . ولما سألوه كيف اجتاز هذه الآماد وسط الفلاة القاحلة ، قص عليهم قصة طويلة خلاصتها انه ترك المدينة الى الصحراء فى التماس صيد الحيوان ، ولكنه أسرف ذات يوم فى احتساء الخمر حتى غاب عن رشده فضل الطريق . . ولما اقترحوا عليه أن يظل فى ديرهم حيث يطهر ويتوب ، ويتخذ حياة الرهبنة البريئة السامية ، أجابهم باسما ساخراً هازئا : « كلا فلست منكم ، ولست على رأيكم » ! !

وراح يلتهم الطعام التهاماً ، ويعب الخمر عبا ، فلما امتلأ شبعاً ورياً نظر الى الرهبان الذين يقومون على خدمته ، وهز رأسه هزة الهزء والتأنيب ، وقال لهم :

« أى عمل تؤدون أيها الرهبان ؟ أليس كل ما يعنيكم هو ما تأكلون وتشربون ؟ فهل هذا هو الطريق الذى يعصم القلب ويطهر الروح ؟ ! فكروا معى مليا ترون أنه بينما تعيشون أنتم هنا راضين آمنين ، تأكلون وتشربون ، وتغنون وترتلون ، وتحلمون بالجنة والنعيم ، يعيش اخوان لكم فى تلك المدينة عيشة الذنوب والآثام التى تشقيهم وتضنيهم فى الحياة ، ثم تلقى بهم فى الأخرى فى سواء الجحيم . . ! انظروا ماذا يجرى فى المدينة ترون ناسا يموتون جوعا وعريا ، وناسا لا يدرون كيف ينفقون ذهبهم وفضتهم ، فينغمسون فى اللذائذ والمعاصى ، ويعلقون بها الى أن يموتوا فى حمأتها كما يعلق الذباب بالعسل الى أن يموت فيه . . ! فليس لهؤلاء ولا لأولئك إيمان يعمر قلوبهم ، ولا

فضيلة تطهر أرواحهم . فمن الذى يجب عليه أن ينتشل هؤلاء من الوهدات التى ترديوا فيها ؟ أيجب على أنا الذى يمضى الليل كله ينهل الكؤوس ، كى يظل طول النهار ذاهلا مخموراً ؟ ؟ وهل منحكم الله إيمانا ثبتا وقلوبا طاهرة ، وغرس فيكم الحب والرضا والتواضع ، كى تحبسوا أنفسكم وسط أربعة جدران صماء ، حيث لا هم لكم الا الأكل والشرب والنوم ؟ ! »

وقد تطاول رجل المدينة السكير على الرهبان بكلمات زرية شائنة ، ومع هذا فان حديثه كان ينفذ الى قلب الكاهن فيصيبه ويثيره . وراح الرهبان يتلفت بعضهم الى بعض فى حيرة ودهشة من أمر هذا الرجل ومن أمرهم ، حتى رفع اليهم الكاهن رأسه وقد علت وجهه الصفرة والشحوب وقال :

« انه على حق يا إخوانى ! فالواقع ان الانسان قد قذف به الغباء والعجز والقصور فى حمأة من الآثام والذنوب ، ومن الريب والشكوك ، تغمره وتغرقه وتودى به . . بينما نحن هنا لا نلقى بالا الى أولئك الضالين ، كأن الأمر لا يهمنا ولا يعنينا . . ! فلماذا لا أدع الدير وأقصد اليهم كى أذكرهم بالمسيح الذى نسوه ؟ »

وهكذا نفذت كلمات الرجل الى عقل الكاهن فاقنعته ، فما ان أصبح اليوم التالى حتى حمل عكازته وودع اخوانه واتخذ طريقه الى المدينة ، تاركا الرهبان وراءه بغير أناشيد أو أحاديث أو موسيقى تطربهم وتشجيهم . .

ومر عليهم شهران بعد فى أثنائهما صبرهم على فراق الكاهن ، حتى اذا انتهى الشهر الثالث سمعوا عن بعد صوت عصاه تدق الارض دقاتها الوئيدة المألوفة . فخفوا سراعا للقائه ، وراحوا يسألونه عما جرى . ولكن ما جرى لم يكن خيراً فيسمعهم أنباءه ، بل لم يستطع أن ينظر اليهم الا بعين عبرى باكية ، دون أن ينبس بكلمة أو يلقى جوابا . ورأى الرهبان أن الرجل قد شحب وجهه ونحل بدنه ، وأضناه الجهد وأدواه الأسى ، فارتسمت على محياه شتى علائم الهموم والآلام التى كانت تصطرم من حناياه . وكانت دموعه المنهمرة على وجهه المرتجف دلالة واضحة على أن الرجل قد أصيب فى صميم روحه اصابة بالغة أليمة . .

ولم يتمالك الرهبان أنفسهم أمام رئيسهم الباكى ، ففاضت عيونهم بالدموع . وعلت أصواتهم بالبكاء ، وهم يستوضحونه سبب همه وأساه . ولكن الرجل لم يجبهم بكلمة واحدة ، بل تركهم الى صومعته حيث سجن نفسه خمسة أيام سويا ، لم يذق فى أثنائها طعاماً ولا شراباً ، ولم يسمع له فيها كلام أو غناء . ولما طرق الرهبان بابه ورجوه أن يخرج اليهم عسى أن يشاطروه حمل همومه ، كان رده عليهم صمتاً عميقاً مريراً

وأخيراً خرج الكاهن من عزلته الى الرهبان الذين اجتمعوا حوله واجمين خاشعين ، فجلس وسطهم ، وهو منجعد الأسارير مرتجف الأوصال ، وراح يقص عليهم قصة ما لاقاه خلال هذه

الأشهر الثلاثة . وقد بدأ الرجل حديثه بصوت وادع هادىء وهو يصف لهم رحلته من الدير الى المدينة وسط القفار ، ثم تهلل وجهه وأشرقت أساريره وهو يذكر لهم ما رآه بعد ان اجتاز البيداء من طيور تصدح وجداول تجرى ، كانت تبث فى نفسه آمالا حلوة بهيجة ، وتشعره بأنه جندى مقبل على معركة حامية كتب له فيها النصر المؤزر . فسار فى طريقه قدماً ، يؤلف الأشعار ويرتل الأناشيد ويحلم بما سيؤديه للانسانية من خير جزيل . ولكنه لم يكد يبلغ المدينة حتى تبدد حلمه إثر ما سمع وما رأى . .

وهنا اضطرب صوته وارتعد ، وأبرقت عينه واتقدت ، واضطربت نفسه بسورة الغضب والغيظ ،حين راح يتحدث عن المدينة وأهلها ..! إنه لم ير من قبل بل ولم يتخيل أبداً أن فى العالم شيئا مما لقيه فى هذه المدينة . فقد أدرك لأول مرة فى حياته ، بعد ان بلغ من الكبر عتياً ، ما للشيطان من القوة والسطوة ، وما للعسف من المجد والفخار . وما للضعف والخس والضعة من السيطرة على الانسان والاستبداد بتفكيره وشعوره

وقد شاءت المصادفة أن يطرق أول ما يطرق بيتاً من بيوت السكر والرذيلة ، فرأى جمعا من الناس يناهر الخمسين فرداً ، ينفقون المال عن سعة ، فيما يجرعونه من الخمر طول الليل . وقد انعقدت فوق رؤوسهم سحائب الدخان ، وراحوا يصحون ويصخبون ويغنون ، ثم صاروا لا يتهيبون إلقاء كلمات بذيئة شائنة أثيمة ، لا يجرؤ على أن يفوه بها رجل يخشى الله حقاً ... وقد كان الجميع أحراراً طلقاء فى حركاتهم وكلماتهم ، فما يصدهم عما هم فيه خوف من الله ، ولا من الموت ، ولا حتى من الشيطان ..! فما كانت تخطر لهم أية كلمة إلا ألقوها مهما بلغت من القحة والبذاءة ، وما كان يتراءى لهم أى عمل إلا أقدموا عليه مهما كان وضيعا دنيئا ، إذ لم يكن يعنيهم سوى أن يلبوا نزواتهم الطائشة ، ويحققوا رغائبهم الخسيسة . أما الخمر فكانت تتألق فى كؤوسها كالضوء اللامع ، وكانت ولا شك سائغة شهية زكية الرائحة ، فما يرشف الواحد منهم رشفة منها حتى يتهلل بشراً وفرحا ، فاذا به يتهال عليها رشفا وعبا ، كى يزداد اشراقا وابتهاجا . وكأنما كانت الكؤوس تبسم لشاربيها وتضحك ، وكأنما كانت تدعوهم اليها وتجذبهم ، وكأنما كانت الخمر تدرك ما يكمن فى قطراتها من اغراء واغواء

وهنا ثارت عواطف الكاهن ومشاعره ، فاضطرب صوته بكاء ونحيبا ، وراح يتم وصفه البليغ لما رأى وسمع فى المدينة . فقال انه رأى وسط هذا الجمهور الحاشد فى ذلك البيت ، امرأة فوق احدى المناضد عارية إلا من غلالة رقيقة . وانه لعسير على المرء أن يتصور ما هو أبهى وأبهر وأفتن وأسبى من هذه المرأة . فهى شابة فى ربيع الحياة ، ساحرة العينين ، ممتلئة الشفتين ، ناصعة الأسنان ، مسدلة الشعور ، حتى ليكاد كل ما فيها يهتف ويصيح بالناس : « أنظروا إلىّ ، لتروا مبلغ جمالى وفتنتى .. وانصتوا لى لتسمعوا أصوات تبذلى وندائى » ! ! . وكان يكسو صدرها

العض ثوب رقيق من الحرير الموشى ، تتدلى فتائله الناعمة حول أعطافها فتبرز حسنها وفتنتها للعيان . وكانت المرأة لا تدرك شيئا اسمه الخجل أو الحياء ، فقضت الليل كله تسكر ، وتغنى ، وترقص ، وتبذل نفسها لأولئك اللاهين العابثين

وراح الكاهن يلوح بذراعيه مغيظا محنقا ، وراح يتم حديثه عما رأى من الملاهى والمباذل من مسارح ومراقص ، ومن دور للميسر وحلبات للرهان ، ومن متاحف للفن تعرض فيها تماثيل فاضحة للنساء العاريات ، مصنوعة من المرمر الناصع اللامع . وكان الكاهن يتحدث فى بلاغة آسرة ، ولهجة نافذة ، كأنما كان يوحى اليه بهذه الكلمات القوية ، التى كانت أشبه شىء بأنغام ناى لا يرى . فجلس الرهبان حوله ينصتون إلى صوته ونبراته فى شغف ولهفة ، حتى ليخيل للمرء أن حديث الكاهن قد انتابهم بنشوة وذهول . ولما انتهى الرجل من حديثه عن سطوة الشيطان وأعوانه ، وضعف الانسان وأهوائه ، وعن هذه المباذل التى ينغمس فيها الرجال والنساء معا ، راح يلعن ابليس ويسبه ، ويحذر زملاءه شره ، ثم تركهم وعاد الى صومعته ..

وقضى ليلة قائمة عابدة . حتى اذا أقبل الصباح خرج من صومعته فلم يجد أحداً بالدير . . .

نعم ! كان الرهبان جميعا قد اتخذوا طريقهم الى المدينة ..!!

--- .... ---

الأمل

ان الأمل هو الحافز الشخصى الذى يدفعنا فى قوة وعنف أو في ليونة وضعف ، الى اقتحام المخاطر والمغامرة فى الأهوال واستصغار العظائم . وهو الرائد الذى يسبقنا فى طريق الحياة إما الى المجد وإما الى الهلاك ، وهو أحلى ما فى الحياة لأنه حلم النفس اللذيذ الذى يسكرها بنشوته ويطربها بنغمته ، والحياة بدونه أقفر من الصحراء وأحقر من أن نقيم لها وزناً أو أن تفرض لنفسها وجوداً فى أخيلتنا وأفكارنا وعواطفنا

ترى ماذا يكون مصير هذا الكون العامر اذا أحللنا كلمة اليأس محل كلمة الأمل الغالية ؟ إذن لانطفأت فينا جذوة النشاط وتعطلت قوانا العاقلة ، واستولى علينا الجمود وانحطت ميزاتنا الانسانية الى درجة من الحيوانية لا يرضاها الانسان لنفسه ، واذن لانقلبت الحركة سكونا والوجود عدما والحياة موتاً ، واستولت علينا الخيبة وصارت تلك الدوافع ، التى تحركنا الى التقدم حثيثا ، الى وقوف أشبه ما يكون بوقوف الفلك الدوار اذا ما اختلت نظمه واعتلت قواعده

لماذا يقولون فى أمثالهم الحكيمة : « سبحان من أودع فى كل قلب ما شغله » ثم لماذا كنا نسمع

من أحد خطباء الشرق وزعمائه هذه الكلمة الخالدة تتجاوب أصداؤها فى أجواء مصر فيتلقاها الكبير ويلقيها الى الصغير ويتواصى بها البعيد والقريب وهى : « لا معنى لليأس مع الحياة ولا معنى للحياة مع اليأس » ؟

ان قلبنا ليشبه الصحراء المشتعلة بوهج الشمس المحرومة من النبات . وأن الامل لينبت فى شعاب هـذا القلب أشبه ما يكون بالشجرة الالهية المقدسة تظلل الوافدين اليها من كل حدب وصوب وتعطيهم الثمرة والظل والحياة . فأية قيمة لهـذه الصحراء بلا شجرة وأية لذة لهؤلاء المكتوين بنارها اذا لم يكن الظل ، وأية فائدة ترجى من اتساعها ما لم تكن الثمرة ؟

فالأمل وحده هو المهيمن الحاكم على هذه الحياة والمصباح الساطع فى ظلماتها والنور الالهى المنبعث فى طوايا أنفسنا ، وإلا فمن أجل أى شىء يستمر الطالب ساهراً على تحصيل درسه ويذبل نضارة عمره فى الكد والتحصيل ؟ أليس من أجل الأمل فى الحصول على النجاح ؟ ولماذا يبيت التاجر مشغولا مهموما لتدبير شئون المكسب والخسارة واختيار أنفس البضائع واكثرها رواجا وأيسرها قبولا وأعظمها ربحاً ؟ أليس ذلك من أجل الأمل فى أن يصير من أصحاب الملايين ؟ ثم لماذا يكد الشاعر ذهنه ويجهد فكره ويعمل خياله . أليس من أجل الأمل فى أن يصير الى الخلود وأن يذكر فى عداد الشعراء الذين يذكرون فى المحافل ويتمدح بذكرهم فى المجالس وترتل أشعارهم أمام ركاب الزمن فى طريق السعادة والمجد ؟ ثم لماذا تجيش الجيوش وتعد العدد وتحشد الحشود ؟ أليس من أجل الأمل فى الفتح أو الغلبة أو النكاية بالاعداء ؟ لعمرى أى خيال مجنون استولى على عقل اسكندر المقدونى أو نابليون بونابرت فطوح بهما فى المهامه المتلفة والمهالك الرهيبة وجعلهما يسخران كل ما يملكان من قوى مادية ومعنوية فى الاغارة على ممالك الشرق والغرب ؟ . أليس هو الأمل الذى خيل لهما أن فى إمكان الانسان الصغير أن يحول رقعة الارض ومساحتها الى رقعة شطرنج يلعب بها ويلهو فيكسبها مرة ويخسرها أخرى ؟

***

قالوا إن عالماً عظيما وفيلسوفا حكيما كان له ولدان رباهما فأحسن تربيتهما وثقفهما بما يثقف به العظيم أبناءه من العلم النافع والخلق الكريم ، فلما تهيأ له ذلك وظن أنهما أصبحا قادرين على فهم رسالتهما فى الحياة رغب فى اختبارهما فاستدعى أحدهما وهو الاكثر ثقافة وألقى عليه السؤال الآتى :

ـــ ماذا تأمل أن تكون من الرجال العظماء ؟ فقال : آمل أن اكون فى منزلة والدى علما وحكمة . فقال : والله يا ولدى لقد خاب أملى فيك ولقد ظننتك تطلب غاية أسمى من تلك وأعظم ، وتتمنى منزلة أشرف من هذه وأرفع فاذا بك قصير النظر ضعيف الأمل واهن العزيمة ، انى يوم أن كنت صغيراً ما طلبت لنفسى منزلة أقل من منزلة الامام مالك أو الشافعى أو أبى حنيفة ولقـد

جعلت ذلك دأبي فأوصلني جدى واجتهادى الى هده المنزلة التى هى أقل من الثلاثة بلا شك وأكثر من منازل غيرهم من العلماء

ضرب لنا هذا العالم العظيم مثلا أراد به أن يلقى فى روع ولده أنه لا يلزم أن نقصر آمالنا على الغايات القريبة التى فى متناول كل الناس تقريبا ، وانما نسمو بآمالنا الى أسمى الغايات وأشرفها ثم نسعى فى طلبها جهد ما استطعنا . فاذا لم ننل غاية املنا فلا اقل من ان ننال الغايات الوسطى وذلك ادنى واشبه بقوانا واشرف لمستوانا

قالوا ان البطل العظيم تيمورلنك عندما خابت آماله فى بعض المعارك لجأ الى ناحية قصية مهموما حزيناً وقد ضاقت الدنيا فى عينيه وأحس بمرارة الحسرة تدب فى روحه ، وبينما هو جالس ورأسه بين يديه وفكره مشرد بصر بنملة كانت تحمل حبة قمح من الأرض لتوصلها الى بيتها فى الصخرة ، ولم تستطع حملها فى المرة الأولى وعالجت ان تحملها ثانية فسقطت فرجعت ثالثة ففشلت وهكذا ، فجعل تيمورلنك يعد لها المرات التى حاولت أن تحمل فيها الحبة ولم تستطع ، فعد لها سبعين مرة وفى المرة الحادية والسبعين استجمعت النملة كل قواها وجذبت الحبة جذبة المستميت فنقلتها وحققت بذلك أملها . عند ذلك تهلل وجه تيمورلنك وقد ألقت عليه النملة درسا نافعا فى التجلد وثبات القدم وقوة الاراده،فنهض واقفا والأمل يتخايل أمام عينيه والدنيا تتسع له وقال : ان النملة لم تيأس وقد فشلت سبعين مرة أفيعتريني اليأس لانكسارى وفشلى مرة واحدة ؟ ثم جمع فلول جيشه ونفخ فيه من شجاعته وهجم به على عدوه فانتصر أيما انتصار ونال الامل الذى ظنه مستحيلا

عزيز واصف

بوزارة المعارف

...ل التي ... سوفيتيا
لتقليل حواد... ...وضع
أسهم خشبية مرتفعة ... ...قليلا
طول الجزء المخصص للمار... الطريق.
وبذلك لا تتيسر للسيارات
الطريق المخصص لها الى حيث

ملابس لا تحترق
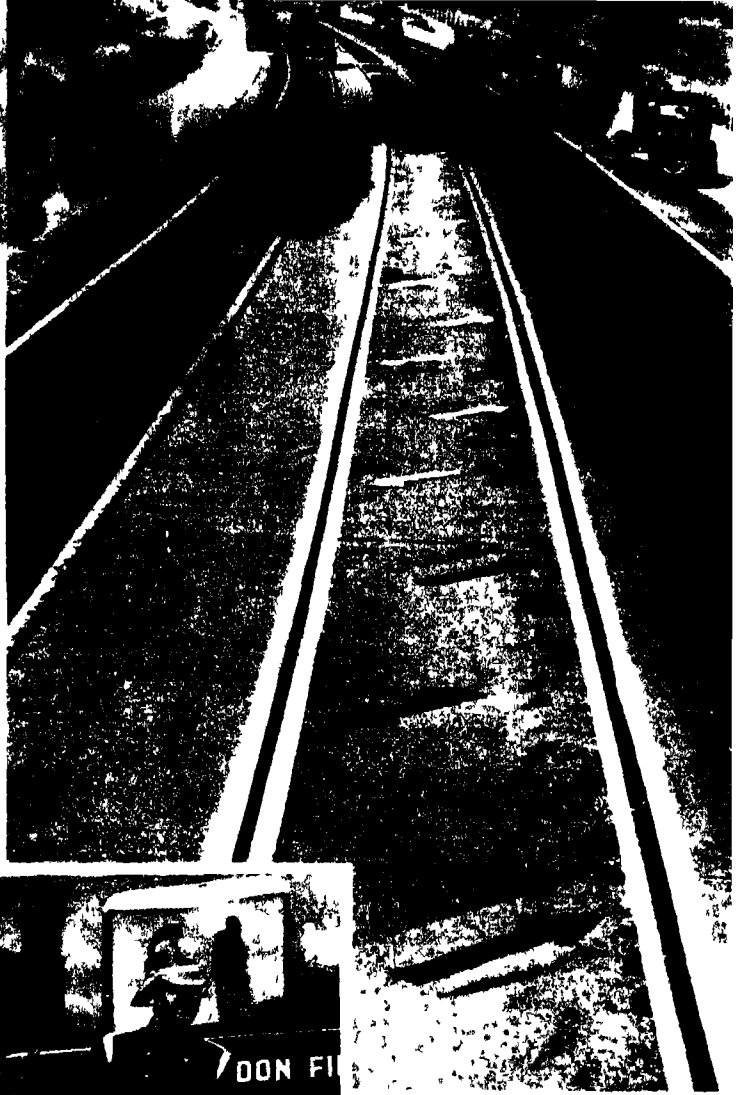
بدىء فى مدينة لندن بصنع ملابس خاصة لرجال اطفاء الحريق من الحجر المعدنى (Asbestos) وهو مادة غير قابلة للاحتراق . وبهذا يتيسر لمن يغطى بها جسمه كله أن يلقى بنفسه وسط النيران وهو آمن شرها . ونرى فى الصورة أحدهم مرتديا هذا اللباس الجديد الذى ستتخذه على الأخص من يكلفون باطفاء الحرائق التى تشب فى الطائرات ، كي ...كنوا من اقتحام النيران وانقاذ الركاب.

العناية الطبية بالوحوش

يقضي نظام حديقة الحيوانات بمدينة لوس انجيلوس بأمريكا أن يكشف طبيب الأسنان مرتين كل شهر على أسنان وحوشها وقاية لها من الأمراض . وترى في هـــذه الصورة الطبيب وهو يفحص أسنان أحد الأسود وقد فتح الأسد فمه في هدوء ووقف راضياً كأنه يعلم أنهم يريدون به الخير

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

الاحلام تنبىء عن المستقبل

وتوحى الى الادباء والفنانين

عالم الاحلام هو العالم الذى يستوى فى الحولان فيه الغنى والفقير ، والملك والحقير ، والكبير والصغير . ومع أن الانسان فى هذا القرن قد بلغ شأواً بعيداً فى العلم والفلسفة ، إلا انه قد عجز عن استجلاء غوامض الاحلام والتحكم فيها

يرى الانسان فى الحلم مناظر غير طبيعية ويشهد حوادث تتناهى فى غرابتها وسرعة تتابعها وعدم ارتباط بعضها ببعض . ومعظمها يبلغ الدرجة القصوى من حالات النفس المختلفة ولا يقف عند حد وسط . فأنت لا تبتسم فى الحلم بل تضحك وتقهقه ، ولا تتنهد بل تبكي وتشهق ، ولا تتكلم همساً بل تصرخ وتصيح . كل ذلك دليل على أننا لا نلزم فى أحلامنا أوساط الأمور بل أقصى درجاتها

وقد يكون موضوع الحلم فى حد ذاته اعتيادياً تافها ، ولكن المشاهد التى يتألف منها تكون فى أغلب الأحيان غريبة غير مألوفة . فأنت لا تمشى فى الحلم مشيا طبيعيا بل تركض أو تتزحلق . واذا أحدق بك الخطر شعرت بثقل خطوتك كأن قدميك قد أوثقتا بسلاسل تمنعك من الحركة . وكثيراً ما يخيل اليك انك على شفير جرف هار وتحت قدميك هوة لا قرار لها وأنت على قاب قوسين من الموت !

فالاحلام ليست دائما مشاهد منطقية معقولة . نعم انها قد تبدأ على وجه معقول ولكنها تمتزج بعد قليل بمشاهد غير معقولة تجعلها مضطربة مرتبكة

وما من انسان ينجو من الاحلام . ولكن من الناس من يحلم كثيراً ومنهم من لا يحلم إلا نادراً . ومع ذلك فان الذين لا يحلمون إلا نادراً تعوتهم اختبارات كثيرة تخرجهم من المعيشة المسئمة التى يسيرون فيها على وتيرة واحدة . فقد يحلم الأعمى أنه يسير فى الطريق بعينين مبصرتين ، وقد يحلم الأعرج بأنه يركض فى الطريق وساقاه سليمتان . وكل ذلك يخرج به عن معيشته الاعتيادية المضجرة الى حياة جديدة

وكثيراً ما يدعى مفسرو الاحلام بأن الاحلام تفسر بعكس ما تشف عنه . فاذا حلمت عن وفاة صديق كان معنى ذلك أنه ـ هو أو أحد أفراد أسرته ـ سيتزوج قريبا. واذا حلمت بانك جائع كان معنى ذلك أنك مقبل على سعة من العيش والرخاء . وفى الواقع ان الانسان قد سعى من أقدم الأزمنة الى استطلاع كنه الاحلام واستقصاء معانيها . وقد ذهب « فرويد » وهو أكبر علماء البسيكولوجيا فى الوقت الحاضر الى أن الاحلام هى نتيجة الرغبات الصادرة عن الارادة الباطنية ، وهى رغبات تكمن فى نفس كل انسان منذ طفولته

وقد اتفق ان كانت الاحلام فى أحوال كثيرة نذير شؤم ونكبات . وكاتبة هذه السطور تعرف شخصا حلم بأن الباخرة « تيتانيك » سوف تنسف وتغرق . وذكر من يعتمد على أقوالهم أن فتاة انجليزية كان والدها فى ميادين القتال بفرنسا فى الحرب الكبرى حلمت غير مرة بما كان يقع لأبيها ، وكانت تقص أحلامها على أمها فاذا وصلت رسائل أبيها أيدت أقوال الفتاة

وقد يكون الحلم بمنزلة التحذير أيضا كما روى بعض علماء النفس وكما أيدت ذلك شهادات الكثيرين ممن يوثق بأقوالهم . وكثيراً ما أثر ذلك التحذير فى تصرفات صاحب الحلم وأعماله . وعليه فقد يمتنع الانسان عن السفر لانه حلم حلما أنذره بوجوب الامتناع . وقد يؤجل أعمالا أخرى كثيرة لذلك السبب عينه

والجد أكثر من الهزل فى الاحلام . بل هى بوجه الاجمال مجردة مما يشف عن الهزل أو الأمور المضحكة . ومع ذلك فقد روى بعضهم أموراً مضحكة وقعت لهم فى أحلامهم

ومما يروى عن فيكتور هوجو كبير رواة فرنسا انه كثيراً ما كان يحلم أحلاما يتخذ منها العبر ويجعلها أساسا لرواياته . ولذلك كان يستيقظ كل يوم عند الفجر ويدون خلاصة حلمه ليجعلها أساسا لرواية جديدة . وذكر روبرت ستيفنسون الروائى الشهير فى كتابه « فى وسط السهول » أن معظم الافكار التى أدرجها جاءته عن طريق الاحلام

ومما يروى من هذا القبيل أن موزار الموسيقى الشهير حلم حلما مكنه من نظم أحسن قطعه الموسيقية . وكذلك وقع « لتارتينى » الموسيقى الشهير فانه عجز مرة عن استنباط لحن معين وقضى بضعة أيام فى محاولة ذلك فلم ينجح ، وأخيراً حلم حلما ساعده على حل مشكلته . ذلك أنه رأى فى منامه ابليس واقفا الى جانبه وقد أمسك بكمنجته وأخذ يعزف عليها اللحن الذى كان تارتينى يسعى لاستنباطه . وللحال استيقظ هذا من نومه ودوّن اللحن لكى لا ينساه وسماه « نشيد ابليس » ولا يزال يعرف بين الموسيقيين بهذا الاسم الى هذا اليوم

وقد روى بعض علماء النفس حلما علميا غريبا . ذلك أن أحدهم كان يسعى لحل عملية حسابية عويصة . وقضى عدة أيام محاولا ذلك والعملية مستعصية عليه حتى كاد ييأس منها . وفى ذات ليلة

رأى فى نومه اعرابياً واقفاً أمامه يخاطبه ، وبعد حديث أوحى اليه بطريقة حل العملية . وعلى أثر دلك استيقظ الرجل ودوّن الحل

ومن أغرب ما تمتاز به الاحلام سرعة تتابع الحوادث التى تقع فى أثنائها حتى كأن الوقت لا قيمة له على الاطلاق . روى بعضهم انه حلم بأنه انتظم فى فرقة معينة فى الجيش وخاض احدى المعارك ، فهرب ثم قبض عليه وحوكم أمام احدى المحاكم العسكرية وصدر عليه الحكم بالموت . وقد جرى دلك كله فى مدة بضع دقائق ، إد لم ينقض بين اغفاءة الرجل ويقظته سوى دقيقتين أو ثلاث . وأمثال هذه الاحلام كثيرة وجميعها تمتاز بسرعة الحوادث التى تقع فيها

أما الاحلام المزعجة ـ وتعرف بالكابوس ـ فكثيرة ، وقلما ينجو منها أحد . وهى تمتاز بسرعة تتابع حوادثها بحيث لاتستغرق سوى بضع دقائق بل بضع ثوان . وأكثرها ينتهى بيقظة يستمر معها شعور الفزع والاضطراب المصحوب أحيانا بشعور التشاؤم . وعلى كل فان الاحلام لا تزال سراً مستغلقا على العلماء

[خلاصة مقالة للسيدة هنريتا لرلى . نشرت فى مجله ومان سفير]

فى وسعك أن تبقى شابا

من دون أن تلجأ الى دواء أو علاج

ما من امرأة إلا وتود أن تظهر بأنها أصغر سنا مما هى بعشر سنوات . وما دام فى وسعها تحقيق هذه الأمنية فليس لها عذر اذا هى أهملت تحقيقها ، وخاصة أن دلك لا يكلفها عناء كبيراً فكل ما يقتضيه الأمر هو مراعاة شروط الغذاء والرياضة والعمل والنوم كما يجب . وكل امرأة تراعى هذه الشروط تشعر أن شبابها قد عاودها وأنها ستحتفظ به على الدوام

خذ مسألة الغذاء . اننا نخطىء فيما نتناوله من صنوف الأطعمة والأشربة ونلتهم كل ما يقدم الينا غير مراعين إلا شهوة الأكل ولا مكترثين إلا لملء بطوننا . وفى الواقع انه ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه . وقد اعتاد الاكثرون أن يملأوا معدهم منذ الصباح بما لا قبل لهم بهضمه أو بما لا يفيدهم فائدة حقيقية . مع انهم لو اقتصروا فى الصباح على الفواكه مثلا لكان دلك خيراً لهم وأجدى ، ولوجدوا أن نشاطهم وقوة احتمالهم وصفاء خاطرهم على أحسن ما يتمنون

ولسنا نلقي الكلام على عواهنه وانما نبنى ما نقوله على أحدث ما أسفرت عنه المباحث العلمية فى خواص الفيتامينات وما لها من علاقة بمختلف أنواع المواد الغذائية . ولا يخفى أن الانسان ميال الى أكل الفاكهة وهذا من حسن حظه ، لان الفاكهة مصدر الكثير من أنواع الفيتامينات ،

وقد اختارتها لنا الطبيعة وأغرتنا بأكلها طازجة غير مطبوخة وغير معالجة باصناف الدهان والريوت والمتبلات والأفاويه التى نعالج بها الأطعمة المطبوخة

ولا يقتصر أثر الطعام على حالة الصحة بوجه الاجمال فقط ، بل يتعدى ذلك إلى لون البشرة والشعر أيضا . وتدل أحدث المباحث العلمية على أن مرجع بياض الشعر الى نوع الغـذاء قبل كل شيء

ليس الغذاء هو العامل الوحيد الذى يجب مراعاته اذا أريد استدامة الشباب ، بل هنالك عوامل أخرى كثيرة كما تقدم وجميعها شروط يجب مراعاتها، وفي مقدمتها أن يأخذ الانسان قسطه من نور الشمس والهواء، ولاشك فى ان الذين يستوفون قسطهم من هذين العاملين يتمتعون بشباب طويل الأمد ويستطيعون أن يظهروا من النشاط مالا يستطيعه غيرهم ممن هم أصغر منهم سناً ولـكنهم أقل نصيباً من نور الشمس والهواء

وعليه فان العاقل الذى يريد أن يتمتع بشبابه كما يجب لابد له من استيفاء نصيبه من ذينك العاملين الطبيعيين

وهنالك عامل آخر من عوامل الشباب الدائم وهو الرياضة البدنية بالاعتدال . نقول بالاعتدال لان الافراط في ممارسة تلك الرياضة مقصر للعمر كما تدل على ذلك احصاءات شركات التأمين فى أنحاء العالم . وتعليل ذلك أن الافراط فى الرياضة يعنى الافراط فى قوى الجسم واستنفادها . وفى ذلك ما فيه من أسـباب تقصير الحياة أو قل تقصير أيام الشباب . وأما الاعتدال فى الرياضة فمن الاسباب التى تساعد على الاحتفاظ بقوة الشباب ونشاطه

وتنظيم ساعات العمل والراحة والنوم عامل آخر من عوامل اطالة الشباب والتمتع به ، وعدم تنظيم تلك الساعات مما يجعل الانسان فى اضطراب مستمر

على أن أهم عامل يساعد على الاحتفاظ بنشاط الشباب هو العامل النفسانى ، ومعنى ذلك أن المرء يجب أن يكون فى تفكيره وعمله ـ بل فى كل خطوة من خطوات حياته ـ شاباً بمعنى الـكلمة . وعليه أيضا أن يمتنع عن التفكير فى أى شيء يزعجه أو يحزنه . فان الافـكار السوداوية والمحزنة تقصر العمر وتذهب برونق الشباب . فاذا خطرت لك فكرة محزنة فقاومها بالرجوع الى الذكريات القديمة المفرحة وبالتعلل بالأمانى الجميلة . وقد قيل ان فى وسع الانسان أن ينتهى الى الحالة التى يطيل التأمل فيها . فاذا أطال التأمل فيما يفرحه وتناسى ما يحزنه أطال زمان شبابه بل أطال عمره ومتع نفسه بما يشتهيه

فالشباب الدائم هو في وسع كل امرىء وفى متناول كل من يراعى شروطه ويقبل قيوده . والحياة كما نريدها ، فاما نعيم وهناءة ، واما شقاء ومتاعب

[خلاصة مقالة للسيدة ديسموند . نشرت فى مجلة السيكولوجيا والوحى]

مباريات الجمال لا تظهر الجمال

لأنه معنى وروح لا أقيسة وموازين

لامشاحة فى أن النساء اللواتى يمتزن بجمال المنظر كثيرات يملأن المخازن والمكاتب والمعامل والمدارس وسائر ميادين الحياة . على أن ذوات الجمال الحقيقى قليلات جداً . ذلك لأن الجمال ليس صفة مادية فقط بل هو معنى روحانى أيضاً

وقد درج الناس منذ أقدم الأزمنة على اعتبار المرأة رمزاً الى الجمال الروحانى . والجمال الروحانى فى نظرهم مزيج من الاعتبارات العضوية والنفسانية والشهوانية . ولولا هذه الاعتبارات لكان الجمال صفة تافهة لامغزى لها ولا قيمة

ومع كثرة النساء اللواتى يمتزن بجمال المنظر كما قلنا ، نرى المجتمع فقيراً جداً فى النساء اللواتى يمتزن بالجمال الحقيقى . وبعبارة أخرى ـ أن فى العالم فتيات كثيرات يصلحن للعرض فى مخازن الأزياء ومحال البيع والشراء وفى السوق عامة . ولكن اذا استثنينا بعض أولئك الفتيات لم يبق أمامنا سوى مخلوقات يعوزهن الكثير من شروط الجمال الحقيقى . ذلك لأن الجمال فى هذا العصر قد أصبح سلعة يتاجر بها ، وهذه السلعة يجب أن تتوافر فيها أقيسة معينة من حيث الطول والعرض والثخانة والنحافة والثقل وهلم جرا . أما شروط الجمال الحقيقى ـ الجمال الروحانى الفاتن ـ فليس من الضرورى توافرها . ولهذا ترى نظرات أولئك الفتيات ولفتاتهن وحركاتهن وابتساماتهن واقوالهن جميعها خالية من معنى الجمال الحقيقى . فجمالهن سطحى لايجاوز بشرتهن ولا يحتاج المرء إلا أن يتفرس فيهن ويستمع أقوالهن حتى يثبت له انهن مجردات من معنى الجمال

أما مباريات الجمال فعمل عقيم لامغزى له على الاطلاق ، بل إنه من أسخف المباريات التى يقبل عليها أهل هذا الزمن . وقد لبى كاتب هذه السطور عدة دعوات للفصل والحكم فى تلك المباريات ، ولم تكن تلبيته لها إلا على سبيل التفكهة . وكثيراً مامنحت احدى الفتيات جائزة الجمال ، وهى أبعد ماتكون عن الجمال الحقيقى . وما كانت لتفوز بتلك الجائزة لولا أسباب ليس هذا مجال التوسع فيها ، وانما هى اعتبارات شخصية بينها وبين الجمال مابين الارض والسماء . وغنى عن البيان أن الفتيات اللواتى يمتزن بالجمال الحقيقى يرفضن دخول تلك المباريات ولا يسمحن لأنفسهن بالانحطاط الى ذلك المستوى الذى يعبث فيه بمنحة الجمال الروحانى

والفتاة التى تمتاز بالجمال الحقيقى تجمع فى ملامحها ومرآها وشكلها وصوتها وابتسامتها وحركاتها كل الصفات التى اشتهرت بها النساء الجميلات فى التاريخ ، ومع ذلك فلكل جيل ولكل عصر جميلاته وحسانه ، من عصر هيلانة اليونانية الى هذا اليوم . ولا شك أن هناك سراً غامضا تشترك

فيه جميع النساء الجميلات ـ قديماً وحديثاً ـ وهو مصدر جمالهن ومبعثه . ولعل هذا السر هو العنصر الأساسى الوحيد للجمال . أما العناصر الاخرى فتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأذواق والمشارب

لقد تسنى لكاتب هذه السطور أن يصور الكثيرات من النساء الجميلات ـ وأكثرهن من المتحليات بجمال المظهر فقط . وجمال المظهر فى حد ذاته صفة تافهة لاقيمة لها اذا اكتفت بها المرأة ظهرت صورتها مجردة من معانى الجمال الحقيقى . ومن معانى الجمال الحقيقى الرقة والدماثة واللطف والمرح ودقة الاحساس والعواطف والشعور ـ غير الشعور الشهوانى ـ وكثرة الحركة والنشاط وحضور البديهة وسرعة الادراك الى غير ذلك من الصفات التى هى قوام جمال المرأة . ومن مكملات تلك الصفات أن تكون المرأة رزينة حادة غير هازلة . فاذا توافرت فيها هذه الصفات فليس من المهم أن تكون ممشوقة القد أو نحيلة القوام أو غليظة الشفتين ، فان الجمال الروحانى فوق الجمال الجثمانى ، ومن دونه لايمكن أن تكون أية فتاة ذات حسن يذكر

واذا كان لابد من ذكر شروط الجمال الجثمانى ، فى مقدمتها طول القامة وتناسب المنكبين وكثافة الشعر ـ أسود كان أم غير أسود ـ وطول الاهداب ، ودقة الأنف واستقامته ، واستدارة الفم وصغره ، وابيضاض الاسنان ، وبروز النهدين ، وتناسب اليدين والساقين فى الطول والتخن والنحافة .. على أن يكون الوجه بيضوياً والعينان لوزيتين . هذا هو نموذج الجمال المادى ، وهكذا يجب أن تكون المرأة الحسناء

على أن الفتاة التى تستوفى هذه الشروط من شروط الجمال المادى وتكتفي بها هى بعيدة عن الجمال الحقيقى بعد الارض عن السماء . ويزيدها بعداً عنه شعورها ـ أو ادعاؤها ـ بأنها جميلة ومباهاتها بذلك الجمال . وفى الواقع أنه لاشىء ينقص جمال المرأة كغرورها وزعمها انها ذات جمال فتان . وأن فتنتها وجمالها يخولانها الحق فى الظهور بمظهر الدلال . فالدلال قد يكون من شروط الجمال اذا كان مجرداً من الغرور والمباهاة . والوداعة قد تكسب الفتاة الاعتيادية جمالا فاتناً وكم بالأحرى الفتاة الحسناء . ومن الفتيات من يزعمن أن جمالهن يبيح لهن أن يفعلن مايبدو لهن وأن لايتقيدن بقيد أو قانون . ويعتقدن انهن باستعمال المساحيق والمعجونات وأدوات الزينة يستطعن أن يستبين العقول ويتحكمن فى قلوب الناس كما يحلو لهن . نعم ان المرأة تستطيع تحسين ماتصنعه الطبيعة بالطرق الصناعية ـ أى «بالرتوش» ـ ولكنها اذا اكتفت بذلك «الرتوش» على رغم أنه يكسبها الجمال الفاتن فقد اخطأت ، لأن جمالها يكون إذ ذاك جمال تمثال بديع الصنع ولكن لا حياة فيه

[خلاصة مقالة للاستاذ مونعميرى فلاج . نشرت فى مجلة ريدرز دايجست]

هل العالم صائر الى الجنون

وهل الحضارة الحديثة تضعف قوانا العقلية ؟

يزعم فريق من الناس أن قوى الانسان العقلية صائرة الى الضعف وانها اذا استمرت كذلك فسيأتى يوم يصبح فيه أكثر الناس مجانين . ويزعم أولئك الناعقون بالشؤم أن نصف المرضى الذين يعالجون اليوم فى مستشفيات أوربا وأميركا ـ ولايقل عددهم عن بضعة ملايين ـ هم مصابون بالأمراض العقلية ، وان الاحصاءات الموثوق بها تدل على أن عددهم قد تضاعف خلال نصف القرن الاخير . وتدل تلك الاحصاءات أيضا على أن الحالة متماثلة فى جميع أنحاء العالم ـ لا فى بلاد الغرب فقط ـ أى أن الأمراض العقلية آخذة فى الانتشار . أضف الى ذلك أن حوادث الانتحار تزداد زيادة مطردة وهى دليل على انتشار الامراض العصبية واشتدادها

فاذا صدقت هذه المزاعم وكانت صورة المستقبل ـ أى مستقبل المجتمع العمرانى ـ قاتمة مظلمة ، ترى كيف تكون حالة الحضارة اذا ظلت الأمراض العصبية والحالة النفسية العامة تنتقل من سيء الى أسوأ ؟ وكيف يمكن انقاذ البشرية ما دامت أعمال الرحمة الكاذبة تسعى لانقاذ المعتوهين وضعاف العقول والاجسام الذين لا يصلحون للبقاء

ومن حسن حظ البشرية أن ما يقوله أولئك الناعقون ليس سوى مزاعم فاسدة وفى الامكان دحضها بحجج دامغة . فلا يخفى أن علم الطب وتشخيص الأمراض قد تقدم فى هذا العصر تقدماً عظيما . فصار من السهل اكتشاف الأمراض التى كانت تخفى قديما على الطبيب . واكتشافها يوهم المرء أنها قد زادت مع أن الحقيقة هي أن تلك الأمراض لم تكن فى الأزمنة الماضية أقل مما هى الآن ، وانما كانت فى تلك الأزمنة تخفى على الطبيب الفاحص ، ولاتخفى عليه فى هذا العصر . وبعبارة أخرى ان اكتشاف الأمراض يوهم الناس أنها قد زادت . فالأمراض العقلية لم تزد على ما كانت عليه قديما ، ولكن الطبيب يعرفها اليوم بسهولة . وبعد ان كان الناس قديما يحسبونها أعراضا بسيطة صاروا يعرفون حقيقتها معرفة تامة . وهذا سبب زيادتها فى الاحصاءات ـ وهى فى الحقيقة زيادة ظاهرة فقط

إن فى كل فرد من أفراد الاجتماع ميلا الى اظهار المزاج العصبى . وهذا الميل الكامن كان مجهولا من قبل ولكنه معروف اليوم . ونحن نحسبه من الاعراض الشاذة وهو فى الحقيقة ليس كذلك . واذا كانت المستشفيات ملأى بالمصابين بالأمراض العقلية كما يزعم البعض ، فليس ذلك دليلا على ازدياد تلك الامراض . لان الامراض الاعتيادية لا تحبس المريض فى المستشفى سوى بضعة أيام يخرج على أثرها ويحل محله فى المستشفى مريض ثان فثالث . مع أن المرض العقلى يحبس المرء فى

المستشفى عدة أسابيع بل عدة أشهر . فيخيل الى المرء ان نصف مرضى المستشفيات هم مصابون بالامراض العقلية . مع انه بازاء كل مريض بالامراض العقلية يتبدل فى المستشفى أربعة أو خمسة أو أكثر من المصابين بالأمراض الاعتيادية

أضف الى ذلك أن الناس قديما كانوا يخجلون من الاصابة بالامراض العقلية فيكتمونها ولا يعرضون المصاب بمرض عقلى على الطبيب . أما الآن فقد تغيرت نظرة الانسان الى ذلك المرض وصار لا يخجل من استشارة الطبيب

وهنالك تعليل آخر للزيادة الظاهرة فى الامراض العقلية وهى زيادة متوسط عمر الانسان بفضل تقدم علم الطب . فالذين يبلغون حدود الشيخوخة والهرم هم أكثر اليوم منهم بالأمس . وغنى عن البيان أن الهرم كثيراً ما يكون مصحوبا بضعف القوى العقلية . والناس يؤولون هذه الظاهرة بزعمهم أن الأمراض العقلية آخذة فى الزيادة

أما القول بأن تشعب مطالب الحياة وازدياد همومها مما يؤدى الى ازدياد الامراض العقلية فلم يقم عليه دليل قاطع . والمباحث التى قامت بها بعض الجمعيات العلمية فى أميركا فى السنة الماضية تثبت أن الضائقة المالية التى اجتاحت العالم فى خلال الستة الأعوام الأخيرة لم تسفر عن أية زيادة في الأمراض العقلية

[خلاصة مقالة للاستاذ هاربورث كراودر . نشرت فى مجلة سرفاى جرافيك]

الراهبات يمرضن بتأثير الوهم

وامراضهن النفسية تنتشر بالعدوى

كثير من المظاهر التى كان الناس فى العصور الوسطى يحسبونها من عمل الشياطين والأرواح الشريرة قد أصبحت الآن فى نظر العلم من الأمراض النفسية التى لاعلاقة لها بتلك الأرواح

ولعل أول حادث رواه المؤرخون من هذا القبيل حادث راهبات دير كمراى الذى وقع فى سنة ١٤٩٤ . فقد أصيبت راهبات ذلك الدير يومئذ بمرض نفسانى قيل انه نتيجة عمل الشياطين . ووجهت التهمة الى جنة بوتيير ــ احدى الراهبات ــ بانها سحرت رفيقاتها فحلت فيهن الأرواح الشريرة ، وبناء عليه حكم عليها بالسجن المؤبد . إلا أن الراهبات بقين أربع سنوات تحت تأثير اعتقاد غريب لم يمكن ازالته من مخيلاتهن ، وهو أن الشياطين قد حلت فيهن ومسختهن حيوانات مختلفة . فكان بعضهن ينبحن كالكلاب وبعضهن يموْن كالقطط ويركضن فى الغرف مقلدات مختلف الحيوانات والطيور

ووقع مثل دلك فى دير « ايفرتيت » بعد ذلك بنحو ستين سنة . فكانت راهباته يأتين اعمالا جنوبية سبها الناس يومئذ الى الشيطان ، ولا شك انها كانت ضربا من الهستيريا إذ كانت أولئك الراهبات ينتقلن من الضحك الى البكاء الى الخوف الى الحزن فى أقل من لمح البصر ، وكان يخيل الى بعضهن ان ارواحا غير منظورة تجذبهن فى الليل من أسرتهن وتوقعهن على الارض وتعقد السنتهن عن الكلام . وكثيراً ماكان بعضهن يتقيأن سائلا اسود اللون حريفاً لادعا الى حد أنه كان يسلخ شفاههن

ووقعت أمثال هذه الحوادث فى ديور كثيرة فى أوربا فى تلك العصور . واشتهر يومئد دير كنتورب (بالقرب من مدينة ستراسبورج) بان راهباته جميعهن أصبن بمرض روحانى من عمل الشيطان وبأن الأرواح الشريرة حلت فى أجسامهن . فكن يصرخن ويأتين اعمالا لاشك فى كونها ضربا من الهستيريا . إلا أن الراهبات اتهمن طباخة الدير بأنها قد سحرتهن ، فقبض الرؤساء عليها وعلى أمها واحرقوهما معاً

وفى سنة ١٥٦٠ أصيبت راهبات دير الناصرة بمدينة كولونيا بمرض الهستيريا الذى كان يتنقل يومئذ من مكان الى مكان والناس يحسبونه من عمل الشيطان،ولوحظ فى دلك الحين ان الراهبات صرن يتفوهن بأقبح الألفاظ المنافية للدين والآداب . ومن حسن الحظ أن التهمة لم توجه فى هده المرة إلا الى كلب زعم القوم أنه هو سبب الأرواح الشريرة التى عبثت بأولئك الراهبات

وفى سنة ١٦٠٩ وقع فى دير سان أورسالا بمدينة اكس حادث غريب . دلك ان راهبة تدعى مادلين ادعت ان طائفة كبيرة من الشياطين قد حلت فيها . وادعت راهبة أحرى تدعى لوير أن ثلاثة أرواح شريرة قد حلت فيها . وادعت كلتا الراهبتين أن سبب حاول نكبتهما رجل يدعى لويس جوفريدى من أهالى تلك المدينة . فقبض عليه وعذب عذابا اليما أفضى به الى الجنون . ولما جن اعترف بصحة التهمة بل اعترف باكثر من ذلك إذ زعم أنه من عبدة الشيطان . فأمر أصحاب السلطة باحراقه حياً ، فاحرق وألحق بفتاة عمياء أحرقت هى أيضا بتلك التهمة عيها ، ولكن الراهبات لم يشفين

وأشيع يومئد ان عدواهن انتقلت الى راهبات البريحيتين بمدينة ليل . واتهمت هؤلاء الراهبات رفيقة لهن تدعى «مارى دى سنس» بانها سحرتهن ،مع ان هذه الراهبة كانت مشهورة بالورع والتقوى . فقبض عليها ورجت فى السجن حيث ظلت سنة كاملة تنكر التهمة . واخيراً حيل لها انها مسئولة حقيقة عن مصيبة رفيقاتها فاعترفت بصحة التهمة وادعت بانها قتلت وخنقت الوفا من الاطفال ونبشت قبور الكثيرين وارتكبت من الفواحش ماتبرأ منه الأبالسة وادعت أيضا بأن الشيطان كان يحرصها على كل دلك . وعليه حكم عليها بالسجن المؤبد ولا شك انها أصيبت بالخبل أو الهستيريا وان هدا هو ماحملها على اعترافاتها الكاذبة

وكانت راهبات معظم الديور فى تلك العصور يمارسن أشد انواع التقشف وقمع النفس حذراً من حلول الأرواح الخسة فيهن . وقلما كان يخلو دير من راهبات مأخوذات بذلك الاعتقاد . وكان المشى فى النوم (السمنمبوليسيم) غير مفهوم علمياً فى ذلك العصر، واتفق أن راهبة أحد الديور فى لودون كانت معتادة أن تمشى فى نومها فلما عرفت رفيقاتها ورئيسة الدير ذلك عزون ما بها الى السحر وزعمن ان الارواح الشريرة تسكنها

واستولى الوهم على راهبات دير آخر فزعمت الرئيسة ان بها سبعة شياطين (وذكرت اسماءهم) وزعمت راهبة أخرى ان بها شياطين أكثر . وانتهى الأمر بان أصبحت كل راهبة تعتقد أن بها عدداً معيناً من الشياطين تعرفهم بأسمائهم واشكالهم

وهنالك حوادث أخرى كثيرة من هذا القبيل لايتسع لها هذا المكان وكلها دليل على ان الامراض العقلية ـ كالأمراض الجسيمة ـ تنتقل وتنتشر بالعدوى حتى تصبح وافدة

[خلاصة مقالة للاستاذ ادوارد اولباك . نشرت فى مجلة مودرن سيكولوجست]

انجلترا بلاد التقاليد

طرائف عن التقاليد التى يحافظ عليها الانجليز

في انجلترا مئات من التقاليد التى يراعيها الشعب الانجليزى أدق مراعاة ويتشدد فى المحافظة عليها حتى فى أثناء قيامه بأعماله اليومية الاعتيادية . وأى دليل أصدق على هـذا القول من أن الملاحين الانجليز اذا فرغوا من عملهم اليومى وأرادوا إعادة الخيـل الى حظائرها زينوا أعناقها بأكاليل الأزهار . وملاهى التمثيل ودور السينما وميادين الألعاب الرياضية تختم كل حفلة من حفلاتها بنشيد الملك . وحفلة افتتاح البرلمان انما هى مجموعة أعمال وتقاليـد قديمة يخيل الى من يشاهدها أنه لا يزال فى العصور الوسطى . فالملك يذهب الى البرلمان فى مركبة مذهبة . وأعضاء مجلسى النواب واللوردات يستدعيهم رجل يسمى منذ سنة ١٣٥٠ بحامل العصا الـسوداء ، وسبب هذه التسمية أنه يحمل بيده عصا مصنوعة من الآبنوس الاسود

ومن عادات الانجليز الراسخة أنهم لا يجلسون الى مائدة العشاء الا وهم لابسون الثياب السود الخاصة وتعرف عند العامة «بالسموكنج» . وأهالى لندن يشاهدون فى صباح كل يوم صاح أو ماطر مائة رجل من الحرس أمام قصر بوكنهام (أو أمام قصر سنت جيمس اذا كان الملك غائبا) وكلهم بمعاطف حمر يبدءون فى مشيتهم أمام القصر ذهابا وإيابا من الساعة العاشرة والنصف صباحا لا يلتفتون يمنة ولا يسرة ولا ينبسون ببنت شفة كأنهم أصنام متحركة، وفى أثناء ذلك كله تعزف الفرقة العسكرية.

وأعضاء هذه الفرقة يلبسون قبعات مصنوعة من جلود الدببة المكسوة بالفراء ، والفراء تتدلى على عيونهم فتمنعهم من رؤية ما أمامهم . ولذلك يضطر بعض الصبية أن يمسكوا « بالنوتة » الموسيقية بأيديهم ويضعوها أمام عيونهم ليستطيعوا رؤيتها

وقد تقول للانجليزي ان المحافظة على هذه التقاليد مضيعة للوقت والمال فيجيبك متبسما : « قد يكون الأمر كما تقول ولكن لا بأس » ويردف كلامه بهز منكبيه . ذلك لأنه يرى فى المحافظة على التقاليد القديمة عاملا من عوامل الدوام والاستمرار والقوة فضلا عن عامل الاتصال بالاجيال الماضية

وفى الواقع أن الانجليزي لا يتقيد بالتقاليد فى أحوال معينة فقط بل هو يتقيد بها فى كل مكان وزمان وفى جميع أعماله ومعيشته . فرجال المال يراعون عادات وتقاليد ترجع الى مئات من السنين ، وهم يعتبرونها من ضمن العوامل التى أدت الى نجاحهم وعظمتهم ، فبعض موظفى المصارف يلبسون ثياباً من زى معين ولون معين وقبعات عاليـة . ورجال الأعمال يلبسون « جاكتات » قصيرة وقبعات مستديرة من النوع المسمى « دربى » أو « هومبورج » . وكل قاض ومحام يلبس شعراً عارية أبيض اللون لا يقل ثمنه عن عدة جنيهـات ، والانجليز يستسهلون دفع ذلك الثمن فى سبيل صيان العدل ويحسبون ذلك الشعر العارية رمزاً الى العدل البريطانى المشهور . واذا ذهب المرء الى مصرف (كوتس وشركاه) ـ وهو المصرف الذى يعامله جلالة الملك ـ وأراد قبض مبلغ من المال ، قبض ذلك المبلغ عن يد رجل وقور المنظر لابس (جاكتة) من النـوع المسمى (فروك) . واذا كان المبلغ عبارة عن نقود فضية دفعه اليه ذلك الرجل بمجرفة خاصة . وجميع رجال هذا المصرف وموظفيه يلبسون (الفروك) منذ انشاء المصرف ولا يرون داعيا الى تغيير هذا التقليد

وفى حى الأعمال بمدينة لندن ـ ويعرف (بالستى) ـ مظاهر أعمق فى القدم وأدل على حب الانجليز للمحافظة على التقاليد . فهنالك نقابات يرجع بعضها الى القرن الثانى عشر كنقابة (مطرقى أسلاك الذهب والفضة) ونقابة (صانعى الأحذية) ونقابة (صانعى الشاشيب) وغيرها من النقابات التى لا تزال باقية بالاسم ولكنهـا مجردة من جميع الامتيازات . ومن أغرب ما يذكر فى هـذا الصدد أن لنقابة (صانعى النظارات) ـ وهى من أقدم النقابات ـ الحق فى أن تطأ وتكسر كل نظارة لا تكون مستوفية شروط صنع النظـارات . ولكل من نقابتى (باعة الخمور) و (باعة الأصباغ) حق اقتناء الأوز وتعويمه على نهر التيمز ! . .

وغنى عن البيان أن النقابات أنشئت فى الأصل للدفاع عن حقوق الصناع والعمال . ومع أن « اتحادات العمال » قد حلت اليوم محلها فى القيام بوظيفتها الأصلية فلا تزال النقابات باقية الى هذا اليوم وهى فى نظر العامل الانجليزى رمز ظاهر الى كونه يستطيع الاطمئنان الى عمله

ومن تقاليد الانجليز القديمة أنه فى اليوم الأول من شهر مايو من كل عام يخرج حراس برج

لندن ـ ويعرفون باسم أكلة لحم البقر ـ بأبهة وخفخة عظيمتين وهم لابسون الثياب المقصبة التى يرجع زيها الى عصر التيودور . فيدورون حول البرج وهم يقرعون جدرانه بالعصا رمزاً الى أنهم يعينون حدود ذلك البرج ليعرفها الجمهور . وفى اليوم الأول من شهر مايو أيضا يخرج وكلاء الكنيسة فى عدة أبروشيات يحملون بأيديهم أغصاناً خضراء وهم يقولون : «ان الانجليزى يعرف ما له وما عليه »

وقد يمر عابر السبيل بقصر سنت جيمس فى لندن فيرى فى فناء القصر نحو خمسمائة جندى بثياب من المخمل الاسود وبنطلونات قصيرة وقبعات ذات حواف مقلوبة الى فوق وفى أرجلهم خفاف ذات أزرار فضية . ومهمة هؤلاء الجنود القيام بحملة عرض مرتين أو ثلاث مرات فى السنة فى حفلات الاستقبال الملكية الصباحية، وفى تلك الحفلات ترى بعض اللوردات خارجين من بوابة القصر فى مركبات تعود بالذاكرة الى عصور الاقطاع . وقد بدا كل من اللورد وسائق المركبة والوصيف بثياب لا يشف مرآها عن شىء من التناسق

أما نظام الألقاب فى انجلترا فلا يقصد به تمجيد طبقة الأشراف النبلاء كما قد يتبادر الى الذهن، بل احترام كل طبقة من طبقات الشعب . فعدد الأعيان من رتبة «دوق » الى رتبة « سر » لا يقل عن خمسة آلاف . ولكن لكل تاجر الحق فى أن يخاطب بلقب « مستر » وكل من الطاهية والخادمة والوصيفة تخاطب بلقب « مس » أو « مسز » ولا يجوز مناداتها باسمها . واذا خاطبت رجلا وأنت لا تعرف مرتبته وجب أن تردف اسمه بلقب « اسكواير » أى المحترم

وعندما تنزل فى فندق أو تزور أحد المخازن الكبرى تجد على الباب رجلا لابساً ثيابا سوداً وعلى صدره مجموعة أنواط وهو من فئة نشأت بعد الحرب ويبلغ مجموع أفرادها اليوم نحو ثلاثة آلاف وقد اشتهروا فى الحرب الماضية بالبسالة النادرة وأصيبوا بما يقعدهم عن مزاولة الأعمال المرهقة ولذلك احتكروا مهنة الوقوف على أبواب الفنادق والمخازن والمصارف وجميعهم بثياب معينة . ومما يدل على ما لهذه الفئة من الشأن أن جلالة الملك يزور مجلس نقابتها كل عام ! . .

ويضيق بنا المجال اذا أردنا تعداد جميع مظاهر المحافظة على التقاليد فى انجلترا فهى تبدو فى كل حركة من حركات الشعب وفى جميع أقواله وأعماله ـ لا فى انجلترا فقط بل فى كل مكان يحل فيه الانجليزى أو يمر به . واذا علمنا شدة محافظة الانجليز على تقاليد آبائهم وأجدادهم أدركنا سبب نفورهم من كل تغيير ، ومن النظم السياسية والاجتماعية الحديثة التى يجدون فيها ثورة على عاداتهم وشعائرهم . وهذا هو السبب الاكبر فى نفورهم من الشيوعية والفاشستية على السواء

[خلاصة مقالة للاستاذ ويلسون تشمبرلن . نشرت فى مجلة سكربنر]

يجب ألا نخاف

لأن الخوف عقبة في سبيل سعادتنا

لا مشاحة فى أننا جميعاً خاضعون لسلطان الخوف ولا يمكننا الفرار منـه . ومن العبث أن يتكلف المرء الشجاعة فى جميع المواقف . فما من امرىء إلا ويعتريه الخوف : من الظلام ومن اللصوص ومن المرض ومن الزلازل ومن الصواعق ومن الموت

أجل ! من العبث أن ننكر الخوف فان هذا الانكار قد يلقينا فى مآرق حرجة تظهر فيها حاسة الخوف بأجلى مظاهرها ، إذ لا يمكن سترها أو كتمانها . ومن الغريب أن أشد ما يخشاه الجبان هو أن يعلم الناس أنه جبان ، وجل ما يتمناه هو أن يحسبوه بطلا شجاعا

ومن الطبيعى أن يشعر المرء بارتعاد فرائصه كلما عرض له ما يخيفه . وغنى عن البيان أن مخاوفه ليست دائما خاصة بشخصه بل كثيراً ما تظهر بصورة القلق على الآخرين . وما أكثر ما يقضى المرء ليـلة ليلاء لا يغمض له فيها جفن لتوقعه شراً سوف يصيبه أو يصيب أشخاصاً آخرين يحبهم

وما دام الجميع خاضعين لسلطان الخوف ، فالخوف ليس خاصاً بفريق دون آخر من الناس . فالغنى يخاف على أمواله ، والفقير يخاف أن لا تتحقق آماله ، ومتوسط الحال بينهما (وهو سواد الناس) يخشى أن تجىء حوادث الغد بما قد يزعجه ويحزنه ، وهذا هو الهلع الناشىء عن توقع الشر ، وما من امرىء إلا وقد اختبره وعاناه . ومن الطبيعى أن تختلف صوره وشدته باختلاف أسبابه . وفى مقدمة تلك الأسباب السببان الآتيان وهما : (أولا) أن المرء لا يعيش ليومه بل لغده ـ أى انه لا يكتفى بما هو فيه فى الحاضر بل يفكر دائما فى المستقبل . (ثانيا) ان المرء اذا استولى عليه اليأس استولى عليه الهلع والخوف . والفرق بين اليأس والخوف تافه جداً أو يكاد الاثنان يكونان واحداً . ولو أن صوتاً قوياً سرى دويه بين الناس داعيا إياهم الى السكينة ورباطة الجأش ومؤكداً لهم أنه ليس ثمة أى مسوغ لليأس لظهر الناس بمظهر الشجاعة ولانتفت جميع أسباب الخوف . على أن مثل ذلك الدوىّ غير متوقع البتة

ولا يختص الخوف بالعمر ، فالاطفال والاحداث والشبان والكهول والشيوخ فيه سواء . وكلما تقدم الانسان فى العلم وتشعبت علائقه مع الناس زادت مخاوفه . وقد يستولى الخوف على الشاب فيخشى حتى ان يحلم أو يفكر . وقد يستولى على الشيخ الهرم فيخشى حتى ان يتعلل بالآمال

ومع ذلك فالخوف واليأس لا يزالان مستولين على النفوس يشوهان جمال الحياة

والخوف على نوعين كبيرين ـ أحدهما ما ينشأ عن القلق على المستقبل القريب (كقلقنا على مريض عزيز أو على رزقنا أو أسـباب معيشتنا أو ما إلى ذلك) وهذا النوع من الخوف أسهل

علاجا وأقل شأنا من النوع الآخر . أما النوع الثانى فأسوأ أثراً فى النفس وأقتل للهمة والنشاط لان الفكر يغذيه ويقويه . فهو إذن سم زعاف لا ترياق له . أو هو عدو قاتل ليس ثمة ما يعصمنا منه . فهو يهاجمنا فى حلواتنا ومجتمعاتنا ، فى مكاتبنا وعلى أسرتنا ، فى البر وفى البحر ، فليس لنا منه منقذ ولا نستطيع الفرار منه

ويزيد فى غرابة هذا الخوف انه لاحقيقة له ، أى أنه لايقع تحت الحواس الخمس إذ لانراه ولا نسمعه ولا نذوقه ولا نشمه ولا نلمسه . وانما نحن نتوهم وجوده ويخيل الينا أنه يهاجمنا فنفتح له السبيل للوصول الى النفس والتغلغل فيها . والحقيقة أن هذا النوع من الخوف أقتل من كل نوع آخر ، والسبيل الوحيد الى التغلب عليه هو أن نعرفه وندرك حقيقته فندرك أنه ضرب من اليأس والقلق غير المطورين واللذين لا يسهل تعليلهما . نعم انه الخوف من شىء غير حقيقى أو مادى

ومن حسن حظ الانسان أن هنالك أشياء كثيرة يخشاها ويجزع من مجرد ذكرها أو تصورها ولكنها لاتتحقق . ولو تحققت جميعها لكانت الحياة عبئا ثقيلا ليس ثمة ما يسوغ استمرارها . من منا لم تحدق به المخاوف فى طور من أطوار حياته ، ولم يستول عليه الجزع بسبب ما كان يتهدده أو يتهدد أسرته من الأخطار ؟ وكم شعر بانفراج كربته لان تلك المخاوف لم تتحقق ، ولان ما كان يخشاه لم يحل به ولا بأهله ولا باصدقائه ، وان كان الخوف قد بيض لمته وترك عليه آثاراً ظاهرة ؟

وليس فى العالم أحد يستطيع أن يثبت أن الخوف أفاده أو دفع عنه محذوراً أو أنقذه من ملمة . بل هو بالعكس كثيراً ما نغص عليه معيشته وأفقده جانباً من مسرات الحياة

وفى الحقيقة أن معظم المخاوف التى تحدق بنا هى خاصة بالمستقبل أكثر منها بالحاضر . فقد يكون الحاضر باعثا على الرضا والارتياح بحيث يخشى زوال الحاضر ومجىء المستقبل بأيامه المجهولة ولياليه السود . ولكم سأل المرء نفسه : « ترى هل تستمر السعادة التى أنا فيها وهل تتحقق الآمال التى أتعلل بها أم أن الغد سيجىء بما أكرهه وأمقته ؟ »

ان الكثيرين من الناس يهرمون قبل أوانهم لانهم يدعون الخوف يستحوذ على نفوسهم ويتغلغل فى صدورهم . وقد نرى دلائل ذلك على وجوههم وفى شعور رؤوسهم ونبرات أصواتهم

وليس المراد مما قلناه أن يكون الانسان متفائلا فى كل حال ولا يخشى محذوراً ، فالحياة محفوفة بالمكاره وطريقها شائكة مخيفة . ولكن لابد لنا من التسليم بهاتين الحقيقتين وهما : (أولا) أن الخوف لا يستطيع أن ينقذنا من أية ورطة أو أن يصلح ما نحن فيه . (وثانيهما) أن أكبر عقبة فى سبيل سعادتنا هى استسلامنا الى الخوف والقلق على مستقبلنا . فاذا تغلبنا على هاتين العقبتين أمكننا أن نستقبل الحاضر بكل هدوء ورباطة جأش . وليس للمرء إلا حاضره ، ومتى جاء الغد أمكنه أن يعنى به كما عنى بيومه . أما الشيوخ فهم خير قدوة لنا لانهم ينظرون الى غدهم بهدوء

[خلاصة مقالة بقلم السيدة مارى رينهارت . نشرت فى مجلة ناش]

ملكة فى ساعة الاعدام

نهاية مارى ستوارت المروعة

ليس فى وصف موت مارى ملكة اسكتلندا إلا كل ما يثير الاشجان . وقد سمع كاتب هذه السطور تفاصيل وفاتها من وصيفتين من أخلص وصائفها أقسمتا لها يمين الاخلاص ووعدتا بأن تذيعا وصف «اعدامها» بدقة وأمانة

فى اليوم السابع عشر من شهر فبراير سنة ١٥٨٧ وصل مندوبو ملكة انجلترا الى قصر « فودرنجاى » حيث كانت مارى ملكة اسكتلندا سجينة ، وما كادوا يدخلون عليها حتى قرأوا لها الأمر الصادر اليها « باعدامها » فى صباح اليوم التالى ، فتلقت الملكة الخبر برباطة جأش واعتذرت للرسل لأنها تسببت فى معاناتهم مشقة الحضور وقالت انها ترحب بالغد إذ فيه تنتهى آلامها المبرحة بعد اقامة عشرين سنة بالسجن !

وما كاد الرسل يخرجون من حضرتها حتى طلبت كاهناً لتتم على يديه الشعائر الدينية من اعتراف وصلاة وخلافهما ــ ولكنهم رفضوا تلبية طلبها فناولت ورقا وقلما وجلست تكتب اعترافها ثم وصيتها واتبعتهما برسائل وداع محزنة الى ملك انجلترا والملكة الوالدة وغيرهما من الاصدقاء ، ثم استدعت جميع أفراد حاشيتها ــ كباراً وصغارا ــ وفتحت صناديق أمتعتها وثيابها ووزعت عليهم كل ماقد بقى لها مما كانت تملكه ، فوهبت لوصائفها اليسير الذى كان قد بقى لها من حلاها ، وأبدت لهن أسفها اذ لم يكن قد بقى عندها حلى غيره لتهبه لهن ثم أوصت رئيس خدمها بأن يبلغ ابنها وصيتها له وهى أن لايسعى للثأر . وبعد أن وزعت على الجميع ما تملكه ودعتهم واحداً واحداً وأوصتهم بأن لا يبكوا بل عليهم أن يفرحوا لأن ضيقتها قد انفرجت

وأقبل المساء فاعتزلت الى الكنيسة التى كانت قد خصت بها حيث قضت ساعتين وهى راكعة تصلى ، ولما عادت الى غرفتها قالت لوصيفتها : أريد ان اتعشى وآوى الى سريرى لانام واستريح فلا يبدو منى غداً ما يشف عن حرج أو جبن أو ما يحط من كرامتى

على انها قضت الليلة كلها ولم يغمض لها جفن ، وقبيل انبلاج الفجر نهضت فارتدت ثوبا من المخمل الاسود ومعطفاً من حرير قرمزى اللون ووضعت على وجهها برقعاً أسود ، ثم نادت احدى وصائفها وناولتها منديلا وقالت لها : « متى وصلت الى المكان المعد فأرجو أن تعصبى عينى بهذا المنديل . وهذا آخر ملتمس لى » ثم استدعت أفراد حاشيتها فقبلتهم وودعتهم واحدا واحدا ، واعتزلت بعد ذلك الى الكنيسة لتقديم آخر صلاة لها . وعادت بعد ذلك الى غرفتها وقد أشرقت الشمس فجلست امام المدفأة تصطلى وتحادث وصائفها وتعزيهن

وما كادت تفرغ من الكلام حتى قرع باب عرفتها ثم دخل الرسل فخاطبتهم الملكة قائلة : « انى أعلم ايها السادة انكم قد حضرتم فى طلبى . فانا مستعدة للذهاب معكم الى حيث ألاقى حتفى ، وأشعر بأن أختى الملكة قد أحسنت الى ـ وكذلك انتم أيضا فهلموا بنا »

فلما رأى الرسل رباطة جأشها وما أبدته من لطف وتسامح دهشوا دهشاً عظيما وأخذتهم الشفقة عليها ثم ساروا بها الى الغرفة المقامة فيها الدكة (المقصلة) لقطع رأسها . وكانت الغرفة فسيحة والدكة مغطاة بعطاء خشن من الكتان . فدخلت الملكة بخطوات ثابتة يحف بها الجلال والوقار ، لا يلوح عليها شيء من الجزع أو الاكتراث ، وكأنها مقبلة على مقصف . إلا أن احدى وصائفها لم تستطع حبس دمعها فاندفعت فى البكاء إد رأت السيافين محدقين بسيدتها ، فأومأت اليها الملكة بوضع سبابتها على شفتيها ـ بأن تكف عن البكاء وتسكت ، فأطاعت الوصيفة الامر

وتقدمت الملكة الى الدكة ، فأمسك كبير السيافين بذراعها بخشونة وأنزل ثوبها عن عنقها وصدرها وظهرها كالعاج النقى . ثم نزع صدرتها فأسرعت وعطت صدرها بقدر ما استطاعت وهى تقول انها لم تعتد أن تخلع ثيابها أمام نحو خمسمائة شخص ثم التفتت الى احدى وصائفها وطلبت منها أن تعصب عينيها . ثم ركعت الملكة برباطة جأش ، مظهرة منتهى الشجاعة والبسالة

واد كانت الملكة تتمتم بكلمات الصلاة كان كبير السيافين يقاطعها بكل خشونة ، إلا انها لم تعبأ به بل استمرت الى أن أكملتها وتلت بعدها أحد المزامير . ولما فرغت تقدمت فمدت عنقها على المقصلة وهى تقول باللاتينية : « اللهم انى استودع روحى يديك » . وإذ داك رفع السياف الفأس وأهوى بها على عنقها بضربة هائلة . ولكنها لم تكن من القوة بحيث تفصل الرأس عن الجسد . فاضطر السياف أن يتبع الضربة ثانية فثالثة حتى قطع العنق تماما . ثم اخذ الرأس بيديه وعرضه على الحاضرين وهو يقول : « لتحى الملكة اليصابات ، وليهلك جميع أعداء الانجيل ! » قال دلك ونزع من الرأس عطاءه وكل ما كان يزينه فبان الشعر وقدعبث به البياض ـ لا بياض الشيب ، إد لم يكن عمر الملكة يومئذ يزيد على اربعين عاما ، بل البياض الذى هو وليد الآلام والأحزان

أما الوصائف فخشين أن يعبث القوم بكرامة الملكة . فالتمسن من كبير السيافين أن لا ينزع عنها ثيابها بنفسه بل أن يسمح لهن بأن يتولين دلك بأنفسهن. ولكن السياف طردهن من الغرفة وتولى نزع ثياب الجثة كما شاء . ولما فرع من دلك وضع الجثة فى عرفة ملاصقة لغرفة الخدم وأوصد بابها . ونظرت الوصائف من ثقب المفتاح فأبصرن الجثة عارية إلا من قطعة من النسيج الخشن نزعت من مائدة البلياردو ووضعت عليها . وظلت كذلك الى ان بدأ الفساد يدب اليها . فحنطت بسرعة وبتقتير ووضعت فى تابوت من الرصاص ، ولم تدفن إلا بعد سبعة اشهر ، أما الاشياء التى لوثها الدم عند قطع الرأس فاحرقت خيفة أن تصبح فيما بعد آثاراً مقدسة

[ملخصة من كتاب « تراجم موجزة للعظماء » . بقلم الاستاذ باريت كلارك]

تقدم العلم والعالم

بعثات علمية لاربع دقائق

فى اليوم الثامن من شهر يونيو الماضى كسفت الشمس كسوفا كليا لم يشاهده سكان القاهرة ولا سكان معظم الكرة الأرضية إد لم تكن رؤيته ممكنة إلا فى جزيرة أو جزيرتين فى المحيط الهادى . وحتى فى هاتين الجزيرتين لم يستمر الكسوف سوى أربع دقائق . على أنه استمر سبع دقائق وأربع ثوان فى نقطة فى وسط هذا المحيط تبعد نحو ألف وخمسمائة ميل عن اليابسة . وقد سافرت عدة بعثات علمية الى الجزيرتين المذكورتين والى النقطة المشار اليها من المحيط الهادى وهى تحمل الآلات والمعدات الفلكية لرصد هذا الكسوف . ولم نقف حتى الآن على نتيجة الرصد

مقاومة طيور الجو

من أعظم الأخطار التى تواجه الطيارين فى اثناء تحليقهم فى الجو طيور الجو الكاسرة كالنسور والعقبان والصقور والبزاة وغيرها . فقد تصدم هذه الطيور الطيارة فتكسر زجاجها وتعطب آلاتها . نعم انها تلقى حتفها لا محالة ولكنها تلحق بالطيارة بعض الاضرار . وعليه يبحث بناة الطيارات عن مادة خفيفة ومتينة تصنع منها بعض أجزاء الطيارة لتلافى الخطر المذكور . ولا يزالون يقومون بتجارب كثيرة لهذا الغرض

الغدتان الكظريتان

فى جسم الانسان غدتان صغيرتان فوق الكليتين تسميان الغدتين الكظريتين أو الادرياليتين ولا تزال وظيفتهما الحقيقية مجهولة بعض الشىء . ولكن المباحث العلمية الاخيرة تدل على أن هذه الوظيفة هى تقوية الجسم واعطاؤه المناعة اللازمة بازاء السموم وغيرها من العوامل المؤدية كالتعرض للبرد الشديد فجأة أو نقص السكر الذى فى دم الانسان نقصا شديداً وهلم جرا

نوم النباتات

النوم لازم للنباتات كلزومه للحيوانات. فى النبات مادة تسمى « أوكسين » هى قوام نموه وهى شديدة الاحساس والتأثر بالنور. فاذا لبث النبات معرضا للنور طويلا أتلف النور تلك المادة وعطل النبات عن النمو . ولهذا كان لابد للنبات من قضاء جانب من الوقت فى الظلام لئلا يتلاشى

حجارة صناعية

يجربون اليوم فى روسيا وانجلترا طريقة لصنع الحجر الصلب من فتات الصخور والحصى والبازلت . وذلك باحماء الفتات واذابته وصبه فى قوالب مختلفة الاشكال. ويقال ان الحجارة التى تصنع بهذه الطريقة هى من أصلب الحجارة المعروفة فى الطبيعة إلا أن طريقة صنعها لا تزال كثيرة النفقات . ولذلك يبحث القوم عن مواد رخيصة (من قمامة ونفايات) لتحويلها وقوداً لصنع الحجارة المذكورة

الأبنية المقاومة للزلازل

يدل الاختبار على أن الأبنية التى يستعمل

الأسمنت فى بنائها هى أقدر على مقاومة الزلازل واحتمال هزاتها العنيفة من الأبنية التى تخلو من الأسمنت . ولكن علم الهندسة الحديث يثبت أن بين طبيعة الأرض المقام عليها البناء وبين اتجاه الزلزلة ارتباطا وثيقا جداً . وغني عن البيان أن التربة التى يراد اقامة أى بناء عليها تؤلف من طبقات جيولوجية تختلف اتجاهاتها بين أفقية ومائلة وعمودية . فاذا عرف المهندس اتجاه تلك الطبقات أمكنه أن يتحكم فى ترسيخ الأسس بمقتضى ذلك الاتجاه . وهذا يجعل البناء أقدر على مقاومة الزلازل . أما القول بأن البناء المؤسس على الصخر أقدر على مقاومة الزلازل من البناء المؤسس على الرمل فليس صحيحا دائما

النظام الملكى

لاشك فى أن النظام الملكى قديم العهد جداً ان لم يكن أقدم أنظمة الحكم التى عرفها الانسان . وتدل الاكتشافات التى وفق اليها علماء الآثار على أن بعض مدن ما بين النهرين كان يحكمها ملوك – أى انها كانت خاضعة للنظام الملكى – منذ أكثر من خمسة آلاف سنة . أما مصر فالمعروف أن النظام الملكى كان شائعا فيها منذ بدء الدولة الأولى التى أسسها الملك مينا – أى قبل بدء النظام الملكى فيما بين النهرين

الانسان الصناعى

يقول الدكتور كونكلن أستاذ علم البيولوجيا السابق بجامعة برنستون ان جميع المساعى التى قد بذلها العلماء ولا يزالون يبذلونها لاستيلاد النوع البشرى خارج الوعاء الطبيعى – أى فى المعمل الكيميائى – قد ذهب سدى وسيظل سر الحياة مستغلقا على عقل الانسان مهما بلغ من الرقى . واليوم الذى يوفق فيه العلم الى استيلاد الحياة في « الأنبوب الكيميائى » هو اليوم الذى يبدأ فيه انحلال الجنس البشرى واضمحلاله لان الانسان الذى يولد فى ذلك « الأنبوب » يكون مخلوقا صناعيا مجرداً من العواطف وربما من الشعور والاحساس أيضا

أقدم التماثيل المعدنية

وفق علماء الآثار الذين يعملون فى سوريا وينقبون بين خرائبها الى العثور على بضعة تماثيل معدنية فى خرائب أحد الهياكل فى « تل الجديدة » . ولا شك فى ان هذه التماثيل هى أقدم التماثيل التى قد عثر عليها العلماء حتى الآن ، فقد صنعت – كما يستدل من النقوش والرموز التي عليها – سنة ٣٣٠٠ قبل المسيح أى منذ أكثر من خمسة آلاف ومائتى سنة . وهذه التماثيل مصنوعة من النحاس ، وهى تمثل ذكوراً واناثا . فالذكور منها تمثل إله الحرب ، ورؤوسها مغطاة بخوذ فضية . والاناث تمثل إلاهة الخصب والنمو ، وعلى رؤوسهن جدائل من فضة

غرائب الطب

أشرنا غير مرة على صفحات أجزاء الهلال الماضية الى طريقة معالجة الشلل الناشىء عن داء الزهرى بتوليد حمى قوية فى جسم المصاب . وكان توليد هذه الحمى يتم أولا باطلاق جراثيم الملاريا على الشخص المصاب بالشلل ، على أن يعالج فيما بعد من مرض الملاريا . ثم استعيض عن المعالجة بجراثيم الملاريا بالمعالجة بأمواج كهربائية قوية تنشىء فى جسم المريض حمى صناعية . وكان المظنون حتى الآن أن تلك الحمى تشفى من داء الشلل بقتل جراثيم الداء . ولكن الدكتور فاجنر بوريج مستنبط هذه الطريقة ، وهو من

كبار علماء النمسا ، يقول ان السر فى المعالجة بالحمى الصناعية هو أن الحمى تزيد فى قوة مقاومة الجسم واحتماله لتلك الجراثيم ولا تقتلها بدليل انها تستمر فى الجسم حتى بعد نيله الشفاء التام ولكنها لا تؤثر فيه

ويقول الاستاذ دارسونفال ـ شيخ أطباء باريس ويبلغ اليوم السادسة والثمانين من العمر ـ أنه تنبأ فى سنة ١٨٨٤ بأن أمواج الكهربائية سوف تستعمل فى الطب بدلا من عقاقير كثيرة . وها هى تلك النبوءة قد تحققت فصارت الكهربائية تستعمل فى معالجة الشلل والزهرى والأمراض العقلية الناشئة عن الزهرى

وذكر الدكتور موريس دوكوست كبير أطباء مستشفى الأمراض العقلية بضاحية « فيلجويف » بفرنسا انه اكتشف طريقة جديدة لمعالجة الجنون العام الناشىء عن الزهرى ، وهى أنه يحقن الدماغ مباشرة بكمية من الدم المشتمل على جراثيم الملاريا مضافا اليه كمية قليلة من ترياق (antitoxine) التيتانوس أو الكزاز . وقد عالج ٤٥٣ عليلا بهذه الطريقة فنال ٣٤٣ منهم الشفاء التام ولا يزالون ـ منذ عشر سنوات ـ يتمتعون بالصحة التامة . أما الباقون فمع أنهم كانوا قد بلغوا آخر درجات الداء ، فان تحسناً ظاهراً قد بدا عليهم ما عدا ستة وعشرين منهم توفوا ولم يكن يرجى لهم أى شفاء أو تحسين

ومما يجدر بالذكر أن هذه الطريقة ـ أى المعالجة بحمى الملاريا ـ قد أفادت فى معالجة المصابين بالمرض المسمى عند الأطباء « برقصة كوريا » أو رقصة « سان فيتوس » فقد روى عدد كبير من الاطباء أنهم استعملوا هذه الطريقة فأسفرت عن نجاح كبير

العميان قديماً

يعتمد العميان اليوم على أسلوب برايل فى قراءة الكتب . ويقال ان الذى أوحى باستنباط هذه الطريقة ما ذكره بعض المؤرخين من أن العميان فى مصر قديما كانوا يستعملون خيوطا معقدة ، وكان لكل عقدة فى تلك الخيوط معنى أو رمز خاص تبعا لحجم العقدة وموقعها من الخيط ودرجة بروزها

أكبر معجم للكتاب المقدس

هو معجم صنفه عالم يهودى يدعى داود بن ابراهام الفاسى منذ ألف سنة ثم ضاع، الى أن أخذ العلماء يعثرون على بعض أجزائه فى العصور الحديثة . وكانت مكاتب أوربا وأميركا تتسابق الى اقتناء الاجزاء التى تظهر أولا فأولا . وقد تمكن الدكتور سولومون سكوس أستاذ اللغة العربية بكلية دورسى بفيلادلفيا من درس جميع الأجزاء المبعثرة فى مكاتب أوربا وجمع أشتاتها ، وقد نشرت جامعة يايل الاميركية الجزء الأول منها وستوالى نشر الأجزاء الباقية

وقد كان هذا المصنف من أشهر المصنفات فى زمانه حتى انه كان يسمى « الكتاب » وقد كتب فى الأصل باللغة العربية وبالحروف العبرية. وذلك لأن علماء اليهود كانوا يستعملون اللغة العربية ثم أهملوها ولكن بعضهم ظل يكتب بها بالحروف العبرية

وهذا المعجم يفسر أموراً كثيرة مما لا تزال سراً مستغلقا على علماء التفسير حتى الآن . من ذلك ماجاء فى سفر النبى ارميا من أن الله أمره ـ وهو يومئذ فى فلسطين ـ بأن يذهب الى الفرات ويخبىء منطقته (حزامه) بين بعض الصخور

القائمة هنالك . ولا يخفى أن نهر الفرات يجرى فى البلاد المعروفة ببابل قديما . وقد كان بين بابل وفلسطين يومئذ عداوة شديدة بحيث لايستطيع أحد أن يجتاز الحدود الفاصلة بينهما. فكيف استطاع ارميا أن يجتازها ويتوغل فيها حتى ضفاف الفرات ؟

هذا ما كان يحير علماء التفسير حتى الآن . على أن المعجم الذى نحن بصدده يشرح هذا السر ويقول ان كلمة « بيرات » العبرانية (وهى التى ترجمت بكلمة فرات فى العربية) كانت اسم ضاحية من ضواحى مدينة اورشليم تسمى اليوم فاراح ؟

كيف اخترعت الكتابة

يقول أحد علماء الآثار إن الكتابة اخترعت لان الكهنة كانوا يتلقون هدايا من أفراد الشعب فكانوا يحتاجون الى ضبطها وتدوينها . وكانوا يحتاجون أيضا الى تسجيل ما يقبضونه وينفقونه من أجور وخلافه . فدفعهم ذلك الى استنباط الكتابة

سرعة الدببة

الاعتقاد الشائع بين العامة أن الدببة (جمع دب) هى بطيئة السير . وهذا الاعتقاد خطأ ، فان الدببة ـ ولا سيما الدببة الاميركية المعروفة بالسنجابية ـ شديدة السرعة حتى إن بعضها تستطيع الركض بسرعة خمسة وثلاثين ميلا ـ أى نحو ستة وخمسين كيلو متراً ـ فى الساعة وهى كما ترى سرعة عظيمة جداً

مدينة مطمورة

عثر علماء الآثار الروس على خرائب حديثة قديمة بقرب سواحل بحر يزوف كانت تدعى « فراناجوريا » وهى مدينة مستعمرة أنشأها اليونان منذ عدة قرون ثم خسفت بها الأرض ـ وكانت رملية ـ منذ نحو ٢٥٠٠ سنة ، أى فى القرن السادس قبل الميلاد

لارشاد السفن

لا يخفى أن السفن تسترشد فى الليل بأنوار المنائر القوية التى تصل إلى مسافات شاسعة . على أن السفن كثيراً ما تكون فى وسط المحيط فلا تصل تلك الأنوار اليها مهما كانت قوية ـ ولاسيما إذا كان الجو ملبداً بغيوم كثيفة سوداء . ولما وفق العلماء إلى استنباط الراديو رؤى أن يستعان به على ارشاد السفن . فأنشئت محطات للارشاد يبلغ عددها الآن ٣٧٩ محطة تستطيع السفن الاتصال والاهتداء بها فى سيرها أينما كانت . ونحو ثلث هذه المحطات مقامة على سواحل الولايات المتحدة . والباقية مقامة على سائر سواحل البحار فى العالم

التنويم المغناطيسى وطب الأسنان

لا يستطيع من اضطر إلى خلع سن من أسنانه فى يوم من الأيام إلا أن يتذكر ما عاناه من الآلام . وقد جرب أطباء الأسنان عدة وسائل لتخفيف آلام الخلع . وقد قرأنا فى المجلات العلمية الأخيرة أن مستشفى الأسنان الملكى فى لندن شرع منذ أوائل هذا العام فى استعمال التنويم المغناطيسى لتسهيل خلع الأسنان. ولا نعلم هل أسفرت هذه النتيجة عن النجاح إذ ليس من السهل تنويم كل انسان تنويما مغناطيسيا

انسان فلسطين

أشرنا غير مرة إلى الأحافير البشرية التى وفق علماء الأنثروبولوجيا إلى العثور عليها فى الأزمنة

الحديثة ، والتي يعتبرها الكثيرون بمنزلة « حلقات مفقودة » تكمل سلسلة المخلوقات الحيوانية وتربط النوع البشري بأسلافه الحيوانات العليا. ومن أحدث تلك الاكتشافات التي ذكرناها في أجزاء الهلال السابقة « انسان فلسطين » ويؤخذ من المباحث الأخيرة التي قام بها جمهور كبير من العلماء بينهم السر آرثر كيث والاستاذ تيودور مكاون العالم الأميركي الشهير أن هذا الانسان عاش منذ نحو ستين ألف سنة . فهو إذن ليس جداً للانسان الحاضر بل « من أسرته » أو « أولاد عمه » لو صح التعبير . وقد بلغ شأوه في منتصف العصر الحجري. ويظهر أنه في ذلك الوقت عينه كان يوجد في فلسطين انسان آخر أصغر حجما من الانسان الأول وأقرب إلى انسان نياندرتال الذي كان يسكن غرب أوربا

تناقص العلماء

هل عدد العلماء آخذ في التناقص ؟

إذا رجعت إلى « معجمات الاعلام » الانجليزية والاميركية (Who is Who) وجدت أن عدد العلماء في انجلترا وأميركا قد زاد زيادة مطردة . فقد كان عددهم في سنة ١٩٠٦ في أميركا فقط نحو أربعة آلاف فأصبحوا في هذه السنة نحو ثلاثين ألفا . ومع ذلك يقول الدكتور كاتل محرر مجلة « العلم » الأميركية ان الذي زاد في الحقيقة هو عدد الذين يشتغلون بالمباحث العلمية. أما عدد العلماء الحقيقيين فهو متناقص نسبيا

« قنابل » الراديوم

في معهد الراديوم بلندن قطعة من الراديوم زنتها خمسة جرامات وثمنها بحسب سعر الراديوم نحو أربعين ألف جنيه ! وعلماء المعهد المذكور يقومون اليوم بمباحث واسعة النطاق لاستنباط أفضل الطرق لاستعمال الراديوم من دون أن يتعرض الطبيب أو العليل للخطر . والخمسة الجرامات التي نحن بصددها موضوعة في أنبوب خاص من الرصاص الشديد المرونة واللين. وهذا الأنبوب مفتوح من أحد طرفيه ، ومن هذا الطرف تطلق « قنابل » الراديوم على السرطان والأورام الخبيثة لابادتها

طرائف علمية

* كانت قطع النقود السويسرية منذ مئتي سنة كبيرة الحجم جداً حتى كان بعضها يزن سبعة أرطال ونصف رطل

* يقضي القانون الانجليزي على جميع الذين يشتغلون في مصانع المواد الكيميائية بأن يلبسوا ثياباً خاصة تقيهم أذى تلك المواد

* في سنة ١٨٧٧ جيء بأول أسد الى حديقة الحيوانات بمدينة ليبسك بألمانيا ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحديقة المذكورة اخصائية في تربية الأسود واستيلادها . وقد بلغ عدد الأسود التي ولدت هنالك منذ تلك السنة حتى الآن أكثر من ألف أسد

* كان المظنون حتى الآن أن بعض المناجم في روسيا وألمانيا وانجلترا وأميركا هي أغنى مناجم الحديد في العالم . إلا أن الاحصاءات الأخيرة قد أثبتت أن أغنى تلك المناجم هي في لابلند

* تقول رسالة الأخبار العلمية وهي من أشهر المجلات العلمية الاميركية أن بعثة علمية مصرية قد فرغت من درس قاع البحر الأحمر

* الشمبانزي ـ وهو من أرقى أنواع القردة ـ يصاب بالركام كالانسان تماما . أما أنواع القردة الأخرى فالعلماء لا يعرفون حتى الآن هل هي تصاب بالركام أم لا . ولا تزال التجارب مستمرة لمعرفة ذلك

كتب جديدة

ديوان حافظ ابراهيم

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب المصرية . عدد صفحاته ٣١٨

رأت وزارة المعارف ، وفاء لحق الأدب ، واداء لواجب الوطن ، أن تخلد شعر المغفور له حافظ ابراهيم الذى كان دعامة من أقوى دعائم نهضتنا القومية ، فندبت الأستاذ أحمد أمين ليجمع ما تشتت من شعره على صفحات الجرائد، وليقوم على تصحيحه وتنسيقه ونشره

وقد قام الأستاذ أحمد أمين بما ندب له خير قيام ، واستعان فى ذلك بالأستاذين أحمد الزين وابراهيم الابيارى . وقد صادفوا صعابا جمة فى جمع شعره المبعثر ولكنهم أتموا الجزء الأول من الديوان الذى ضموه سبعة أبواب هى : المدائح والتهانى ، والأهاجى ، والأخوانيات، والوصف، والخمريات ، والغزل ، والاجتماعيات . ونشروا قصائد كل باب حسب تاريخ قولها أو نشرها،لان هـذا الترتيب أدل على متجه تفكير الشـاعر . وضبطوا ألفاظ الكتاب ضبطا كاملا لتسهل على النشء قراءته ، وشرحوا القصائد شرحا وافياً مفصلا يمكن القارىء من الالمام بجميع نواحيها حق المام

ووضع الأسـتاذ أحمد أمين مقدمة مفصلة للديوان ، استعرض فيها بأسلوب روائى طريف حياة حافظ ، وتناول فيها بالتحليل صـفاته وأخلاقه ، وثقافته وتفكيره ، ثم تبسط فى نقد شعره ودراسته بما عهد فى الأستاذ من وضوح وبيان ، مع الدقة والوفاء

الاجرام السياسى

ترجمة الأستاذ حسن الحداوى

مطبعة حجازى . عدد صفحاته ٣٢٥

ارتقت المدنية بالانسان فى شتى الأنحاء إلا نحو السـياسة ، فما يزال مرتعاً فسيحاً لضروب الرذائل والنقائص والجرائم . وما هذا إلا لأننا لا نفهم « فن الحكم » إلا على أنه وسيلة لقضاء المآرب وتحقيق الأطماع ، بشتى أساليب العنف والبطش وطرائق الخداع والتضليل . وهذا هو موضوع الكتاب النفيس الذى ترجمه الاسـتاذ حسن الحداوى عن الكاتب الفرنسى « لوى بارول» . فقد تحدث فيه عن المبادىء الفاسدة ، والوسائل المحرمة ، التى يتخذها أكثر من ألقى اليهم قياد الشعوب والجماعات ، فلم يتحرجوا عن أن يمدوا أيديهم الآثمة ، ولم يتهيبوا أن يلوثوها بالدماء الذكية البريئة

وقد قال المؤلف فى شرح غايته من وضع الكتاب : « وأنا أرمى بتعـداد الجرائم التى ارتكبتها الأنظمة السياسية فى مختلف الأزمنة ، والمبنية على العنف والقوة ، ان أثبت بأدلة من الوقائع أن السياسة الشريفة المخلصة احدى أنواع السياسات ، وأن السياسة اذا تخلت عن الأمانة والشرف هبط مستواها وانقلبت الى مجازفات ورياء »

وتتناول فصول الكتاب الحديث عن مبادىء مكيافيلى وتطبيقها ، وعن القتل السياسى والفوضوية ، وعما يسودّ به وجه الحياة السياسية من حقد ورياء وخداع ، كما يستعرض شتى أنواع

الفساد السياسى قديما وحديثا فى أثينا وروما وانجلترا وفرنسا ، وأسباب هذا الفساد من ناحية التشريع والقضاء والنظام النيابي ، وجرائره على الاخلاق العامة فى مختلف الأوساط . وتدليلات المؤلف فى كل هذا قوية واضحة ، واستنتاجاته قيمة سديدة . وعبارة المترجم سهلة رصينة لا ضعف فيها ولا تكلف

الوثبة الاولى ، وقلب غانية

للاستاذ محمود تيمور

دار النشر الحديث . عدد صفحاتهما ١٩٠ و ٢٠٤

مجموعتان من القصص المصرية الصغيرة تضم الأولى منهما طائفة من القصص التى أنشأها الأستاذ تيمور فى صدر حياته الأدبية ، فهى تمثل فترة من فترات انتاجه تتميز بالسهولة فى التفكير والتعبير، وبالبساطة فى رسم الأشخاص والمواقف. ولعل هذه الفترة هى من خير الفترات التى مر بها الاستاذ تيمور ، فقد كان فيها قريباً جداً إلى الفلاح البسيط والقروية الساذجة ، فجاءت قصصه ملأى بالحب والعطف على هذه الطبقة الشقية الضعيفة التى يضيق الآن بها ويكره الاقتراب منها ..! وهذه المجموعة مصدرة بمحاضرة نفيسة موضوعها «حاجتنا الى الفن»

أما المجموعة الثانية فتمثل الفترة الراهنة من فترات تفكيره . وهى فترة مازالت محتفظة بطابع السهولة والبساطة ، وان امتازت بعنصر التحليل النفسى الدقيق كما ترى في قصته « قلب غانية » و «السجينة» و«قبلة» . وقد صدرت المجموعة بمحاضرة قيمة تحدث فيها عن الناحية القصصية فى المغفور له حافظ ابراهيم

ويمكننا أن نقول إن قصص الاستاذ محمود تيمور تمتاز بخصلتين واضحتين: أولا انها تصور حياة الطبقات الفقيرة ، وتعالجها بشعور دافق من الحب والرعاية ، يعطف القلب اليها ويلفت الذهن الى نقائصها . وثانياً ، انها حافلة بالتحليل النفسى الذى لا يتيسر إلا لأديب كالاستاذ تيمور دقيق الملاحظة واسع الثقافة ، والتى صارت عنصراً أساسياً من عناصر القصة الأدبية العالية

الفاروق عمر بن الخطاب

للاستاذ محمد رضا

المطبعة المحمودية التجارية . عدد صفحاته ٣٤٠

يتناول هذا الكتاب سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فيتتبع أدوار حياته الحافلة بالمجد والخير والفضائل ، ويبين بلاءه الصادق فى نشر الاسلام واعلاء دعائمه ، ويفصل حديث هذه الحروب التى انتصر فيها الاسلام نصراً مؤزراً ، وقد جمع المؤلف فى كتابه خلاصة ما تشتت فى كتب التاريخ عن هذا البطل العظيم ، فجاء كتابه وافيا بما لايجده القارىء إلا فى المطولات التى لا يصبر عليها إلا القليل

وهذا الكتاب هو الحلقة الثالثة من سلسلة يريد المؤلف اخراجها عن رجال الاسلام ، وقد أصدر منها كتابين : «محمد رسول الله» «أبو بكر الصديق» ، فقوبلا بكثير من الاعجاب والتقدير لما يبذله المؤلف من جهد صادق فى لم أشتات الموضوع ، وتمحيص دقائقه وتفنيدها ، ولما يبثه فى أنحاء الكتاب من آراء كثيرة يدحض بها أقوال المتجنين على هؤلاء العظماء

قصص فكاهية للاطفال

للاستاذ كامل كيلانى

مطبعة المعارف . عدد صفحات كل قصة ١٦ صفحة

هذه ناحية طريفة من هذه المكتبة الحافلة التى أنشأها الاستاذ كامل كيلانى للاطفال . وقد

سبقتها نواح أخرى قدم فيها قصصاً علمية وتاريخية وأدبية ، مترجمة عن كبار الكتاب ، أو مستقاة من الأدب العربى القديم . ولكنه رأى هذه المرة أن يغذى عقل الطفل بلون جديد من القصص الفكهة الرقيقة ، فكتب هذه القصص الست التى سيطالعها الاطفال بشغف ولذة ، لانها تمدهم بالفكاهة التى يستسيغونها ويطربون لها

وهى الى هذه المتعة الرقيقة ، تفتح للطفل منافذ للتفكير وللخيال ، فضلا عن انها تروضه على حب الادب وتذوقه منذ الصغر ، فقد كتبت بأسلوب سهل بسيط صحيح ، كما انها زينت بصور جميلة تزيد الطفل إقبالا عليها . وهكذا يتعهد الاستاذ كيلانى أطفاله بعطفه ورعايته ، ويمد عقولهم بجد القول وهزله ، فيهيء لهم منذ الصغر عنصرى الحياة ودعامتيها . . .

فلسطين العربية

بين الانتداب والصهيونية

للاستاذ عيسى السفرى

مطبعة فلسطين بيافا . عدد صفحاته ٤٧٠

يتناول هذا الكتاب الحافل فى جزئه الأول تاريخ القضية العربية الفلسطينية منذ الاحتلال البريطانى لفلسطين سنة ١٩١٧ حتى نشوب ثورة نيسان الكبرى سنة ١٩٣٦ ، ويتحدث فى جزئه الثانى عن تاريخ هذه الثورة وأسبابها وتطوراتها ونتائجها . فهو على الجملة سجل عام مفصل لقضية فلسطين المجاهدة خلال عشرين سنة لم تفتر فيها عن المطالبة بحقوقها والسعى فى سبيل استعادتها . وقد توخى المؤلف فى كتابه ثلاث غايات : سهولة المأخذ بحيث تسهل مطالعته ، وغزارة المادة بحيث يكون مرجعاً لكل ما يتعلق بهذه القضية ، وتنسيق الحوادث كى يستعرضها القارىء فى يسر ويستوعبها جيداً . والكتاب مزين بكثير من الصور والخرائط التى تبلغ زهاء ٢٥٠ رسماً مما يجعل هذا الكتاب عرضا شاملا مفصلا ، وتحليلا دقيقا وافيا ، لجميع نواحى هذه القضية التى تهم العالم العربى كله ، لأنها قضية الحرية والقومية التى سوف يأتى يوم تتوج فيه بالنصر المؤزر والتوفيق العظيم

أسرار الانقلاب

للاستاذ السيد عبد الرازق الحسنى

مطبعة العرفان بصيدا . عدد صفحاته ٢٠٠

عرض تاريخى مفصل للاحداث السياسية الخطيرة التى اجتازتها بلاد العراق منذ توفى المغفور له الملك فيصل الى أن وقعت حادثة بغداد الشهيرة الأخيرة التى أدت الى الانقلاب الوزارى المعروف . وقد تتبع المؤلف حوادث هذه الفترة بالتدقيق والتحقيق ، ونزه قلمه عن عوامل التمويه والتضليل ، فجاء كتابه سجلا لهذه الفترة يصح الرجوع اليه والاستفادة منه . وقد أوضح الأسباب التى أدت الى نشوب هذا الاضطراب العنيف . فأبان أن الحادث لم يكن ثورة عسكرية مفاجئة ، بل هو انقلاب شعبى له أسسه ودعائمه التى لم يتنبه اليها القائمون بالحكم وهى تتغلغل فى صميم الشعب وتفتح له منافذ للتفكير والتقدير والسخط والاستنكار

والكتاب بوجه عام عمل تاريخى قيم ، يدل على سعة اطلاع مؤلفه النابه ، وتمكنه الوثيق من تاريخ العراق وحالته السياسية والاجتماعية ، وقد أصدر قبل هذا مجموعة كبيرة من المؤلفات القيمة عن العراق تناول فيه شؤونه السياسية والمذهبية والتاريخية ، فقوبلت من قراء العربية بالحفاوة والتقدير

البترول

ترجمة الاستاذ عصام الدين حفني ناصف

مطبعة دار الترقي . عدد صفحاته ١٢٠

هذه إحدى القصص العنيفة التي وضعها الأديب الأمريكي الكبير أبتون سنكلير فأحدث بها ضجة داوية بين رجال الأعمال الذين قابلوها بالسخط والاستنكار لأنها تفضح مخازيهم ورذائلهم ودسائسهم ، كما صادف بها في صفوف الطبقات العاملة كل حفاوة وتمجيد لأنها تصف حياتهم القلقة المضطربة وصفا دقيقا ، وتعبر عن آمالهم وآلامهم تعبيراً بليغا

ولا شك في أننا نحتاج الى هذا النوع من الأدب ، فقد صقنا بأدب الترف واللذة والنعيم ، وآن لنا أن ننصرف الى الأدب النافع القيم الذي يدرس حياتنا دراسة جدية عميقة تنفذ الى الصميم كي تشخص العلل الحقيقية وتصف الأدواء الناجعة . ولهذا نرحب بهذه القصة التي نقلها الاستاذ عصام الدين حفني ناصف أجمل ترحيب ، فقد أضاف بها حلقة جديدة الى هذه السلسلة الفكرية القيمة التي نقلها عن كثير من مفكري الغرب وأدبائه . وأسلوب الاستاذ في الترجمة سهل بسيط ، وإن كنا نأخذ عليه اختصار القصة شيئا ما

جرير

للاستاذ جميل سلطان

المطبعة الهاشمية بدمشق . عدد صفحاته ٢١٦ صفحة

هذه الخصومة العنيفة التي ثارت بين جرير والفرزدق والأخطل، قد شغلت الأدباء والمتأدبين دهراً طويلا ومع هذا لم يستقروا فيها على رأى يرضى الحكم العادل والنقد النزيه ، لانهم تناولوها مدفوعين بنوازع النفس وروح التعصب الى فرد دون آخر . ولهذا نرحب بهذا الكتاب الذي يدرس أحد هؤلاء الشعراء درساً مبنيا على مقاييس الفكر التي لا تتأثر بالعاطفة أو الهوى ، وانما تسعى الى استخلاص الحقيقة وتقرير الواقع

والكتاب يدرس جريراً الرجل وجريراً الشاعر . ففي قسمه الأول يتحدث عن مولده ونشأته وبيئته ، ثم يتتبع سيرة حياته وما ألم بها من أحداث وخطوب، وما عرف عنه من فضائل ورذائل ، معتمداً في هذا على أصح المصادر من أهم كتب الأدب العربي القديم . وفي قسمه الثاني تناول تحليل شعره وبيان الدوافع التي أوحت بمعانيه ، والأساليب التي ابتكرها للتعبير عن أفكاره وخواطره . وأبان نواحي القوة والنبوغ في هذا الشعر الرائع من خيال فسيح المدى ، وروح حية متقدة ، وعصبية قوية واضحة . وختم الكتاب بمجموعة انتخبها من فرائد شعر جرير

حول العالم

للاستاذ نزيه مسعد

مطبعة الاحياء . عدد صفحاته ٢٨٦

طاف مؤلف هذا الكتاب بكثير من أقطار العالم ، ووافى بعض الصحف بمشاهداته وملاحظاته فيها ، ونال إعجاب القراء وتقديرهم لما يجمعه في كتابه من معارف شتى شاملة . وهو في هذا الكتاب يتحدث عن رحلته الى أمريكا وايطاليا حيث درس نظمها ومظاهرها ، واتصل بكثير من رجالها البارزين ، فضمنه معلومات شائقة عن أغرب ما في تلك البلاد ، وأفاض في الشرح حتى ليثير طلعة الانسان الى مشاهدتها . كما انه وقف طويلا عند كثير من المشاكل السياسية والاجتماعية في كلتا الدولتين ،

واستعرضها وبسطها بسطا وافيا . وقد زين الكتاب بمجموعة من الصور الجميلة ومن امضاءات المشاهير . فجاء كتابه من أوفى كتب الرحلات وأمتعها

كتابي

للاستاذ احمد عبد الغفور عطار

مطبعة أم القرى . عدد صفحاته ٢٢٥

هذه مجموعة مقالات فى الأدب والاجتماع والسياسة لأديب نابه من أدباء الحجاز ، تقدم نموذجا حسنا لهذه النهضة الفكرية التى قامت حديثا فى الحجاز بفضل جماعة من الشبان المثقفين. فيه فصول عن الأدب الحجازى ، وأخرى عن الأدب العربى والادب الغربى ، ومقالات شتى عن ابن سعود وأتاتورك وغاندى وطاغور . وعدة قطع انشائية أخرى رصينة الاسلوب جميلة المعنى تتمثل فيها عقلية الشباب الحجازى الناهض

شعراء العصور

للاستاذ عبد الصاحب حيلى

مطبعة الراعى . عدد صفحاته ١٢٤

هذه هى الحلقة الثالثة من سلسلة كتب تشتمل على مجموعه مختارة من الشعر العربى القديم . ويتناول هذا الكتاب العصر العباسى فاشتمل على كثير من قصائد كبار شعراء هذا العصر الزاهر . سواء فى العراق والشام والأندلس . وقد كتب المؤلف عن كل منهم فذلكة تاريخية حسنة تستعرض حياة الشاعر وقيمته الأدبية ، مما ييسر للقارىء الالمام بروائع الأدب العربى القديم

صورة من حياة النبك وجبل القلمون

مطبعة القديس بولس . عدد صفحاته ١٨٠

النبك بلدة صغيرة تقع شمالى دمشق على حافة الصحراء ، وهى عاصمة جبل القلمون . وقد امتازت فى القرن الماضى بكثير من التقاليد والعادات العربية التى ورثها الخلف عن أسلافهم القدماء . وهذا الكتاب يرسم صورة طريفة شائقة لحياة هذا الاقليم منذ خمسين سنة ، فيبين عاداتهم فى الملبس والمسكن ، وطقوسهم فى الأعراس والمآتم ، ويتحدث عن حرفهم وحياتهم اليومية . وهو مزين بكثير من الصور ، ومذيل بمجموعة من الأغانى والأهازيج التى كان ينشدها أهل الاقليم

لمعة فى تاريخ
الأمة السريانية فى العراق

بقلم مار أغناطيوس افرام الأول

طبع فى مطبعة دير مار مرقس للسريان. صفحاته ٣٢

يتناول هذا الكتاب الصغير ـ الذى وضعه بطريرك أنطاكية وسائر الشرق ـ تاريخ الأمة السريانية ببلاد العراق، فذكر كنائسها ومعابدها ثم مدارسها ومعاهدها ، ثم علماءها وأطباءها ، فى إيجاز ييسر السبيل لمن يريد أن يلم إلماما بتاريخ هذه الأمة التى ساهمت بشىء ما فى بعض نواحى الحضارة

ثورة العواطف

للامرتين . ترجمة أبو الوفا محمد الدرويش

طبع بمطبعة جريدة الشفق . صفحاته ٢٥٦

« جرازيلا أو ثورة العواطف » قصة هوى عنيف رواها الشاعر الفرنسى الخالد ألفونس دى لامارتين . فبين فيها كيف يجمع الحب بين القلوب الطاهرة ، مهما أبعدت بينها فوارق العادات وحواجز التقاليد . وهى من أمتع القصص التى تلذ قراءتها للشاب وللفتاة ، ولا سيما وقد نقلها المترجم فى لغة صحيحة سلسة

بين الهلال وقرائه

شعر الانسان

(القاهرة ــ مصر) حسين الكيالى

نرى الشعر يكسو بعض أجزاء جسم الانسان دون غيرها كالرأس والابطين مثلا فما سبب ذلك ؟ وهل للشعر علاقة بتطور الانسان ؟

﴿ الهلال ﴾ كان الشعر يكسو جسم الانسان كله فى الأزمنة القديمة لأن الطبيعة منحته بذلك الشعر لتقيه البرد إذ أن الانسان الأول ظهر على الارض فى العصر الجليدى القديم . وبمرور الزمن انقشع العصر الجليدى وأخذت الارض تدفأ فصار الانسان يفقد شعره بالتدرج . ولا يخفى أن الفيل والحيوان المعروف بالكركدن أو وحيد القرن هما من الحيوانات المجردة من الشعر . ولكن منهما أنواعا كانت تسكن فى القطب الشمالى وكانت مكسوة بشعر كالفرو لأن الطبيعة حبتها به لوقايتها من البرد . ويقول علماء النشوء إن المرء سيفقد جميع الشعر الذى على جسمه بمرور الزمن الى أن تبدأ الارض تبرد مرة أخرى فيعود الشعر الى الظهور على جسمه

رقى الانسان

(القاهرة ــ مصر) ومنه

ما هو البرهان القاطع على رقى الانسان وعلى أن النوع البشرى فى العصور الحالية كان أحط منه فى هذا العصر ؟

﴿ الهلال ﴾ سؤالكم دليل على ارتيابكم فى مبدأ التطور الذى يسلم به جميع العلماء . ولكن أليس فى الاكتشافات والاختراعات الحديثة دليل على أن الانسان اليوم أرقى منه فى الأزمنة العابرة ؟ لقد كان ، وهو فى العصر الحجرى ، لا يكاد يحسن التعبير عن أفكاره ، بل لا يستطيع أن يعد أكثر من عشرة (وهو عدد أصابع يديه) ولكنه تمكن بمرور الزمن من توسيع دائرة تصوراته وأفكاره ، وازداد عدد الكلمات التى صار يعبر بها حتى صار معجم كلامه يشتمل اليوم على عشرات الالوف من الكلمات . أفليس فى هذه الحقيقة وحدها دليل على تطور عقل الانسان وتدرجه فى سلم الرقى ؟

أما زعم بعضهم ان الانسان فى الازمنة الخالية كان ذا حضارة راقية ثم اندثرت تلك الحضارة وانطمست ، مع أنه لم تقم عليه أدلة قاطعة حتى الآن ، فليس دليلا على أن الانسان ظهر على وجه الارض وهو ذو حضارة راقية ، بل لا بد أن يكون قد وصل الى تلك الحضارة عن طريق التطور

جمال الذكر والأنثى

(الاسكندرية ــ مصر) خليل صائغ

أيهما أجمل فى نظركم . الذكر أم الانثى ؟

﴿ الهلال ﴾ هذه مسألة يصعب الحكم فيها حكماً يسلم به الجميع ما دامت صفة الجمال اعتباراً نسبياً عند الناس . فما قد تحسبه انت جميلا قد يحسبه غيرك دميما . ولو اتفق البشر على تعريف الجمال وتحديد شروطه لأمكن الحكم بين الذكر والانثى وتفضيل أحدهما على الآخر . ويذهب بعض أساطين الفن الى أن الطبيعة منحت الرجل قوة أعظم من قوة المرأة ، ولكنها منحت المرأة جمالا أكثر من جمال الرجل ليكون بينهما توازن . وهو زعم يسلم به الجمهور ولكنه لا يستند الى أساس منطقى

هالة القمر

(طنطا ــ مصر) يوسف توفيق

كثيراً ما نرى حول القمر عند تمامه هالة مضيئة كأنها حلقة محيطة به . فما سبب هذه الحلقة ؟

﴿ الهلال ﴾ سببها انعكاس نور القمر على ملايين الذرات السابحة فى الهواء المحيطة بجرم القمر . واكثر هذه الذرات بلورية وكثير منها جليدية وهى تعكس نور القمر كأنها مراءة محيطة بجرم القمر

دماغ الانسان

(طنطا ـ مصر) ومنه

قد قسم علماء السيكولوجيا الدماغ الى «مراكز» متعددة ، فمنها مركز للذاكرة ومركز لتمييز الألوان وآخر لتمييز الروائح الخ . فما هو مركز التفكير ؟

(الهلال) ان جزء الدماغ الذى يقوم بمهمة التفكير هو غشاء الدماغ نفسه ويعرف بالمادة السحابية . وتختلف ثخانة هذا الغشاء من ربع بوصة الى عشر بوصة ، وهو يغطي سطح الدماغ الأعلى . ويختلف الانسان عن معظم أنواع الحيوان بكون الغشاء السحابي فيه خارج الدماغ حيث يتسنى له النمو . أما في الحيوانات الدنيا فالغشاء فى باطن الدماغ حيث لا يتسع له مجال النمو

عمر الصخور

(الخرطوم ـ السودان) مشترك

كيف نستطيع أن نستدل على أعمار الصخور وطبقات الأرض بالأحافير الحيوانية ؟

(الهلال) ذلك أننا نعرف ، بفضل علم الجيولوجيا ان حيوانات معينة عاشت فى عصور جيولوجية معينة ولم تعش قبلها ولا بعدها . فاذا وجدنا أحافير تلك الحيوانات فى صخر من الصخور أمكننا تعيين عمر ذلك الصخر جيولوجياً

لغة تشيكوسلوفاكيا

(القدس ـ فلسطين) حبيب سلامة

هل للغة التشيكوسلوفاكية حروف خاصة أم هى تكتب بالحروف الروسية ؟

(الهلال) اللغة التشيوسلوفاكية هى خليط من لغة « التشيك » ولغة « السلاف » (بشمال غربى هنغاريا) وقد أصبح لتشيكوسلوفاكيا كيان مستقل منذ الحرب العظمى الماضية . وليس لهذه اللغة حروف خاصة ولذلك تكتب بالحروف اللاتينية

خاتم الخطبة وخاتم الزواج

(القدس ـ فلسطين) ومنه

فى أية اصبع يجب أن يلبس كل من خاتمى الخطبة والزواج ؟

(الهلال) لم يتفق الناس على تعيين الاصبع الخاصة بهذين الخاتمين . فمن الناس من يضع خاتم الخطبة في الاصبع الوسطى من اليد اليسرى ثم ينقله عند الزواج باليد اليمنى . ومن الناس من يخالف هذه القاعدة فيضع خاتم الخطبة في خنصر اليد اليسرى ثم ينقله عند الزواج الى خنصر اليد اليمنى . ومنهم من يسير على خلاف هذه القاعدة

قائل بيت

(بغداد ـ العراق) أحد القراء

من قائل البيت الآتى وما معناه :

لعمرى مع الرمضاء والنار تلتظى
أرق وأحنى منك فى ساعة الكرب

(الهلال) روايتكم للبيت على هذا الوجه خطأ والصحيح قوله :

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى
أرق وأحنى منك فى ساعة الكرب

ولا نذكر قائل البيت ولكن فيه ما يعرف عند البديعيين بالتلميح ويكون بألفاظ يسيرة يشار بها الى قصة معلومة أو بيت مشهور أو مثل سائر . والاشارة هنا هى الى البيت المشهور الذى قيل فى جساس بن مرة البكرى وكان قد طعن كليب بن ربيعة التغلبى فألقاه على الارض . فقال له كليب : يا عمرو ، أغثنى بشربة ماء . فأجهز عليه فقال بعض العرب :

المستجير بعمرو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار

الثوابت

(بغداد ـ العراق) ومنه

لماذا تسمى بعض الاجرام الفلكية ثوابت ؟

(الهلال) هى تسمية خطأ أطلقها الاقدمون على النجوم تمييزاً لها عن الكواكب السيارة . أما الآن وقد ثبت أن النجوم كلها متحركة وأن كلا منها شمس تدور فى الفضاء كشمسنا فيجب أن يعدل عن تلك التسمية

أبعاد النجوم

(بغداد ـ العراق) ومنه

من أول من قاس أبعاد النجوم بالضبط ؟

(الهلال) هو عالم فلكي يدعى ستروف فانه قاس بعد النسر الواقع سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٨٣٨ لجاءت نتيجة قياسه مطابقة لنتيجة القياسات الحديثة مع ان الفلكيين يستخدمون الآن من الوسائل ما لم يكن معروفا فى عصره

حقيقة الجاذبية

(بغداد ـ العراق) ومنه

هل عرف العلماء حقيقة الجاذبية ؟

(الهلال) لاعرفوا حقيقتها ولا فرضوا لتعليلها فرضا ينطبق على كل أفعالها . أما حركات السيارات والاقمار التى قيل انها تعمل مع الجاذبية فى جعل الاجرام تدور فى دوائر فالمظنون أن سببها كون كل جرم منها انفصل عن الجرم الذى يدور حوله بقوة دافعة يقال لها قوة التباعد عن المركز فصارت تحت تأثير قوتين هما القوة الدافعة والقوة الجاذبة

حفظ الفواكه

(دمشق ـ الشام) مصطفى الجزائرى

ما هى أفضل طريقة لحفظ الفواكه الطازجة من الفساد ولا سيما الفواكه التى يراد ارسالها الى الخارج ؟

(الهلال) أفضل طريقة هي أن تلف لفاً محكماً بورق رقيق معالج بمادة اليود . فان هذه المادة تمنع ـ أو على الاقل تعوق ـ ظهور البكتيريا والفطريات فى تلك الفاكهة من دون أن تؤثر فى طعمها . وقد جرب كبار تجار الفواكه فى أميركا وأستراليا هـذه الطريقة فأسفرت عن نجاح كبير

الموسيقى والحشرات

(دمشق ـ الشام) ومنه

قرأنا فى مجلة «آنسرز» الانجليزية أن أحد العلماء اليابانيين قد اكتشف ان أحسن طريقة لقتل الطفيليات التى تؤذى دودة الحرير هى ادارة اسطوانات الموسيقى المعروفة (بالجاز) على الجراموفون ، وأن فلاحا فى بروسيا الشرقية طهر حقله من الجرذان والفيران بعزف موسيقى الجاز المذكورة على آلة الاكورديون . فما قولكم فى ذلك ؟

(الهلال) قرأنا ما قرأتموه فى مجلة «آنسرز» المذكورة وبطنه من الاخبار التى لا يعول عليها . ويستحسن أن تجربوا هذه الطريقة ليتحقق لكم صحة القول أو كذبه ؟

تخاطب الحشرات

(نيويورك ـ الولايات المتحدة) ومنه

هل تتخاطب الهوام أو الحشرات ؟ وبأية وسيلة تتخاطب ؟

(الهلال) الارجح أنها تتخاطب . أما وسيلة تخاطبها فغير معروفة . وقد تكون كما يزعم البعض طريقة شبيهة بأمواج الكهربائية اللاسلكية

أمريكا والحرب المقبلة

(ناشفيل ـ الولايات المتحدة) عابر سبيل

هل تعتقدون أن الولايات المتحدة ستدخل الحرب القادمة كما دخلت الحرب العظمى الماضية ؟

(الهلال) سؤالكم هذا غريب ولا نظن أن رئيس الولايات المتحدة نفسه يستطيع أن يجيبكم عنه . فانتم تفرضون وقوع حرب عامة وتعتبرون وقوعها قضية مسلمة ، فعلى فرض صحة ما تذهبون اليه فكيف يسعنا أن نتنبأ بأن الولايات المتحدة سوف تدخل أو لن تدخل تلك الحرب ؟ وفى الحقيقة أن أمريكا لن تشتبك في المستقبل فى أية حرب أوربية الا اذا أصيبت مصالحها بضرر

الجيش الاميركى

(ناشفيل ـ الولايات المتحدة) ومنه

ما عدد جنود الجيش الذى تستطيع الولايات المتحدة أن تقذف به الى ميادين القتال لو اضطرت أن تخوض الحرب المقبلة ؟

(الهلال) الفرق عظيم جداً بين الجيش الذى تستطيع الولايات المتحـدة انزاله الى ميادين القتال ، والجيش الذى سوف تنزله حقيقة لو اضطرت الى الحرب . ففى وسعها انزال عشرة ملايين جندى ، ولكن لا ينتظر منها أن تنزل اكثر من نصف هذا العدد ، وذلك لاعتبارات فنية واقتصـادية وصناعية وحلافها مما لا يتسع هذا المجال للكلام عليه

هل الحرب واقعة

(حلب ــ الشام) أحمد الفراء

هل تظنون أن الحرب واقعة حتما بين دول أوربا ؟

(الهلال) أما كون الحرب واقعة حتما بين دول أوربا فما لا يختلف فيه اثنان . وانما الخلاف هو على الزمن الذى ستقع فيه الحرب . والعوامل التى تقضى بوقوعها كثيرة متنوعة وفى مقدمتها رغبة المانيا فى الانتقام من أعدائها السابقين وفى استعادة مستعمراتها ، وطمع ايطاليا فى انشاء امبراطورية تسود بها العالم وتحل محل الامبراطورية البريطانية الحاضرة . ونفور الشعوب الحرة من الديكتاتورية من جهة ومن فوضى البولشفية أو الاشتراكية المتطرفة . وعوامل أخرى لا يتسع لها هذا المجال

كتمان العمر

(نيويورك ــ الولايات المتحدة) ر . ح .

ما هو سبب كتمان معظم النساء أعمارهن الحقيقية ؟

(الهلال) ولماذا تقولون معظم النساء ولا تقولون جميع النساء وجميع الرجال ؟ وكم من مسن يأبى الا أن يتصابى ويصبغ شعر رأسه وشاربيه ويحاول خداع الناس . واذا كان للمرأة التى تقدمت فى السن قليلا ولم تتزوج بعض العذر فى محاولة كتمان عمرها فما عذر من بلغ من العمر أرذله اذا هو صبغ شعره وزجج حاجبيه وحاول تمويه مرآه ؟ انها يا سيدى علة متأصلة فى كل من لم يبلغ الثمانين ــ رجلا كان أو امرأة ــ فمتى بلغ الثمانين فالأرجح أنه يشرع فى زيادة عمره الى اكثر من حقيقته ليدهش الناس بجودة بنيته واكتمال صحته مع بلوغه تلك السن . فالمرء كاذب قبل الثمانين ، وكاذب بعد الثمانين

مخترع الستيتسكوب

(طنطا ــ مصر) احمد الشافعى

من مخترع الستيسكوب أو آلة السمع التي يستعملها الأطباء ؟

(الهلال) مخترعها فرنسى يدعى رينيه لابيه . وكان ذلك حوالى سنة ١٨١٩ الا أن طبيبا أميركيا يدعى جورج فيليب كامان ــ من أهالى مدينة نيويورك ــ أدخل على هذا الاختراع تحسينات كثيرة حتى وصل الى شكله الحاضر

لون الأزهار

(البصرة ــ العراق) احمد نورى آل باش أعيان

قلتم فى الجزء الرابع من مجلة الهلال ــ فبراير سنة ١٩٣٧ ــ فى جوابكم عن السؤال الخاص بلون الازهار أنكم لم تروا قط زهرة خضراء ، وأن حكمة الطبيعة قد قضت بجعل لون الزهرة يختلف عن لون أوراق النبات . ولكن الزهر الأخضر موجود منه فى مدينتى بغداد والبصرة نوعان يسمى الأول «الأشرفى» أو «الزرور» ولا يختلف شكلا عن الزهرة ذات اللون الأبيض أو الأحمر أو الأصفر أو غيره . أما النوع الثانى فلا تختلف شجرته عن باقى أشجار الأزهار المذكورة الا أن زهرته صغيرة الحجم ولها وريقات صغيرة مستطيلة خضراء لا يختلف لونها عن لون أوراق شجرتها غير أنها ليست ذات رائحة . فما قولكم فى ذلك ؟

(الهلال) نشكركم على هذه البيانات النفيسة ونكرر القول بأننا لم نر قط زهرة خضراء ولا شك فى أن نوعى الازهار اللذين أشرتم اليهما هما من خوارق الطبيعة

قاطرة ديزل

(نجع حمادى ــ مصر) دافيد ركور

قلتم فى جزء شهر مارس الماضى من الهلال فى الكلام على قاطرة ديزل أنها قاطرة تقوم على مبدأ الاحتراق الداخلى الخ . أفما كان الاحرى أن تقولوا أنها قاطرة تسير بمحرك ديزل وأن محرك ديزل يقوم على مبدأ الاحتراق الداخلى الخ ؟

(الهلال) إن قولنا قاطرة ديزل تقوم على مبدأ الاحتراق الداخلى انما يعنى القاطرة التى تسير بمحرك ديزل والكلام هنا من قبيل حذف المضاف كقولنا خرجت المدينة لاستقبال فلان أى خرج أهل المدينة لأن المدينة نفسها لا تخرج . ونشكركم على هذا التنبيه

مراحل الهلال

عن الجزأين الثالث عشر والرابع عشر من السنة السابعة

صدرا في ابريل سنة ١٨٩٩

كتاب العربية وقراؤها

قد يخيل للبعض أن سوق الأدب كاسدة عندنا لما نراه من كساد بعض المشروعات العلمية من الكتب أو الصحف، ولو درسوا حال البلاد لعلموا أن السبب في الفشل انما هو في الغالب سوء اختيار المواضيع أو سوء التصرف في بيعها أو أسباب أخرى تتعلق بالكاتب لا بالقارىء

وقد ترى بعضهم اذا ذكر كتاب الافرنج ورواج مؤلفاتهم وما يصيبونه من المال ثمناً لما يكتبونه نقموا على قراء العربية وقالوا ان قراءنا جهلة لا يعرفون قدر العلم ولا يفهمون معنى الأدب . واذا ألف أحدهم كتاباً ولم يبع منه الا نسخاً قليلة تمثل بمئات الألوف التي تباع من بعض مؤلفات الافرنج ورمى قراءنا بالجهل والبخل . ولا نظنه الا متسرعا في حكمه لأسباب لا تخفى على المتأمل : منها أن الكاتب الافرنجي انما يكتب لفئة من القراء يتشابهون ذوقا وخلقاً إذ كل أمة من أمم الافرنج ينشأ أبناؤها على نوع واحد من التهذيب ، فيشبون على أخلاق متشابهة يعرفها الكاتب معرفة جيدة ، فاذا كتب كتاباً أو أنشأ مقالة كان على بينة من الخطة التي يرضي بها قراءه على تفاوت في الاجادة وأسلوب الكتابة وضروب المواضيع

أما نحن فانما نكتب لفئات تتباين أهواؤهم وأخلاقهم وقد تتضارب أذواقهم بل تتناقض . فما يرضي زيداً قد يسيء عمراً وما يفرح بكراً قد يغضب خالداً . والسبب في ذلك ما اشتهر به عامة أهل المشرق من كثرة المذاهب واختلاف الأذواق مما فطروا عليه من أقدم أزمانهم . فضلا عما نحن فيه من النهضة الأخيرة التي قضت بتشيع بعضنا الى أمة من أمم الافرنج ، والبعض الآخر الى أمة أخرى بما اكتسباه من طرق التعليم في مدارس أنشىء كل منها لغرض غير أغراض المدارس الأخرى . فالمتخرج في مدارس الفرنسيين لا ترضيه أخلاق الانكليز ، والمتخرج في المدارس الانكليزية ينفر من عادات الفرنسيين ، وقس عليه سائر المدارس مما لا يحيط به حصر . ناهيك عما تقتضيه النهضة في أول عهدها من تضارب الآراء لتفاوت الناس علماً وأدبا مع ما يرافق ذلك من كثرة الدعوى . وقد يصدق ذلك على مصر اكثر مما يصدق على غيرها من بلاد المشرق لاختلاط أهلها بأمم الأرض على اختلاف نحلهم ونزعاتهم

ما هو الحب

اختلف العلماء في تحديد الحب وتقسيمه وتعليله وأطالوا الجدال فيه مما لا حاجة بنا اليه لأننا انما نختار من طرق البحث أبسطها وأسهلها لئلا نجر القارىء الى غياهب التعقيد والتشويش مما لا فائدة منه . فالحب غريزة فطرية في الانسان تتألف بها القلوب ويتم بها الاجتماع البشري وهي أنواع تتباين مظاهرها ، وإن كانت ترجع كلها الى مبدأ واحد واليك أنواعها :

(١) حب الذات وهو أساس كل حب ومنه المبدأ وإليه المصير فان كل انسان يحب ذاته فوق كل شيء حتى الحيوان والنبات فان في كل فرد من أفرادهما ميلا لاكتساب كل شيء لنفسه وهو حب الذات

(٢) حب البنين والأقارب وهو يمتاز عن حب الذات ولكنه يليه في المرتبة فان الانسان يحب ذاته

أولا ثم أولاده فأقاربه

(٣) حب الأصدقاء والمعارف والجيران

(٤) حب الوطن والملة والمذهب

(٥) الحب العام وهو ميل الانسان الطبيعي الى الاجتماع والاستئناس ببني جنسه

(٦) الحب الحسي وهو الميل المتبادل بين الأناث والذكور وهو لايقاس بغيره من ضروب الحب

واذا دققنا النظر في كل هذه الانواع وبحثنا فيها بحثاً تحليلياً رأيناها ترجع الى نوع واحد منها هو حب الذات ، فان حب الانسان نفسه يحمله على حب أبنائه وأهله وأصدقائه ووطنه ودولته ، بل هو أصل الاجتماع ومرجع آمال الانسان

لفظ الرئاسة

من غريب التوارد أن الالفاظ التي تفيد الرئاسة أو السيادة في معظم لغات العالم المتمدن تبتدىء بحرف الراء فهي في اللغة اللاتينية Rex أي ملك ومنها Rois في الفرنسية و Re في الايتالية ونحو ذلك في سائر الفروع اللاتينية . وفي اللغة السنسكريتية Rajan ملك ونحو ذلك في الفروع الهندية ومنها في الانكليزية Reign حكم أو تسلط . وفي العربية « رأس أو رب » ومثل ذلك في سائر اللغات السامية . ومن غريب الاتفاق أيضا أن « رع » أو « را » في اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية اسم للاله العام عندهم وهو في الأصل اسم للشمس . فلعل أصل معنى الرئاسة فيها أن المصريين في أقدم أزمانهم عبدوا الشمس حتى صار اسمها علما للاله الاعظم فسموا به أعظم آلهتهم بعد ذلك واتخذه عنهم سائر الأمم أو ربما حصل ذلك على سبيل التوارد

طرائف شتى

* جرب بعضهم ميل الحيوانات الى استنشاق العطريات فوجد الاسد أشدها رغبة في استنشاق روح اللاوندا المشهور فاذا غمست خرقة فيه وألقيتها للاسد قبض عليها بمخلبيه وأدناها من أنفه باشتياق

* ارتأى بعضهم اصطناع ساعة كبيرة من نوع الساعات الدقاقة ولكنها بدلا من أن تدق في كل ساعة دقة رأى أن تقص قصة صغيرة أو تقول شعراً أو مثلا أو حكمة بواسطة الفونوغراف وهو رأى لا يلبث أن يخرج الى حيز الفعل ولا يخلو من فكاهة وطلاوة

* من مستحدثات الآلات في أوربا اليوم عداد يشدونه بالمركبات فيعين المسافات التي تقطعها المركبة وفائدته أن أصحاب مركبات الاجرة اذا أجروا مركبة لراكب باعتبار الميل علموا مقدار المسافة وسهل عليهم تقدير الاجرة بلا نزاع . وهو اختراع حسن جدير بأن يتخذه أصحاب المركبات في القاهرة تخلصاً من الخصام الذي لا يكاد ينجو منه راكب

* يعتقد المستر بالفور ان البيسيكل هو أعظم اختراعات العصر لانه أثر تأثيراً عظيما في الهيئة الاجتماعية في أوربا صحياً وأدبياً واجتماعياً . وأورد أدلة كثيرة في هذا الموضوع بخطاب ألقاه في جلسة عقدتها جمعية البيسيكل الوطنية في لندن